سادة القافلة 24

الفصيل الأول

ذكريات ليلة عمليات

(جادة الفاو - أم القصر13-2-1986م)

تحقيق وتدوين: أصغر كاظمي

الجزء الأول

دار المعارف الإسلامية الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

دار المعارف الإسلامية الثقافية

الـــــكــــتـــــاب: **الفصيل الأول – ذكريات ليلة عمليات جادة الفاو أم القصر 13-2 - 1986م (ج 1)– سادة القافلة 24**

تحقيـق وتدويـــن: **أصغر كاظمي**

ناشر النسخة الأصلية: **سوره مهر**

تـرجـمـة وإعـــداد: **مركز المعارف للترجمة**

إصـــــــــــــدار: **دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة**

إخـــــراج فـنـــي: **علي عليق**

طـــبـــاعـــــة: DBOUK 0096113336218

الطبعة الأولى – 2018م

ISBN 978-614-467-108-5

books@almaaref.org.lb
00961 01 467 547
00961 76 960 347

سادة القافلة 24

الفصيل الأول

ذكريات ليلة عمليات

(جادة الفاو - أم القصر 13-2-1986م)

تحقيق وتدوين: أصغر كاظمي

الجزء الأول

المعارف
دار المعارف الإسلامية الثقافية

إهداء

إلى يديها المتعبتين وحنانها الأمومي

إلى المرحومة رقيّة محمّدي

كنت صبيّاً في السنة الأولى من عمري حين جاءت سيّدة في الخامسة والأربعين من عمرها إلى بيتنا لمساعدة أمّي في حضانة أولادها ورعايتهم. وكانت هذه المربّية قد فقدت زوجها وابنها الوحيد قبل سنوات مديدة، فبقيت وحيدة. كانت عائلتنا مؤلّفة من ستّة أفراد، ما جعل أمّي بحاجة في تربية ورعاية أولادها إلى حاضنة شفوقة، محبّة ومخلصة. وحين أتتْ إرتاح بال أمّي من جميع الجهات. فإلى جانب محبّة الأم، انتفعنا من أفضال حاضنتنا الحنونة والمحبّة أيضاً.

بعد سنوات حياتها المثمرة والملأى بالنشاط، تركتنا السيّدة رقيّة محمّدي مسارعة إلى لقاء الله الرحيم.

عندما كنت في الجبهة، وجرياً على عادة المجاهدين، أخذتُ شيئاً من التراب المبارك، والمتجمّع في قبضة شهيد، من أجل الأيّام الصعبة. فنفعتني في يوم دفن أحبّائي، ومن جملتهم والدي العزيز الحاج كريم كاظمي في العام 1993م، أمّي الحنونة السيّدة صغرى ربيعي في العام 1995، وحاضنتي العزيزة السيّدة رقيّة محمّدي في العام 1994.

اليوم، وتداركاً منّي لبعض المحبّة التي غَمرتني بها هذه السيّدة الجليلة في الصغر؛ وأفراد عائلتي، إن كان لتأليف هذا الكتاب أجرٌ معنويّ عند الله تعالى، فإنّي أهديه لروحها الطاهرة، وأسأل الله تعالى لها الجزاء الأوفى والدرجات العلى.

أ. كاظمي

الفهرس

مقدمة الترجمة 9
تمهيـد 13
مقدمة المؤلف 17
القسم الأول - الفصيل الأول 27
الفصل الأوّل – البستان 29
وثائـق الفصـل الأول 88
الفصل الثاني – المغمور 109
وثائـق الفصـل الثـاني 166
الفصل الثالـث – المتآخيتان 183
وثائـق الفصـل الثالـث 221
الفصل الرابع – الخـوذة المعدنية 223
وثائـق الفصـل الرابـع 253
الفصـل الخامس – العنقاء 263
وثائـق الفصـل الخامـس 342
الفصل السادس – حدائق جنّتيـة 359
وثائـق الفصـل السادسـ 399
الفصـل السابع – ساعة يد 419
وثائـق الفصـل السابـع 460
الفصـل الثامن – الظلال 467
وثائـق الفصـل الثامـن 516

الفصل التاسع – الدماء 535
وثائق الفصل التاسع 587
الفصل العاشر – «دز» 599
وثائق الفصل العاشر 628
الفصل الحادي عشر – الصفير 631
وثائق الفصل الحادي عشر 653
الفصل الثاني عشر – الأمانة 659
وثائق الفصل الثاني عشر 700

القسم الثاني - السرية الأولى 711
الفصل الثالث عشر – المذكرات اليومية 713
وثائق الفصل الثالث عشر 758
الفصل الرابع عشر – دفتر المذكرات 771
وثائق الفصل الرابع عشر 821

القسم الثالث - كتيبة حمزة 831
الفصل الخامس عشر – ليلة السرطان 833
وثائق الفصل الخامس عشر 869
الفصل السادس عشر – الجادة الثالثة 877
ملحقات وصور 943

مقدمة الترجمة

وأذّن مُؤذِّنٌ، ألا قوموا، يا فتيةَ الصحائف التي حَنّت وخَفّت؛ فجاؤوه من كلّ فجٍّ عميق؛ صفًّا صفّا، وفصيلًا فصيلا.

وتهادَت أقلامهم النديّة من كفٍّ إلى كفّ، وما ثَقُلت رشاشاتهم من كتفٍ الى كتف. جمعوا الولاء من حقائب المدرسة إلى حقائب الهجرة؛ واقترن الصدى من أرواحهـم نشيدًا رائدا: حيّ على الدفاع، وهيهات منا الذلة، وراية الانتظار.

حيَّ على العطش، وقيام الليل، وإيثار القمر، ولهفة عابِسٍ.

إنّهم مقاتلو «الفصيل الأول» يلبُّون النداء:

هـذا يختلي بربِّـه، وذاك يُقَلّبُ كتـاب علومه ودفـتر مدرسته على ضوءِ شمعة، وكوبِ شاي بلون الشفق.

هـذا يُلَحِّدُ نفسه في حفرة بليل، وتَخـطُّ نبضاتُ قلبه رسائلَ تشرق كالنجـوم، فلا تخفى. وذاك تتيبّسُ أطرافه في ليلٍ مُثلَج مُنتظرًا دوره لِوُضوءِ صلاة مع النجوم، لتعبُر مناجاتُه الأثير؛ فلا تُمحى.

وآخر يكتب وصيته مع القمر بدموع يكفكفها ضوؤه في خجل وغبطة؛ وشابٌ يقتنصُ فرصةً فينْسَلُّ في عتمة ليَغنمَ خدمةَ «صباغة الأحذية»؛ بعد طابورٍ ليليٍّ مزعج أو مسيرٍ جبليٍّ مُضنٍ.

لو نظرتَ إليهم لألفَيتَ القبضات والجذبَ والعزم، وعنهم ما نَأَيْت.

ولـو اطّلعتَ على فيض أفئدتهم، لَشممْتَ بخّور المناجاة في السحَر، ولأجـلِ خضَاب حريـر الرّمل وَفَيْت. ذلك بأنهم كتبـوا ليتذكّروا يومًا، فأصبحوا هم الذكرى التي لا تُنسى.

«لقـد تنـاثـرت وُرُودُ الفصيـل الأول قبل أن تتفتّـح»، لتترك شذاها هامسًا: «هـو قتـالٌ في الجبهـة ونـار، وهـو مدرسـةٌ للنّفس وصفوفٌ وامتحان؛ وبقيّة سيف للحياة».

هذا الكتاب..

كان عديد «الفصيل الأوّل» (29) عنصرًا من شباب التعبئة وتلاميذ المدارس، استُشهد (14) منهم في ليلة عملية (والفجر8)... نقرأ في الكتاب ذكريات الجرحى، وشهادات صدق لأم شهيد وأبيه، وابنه وزوجته؛ ونستشعر أنسًا ملائكيًا سكنَ قلوب شهدائهم؛ ونجوى فتية أزهرت مع ورودِ «أروند»؛ وتأسرنا مشاهدُ من فكاهةٍ وعِشرةٍ طيبةٍ، وألم فراق لا يوصف، وروح متيّمة بعشق أترابها!

تحدّثَ سماحة الإمام القائد[1]، مثنيًا على جماليّة الكتاب ومهارة مؤلِّفه قائلًا: «لقد قرأتُ مؤخّرًا كتابًا يشرحُ مجريات أيام عدّة لواحدة من هجماتنا، وذلك على ألسنة الأفراد النّاجين من أحدً الفصائل،... لقد ذهبَ هذا الكاتب والباحث؛ الموهوب جدًا، واستخرج جزئيات القضايا باستنطاق أولئك الأفراد حتى ألّف كتابًا من 700 صفحة؛ هذا النوع من الأعمال هو حقًا وإنصافًا قيّمٌ للغاية» وقال أيضا[2]: «إنّ كتاب «الفصيل الأول» هو كتابٌ رائع جدًّا».

شكر وتقدير

يسرُّنا أن نقدّم للقراء الأعزاء؛ لرواد الأدب وللكتّاب؛ وللشباب؛ الإصدار الـ(24) في سلسلة «سادة القافلة» ومجموعة أدب الجبهة؛ ولا يسعنا إلّا أن نشكر كل من ساهم في إعداده وترجمته ليبصر النور بهذه الحلّة:

- الكاتب: الأستاذ أصغر كاظمي وفريق بحثه؛ الذين أبلوا بلاءً حسنًا في إعداد المقدمات اللازمة وكتابة النصوص بلغة واضحة ومضامين مترابطة ودقيقة[3].

1 - في لقاء مسؤولي النظام؛ 2007/9/22م.

2 - في لقاء قادة الحرس الثوري؛ أيار/2008م.

3 - تراجع التفاصيل في مقدمة المؤلف.

– مكتـب (أدب وفن المقاومة)؛ الـذي يسهر على حماية ودعم هذا النوع من الإنتاج الأدبي في تاريخ الجبهة والدفاع المقدس.

– فريق الترجمة: د. محمد عليـق[1]، الحاج علي مهدي[2]، والأخوات: حوراء طحينـي[3]؛ فاطمة شوربا[4] وسمية يوسف[5]؛ إذ تظافرت جهودهم وقدموا نصوصًا متماسكة بلغة جميلة؛ قريبة من السهل الممتنع.

– فريـق الإعداد والتحرير في مركـز المعارف للترجمة؛ حيث قُرِئت النصوص أكثر من مِـرّة، أحيانًا، مع مراجعـات ومقارنات للنصوص مـع اللغـة الأصـل، وأنجـزت صياغات وتحريـرات لازمة؛ مـع توحيد المصطلحـات في كل الكتاب، وتحويل التواريـخ الشمسية إلى الميلادية؛ والإشـارة في هوامش توضيحية لبعض التّسميات والمعاني غير المألوفة لـدى القـارئ العربـي. وقد وضعنـا جدولًا بأهـمّ الرتـب العسكرية، والمصطلحات المفتاحية.

– السيـدة نجـوى الموسـوي والحـاجّة نهـى عبد الله؛ حيـث قدمتا قراءة تحريرية لمجموعة من الفصول واتحفتانا بملاحظاتهما القيمة.

– المدقق اللغوي: الحاج عدنان حمود.

– المخرج الفني ومعدّ الغلاف: الأخ علي عليق.

– ناشر النسخة الأصلية: مؤسسة (سوره مهر).

والشكـر موصول لدار المعارف الإسلامية الثقافية في بيروت؛ ناشر النسخة العربية.

مركز المعارف للترجمة

حزيران – 2018

1 - مترجم مقدمات الكتاب والفصول: (من 7 إلى 12).

2 - مترجم الفصول: 14/13/2/1.

3 - مترجمة الفصول: 6/5/4.

4 - مترجمة الفصل الثالث وملحق الصور، وراجعت ترجمة الفصول(1-2-4-5-6).

5 - مترجمة الفصلين الاخيرين: 16/15.

• مصطلحات وكلمات مفتاحية :

- ليلة العمليات (ليلة الهجوم)
- المجمّع التعليمي (مركز تقديم الامتحانات المدرسية)
- صباغة الأحذية/ماسح الأحذية
- تغيير سنة الولادة (تزوير بطاقة الهوية)
- إذاعة التعبئة/هوائيات التعبئة
- تسوية الحساب (معاملة المغادرة)
- روضة كلستاني (فصيل التلاميذ)
- نقطة الانتشار (مكان انطلاق القوات للالتحام بالعدو)
- عنبر/كوخ الاستشفاء(الدائرة الصحية)
- مركز معراج الشهداء(مكان تجميع اجساد الشهداء)
- المرسى (رصيف/ضفة النهر)
- تصفير السلاح (اختباره وضبطه)
- سحب الأقسام (جهوزية السلاح للرمي)
- دوشكا/رشاش(bkc)/كلاشنكوف(كلاش)
- التمويه والاستتار
- إجازة(ماذونية)
- طابور إزعاج/مسير ليلي
- التدريبات البرمائية
- ساحة المراسم الصباحية
- شيخ الفصيل/فيلسوف الفصيل
- مسعف/مساعد مسعف
- ناقل الجرحى

• بعض التشكيلات والرتب العسكرية :

- الفرقة == > عدة كتائب (أو وحدات)
- الكتيبة == > عدة سرايا
- السرية == > عدة فصائل
- الفصيل == > عدة مجموعات
- أركان الفرقة == > قادة الكتائب والوحدات اللوجستية.
- أركان (كادر) الكتيبة == > مسؤولو السرايا والفصائل

• أقسام أو وحدات لوجستية :

قسم التعاون (الأمانات)

قسم التجهيز والمؤن

الهندسة والتخريب

وحدة الإعلام

وحدة التثقيف والتبليغ

الاسعاف والدائرة الصحية

تمهيد

تعرّفـتُ إلى كتيبة حمزة وذهبت إليها للمرة الأولى في شهر اسفند 1364هـ.ش. (آذار 1986م). في تلـك الأيـام، كنت أنـا وصديقي في الدراسـة الثانوية «أمير همايون صـرافي»، نخدم في وحدة المدفعية في فرقة «27 محمد رسول اللّه» ﷺ.

كان أمير أصغرَ منّي بسنتين. في أحد الأيام قال لي إنّ السيد «محمد كبريائـي» -أستاذنا في مـادة الرياضة- يخدم في كتيبـة «حمزة»، ما رأيك أن نزوره معًا؟ كانت فرصةً للذهاب إلى مركز كتيبة حمزة ولقاء الأسـتـاذ كبريائـي. في تلك الزيارة حدّثنا شبـاب الكتيبة عن عمليات «والفجر 8» وذكرياتهم الحلوة والمرّة فيها.

كانت هـذه الزيـارة البسيطة بدايـةً لتعـرّفي إلى «الفصيل الأول» المشهـور بـ«روضـة كلستـاني»، والـذي كان أغلب عناصـره من قوات التعبئة وتلاميذ المدارس من عمر 16 إلى 19 سنة.

في تلك الأيام في معسكر كارون، كانت كتائب وسرايا ووحدات الفرقة في مرحلة إعادة تشكيل واستراحة. وعلى هذا الأساس، لم أواجه أنا وأمير أي مشكلـة في أخذ مأذونية لعدة ساعات كل بضعة أيام وتكرار الذهاب إلى مركز كتيبة حمزة. حتى إننا قضينا سهرة وليلة كاملة في ضيافة هذه الكتيبة. كذلك قام شباب الإعلام في الكتيبة بتزويدنا بأشرطة كاسيت مسجّلة بأحاديث ونداءات، إضافةً إلى ألبومات صور فوتوغرافية لشباب وشهداء عمليات «والفجر 8». تضاعفت رغبتي ومحبتي وانجذابي لمعرفة

تفاصيل أكثر عما جرى مع الفصيل الأول في كتيبة حمزة بعد رؤية صور هؤلاء الفتيان الطاهرين وسماع أصواتهم البريئة.

انتهت الحرب في شهر تير 1967هـ.ش (تموز 1988م) بعد الموافقة الإيرانية على القرار 598. ومنذ ذلك الحين، بدأتُ بجمع آثار وذكريات أولئك المقاتلين من ثكنة «دوكوهه». لا حرب الآن، لكن العائدين من الجبهات كُثُر، والكثير منهم مشتاق لرواية ذكرياته. كانوا يعيدون سرد تفاصيل كل ما حدث معهم بشوقٍ كبير وحماسةٍ لا توصف، وكنت أسعى لتسجيل كل شيء كما هو.

الفصل الرابع عشر في هذا الكتاب هو رواية علي شهبازي، وهو نتيجة الجهود التي بذلتها في تلك السنة.

في شهر فروردين 1369 هـ.ش. (نيسان 1990م) -أي بعد حوالي سنتين من انتهاء الحرب- سافرت إلى محافظة خوزستان في عطلة رأس السنة «النوروز» مع شباب كتيبة حمزة، مع أنّني لم أخدم في هذه الكتيبة سابقًا، وصلنا إلى معسكر كرخه. لم يعد هناك أي أثر لساحة المراسم الصباحية ولا الخيام؛ لكن يوجد بالقرب من مكان خيام الفصيل الأول، حفرة تشبه القبر، وستقرأون ذكريات عنها لاحقًا.

تحدّثتُ مع شباب الفصيل الأول لساعات داخل الحفرة، فأعادوا لي سرد ذكريات ليلة العمليات* المعروفة تلك. الفصل السادس من الكتاب هو رواية حسين كلستاني عن تلك الأيام والأجواء والأحوال.

منذ ستة عشر عامًا وحتى هذا اليوم الذي وصل فيه الكتاب إليكم، كنت مستغرقًا في العمل والتفكير والبحث، لتجميع الوثائق والمستندات، والكتابة والتحرير، وإعداد مقدمات هذا العمل. في البداية كنت مهتمًّا

* أو: ليلة العملية. وقد استخدمنا صيغة الجمع في كل الكتاب.

بالمسائل العسكرية أكثر من الأبعاد الإنسانية، وبناءً على هذه الرؤية؛ أصدرتُ كتاب «من لندن إلى الفاو» وهو كتاب صغير الحجم حول ذكرياتي أنا ومقاتِلَيْن اثنين آخرين على الجبهة. «من لندن إلى الفاو»، ألقى نظرة مختصرة وقصيرة على شخصية «أمير همايون صراف» الذي استشهد في العام 1365 هـ.ش. (1986م) على جادة أم القصر أثناء خدمته في كتيبة حمزة بعنوان بريد السرية.

بدأ هذا العمل منذ أربعة أعوام، وكُتِبَتْ فصوله على أساس التعريف الذي ذُكر لمصطلح «الرواية من جديد» في المقدمة*. الكتاب الذي بين أيديكم هو الجزء الأول من أصل جزءين، ويضمّ أحوال وأقوال الفصيل العسكري المتشكّل من 29 مقاتلًا، وقد شارك هذا الفصيل في مهمة في ليلة العمليات، وكان في انتظار كل واحد من شبابه مسيرٌ ومصيرٌ ما. بالطبع فالكتاب يروي القليل من ماضيهم وذكرياتهم -بقدر المستطاع- وبعضًا من مستقبلهم أيضًا لمن بقي على قيد الحياة بعد تلك الليلة.

لقد ساعد أشخاص كُثُر في إعداد هذا الكتاب؛ ومنهم الرُّواة وأُسَر شهداء الفصيل الأول العظيمة، فلهم كلّ الشكر والتقدير.

على امتداد هذا العمل، واجهتُ العديد من المشاكل التقنية والتنفيذية، وقد عمِلتُ على رفعها من خلال مشاورة السيد مرتضى سرهنكي والسيد علي رضا كمري والسيد محمد مهدي عقابي (مدقّق ومحرّر). أشكرهم جزيل الشكر على توجيهاتهم وإرشاداتهم في بعض المسائل الهامة وملاحظاتهم المفيدة.

كما أشكر جميع الذين ساعدوني فردًا فردًا:

* مقدمة المؤلف ص (17).

1. السيدة راحلة صبوري لتعاونها المستمر على مدى ثلاث سنوات من العمل الدؤوب، وحواراتها ومقابلاتها مع عوائل شهداء الفصيل الأول، وتدوين وتنظيم الحوارات، وإكمال الروايات ومراجعة النصوص، كذلك لها الشكر على تدقيق وتنقيح الكتاب وتحضير الوثائق وفهارس الصور.
2. السيد علي شهبازي والسيدة آمنة سادات رحيمي، على تجميع الوثائق ومستندات الشهداء ومقابلة أُسَرهم وأهاليهم.
3. السيد عباس واضح، على تصويره ضرائح الشهداء.
4. السيد عليرضا دانا، على كل جهوده في أعمال الحاسوب والوثائق الخطية والصور.
5. السيد عسكر عباس نجاد، على تنضيد نصوص الروايات.

أ. كاظمي

آبان 1385 (ت1-2006م)

أنت لجوج وعديم التجربة
لا تعرف أساليب الحرب والتجييش
(دانشنامه - فردوسي)

مقدمة المؤلف

«ليلة العمليات» رمزٌ ومصطلح راجَ خلال سنوات الحرب الثماني بين عموم المقاتلين، وخاصة المتطوعين للمشاركة -أي التعبويّين-. وتُمثّل ليلةُ العمليات زاوية رؤية ومقاربة، يمكن الاطلاع من خلالها على عمق الحرب وأبعادها المتعدّدة.

تُعرف «رواية ليلة العمليات من جديد»* وفق النظرة العسكرية البحتة: البحث في كيفية اتخاذ القرار وإبلاغ أوامر العمليات من مركز القيادة إلى المقرات والوحدات الفرعية، وتنفيذ عمليات الهجوم، وكذلك إرسال التقارير (التغذية الراجعة) إلى مركز القيادة.

ولكن في حربنا الدفاعية ضد الهجوم العراقي البعثي، فإنّ أبعاد وجوانب الحرب كانت أكثر تعقيدًا وأوسع معنًى من الحروب العادية والكلاسيكيّة ولا يمكن الاكتفاء فقط بتجميع المعطيات والمعلومات وتقديم الحسابات العدديّة والكميّة والمعادلات العسكريّة فيها.

لقد أدّت إرادة القتال والدافعية دورًا أساسيًّا ومحوريًّا في حسم نتائج العمليات العسكرية، وينبغي الاهتمام بهذا الجانب على المستوى

* أو: إعادة رواية ليلة العمليات.

الفـردي والاجتماعي؛ الأمر الذي قلّمـا تمّ الإلتفات إليه: أن يقوم هذا الفتى أو الرجـل العجوز، وهذا العامل أو التلميذ أو الطالب الجامعي، بمـا يحمله كل واحد منهم؛ من آمال وتعلّقات وذكريات، فينسلخ بقلبه عـن مدينته وديـاره وعملـه ومعاشه ويضـع روحه على كفّـه، وينطلق مخلصًا من دون أي تردّد نحو مستقبلٍ ومصير جديد وغير متوقع.

ألا يجـب، بعد مرور كل هذه السنوات المتماديـة، أن نُمعن التفكير في الدافع الذي جعل هذا الفتى التعبوي ينطلق تطوّعًا وبرغبة واختيار نحو التضحية والفداء؟ ما السبب الذي دفع ذلك العجوز إلى ترك كل حياته وتحدّي المخاطر والأهوال؟ ألم يكن لآباء وأمهات وأخوات وأخوة وأصدقـاء الفتية التعبويّين ولا لزوجات وأبناء وأقارب الكهول والشيوخ تأثـير وتأثر بهـذه الأحداث واختيار هذا الطريـق؟ والآن أيضًا، أليس لهم دور وحضور؟

لهـذا كله، تم اتخاذ قرار بالتعـرف إلى أحوال وأخبار أصغر وحدة عسكريـة مقاتلـة «فصيـل» في ليلة عمليـات، بعد أن بقـي شباب هذا الفصيـل لمدة مع بعضهم البعض وعاشوا معًـا أصدقاءَ ورفاقَ سلاح، ليتـمّ جمع هـذه الروايات ليتعـرف هذا الجيل والأجيـال القادمة إلى حكايـا آلاف المقاتلين والتعبويين في الجبهة والحرب، من أين أتوا؟ ما هي أفكارهم؟ ماذا فعلوا؟

لكن من بين آلاف ليالي العمليات؛ أيُّ ليلة عمليات يمكنها أن تكون نموذجًـا جيدًا وأرضيّة مناسبة لهـذا التحقيق؟ ألا ينبغي الوصول إلى نتائج يمكن تعميمها على العمليات السابقة والوحدات المشابهة؟

بنـاءً عليـه، تم اختيـار الوحـدة المقاتلـة، وكذلـك ليلـة العمليات (الهجوم) على أساس هذه الشروط الثلاثة:

1. سنة العمليات، فلا تكون أول سنة للحرب ولا السنة الأخيرة، وذلك بسبب التجاذبات السياسية والعسكرية العديدة من طرفي الحرب، والتي أدت إلى نشوء أوضاع خاصة واستثنائية.
2. ألّا تكون العمليات المختارة صغيرة ومحدودة، لكي يُظهر التحقيق كل ظروف العمليات وأبعادها وتفاصيلها المختلفة.
3. أن تكون الوحدة العسكرية المختارة من القوات العادية المشاركة على الجبهة، ليتحلّى التحقيق بشمولية وعموميّة أكبر.

وبهذا القصد والنيّة، توجّه المؤلّف نحو عناصر الفصيل الأول حيث كان معجبًا ومتيمًا بهم منذ البداية. لذلك وقع الاختيار على كتيبة من فرقة (27 محمد رسول اللهﷺ) لسهولة تحصيل المعلومات والإحصاءات والتشكيلات العسكرية، وأنّ الوصول إلى الرواة وعوائل شهداء هذه الكتيبة ميسّر أكثر من غيرها. ومع هذا فقد احتاج هذا التحقيق إلى سنوات لإنجازه.

في قوات المشاة، الفصيل هو الوحدة العسكرية والقتالية الأصغر. كما ذُكر في التمهيد لهذا الكتاب، الفصيل الأول هو أحد فصائل السرية الأول من كتيبة حمزة من الفرقة (27 محمد رسول الله ﷺ)، هذا الفصيل اِلْتَحَمَ مع القوات العراقية البعثيّة في عمليات «والفجر 8» على جادة أم القصر في عمق 18 كلم من خطوط تماس العدو وبالقرب من الحدود العراقية – الكويتيّة، في ليلة 24 بهمن 1364 هـ.ش. (13 شباط 1986م). اشتبكت كتيبة حمزة في تلك الليلة مع كتيبتين (مشاة ومدرعة) من قوات العدو وقد سقطت في تلك المواجهات الدامية أعداد كبيرة وخسائر مادية من كلا الطرفين.

بدأت هذه المعارك عند الساعة 10:20 ليلة 1364/11/24هـ.ش.

-الموافقة للساعة 22:20 يوم 1364/11/23هـ.ش (12/شباط/1986). بالتوقيت العسكري- وارتقى 14 شهيدًا من الفصيل الأول في تلك الليلة، سبعة منهم استشهدوا عند بدء الهجوم وفي الدقائق العشر الأولى للاشتباك.

بعد إتمام السرية الأولى لعملها، انطلقت السريّتان الثانية والثالثة وتابعتا التقدم حتى الساعات الأولى من يوم 1364/11/24 هـ.ش.

خلال هذه الفترة -أي 90 دقيقة- استشهد 4 شباب آخرين من عناصر الفصيل الأول.

في هذا الوقت، وصلت الأوامر من مركز قيادة الفرقة إلى كتيبة حمزة، بالتراجع إلى مواقع الليلة الماضية، وقد تمّ تنفيذ هذا الأمر قبيل شروق شمس يوم 1364/11/24 هـ.ش. استشهد 3 من مقاتلي الفصيل الأول أيضًا خلال التراجع أو أثناء نقل الجرحى إلى الخطوط الخلفية.

بعد تلك الليلة، وفي عمليات أخرى، استشهد 4 شباب آخرين من عناصر الفصيل الأول. بقي على قيد الحياة أحد عشر شخصًا من أصل تسعة وعشرين.

في هذا التحقيق، تمّ إنجاز المراحل التالية بالالتفات إلى أهمية وأولوية مصادر البحث:

- إعداد الإحصاء والتشكيل العسكري للفصيل والقيام بمقابلات مع الرواة (لمدة سنتين).

لم يكن الوصول إلى المعلومات الأوّليّة للعناصر الشعبيّة المتطوّعة أمراً سهلاً. كانت تصفية الأمور واستقدام عناصر التعبئة تتمّ مرّة كلّ ثلاثة أشهر؛ فسهولة انتقال الأفراد بين الوحدات (الفصيل، السريّة، الكتيبة، وحتّى الفرقة)؛ وتغيّر مدّة دورة الخدمة من 45 يوماً إلى ثلاثة

أشهـر إلى سنة أو أكثر؛ وحصر تسجيل إحصاءات عناصر التعبئة في تصنيـف وأرشيف الفرقة والكتيبة فحسب، وليس في الأقسام الأدنى منهـا كالسريّة والفصيل، كل ذلك كان مـن الأسباب والعوامل المعيقة لهكذا عمل.

مـن هنا، استغـرق إنجاز الجـزء الأوّل من العمل المهـمّ والصعب سنتـين -أي تهيئة الإحصـاء والتصفيف العسكـري للفصيل الأوّل-، وأُنجـز ذلك بالصبر الكبير والدقّـة اللازمة. وكما ستلاحظون، فإنّ الإحصاء والترتيـب (التشكيل) العسكري، هـو أساسُ تدوين فصول هذا الكتاب ورواياته. وعليه، فإنّ التناسب الموضعي لكلّ رواية (فصل) كان بنحو يُظهر عدم التناسق سريعاً بمجرّد تبديل فصل بآخر.

وفيما يلي جدول التشكيل العسكري للفصيل:

تشكيل الفصيل الأول

مسؤول الفصيل 1• محسن كلستاني

المجموعة الأولى	المجموعة الثانية
رامي الآربي جي (B7) 1• محسن كودرزي	رامي الآربي جي (B7) 1• حسين كلستاني
المساعد الأول (B7) 2• أصغر علي محمد بوراهر	المساعد الأول (B7) 2• محمد جواد نصيرى بور
المساعد الثاني (B7) 3• أحمد أحمدي زاده	المساعد الثاني (B7) 3• حسن رضى
المساعد الثالث (B7) 4• أصغر لك علي أبادي	المساعد الثالث (B7) 4• عربعلى قابل
رامي الآربي جي (B7) 5• سيعد بور كريم	رامي رشاش متوسط (BKCß) 5• غلامرضا نعمتى
المساعد الأول (B7) 6• مهدي كبير زاده	مساعد اول لرامي الرشاش 6• علي بى بى جانى
المساعد الثاني (B7) 7• مسعود علي محمد بوراهر	المساعد الثاني لرامي الرشاش 7• محمد قمصرى
المساعد الثالث (B7) 8• أكبر مدنى	المساعد الثالث لرامي الرشاش 8• مجيد جواديان
عنصر التخريب(الهندسة) 9• محمد عليان نزادى	عنصر التخريب(الهندسة) 9• حسن اعلايى نيا
عامل الإشارة(الاتصالات) 10• أمير عباس رحيمى	المسعف 10• بهنام باقرى
المسعف 11• سيروس مهدي بور	البريد (الرسول) 11• محمد أمين شيرازى
القناص 12• سهيل مولايى	نقل الجرحى/منقذ (مساعد مسعف) 12• علي رحيمى
نقل الجرحى/منقذ (مساعد مسعف) 13• رضا أنصارى	نقل الجرحى/منقذ (مساعد مسعف) 13• مهدي ملكى
نقل الجرحى/منقذ (مساعد مسعف) 14• حميد رضا رمضانى	معاون مسؤول الفصيل 2• حسين فياض

2- نسخ وتصوير وثائق ومستندات متعلقة بالشهداء، بالتعاون مع مؤسسة الشهيد والجرحى والمضحّين والجرائد والصحف المعروفة، وصولاً للمعلومات المدوّنة على ضرائح الشهداء ومقابلة أُسَرِهِمْ. وكانت النتيجة:

- 1991 وثيقة خطّيّة
- 328 صورة فوتوغرافية
- 315 دقيقة تسجيل صوتي للشهداء

3- نسخ وتصوير وثائق عسكرية ومقابلات مع قادة وضباط، وقد رجعنا في هذه المرحلة إلى مراكز ومقرات عسكرية، ومن خلال تعاونهم معنا وضعنا في متناول فريق البحث مستندات مصنّفة ومؤرشفة لعمليات «والفجر8».

وكانت النتيجة:

1- 1422 ورقة وثائق ومستندات خطية

2- 59 ساعة تسجيل صوتي

3- 19 صورة جوية

وكما تلاحظون فإنّ العمل جرى على ثلاث مراحل وثلاثة مستويات متوازية. ومجموع المعطيات والمعلومات صدرت وستصدر في جزأين منفصلين. إعادة رواية ليلة العمليات هي العنوان المشترك والميزة الجامعة للجزأين، ولا تزال تستحق العمل عليها وإصدار مؤلفات أخرى عنها كي لا يبقى عند القارئ أي غموض وإبهام.

كمثالٍ بسيط وواضح، لنرويَ من جديد ما حدث ليلة العمليات (ليلة الهجوم) يمكننا أن نشبّهه بِسَهْم. عادةً ما يضع القادة في

غرفة العمليات على خريطة العمليات سهمًا (فلاش) يشير إلى نقطة انطلاق الهجوم. وضع السهم دليل على اقتراب موعد الهجوم، رأس السهم يشير إلى مكان انقضاض المهاجمين على خط تماس العدو. امتداد السهم والمستطيل خلفه يصوّر وحدات الاحتياط والعمليات والدعم (الرصد والاستطلاع والأمن والتخريب والاتصالات والتجهيز والإسعاف الحربي والإعلام والمدرّعات والدفاع الجوي والمدفعية الخفيفة والثقيلة، وحدات الهندسة والدعم اللوجستي والمقرات الرئيسة والفرعية لقيادة العمليات..).

وكما إنّ السهم هو تركيبٌ من شكلي مثلث ومستطيل (◀▬)، فإنّ المعلومات والمعطيات الناتجة عن إعادة رواية ليلة العمليات هي كذلك على نوعين: ذكريات ووثائق.

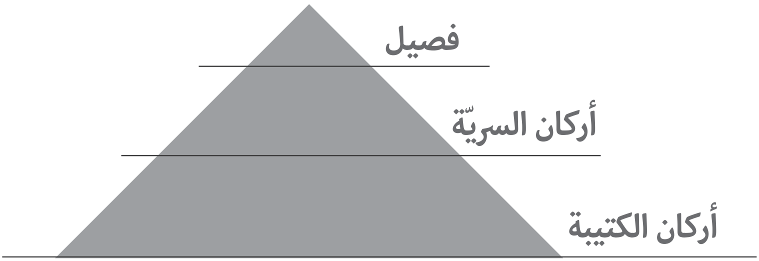

فالقسم المرتبط بمقاتلي الفصيل والسريّة والكتيبة من «رواية ليلة العمليات من جديد»، هو ذكريات ومذكرات، أما القسم المرتبط بغرفة القيادة ومركز إدارة العمليات فهو مستندات ووثائق. ولهذا كان التفكيك بين القسمين ضروريًّا ومطلوبًا لتقديم تحقيق جامع ومانع عن ليلة العمليات.

تمثل رواية قائد الكتيبة الفصل المشترك بين هذين القسمين، أو نقطة التحوّل في «رواية ليلة العمليات من جديد» في هذا التحقيق،

فهو خلال الحرب والعمليات يعمل مع مقر القيادة على الحسابات العسكرية والكمية والعددية وفي الوقت نفسه يرافق سراياه وفصائله على جبهة القتال ضد العدو.

الكتاب الذي بين أيديكم هو «إعادة رواية ذكريات» ليلة عمليات (13 شباط 1986 - جادة أم القصر) والجزء الثاني منه سيضمّ وثائق ومستندات ليلة العمليات نفسها.

يقع هذا الكتاب في ثلاثة أقسام وستة عشر فصلاً:

القسم الأول يشمل 12 فصلاً، يحكي أحوال وأقوال عناصر الفصيل الأول. يروي أحد المقاتلين الباقين على قيد الحياة في كل فصيل ذكرياته ويتحدث عن شهيد أو شهيدين من أصدقائه المقرّبين ويذكر كل ما كان يعرفه.

القسم الثاني يضمّ فصلين، وهو على مستوى السرية الأولى حيث المذكرات اليومية لـ«عربعلي قابل» و«عبد الله قابل» حول أوضاع وأحوال الفصيل الأول والفصيل الثالث من السرية.

كذلك يقع القسم الثالث في فصلين، ويشمل رواية قائد السرية الثانية وقائد الكتيبة، يوضح هذا القسم أسلوب توجيه قوات الكتيبة وكيفية أدائهم في تلك الليلة.

في نهاية كل فصل، وُضعت وثائق الفصل؛ مستندات خطيّة وصور وتوضيحات تساعد القارئ على الاقتراب أكثر من الوقائع والأحداث والشخصيات المذكورة في الفصل [مذكرات وكتابات الشهداء أنفسهم ووصاياهم، ومقابلات بعض أفراد أسرهم].

بعض هذه الوثائق وكونها عامة وُضعت في ملحق آخر الكتاب.

في الختام نقول إنّ ذكريات وروايات المقاتلين التعبويّين قد ضمّت

أفـكارًا عميقـة وأصليّـة بلغة بسيطـة وكلمات عادية. هـذه الذكريات ليسـت تاريخًا جامدًا للأحداث العسكريـة، ولا أساطير وقصصًا من خيال، بـل هي نصوص مفعمة بالمعرفة الدينيّـة، ومنارات علم وهدى للناس، وتجسيد للشعب العظيم والمثالي صاحب الأهداف السامية.

أ. كاظمي

القسم الأول

الفصل الأول

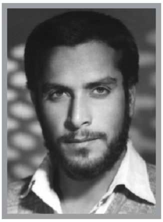

الراوي: محسن كودرزي

التشكيل[1]: رامي آر.بي.جي (B7)، قائد المجموعة الأولى

تاريخ ومكان المقابلة الأولى: طهران، عام 1992م.

الفصل الأوّل*

البستان

استلمتْ والدتـي بطاقـة هويّتي بعد سنـوات من ولادتـي. وسجّل مأمور نفوس مدينة آراك تاريـخ ولادتي وتاريخ صدورها واحدًا. ترك هـذا الحدث، الذي يبدو بسيطًـا في الظاهر، أثرًا كبيرًا على مجريات حياتـي كلها، بدءًا من الدراسة ووصـولًا إلى خدمة العلم وذهابي إلى الجبهـة والعمـل والـزواج و... عندما أسـأل أمي كيـف حصل هذا؟ تجيبني ببساطتها القروية: «يا بني! الذنب ليس ذنبي، قال لي الموظف ابصمي هنا لتحصلي على بطاقة هوية لابنك ففعلت».

التحقـتُ للمـرة الأولى بالجبهـة في العام 1982م. كنـتُ حينها في العشريـن من العمـر، لكنني اضطـررت للحصول علـى موافقة أهلي الخطّية بسبـب سنّي في بطاقة الهوية والتي لا تتعدّى 17 عامًا. عندما أخـبرتُ أمي بالقضية وحصلتُ علـى بصمتها أسفل الاستمارة، قالت

1 - بمعنى الوظيفة والمهمة أو الصفة الحربية في المعركة. (المحرر)

* الفصلان الأول والثاني؛ ترجمة: الحاج علي مهدي.

لي متجاهلة مشكلتي: «لقد جهد والدك كثيرًا لتشبَّ وتكبر، وقد أرضعتك حتى اشتدّ عودك.. أسأل اللّه حسن العاقبة لك يا بني، وأن تعود سالمًا».

ماذا كان عساي أن أقول لها بعد هذا الكلام؟

عندما كنت أملأ استمارة بعثة التعبئة الطلابية واجهتُ سؤالًا لا أزال أذكره:

- ما هو هدفك من الذهاب إلى الجبهة؟

أجبت:

- رضى اللّه.

هذا ما آمنت به حينذاك وما زلت أؤمن به. حقيقةً إنّه لأمر صعب المشاركة في المعارك مع توقّع الشهادة أو الأسر أو مقارعة الموت، إلا إذا كان الإنسان يتمتع بعقيدة كهذه وله هدف سام ومقدّس.

في شتاء عام 1983م خضعت للتدريبات العسكرية، وشاركت في ذلك العام والعام الذي يليه في ثلاث عمليات كبيرة مع فرقة «27 محمد رسول اللّه».

في تلك الأعوام لم تكن الكتب والدفاتر والأقلام لتفارقني، وحملتها دائمًا بين أغراضي الخاصة. كنت أدرس الأول والثاني الثانوي متأخرًا عن أقراني. عندما كنت في طهران أيضًا، كنت أدرس في الدوام المسائي وأعمل نهارًا.

تمكّنت بفضل مرافقتي الدائمة للأقلام والأوراق من تدوين ذكرياتي عن الجبهة، ليس بشكل يومي طبعًا، بل مرّةً في الأسبوع وأحيانًا مرّة في الشهر، وأحيانًا أخرى بعد انتهاء العمليات. وقد احتفظت بثلاثة دفاتر من تلك المذكرات، مع أنّ مذكّرات عمليات «والفجر 8» ليست مفصّلة.

فيها 34 صفحة من دفتر ملاحظات صغير هي خلاصة ذكريات 6 أشهر في الجبهة وعمليات «والفجر 8»، لكن كل سطر وكل صفحة منها، عبارة عن ذكريات يوم أو أسبوع من تلك الفترة الزمنيّة. ولقد كتبت اعتمادًا على تلك السطور وعلى ذاكرتي أيضًا:

عام 1985م. التحقت للمرة الرابعة بالجبهة تطوّعًا. كنت على معرفة مسبقة بكتيبة حمزة وقائدها «أسد الله بازوكي»؛ الجريح المبتور اليد؛ وتعود معرفتي به إلى العام 1982م حيث كنت أخدم في الكتيبة التي قادها خلال عمليات «والفجر التمهيدية». وقد اعتدنا أن نلعب الكرة الطائرة في المعسكر في فترة ما قبل العمليات التي أصيب بها. كنت في العام 1984م رامي (آر بي جي) في كتيبته.

هذه التجربة قادتني إلى كتيبة حمزة مجددًا. في تلك الفترة، أي في شهر آب/أيلول من العام 1985م، كانت كتائب الفرقة مستقرة في معسكر «كوزران»[1]. عندما وصلت صباحًا إلى ساحة المعسكر رأيت «بازوكي» الذي ضمّني إلى صدره وقبّلني وقال:

– ليتك أسرعت في المجيء. كنت أريد أن أرسلك إلى الحج... لمَ لم تأتِ قبل هذا الوقت.

– أنت أكثر مني استحقاقًا لهذا، فقد قضيت كل تلك الأعوام في الجبهة.

– لا، لقد طلبوا أن يكون الشخص تعبويًّا. كنت أريد أن أرسلك أنت من هذه الكتيبة. فمن هو أكثر قدمًا منك؟ أنت تستحق الذهاب إلى الحج.

ذات مرة أهدى قائد الكتيبة لعناصره القدامى كتاب نهج البلاغة

1 - يقع معسكر كوزران غرب البلاد بين مدينتي كرمانشاه وإسلام آباد.

تقديرًا لجهودهم، وحذاءً رياضيًّا، وحصلت على نصيبي منهما أيضًا.

غالبًا ما خدمت في فصيل الإخلاص من السرية الأولى، المعروف بالفصيل الأول. وكنت أعرف من عناصره: محسن كلستاني، محمد أمين شيرازي، أصغر أهري وشابًّا أو اثنين آخرين.

عيّنني قائده «محسن كلستاني»، رامي آر.بي.جي في المجموعة الأولى لعلمه بخبرتي، فأن تكون «رامي آر. بي. جي» في المجموعة الأولى من الفصيل الأول في السريّة الأولى، يعني أن تكون في مقدّمة طابور الكتيبة. كانت هذه الفرصة مهمّة بالنسبة إلي -أنا الذي شاركت في إحدى العمليات كمساعد «رامي آر بي جي» ورميت في ثلاث عمليات أخرى ما يقارب الأربعين قذيفة صاروخيّة. فإن حصل مكروه، لا قدّر الله، لمسؤول الفصيل ومعاونه، ستقع مسؤولية العناصر على مسؤولَي المجموعتين في الفصيل، وكنت أنا أحدهما.

ذهبت ذات يوم برفقة «أصغر اهري» إلى مركز الخدمات الصحية التابع للفرقة لترميم أسناننا. تطلّب الوصول إلى سفح الجبل والذهاب إلى المركز والعودة منه نصف نهار. وذات مرة قصدنا كتيبة كميل، وكان قائدها الحاج محمود أميني يعرفني. سلّمت عليه وسألته عن أحواله، فبادلني السلام والتحية. ولما كان الحاج مشغولاً بالعمل على مدّ شبكة أنابيب لمصادر المياه كغيره من عناصر الكتيبة، قال عندما رآني: «كيف حال عنصرنا التعبوي السمكري؟».

كان الحاج يعلم بأنني عملت في طهران سمكريًّا إلى جانب دراستي. وقد ساعدته في هذا الأمر.

كانت كتيبتنا قد عادت لتوّها من مهمّة دفاعية في منطقة مهران، وقد أنهى عناصرها خدمتهم، فمرّت في مرحلة استراحة وإعادة هيكلة. لم يكن يوجد الكثير من العناصر في كتيبة «كميل» أيضًا. امتدت

فترة الاستراحة لشهر من الزمن، وتزامن ذلك مع أيام العزاء في شهر محرم الذي يصادف يوم مولدي في الثامن منه.

قلّما كان يعرف أحدنا تاريخ ميلاد الآخر، إلا أنني كنت أذكر يوم مولدي ممازحًا تارةً وجادًّا تارة أخرى، لتزامنه مع أيام عاشوراء بالتاريخ الهجري القمري:

– عليكم باللطم جيدًا الليلة، فقد وُلدت في مثل هذا اليوم قبل عشرين سنة.

كانت والدتي قد نذرت أن تستقبل مواكب اللطم والعزاء بالشراب في كلّ عام، وكنت دائمًا إلى جانبها. وعلى عكس تاريخ الميلاد، فإنّ ما دأبنا على حفظه في الذاكرة جيدًا وعملنا على استحضاره مرارًا وتكرارًا هو تاريخ استشهاد الرفاق وسيرتهم حتى لا يصبح الثأر لدمائهم قربة إلى اللّه طيّ النسيان.

في أسبوع الحرب من ذلك العام، أجرى قسم الإعلام للفرقة سباقًا امتد من مستهل طريق باختران (كرمانشاه) المعبّدة وصولًا إلى نقطة الحراسة في المعسكر، أي خمسة كيلومترات من الطريق الرملية، وقد شاركت فيه ولم أفز، إلا أنه شكّل فرصة جيدة لي لاختبار قدراتي الجسدية بعد الجرح الذي أصابني في فخذي خلال عمليّات بدر.

كان سعيد بور كريم مساعدي في رماية الآر.بي.جي، شابًّا ماهرًا ومفعمًا بالحيوية والنشاط، لا يتجاوز عمره الستة عشر أو السبعة عشر عامًا، وهو الولد البكر لأهله. كان نحيفًا ذا وجه طويل وعينين سوداوين يعلوهما حاجبان كثّان ومعقودان، وبالكاد ظهر شعر لحيته، وفي ذلك الطقس الجبلي البارد، لم تفارق القبّعة الصوفية رأسه. عندما استفسرت عن تاريخ حضوره في الجبهة قال:

– قضيت ستة أشهر تقريبًا في كردستان؛ شتاء وربيع 1985م،

والتحقت بكتيبة حمزة في أول الصيف.

قبل أن نغادر معسكر «كوزران» اقترحت أن نذهب لصيد الطيور، فرافقني محسن كلستاني وأصغر أهري وسعيد بور كريم. جُلنا حول القمة لفترة قبل أن أتمكن من إصابة طير بالرصاص، فذبحته كي لا يتعذب.

ولكنّ مشكلتنا الأساسية بدأت بعد عودتنا، فبور كريم الذي أراد أن يشوي الطير على النار أسهب بسرد ذكرياته عن بستان جدّه والسمك المشوي والدجاج المحشو بحيث سال لعابنا. اقترح أحدهم أن نقلي الطير بالزيت. كان لكل واحد في خيمة الفصيل رأي مختلف. ولكن ثمة شخص واحد عارض رأي الجميع؛ أصغر أهري. كنا نصفه بفيلسوف الفصيل لكثرة مطالعته الكتب ووضعه نظارة سميكة. قال إنّه لا يجوز أكل الطريدة التي اصطيدت بهدف التسلية، أو إنه مكروه في أحسن الأحوال ولا ينبغي على المجاهد في سبيل الله أن يأكل من لحم الصيد، بل عليه أن ينسّق مع الموظف الحكومي أو حارس الغابة أو على الأقل مع قائده قبل أن يقدم على الصيد وإطلاق النار. كان هذا رأيًا آخر.

لم يكن الأسبوع الأخير من شهر أيلول قد انقضى بعد، حين غادرنا معسكر «كوزران» واستقررنا في «دوكوهه» في مبنى كتيبة حمزة. بعد أيام، حصل تغيير جذري في الكتيبة. غادرها «أسد الله بازوكي» وحلّ مكانه الحاج أميني؛ كما حُلّت كتيبة كميل أيضًا، والتحق بعض عناصرها بكتيبة حمزة بقيادة الحاج أميني، والتحق البعض الآخر بكتائب أخرى، وأنهى آخرون خدمتهم.

لم يحصل أي تغيير على مستوى طاقم الكتيبة بعد قدوم الحاج أميني وبقي محسن كلستاني قائد الفصيل الأول. ذات يوم، أبلغنا قائد الكتيبة الجديد أثناء البرنامج الصباحي، أنّ من أراد البقاء في

الكتيبـة عليه أن يمدّد فـترة مأموريته ليمكث ثلاثة أشهر كاملة. حيث من المقرر أن تتمّ إعادة الهيكلة ليبدأ بعد ذلك التدريب العسكري.

من بين العناصر الجـدد الذين التحقوا بالفصيل الأول في أواسط تشريـن الأول، شـاب طويل القامـة، مفعم بالنشـاط والحيوية يدعى أكـبر مدني، مـا إن نطق بأول كلمة حتى علمت مـن لكنته أنّه من أهل إحـدى قرى «محلات» تُعرف بـ«تشهـل رز»، وكان يقطن في حي «نظام آباد» في طهـران. لم تكن المسافة بين مسقط رأسي «سربند» وهي من ضواحـي مدينة أراك، وقريـة «تشهل رز» تتجـاوز الأربعين كيلومترًا، لكنّنا، تخطّينـا هذه المسافة وأصبحنا صديقـين حميمين. كان أصغر في السابعة عشرة من العمر، ويتابع تحصيله المدرسي في السنة الثالثة اقتصاد. سألته عن سوابق عمره في الجبهة فأجابني:

– لقـد خدمـت مرة في الربيـع والصيـف في كردسـتـان وهذه هي تجربتي الثانية.

كان لسعيـد بور كريم وأكبر مدني السيرة ذاتها في الجبهة، وكانت مهمّـة كل منهما مساعد «رامـي آر.بي. جي.» لكن بعـد فترة وجيزة، أي في شهـر تشرين الثاني عندما ذهبت إلى معسكر «سفينة النجاة»، أصبـح سعيـد رامـي آر.بي.جـي. في المجموعـة الثانيـة وأكبر مدني مساعـده. غـادرتْ كتيبة كميل ثكنة «دوكوهـه» في الأسبوع الأخير من شهـر تشريـن الأول متجهةً نحـو معسكر «سفينة النجـاة» الواقع على مسافـة عشريـن أو ثلاثين كيلومـترًا شمال شرق الثكنـة بالقرب من بحيرة سد (دز) حيث استقر الجميع.

كانـت الخيام قد نصبت في صفٍّ واحـد، بعضها إلى جانب بعض، بحيـث تُفتـح أبوابهـا إلى الشـرق وتطـل على البحـيرة. أمـا جهتها الخلفيـة فكانت منطقة حرجية تمتدّ على مسافة عدة هكتارات، مليئة

بشجيرات المناطق الحارة التي تتميز بأوراقها الإبرية ويصل ارتفاعها إلى ثلاثة أمتار. على مسافة أبعد من هذه الأحراج، يمتد واد ومنحدر عميق إلى جانب سهل مرتفع أنشئ فيه مهبط للطائرات المروحية؛ دائرة إسمنتية كبيرة يتوسّطها حرف H أصفر اللون، وقد امتدت جادة ضيقة منه حتى المنشأة الأساسية لسد دز.

مع بدء التدريب في المعسكر الجديد، سيطر النظام والترتيب بشكل أكبر على أعمال الفصيل. أخذتُ على عاتقي تأمين الماء المغلي لإعداد الشاي لجميع العناصر. كنت أملأ الإبريق الكبير الخاص بالفصيل ثلاث مرات في اليوم وأضعه على موقد الحطب خلف الخيام في الحرج. لقد صنعت الموقد بنفسي مستذكرًا أيام الطفولة والموقد الذي لطالما استخدَمَتْهُ والدتي بينما كنت أنا أجمع لها الحطب.

احتجنا لإبريقين من الماء المغلي عند الفطور، ففي الصباح يحتسي كل شخص ما لا يقل عن كوبين من الشاي، وكل إبريق يتسع لسبعة أو ثمانية ليترات من الماء. عند الظهيرة والمساء اكتفينا بإبريق واحد. وقد تطلبت برودة ماء «دز» في فصل الخريف منا جهدًا مضاعفًا وكمية أكبر من الحطب ليغلي.

تميّزتُ بطريقتي الخاصة في تحضير الشاي؛ وعلمت أنّ ورقه يعطي اللون والطعم الرائعين عندما يُحضّر ببطء في إبريق الزجاج، فيما يختلف الأمر في الإبريق المعدني، فإذا وضعنا الشاي أثناء غلي الماء، يصبح طعمه مرًّا ولاذعًا. لذا كنت أرفع الإبريق عن النار وأضعه جانبًا حتى يهدأ غليانه، ثم أضيف أوراق الشاي المغسّلة بالماء البارد، ولا أضعه ثانية على النار، بل أتركه إلى جانب الموقد ليختمر ويصبح طعمه ألذّ، وأحرص على أن لا يبرُد ويفقد طعمه لعلمي بأنّ الإبريق المعدني (الألومينيوم) يخسر الحرارة ويبرد بنحو أسرع من الإبريق

المصنوع من الزجاج (أو الخزف).

ذات يـوم، وبينما كنا ننتقل من قاعدة دوكوهه إلى معسكر «سفينة النجاة»، انقلب صندوق المواد التموينية التابع للفصيل رأسًا على عقب فاختلطـت أوراق الشـاي التي بداخلـه مع حبيبات مسحـوق الغسيل. حفاظًـا على أمـوال الجبهة، أخـذ كل اثنين من الشبـاب كاسة مليئة مـن هذا الخليـط وجلسا حول الخيمـة يفصلان الحبيبـات السوداء عـن الحبيبات البيضاء. لم تتأثر الحبيبـات البيضاء بما حصل، فهي بالنهايـة لغسل الثياب، لكن بدا لنا حجم الكارثة عندما شربنا الشاي بنكهـة مسحوق الغسيل، حتى قال أحد الشباب: «عندما نشرب الشاي تخرج الفقاقيع من أفواهنا».

في اليـوم نفسه سنحت لي الفرصة لأستحضر، مع مساعدي أصغر أهري خارج الخيمة، ذكريات عمليّات بدر. في تلك العمليّات، اجتمعت أنـا وأصغر ومحسن كلستاني في الفصيل نفسه، أي فصيل الإخلاص. مـا لبـث أن انضمّ إلينـا سعيد بور كـريم وأكبر مـدني. كان الشباب متشوقين لسماع تجارب الزملاء وذكرياتهم القيّمة.

سأل بور كريم:

- هل حقًا اقتربتم من دجلة يا أخ كودرزي؟

أجبته بتأنٍّ:

- بالتأكيد. وبقينا هناك حتى الظهيرة حين جاءنا الأمر بالانسحاب فانسحبنا. ولو لم ننسحب لكان العدو شقّنا من جانبنا.

سأل مدني:

- يقولـون إنّ الانسحاب صعب جـدًا. وكأنّك تحمل عبئًا ثقيلًا على كاهلك. هل هذا صحيح؟

– قبل أن أخطو الخطوة الأولى على طريق الانسحاب سألت أصغر: ما هذا الغبار والعاصفة في مقابلنا؟

نظّف أصغر نظارته السميكة ببرودة أعصاب، ثم ألقى نظرةً هناك وقال: دبابات.

عندما سمعت بأنّ الدبابات قادمة وقد أمرنا القائد بالانسحاب أيضًا، شرعت بالركض إلى الخلف مباشرة. بعدما ركضت قليلًا سيطر عليّ عطش شديد حملني على التوقف لدى رؤيتي جسد شهيد في القناة. أخذت مطرة الماء خاصّته وخضضتها، فوجدتها ثقيلة ومليئة بالماء وكأنّه لم يشرب منها شربة واحدة. لقد أثلج الماء البارد حنجرتي ولكنه لم يقضِ على عطشي. كان لهذا العطش سبب آخر، فتلك العاصفة خلفنا لا تزال كالإعصار؛ عشرات الدبابات والآليات المصفّحة تلاحقنا وتكبّدنا الخسائر. حتى إنّ الذخيرة كانت على وشك النفاد من الشباب. استمررنا بالانسحاب من الظهيرة حتى المغرب وابتعدنا عن دجلة.. نعم للانسحاب طعم مرير ولاذع لا يعرفه إلا من سبق أن تذوّقه.

استفسر بور كريم: «وهل أصبتم أي دبابة لدى انسحابكم؟».

– كان معنا في فصيل الإخلاص رامي رشاش ماهر دهسته الدبابة لدى اقترابها من القناة وعبرت من فوقه. اقتربت الدبابات منّا كثيرًا بحيث لم يعد ينفع معها استعمال قذائف الآر.بي.جي، وأساسًا لم نكن نفكر حينها إلا في الهروب. أراد العراقيون محاصرتنا ثم أسرنا، وجلّ ما أمكننا فعله هو الركض.

سألني مدني: «وهل رأيتم العراقيين؟».

– أثناء الانسحاب رأيت الأسرَ بأمّ عيني. لم يكن يفصلنا عن

العراقيين غير 50 مترًا. وكنتُ قد احتميتُ مستلقيًا في منخفض صغير، فتوقّعت أن يدْهمني أحدهم في أي لحظة فيقتلني أو يأسرني. أخرجت كل ما كان في جيبي: عملة ورقية من فئة الـ100 تومان، صورة للإمام الخميني، قصاصات من الورق الأبيض أو المكتوب عليه، بطاقتي الحربية و...ودسستها كلّها تحت التراب، لكنّني، تمكنت في النهاية من النجاة بحياتي.

سأل بور كريم ثانية: ماذا كان يفعل السيد محسن كلستاني؟ هل كان مسؤول الفصيل آنذاك أيضًا؟

- كان السيد محسن في عمليات بدر معاون مسؤول الفصيل، لكنّه برع في توجيه الشباب. لم يغمض له جفن لمدة 30 ساعة. منذ بدء العمليات حتى آخر لحظة من الانسحاب لم يذق طعم الراحة ولو للحظة. أثناء التراجع كان يتوقّف كل عدة أمتار ويصدر الأوامر بحسب وضعية العدو. أذكر جيدًا كيف كان يرفع رأسه ويظلّل عينيه بيديه اتّقاءً لأشعة الشمس، كي يتمكن من رؤية العدو جيدًا، وأحيانًا يمسح العرق عن جبينه بكوفيته، من دون أن يغيب عن وجهه مدى قلقه على سلامة الشباب.

سأل مدني: «سيد محسن! ألم تنل نصيبك من كلّ ذلك الرصاص والشظايا؟».

- بلى، أصبتُ قبيل الغروب وقد شارف الانسحاب على نهايته، فسحبني الشباب إلى مكان آمن خلف السواتر الترابية. لو أنني جرِحت قبل ذلك بنصف ساعة لما كنت معكم الآن، ولكنتُ إما أُسرت، أو أُلحقت بالدار الآخرة برصاصة خلاص عراقية.

استوضح بور كريم: «كيف جُرحتَ؟».

– كنـت أنكفئ للوراء عندما طالني رشق من الرصاص من الخلف واستقـر في فخذي من أعلاه إلى أسفلـه. رغم أنّ جرحي نزف كثيرًا، لكـن لم يُصب الشريـان والعصب في قدمي بـأذى. أمضيت فترة من الراحة طيلة ربيع وصيف عام 1985م، وها أنا الآن معكم.

أثنـاء التدريـب علـى العمليـات البحرية وعنـد ركوبنا الـزوارق، كان يجـب علينا ارتداء سـترة النجاة، وقد توافر لدينـا نوعان منها: الأول أجنبـي ومخصّص للمدرّبين، والثاني وطنـي يرتديه المتدربون والكتائب، وهو عبـارة عن ثوب من طبقتين من القماش الذي يستعمل عـادة في صناعة المعاطـف الواقية من المطر، بينهمـا قطع من الفلّين المضغوط. النوع الأجنبي يغلق بواسطة سحّاب بينما النوع الوطني يغلق عـبر ربطه بإحكام علـى الجسد بواسطة ثلاثـة أشرطة من القماش. تستطيـع السُّتر الأجنبية الصنـع أن تحمل جسمًا فوق الماء يصل وزنه إلى 150 كلغ، ولكن النوع الإيراني كان بإمكانه حمل 100 (كيلوغرامًا) من الوزن لفـترة محدودة، إذ إنّ الفلّين كان يمتص المياه خلال ساعة أو ساعتـين فتنعدم مع ذلك إمكانيّـة عوم الجسم. وقد نبّهنا المدربون إلى أنّه في حال وقع أحدنا في الماء وهو يعلم أنه سوف يبقى لساعة من الزمـن على الأقل، عليـه أن يتخلّص أولًا من العتاد ثم من السلاح كي لا يغرق، ويتمكّن من العوم.

كان سعيد بور كريم سباحًا ماهرًا وملمًّا بقيادة الزورق أيضًا. تعلّم هـذه الأمور في أوائل شبابه عندما كان يذهـب في الصيف إلى بستان جـده في «بابلسر» بلـدة والدَيه. إضافة إلى ذلـك، كان حلاقًا ماهرًا، وقـد شـذّب ذات مرة شعر رأسـي ولحيتي بالمشـط والمقص. أخبرني عندمـا سألته عن كيفيـة تعلمه لهذه المهنة فأجـاب: «عمل أبي حلاقًا لسنـوات، وامتلك صالـون حلاقة خاصًّا بـه، وكان دومًا يقصّ شعري

بشكل دائري على جبهتي لأن أمي تحبه هكذا».

في بادئ الأمر، لم يعرف مهنته أحدٌ سوى القليل من عناصر الفصيل، فلم يكن يقصده الكثيرون لقص الشعر، لكن في ما بعد ذاع صيته حتى أصبح الجميع يعرفه بالحلّاق.

كانت المسافة التي تفصل بين معسكر «سفينة النجاة» وقاعدة «دوكوهه» لا تتعدّى ثلاثة أرباع الساعة بالسيارة، فكان قادة الفرقة الكبار يأتون أحيانًا لتفقّد معسكرنا: نائب قائد الفرقة، السيد رضا دستفاره وبازوكي. وجاء ذات مرة الشيخ بروازي من قبل الوحدة العقائدية-السياسية[1] في الفرقة إلى المعسكر أيضًا، كان عالم دين ومجاهدًا تعبويًّا أيضًا، ويرافق قوات الهجوم في ليالي العمليات. التقيت به للمرة الأولى في معسكر قلاجه قبيل عمليات «والفجر4» عام 1983م. وفي ليلة الهجوم كان موجودًا على مرتفع 1904 (كاني مانكا) في طابور الكتيبة؛ شأنه شأن جميع التعبويين. وقد شهد بطولات وشهادة «مهدي خندان»، قائد لواء عمار. بعد شهادة «خندان» لقّبه الحاج همت بأسد الجبال، وقد روى الشيخ لعناصر الفرقة المجتمعين في حسينية دوكوهه تفاصيل شهادته، وأخبرنا أنّ جسده لا يزال فوق مرتفع 1904 على الأسلاك الشائكة وسط حقل الألغام.

في ذلك اليوم كان الشيخ «بروازي» يتكلم في جمع المتدربين في معسكر «سفينة النجاة» بشغف وحماسة، حتى غمرني الشوق والحماسة لسماع ذكريات الحرب عن لسان السباقين إلى الجبهات كأولئك الأصغر منّي سنًّا. كان الشيخ يورد أيضًا من حين لآخر ضمن حديثه، بعضًا من ذكرياته عن الجبهة ويشفي غليلنا. في ذلك اليوم،

1- مشابهة للوحدة الثقافية، مهمّتها التبليغ الثقافي وتعزيز الوعي السياسي وتقوية البناء العقائدي والايماني لدى المقاتلين. (المحرر).

ارتفع صوت صفارات الإنذار من الراديو ليقاطع كلامه، وبدأت مضادات الطيران ترعد وتمطر السماء بنيرانها، لكنّ الشباب لم يحرّكوا ساكنًا، وألحّوا عليه ليكمل كلامه.

ذهبت في أحد الأيام لأجمع الحطب لإشعال الموقد، فعلقت قدمي بالأسلاك الشائكة وتمزق البنطال والجلد واللحم. تمكّنت من السيطرة على النزيف بسرعة وواصلت عملي وحضّرت المياه المغلية من دون أن أدع أحدًا يعلم ما حصل، لكن الأمر لم ينته هنا، فقد التهب جرحي بعد يومين وتورمت قدمي حتى أصبحت بحجم صندوق كبريت! ولم أعد أتمكن من انتعال الحذاء العسكري، فصرت أتجنّب النزول في الماء. بعد مضي أسبوع، تمكّنت من الركض بشكل طبيعي.

كانت الخيام في المعسكر مجهّزة بالطاقة الكهربائية، ما مكّن الشباب ليلًا من الدرس مجتمعين تحت ضوء المصباح الكهربائي المؤنس. واظب محسن عليان نجادي وسعيد بور كريم على الدراسة معًا. أما أنا فلم أكن أرغب بذلك بسبب عدم التناسب بين عمري والمرحلة الدراسية التي كنت فيها، ولو أنّني كنت قد تابعت كأقراني، لكان من المفترض أن أكون في السنة الأخيرة من دراستي الجامعية. لكنّ رؤية شغفهم بالدراسة وحبهم لها، دفعتني رويدًا رويدًا نحو الدرس والبحث والكتاب والامتحانات. رحت أروي لأولئك الشباب مذكراتي عن الحرب، وأتعلّم منهم حب الدرس وطلب العلم.

ذات مرة، وكعادتنا، كنّا عائدين في القوارب منهكين من التدريبات البرمائيّة. قال القائد: «اطمئنوا يا شباب، لن تعودوا اليوم إلى الماء ثانية ولن تتلقّوا أي تدريب مائي آخر...». لم يكد ينهي جملته حتى ألقى مسعف الفصيل الأول فجأةً بنفسه في الماء في إشارة منه إلى أننا لا نزال جاهزين للمزيد من التدريب. تعالت ضحكات الشباب من

فعلته هذه، وأحسّ الجميع بأنّ التعب قد زال عنهم.

بقينـا في معسكر سفينة النجاة مدة أسبوعـين، ثم حصل الجميع على إجازة (مأذونية)، فأمضينا أسبوعًا أو عشرة أيام من الاستراحة في طهران قضيناها في زيارة الأهل والأصدقاء.

بمناسبـة أسبـوع التعبئـة، في تشرين الثاني من ذلـك العام، أقام قسـم الإعلام في الفرقـة معرضًا ثقافيًّا-عسكريًّا، وقـد عرّجنا عليه أيضًا. أصبـح الفصيل الأول يعجّ بالشباب اليافعين المفعمين بالحيوية والنشـاط والفضول، الذين التحقوا للمرة الأولى بالجبهة، أو تقرّر أن يشاركوا للمرة الأولى في عمليات كبيرة.

في ظهـيرة يوم من الأيام، انشغل محسـن كلستاني كعادته بترتيب المائـدة، وكان قـد وضـع طنجـرة الأرز واليخنة والملاعـق والصحون بعضهـا إلى جانب بعض. قبل ذلك بفـترة، حينما كنّا معًا في حسينية الحاج «همت» في ثكنة «دوكوهه» لمحت في يده سبحة خشبية بنية اللون حُفـرت على حباتها خطوط رفيعة. استحييت حينها أن أسأله من أين اشتريتها وكم هو سعرها، ولكن هنا لم أعد أحتمل السكوت، فتخطيت حاجز الخجل وسألته: «من أين اشتريت هذه السبحة؟».

عندما شاهد إعجابي بها أعطانيها وقال: «هي طوع اليد».

أيّدت كلامه واستفسرت: «من أين اشتريتها وبكم؟».

نظر إلي نظرة ذات معنى وقال: «ولم تريد أن تشتري سبحة، أليس معـك واحدة الآن؟». فهمت مـا يقصدَه ولكن متأخـرًا. ليتني انتبهت قبل أن أسأله أنه قد يعطيني إياها ولا يستردّها. فقد أبى بعد ذلك أن يأخذها مهما حاولتُ أن أرجعها وقال:

- يكفينـي أن تذكرني ولو لمرة واحدة أثناء ذكرك لله. كانت سبحة

صنعت حباتها من الخشب المعطّر. وقد احتفظتُ بها لسنوات.

هـذه المـرة أيضًـا، لم نبقَ لوقت طويـل في «دو كوهـه». من المزايا الجيـدة للجبهة والحرب ألّا يتعلّق قلب الإنسان بأي مكان. كنّا جائلين مخفّـين ننتظر نداء الرحيل من هذا المخيّم إلى تلك الثكنة، ومن هذه المنطقة إلى تلك الجبهة.

غـادرتْ مجموعـة مؤلفـة مـن عشـرة إلى خمسة عشـر عنصرًا القاعدة قبل الآخرين لتجهيز المخيّم الجديد. كنتُ أيضًا إلى جانبهم كعنصـر من الفصيل الأوّل. كان المخيّـم الجديد يُستحدث على ضفة نهـر آخر إلى الغرب مـن القاعدة، وتحديدًا في الجهـة المقابلة لمخيّم سفينة النجـاة الذي أنشئ شرقيّ القاعدة قبـل ذلك بمدة. امتدّ نهر كرخـة من الشمال إلى الجنوب، وكذلـك كان امتداد القاعدة القائمة على الجهة الغربية للنهر. بدا محل إقامة المخيم على شكل ممرّ كبير، امتـد بين مرتفعات حاصرته من جهات ثـلاث، ونهر كرخة الممتدّ إلى الشـرق منه. مخيّم أرضه صخريّة مليئة بالأخاديد الضيقة والطويلة، وينتشر في محيطه البعوض، صغيره وكبيره.

كان يخصّص لكل كتيبة ثلاثون خيمة، تتّسع كل واحدة منها لخمسة عشـر مقاتـلًا، فتُعطى لكل مجموعـة مؤلفة من ثلاثـين شابًّا خيمتان متلاصقتان. وبهذا، تحصل السرايا القتالية الثلاث على ثماني عشرة خيمة، بينما تتوزع الخيم الاثنتا عشرة الباقية على أركان الكتيبة وأركان وتجهيزات السرايا الثلاث: الإعلام، شؤون الأفراد، الدائرة الصحّية، الدعـم، التسليح وغيرها. كانت الخيـم تنصب على مسافات متباعدة تصل إلى خمسين مترًا مراعاةً للسلامة وللحؤول دون وقوع خسائر إذا مـا تعرّض المعسكر للقصف الجوي. تمّ اختيار حسينية الكتيبة وساحة التجمّع الصباحي في مكان يناسب جميع الخيم.

كنّا خمسة عشر شابًّا مشغولين بتجهيز باحة خيم الكتيبة، ومن بيننا «حسن أميري فر» الذي التحق بالكتيبة للتوّ، وأصبح عضو أركان في السريّة الأولى. بجهوده وتعاون وحدة الهندسة في الفرقة، بدأت الجرافات بالعمل فأنشأت باحة جيدة. استفدنا كثيرًا من تجربة أميري فر وخبرته في ترسيم حدود السرايا ومكان خيم الفصائل. كان سائق الجرافة رهن إشارة العم حسن. فكان يمهّد الأرض التي يشير إليها لتصبح صالحة لنصب الخيام. قامت الجرافة أيضًا بإحداث حفرة كبيرة إلى جانب الطريق الرملي لتكون مستقرًّا لمياه مجاري المراحيض. كما تمّ وضع خزّانات المياه إلى جانب الطريق ليتمكّن سقّاؤو الفرقة من ملئها بسهولة. كانت غرف المراحيض مصنوعة من ألواح بلاستيكيّة، فيما صُنعت كراسيها من القصدير. قبل إحداث هذه المراحيض، كان عناصر مجموعة التجهيز يذهبون إلى أحد الأخاديد يحملون بأيديهم إبريقًا من الماء ليقضوا حاجاتهم في مكان خفيّ ثم يعودون أدراجهم.

استغرقت أعمال تجهيز باحة الكتيبة عدة أيام. اجتمعنا في خيمة التجهيزات في يوم جمعة. كنت منهكًا من أعمال النهار المضنية فصلّيت وتناولت طعام الغداء وجلست لأرتاح قليلًا. كان طعام الغداء «قورمه سبزي»، سكبت مرق الطعام على ما التصق من الأرز في قعر القدر وتلذّذت بتناوله. كان راديو شباب التجهيزات يبثّ عبر الأثير برنامج «قصة ظهر الجمعة». كان المذيع يحكي قصة أحد الأبطال وينشد أشعارًا ملحميّة:

لكي تسهّل الموت على نفسك   اجعل الموت أيضًا يخاف منك

لقد تسلّل بيت الشعر هذا إلى أعماق قلبي، وترنّمتُ به مرات ومرات. لعل استئناسي ببيت الشعر هذا سببه أني اقتربت من الموت

قبـل ذلك مرات عدة. كان هذا البيت يحكي حال شباب التعبئة الذين كانوا يمضون إلى الموت بمحض إرادتهم.

وقع نظري على «حسـن أميري فر» قابعًا منطويًا على نفسه. أردت أن أشـرع بالحديث معه فلم أفلـح. كان جالسًا في زاوية الخيمة ساكتًا وغارقًـا في ذاته وأفكاره. أخيرًا دفعني فضولي لأعرف سبب قلقه؛ إنه مولـوده الجديد الذي ينتظر قدومه بعد عـدة أسابيع. سيصبح حسن أبًا عن قريب.

أخيرًا، في صباح أحد الأيام وصل عناصر الكتيبة. أضفى ضجيجهم وهمهمتهم البهجة والنشاط على المخيّم. وخاصّة وَجْدُ ونشاط الشباب الفضوليّـين وكثيري الكلام من الفصيل الأوّل الذيـن كانوا قد قدّموا امتحاناتهـم الدراسية على نحو جيـد وحصلوا على علامات ممتازة. رأيت سعيد بـور كريم وعليان نجادي يطلع أحدهما الآخر على بطاقة علاماته.

كانـت التدريبـات والتمرينـات العسكريـة تُتابع بجديّـة في مخيّم كرخة. التحق عناصر جدد بفصيلنا وانضموا إلى تشكيلنا العسكري. كان حسـين كلستـاني أخـو محسن أحـد هـؤلاء، وقد أصبـح مسؤول المجموعة الثانية في الفصيل.

كذلك انضم مسؤول المجموعة السابق سعيد بور كريم إلى المجموعة الأولى، وأصبح رامي الـ «آر بي جي» الثاني فيها، والعنصر الرابع الذي يقف خلفي في الطابور.

استمـرّ هذا التشكيل حتى شهر بهمن (شباط 1986م)، وقد شارك رماة الآر بي جي من الفصيل الأوّل في العمليات بهذا التشكيل.

ذات يـوم، طلـب مني محسـن كلستاني أن أذهـب برفقة «أحمدي

زاده» و«علـي قابـل» إلى ثكنـة دوكوهــه، وكانـت «كتيبـة سلمـان» قد استقـرت هناك مؤخّـرًا، وتقرّر أن يخطّط أحمـدي زاده على جدران القاعـدة ويرسم عليها، فكتـب اسم الكتيبة بخطّ عريض فوق بوابة المبنى الرئيسة ورسم على الجدران عدة رسومات أخرى.

وَصَلْنـا إلى دوكوهه والأمطـار تتساقط بغزارة، بقينا يومين ننتظر توقف هطول المطر.

كان أحمدي زاده المجاهد الفنان في فصيلنا. وهو قبل سنوات نشط في قسـم الإعلام في الفرقة. ومن آثـاره أنّه ترك عددًا من الرسومات والتخطيطات على جدران القاعدة.

مرّت ثلاثـة أيام حتى أصبـح الطقس مناسبًـا. حصلنا على علب التلوين وريشات الرسم الرفيعة والعريضة من قسم الإعلام في الفرقة وبـدأ العمل. بعد ظهر ذلك اليوم، انتهى عمـل التخطيط على البوابة الرئيسـة، وبعد أن وضع «أحمـدي زاده» اللمسة الأخيرة بريشته، أدار ظهره للحائـط متوجّهًا نحونا سائلًا: «ما رأيكم يا شباب؟ لقد فرغت من تخطيطها».

أجابه قابل بجديّة: «أحمد، ألا ترى؟ لقد أخطأت.. كتبت «سولمان» بدل «سلمان»».

استـدار أحمد مضطربًا ليقرأ ما خطّته يـداه. فكاد أن يسقط من الأعلـى إلى الأرض. وجد أن كتابتـه صحيحة فضحكنا جميعًا. غرقت في التفكـير: أحيانًا يكون الإنسان قريبًا من شيء ما ولا يراه أو ربما لا يـراه. اليوم عندما أتأمّـل أدرك كم كانت عظيمة تلك الليالي والأيام، وكيف أعمت الغفلة بصيرتنا عن إدراكها.

في خيمـة الفصيل، طالعتنا أذواق متعـدّدة في قراءة الكتب، وكان

معلومًا توجّه كل فئة. كان معاوني الأول «أصغر أهري» يطالع الكتب الفلسفية بالإضافة إلى كتب الشهيد مطهري. وكنتُ وأصغر كلّما أردنا الرجوع إلى أحد كتب الشهيد مطهري نقول: لنذهب إلى الغواص! هذا الاصطلاح مستوحى من كلام للعلامة الطباطبائي قاله في حق تلميذه الشهيد مطهري: «مطهري غواص بحر العلم الإلهي اللا محدود».

أعطيت أصغر كتاب نهج البلاغة، الذي كان أسد الله بازوكي قد أهداني إياه، لمطالعته قدر المستطاع. كانت حقيبة أصغر الشخصية عبارة عن مكتبة نقالة يحملها معه من مخيّم إلى آخر. من بين تلك الكتب، بضعة كتب حول مسائل التوحيد، فكان يقرأ منها أحاديث ممتعة ويشرحها لنا. أحيانًا، كان سعيد بوركريم ينضمّ إلى محفلنا في زاوية الخيمة ويقول: أعطونا نحن الأميّين شيئًا من كتبكم هذه لكي نحظى بنصيب من العلم!

هذه قصة آخر الخيمة، أمّا أوّلها فكان المكان الخاص بمسؤول الفصيل، والمكان الذي تُتلى فيه آيات القرآن بكثرة. اعتاد محسن كلستاني نفسه تلاوة القرآن بقراءات عدة، وأخوه حسين يتمتّع مثله بحالات عرفانيّة. فيما ظلّ وسط الخيمة مكانًا للتلاميذ المشغولين بدروسهم وواجباتهم المدرسية. بالطبع كانوا أحيانًا ينظرون إلى تلك الجهة من الخيمة حيث يجلس قرّاء القرآن، وأحيانًا أخرى ينظرون منصتين إلى الجهة المقابلة حيث يستقرّ باحثو الفلسفة. وهذا من شدّة فضولهم وحبّهم للاطّلاع والمعرفة.

كانت ليالي الشتاء طويلة وباردة. في أحد مسيرات الفصيل الليلية لاحظتُ أن أحد الفتيان غالبًا ما يجتاحه النوم في كل مراحل المسير؛ وكان يجرّ الطابور وراءه إلى المتاهات. لقد أنهك السهر المتواصل قواه. في صباح اليوم التالي رأيت مسؤول الفصيل وقد جلس إلى جانب

محمد عليان نجادي يداوي بثوره.

كانت العناكب والعقارب موجودة بكثرة في هذا المخيّم، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى القمامة التي كانت تُرمى على أطرافه. في أحد الأيام، التقط الشباب عقربًا وصبّوا زيت المصباح حوله ثم أضرموا النار. عندما وجد العقرب نفسه محاصرًا في النار ولا سبيل له للفرار، لدغ نفسه بذيله السام ومات على الفور. قال أحد الشباب ممازحًا: لقد انتحر الساموراي خاصّتنا!

كانت ليالي المخيّم مليئة بالأسرار. في الأسبوع الواحد عادةً كنّا نرتاح عدة ليالٍ، فلا تمرين أو تدريب قتاليًّا، ونذهب ثلاث ليالٍ في مسيرات ونتدرّب على القتال الليلي. كان كلّ واحد منّا يقضي ليالي الاستراحة على طريقته. فحفر بعضهم حفرًا شبيهة بالقبر بالقرب من المخيّم حيث كانوا يحيون الليل بالعبادة فيها. كان ذكر اللّه وذكر الموت يمتزجان في تلك الحفر فيضفيان على النفس صفاءً جميلًا. تقريبًا من بداية شهر كانون الثاني وما تلاه، كنا نرى بعض الشباب وقد التجأوا إلى تلك الحفر يناجون اللّه سبحانه وتعالى.

شعورٌ عجيب يغمرُ الإنسان في القبر. فيتحرّر من أسر جسده وتسمو روحه المتفلّتة من التعلقات الدنيويّة لتسبح في فضاء ذكر اللّه تعالى، وقد تزهو وتزدان أحيانًا لتغدو كمولود جديد.

وبالتأكيد، كانت هذه التهجّدات تُقام بالخفاء. لم يكن أحد من أفراد الفصيل يعلم من هم أهل العبادة والتهجّد فيها. كنّا نرى الشباب الذين يحيون الليل بالعبادة مفعمين بالحيوية والنشاط خلال النهار، فلا يتبادر إلى ذهن أحدٍ أنّ فلانًا قد أحيا ليله بالعبادة.

في الأيام المشمسة، كان الشباب يلعبون كرة القدم. كان أكبر مدني من محبّي هذه اللعبة أيضًا ومن مشجّعي «نادي الاستقلال». كان ظاهرُ

كفّي الأيمن وباطنه مليئين بخدوش رافقتني كذكرى من جراحات أصبْتُ بها قبل عامين. كنت فقدت إصبعين من أصابع يدي، الأمر الذي كان يثير فضول الشباب اليافعين ليعلموا متى وأين وكيف تعرّضت للإصابة. في آخر المطاف، لم يعد مجديًا أو مبرّرًا تهرّبي من الإجابة. في أحد الأيام، أجبرني سعيد بور كريم على أن أخبره بالقصة: «في خريف العام 1983م، كنت في كتيبة حمزة. وحينها كان حسن زماني قائدًا للكتيبة. وكان من المقرّر أن نقوم بعمليات في الجهة اليسرى لمرتفعات 1904 «كاني مانكا» . كنت أحمل قاذف (آر بي جي) ورشاش كلاشنكوف. وكذلك أعلم أنّ للرشاش والقنابل اليدوية فعالية كبيرة. فقد كانت منطقة العمليات منطقة جبلية، وهذا ما حصل بالفعل. في منتصف الطريق إلى القمة، نفد الرصاص من رشاشي وكنت حتى ذلك الوقت قد رميت عدة قذائف (B7) . كان الرصاص على اختلاف أنواعه من السلاح الخفيف إلى الرشاش الرباعي (شيلكا) يتساقط بغزارة فوق رؤوسنا من أعلى القمة 1904. كنت أصعد إلى الأعلى زحفًا تارةً وماشيًا مشية البطة تارة أخرى. وفجأة رأيت هوائي جهاز لاسلكي أمام عيني.

كان جهازًا عراقيًّا. ربما من ذلك المكان أو من مكان آخر كان وابل الرصاص يُطْلَق باتجاهنا. عبرت الرصاصات من جانب بطني وصدري، واصطدمت بقاذف الآر بي جي. أفلتُّ القاذف من يدي بعد تعرّضه للصدمة، ليقع في داخل الأخدود والوادي العميق الذي كنت بمحاذاته. للحظة، ظننت أنّ يدي قد قُطعت من المعصم. ألقيت نظرة إلى يدي، فوجدت أنّ قفّازي المحبوك قد أبقى على أشلاء أصابعي المتناثرة. انقلبت أحوالي بعد أن رأيت قطع اللحم والعظام. رجعت خمسين مترًا إلى الوراء. كان طابور الفصيل موجودًا هناك. لم أجد مسعفًا. ربط أحد الشباب يدي بالكوفية ورجعت إلى الخلف. في ذلك

المنحدر الجبلي، أصابت شظية أخرى رأسي لكنّها لم تكن إصابة بالغة.

سـأل سعيد: «هل أحضرت معك قطع أصابعك المقطوعة أم تركتها هناك؟».

- رأيـت إحـدى القطع وقعت علـى الأرض. كانت قـد وقعت بينما كنـت أقلِبُ يدي لأرى ظاهرها. كان الوقت ليلًا والأرض مغطّاة بأوراق الخريف المتساقطة، لذلك كان البحث من دون جدوى.

حصلـتُ على إعفاء من خدمة العلم بسبب الجراحات التي أصبت بها في هـذه العملية، ولكني رغم ذلك استأنفـت مشاركتي في الجبهة بشكل تطوّعي.

الآن وقد شرع الباب للكلام، وصل الدور إلى سعيد ليخبرني بما لم يقلـه من قبل. علمت أنّ والده كان ناشطًـا سياسيًّا ضد النظام الملكي قبل الثورة، وقد دخل إلى السجن بضعة أشهر. تحدث سعيد عن حقبة سجن والده فقـال: «عندما ذهبتُ إلى لقاء والدي للمرة الأولى قابلته مـن خلف الزجـاج، وكان يلبس لباسًـا عجيبًا. تحدثت معـه بواسطة سماعة الهاتف، كان صوته تعبًا وحزينًا وقد وقف خلفه سجّان سمين، كان يستطيع سماع الأحاديث التي تجري بسهولة. كان والدي يواسيني ويصـبّرني بصوته الضعيـف: عزيزي سعيد، لا تقلـق، لا شيء مهمًّا. عندما أعود ستدرك أني لم أَعْتَدِ على منزل أحد، وأني لست لصًّا، ولم أحتل على أحـد.. اصبر حتى أعود إلى المنزل فلديّ الكثير من الكلام لأقولـه لـك. لم أكن أتجاوز العشـر سنوات آنذاك. لم أكـن أصدّق ما أرى، ولم أكـن أدرك جيـدًا ما الذي يحدث حـولي. هززت برأسي ولم أنطق بكلمة».

بعـد ظهر يوم آخر، رآني محسـن كلستاني في ساحة الكتيبة وطلب

منـي أن أجد سعيـد بور كريم وأرسلـه إليه. دخلـت إلى الخيمة. كان سعيـد نائمًا شأنه شـأن الكثيريـن. في الليلة السابقـة، كانت الكتيبة قـد ذهبت في مسير ليلي وأضحى الجميـع متعبين. ناديت سعيد مرة، مرتـين، عدة مرات، ولكن لا حياة لمن تنـادي. كان نومه ثقيلًا، إلا أنّه لم يكـن لديّ حيلة سـوى أن أضربه على جانبه بإصبعي المبتور جزئيًّا. انتفض فجأة من مكانه وسأل: ماذا حصل؟

- محسن يريدك، هيا انهض.

قـام من مكانه، ولكنّه قبل أن يذهب توجّه إليّ قائلًا: «إن ضربتني مـرة أخرى بإصبعك الحديدي هذا، لن أعفـو عنك.. ولن أسامحك. لن أرضى حتى أقتصّ منك».

كنـت أملك يدين قويّتين فقـد كنت أعمل بالزراعـة منذ طفولتي، وبعد ذلك أصبحت أكثر قوة بعد أن عملت بالسمكرية. لا أدري لماذا لم أعد أشعر بقوة ضرباتي بعد بتر عدة أصابع من يدي. كنت قد ضربت بـور كريم ممازحًا مرات عدة بإصبعي المبتور هذا، فكان يردّد ويقول: هذا إصبع حديدي.

عنـد الغـروب، تقابلنا مـرة أخرى في مـكان الوضـوء. كان يسبغ وضوءه. ضربته مـرة أخرى بإصبعي على جانبه وقلت: «خذ هذا.. ألا تسامحني وتعفو عنّي؟».

بعـد أن تلقّى مني ضربة أو ضربتين، اضطـرّ إلى القول: «كلا، أنا أعفو عنك.. أساسًا سأكون سعيدًا إذا وجّهت إليّ ضربات أكثر»، ولكن بعد أن أنهى وضوءه وذهب وابتعد عني صرخ قائلًا: «أنا لست راضيًا، لا أسامحك».

في أواسط شهر كانون الثاني، حصل أفراد الكتيبة على إجازة لمدة

أسبوع. ذهبنا إلى طهران ورجعنا. أدركت خلال هذا الأسبوع مدى حبي لأصدقائي في الفصيل الأوّل وتعلّقي بهم. أين العيش في المدينة من العيش في تلك الطبيعة الجميلة، حيث لا ساعة ذات عقارب، والعيش مع ساعة الشمس التي في ذروة سطوعها لا يفصلنا عنها سوى طبقة رقيقة من قماش الخيم والشوادر.

في منتصف الليل، سمعتُ أصواتًا من زاوية الخيمة. دققت جيدًا، وجدت ثلاثة أشخاص من بينهم سعيد بور كريم، يذكرون الله سبحانه وهم نيام، كانوا غارقين في النوم، لكن نداءات «يا علي» و«يا مهدي»، و.. كانت تُسمع من شفاههم. هذا هو الفرق بين العيش في المدينة حيث تنقضي أيامها بمشاهدة الأفلام السينمائية والتلفاز، والعيش في الجبهة حيث توصل لياليها وأيامها بصلاة الليل وسورة الواقعة ودعاءي كميل والتوسل.

أواخر شهر كانون الثاني، ذهبنا إلى حقل الرماية لتصفير أسلحتنا[1]. في كرخة حقلان للرماية؛ كان الأوّل إلى جانب النهر تستخدمه أغلب الكتائب، فيقف الرماة على الطرف الأول من النهر ويطلقون رصاصهم إلى الطرف الآخر منه، وكان يبدو كلوحة عمودية تشبه لوحات الرماية. أما الحقل الثاني فكان خارج ساحة الكتيبة ويبعد مسافة كبيرة عن مقرّ الكتائب، وقد جرّب عناصر كتيبتنا حقلي الرماية كليهما.

في شهر كانون الثاني كنّا نذهب إلى حقل الرماية الأول، بينما تدرّبنا في شهر شباط في الحقل الثاني؛ وهو منطقة جميلة وجذابة تحتوي على أرض مستوية وتلّة يتوسطهما أخدود عميق. وقفنا فوق الأرض المستوية

1 – تصفير السلاح: مصطلح عسكري يتعلق بإعداد تنظيمات السلاح لتصبح أكثر دقة (الكلاش مثلا: ابرة شعيرة لوحة مسافات ..). (المحرر).

واستهدفنا التلة وأطلقنا الرصاص نحوها. طبعًا، قبل ذلك خلال المناورات الليلية عبرنا هذا الأخدود العميق عدة مرات وحينها كانوا يطلقون الرصاص فوق رؤوسنا كي نصبح جاهزين لأهوال ليلة العمليات وكوارثها. أطلق القناصة رصاصاتهم وأنا بدوري قبل أن أطلق قذيفة الآر بي جي أجبت عن تساؤلات مساعدي رماة الآر بي جي بالنحو التالي:

تتألف قذيفة الآر بي جي من قسمين: القذيفة وحشوتها، اللتين تتصلان ببعضهما البعض. بعد ذلك توضع القذيفة في داخل القاذف. وأثناء وضعها يجب الانتباه والتدقيق حتى يدخل مسمار القذيفة إلى داخل الفتحة المخصّصة له. أما في الليل، عندما لا يمكن رؤية المسمار علينا تحريك القذيفة يمينًا ويسارًا إلى أن يدخل في الفتحة. في هذه الحال تصبح القذيفة ثابتة ومستقرّة داخل القاذف ويكون الصاعق أمام الناقر. بعد ذلك، نضع القاذف على الكتف بشكل أفقي ونسدّد باتجاه الهدف. عليكم أن تنتبهوا إلى ما وراء ظهوركم، فالنار التي تخرج تحرق كل شيء حتى مسافة أربعة أمتار وتؤذي حتى مسافة عشرة أمتار.

بالتزامن مع كلامي هذا، لقّمت قاذفي، سدّدت، ملأت الفراغ من الزناد[1] بعد ذلك قلت مباشرةً: «النار الخلفية للقاذف خطرة.. انتبهوا جيّدًا. يجب على مساعدي رماة الآر بي جي الانتباه إلى الأمام وإلى خلف ظهورهم أيضًا. فالكثير من عناصرنا جرحوا بهذه النار الخلفيّة نفسها فاضطروا لمغادرة الخط الأمامي والتراجع إلى الخطوط الخلفية».

سدّد سعيد بور كريم بشكل دقيق ورمى بدقة متناهية، ولم يخطئ الإصابة إلا قليلًا. كذلك رمى إمام الصلاة في الفصيل الحاج علي رحيمي بسلاح الكلاشنكوف وكان رجلًا متقدّمًا بالسنّ.

1 – مصطلح يُقال عند وضع الإصبع أمام زناد الإطلاق وتثبيتها عليه، استعداداً لإطلاق النار.

كانت معنويات الجميع مرتفعة جدًا في حقل الرماية.

أخيرًا وصل الدور إلى صخب قسم «تعاون»[1] الكتيبة: تسليم الأغراض الشخصية وحقائب الشباب. كانت مشاهد مؤثرة؛ مشاهد تحضير الحقائب وكتابة الوصايا ووضعها بداخلها أو تسليمها لتعاون الكتيبة. وخاصّةً عندما كنت ترى شابًّا يافعًا اشتدّ عوده حديثًا يستقبل الموت بشهامة، وقد أمسك بيده قلمًا وورقة كأنه عالم حكيم يكتب أطروحته بعد عمر أمضاه بالجهد والبحث والتحقيق.

في ذلك العام، أحضر شباب الإعلام[2] في الفرقة دفاتر صغيرة لكتابة الوصايا، كانت تحوي عشر أوراق بحجم نصف ورقة الملف. كانت صفحات الدفتر زرقاء ذات لون جميل وقد رُسم في أسفلها طائر. كتب الكثيرون من أفراد الفصيل وصاياهم على هذه الدفاتر. أما غلاف الدفتر فكان مصنوعًا من النايلون ليبقى محميًّا وسالمًا.

رأيت أكبر مدني في ذلك اليوم غارقًا في تفكيره. بعد أن أنهى كتابة وصيته جلست إلى جانبه في زاوية الخيمة. ما إن رآني حتى قال: «لا أعلم كيف سيؤول حال والدتي عندما تقرأ وصيتي.. لا شكّ أنها ستبكي كثيرًا كما في المرة السابقة».

قلتُ ممازحًا: «وكم مرة استشهدت قبل ذلك؟».

قال بعد تريّث: «هذه هي الوصية الرابعة التي أكتبها. الأولى كتبتُها في المنزل، عندما أردت الالتحاق بالجبهة أول مرة ووضعتها في المطبخ تحت فرن الغاز. عندما أتذكر ذلك أبدأ بالضحك. فعندما عدت

1- قسم مهمّته حفظ الأمانات وإعادتها عند الانتهاء من العملية.

2- القسم المعني بإحياء المناسبات والشعائر وإقامة مجالس العزاء، وصلاة الجماعة والدعاء، وكتابة الشعارات وإعداد اللوحات الإعلامية واليافطات والكتب والدفاتر وسائر المهام ذات الطابع الإعلامي.

إلى المنـزل في الإجازة، عانقتني والدتي بشدة وبكت. كانت قد وجدت وصيتي حين كانت تنظف أرض المطبخ وقرأتها».

قلت: «لم يحصل شيء.. هذه المرة أيضًا نذهب معًا إلى العمليات ثم نعود إلى البيت. بالطبع قبل أن نذهب إلى طهران، علينا أن نعرّج قليلًا على آراك لنقوم ببعض أعمال الزراعة معًا. ألستَ أنت من كان يريد أن يغرس شجيرات باسم أصدقائك الشهداء؟ لم يحن وقت الاستشهاد بعد، دع ذلك لوقت لاحق».

بعد أصغر أهري كان أحمد أحمدي زاده معاوني الثاني، فنان مبدع وصاحب ذوق رفيع. التقط لي صورتين: إحداهما باللباس العسكري والأخرى باللباس المدني. كانت هذه الصورة تجمعني ووالدتي وقد التقطناها أثناء زيارة الإمام الرضا عليه السلام، وهي الصورة الوحيدة التي نجت وبقيت سليمة من فيلم مؤلف من ست وثلاثين صورة. أحد أجزاء هذه الصورة كان داكنًا فيما كان الجزء الآخر مضيئًا. قصّ الجزء الداكن منها بالمقصّ، وكان الجزء المتعلّق بوالدتي وأعاده إليّ. في اليوم الثامن من شهر بهمن (29 ك2) طلب منّي أن أكتب شيئًا على دفتر مذكّراته. وأشار عليّ بأن أكتب كلماتي في صفحتين؛ كان قد ألصق الصورتين عليهما.

برأيي، لم تكن الكتابة عملًا سهلًا. بالنسبة إليّ كان العمل في مدّ الأنابيب أسهل منها. في بداية الأمر لم أعرف ماذا أكتب، ولكن، فيما بعد، حُلّت المشكلة دفعةً واحدة. كنت قبل مدة قد قرأت مع الأستاذ أصغر أهري -فيلسوف الفصيل- كتابًا من تأليف الأستاذ مطهري بعنوان «الإنسان الكامل». فجأةً لمع في ذهني مطلب من ذلك الكتاب وبدأت بالكتابة:

«باسم خالق عالم الوجود

السلام عليك يا أبا عبد اللّه الحسين

أليس من الواجب أن يكون فرحُ الإنسان وسعادته في العقيدة والطريق الذي يختاره؟ إذًا أي عقيدة نختار حتى نبقى دائمًا أكثر حيوية وتفاؤلًا وتكون صحة هذه العقيدة واضحة لدينا؟ هذه العقيدة هي الإسلام فقط. الإسلام دين كامل والإنسان الكامل ينمو في ربوع الإسلام.

لقد رُوِيَ هذا الدين القيّم بالدماء، والشهادة في هذه العقيدة انتصار. على هذا الأساس، يكون الإنسان منتصرًا عندما يجد نفسه معتمدًا على العقيدة عند الموت؛ لا أن يتصوّر الموت المرحلة الأخيرة، حتى إذا ما حضره يشعر أنّه قد وصل إلى طريق مسدود ويرى نفسه في معرض الفناء. الشهادة هي دفاع عن العقيدة وإيمان باللّه. رصيدُ دين الإسلام هو عريضة وُقّعت بالدم وما زالت. وامتداد هذه العريضة يغطّي الكرة الأرضية، ودم الحسين عليه السلام أفضل توقيع فيها. الإمام الحسين هو من أوضح معارف الإسلام وأكمل معالمه، وهو أجمل زهرة في بستان الشهداء. في الآخرة، يُحشر الإنسان مع من يحبّ. أولئك الذين يريدون أن يحشروا مع الإمام الحسين يجب أن يكونوا مثله، قد عرفوا العالم، أن يكونوا أحرارًا وأصحاب بصيرة ويؤمنون باللّه سبحانه.

إذا كنتَ في الدنيا سالكًا طريق الحسين عليه السلام ستكون يوم القيامة أيضًا خلفه، وكل من يريد أن يتعرف إلى عقيدتنا عليه أن يعرف عقيدة الإمام الحسين عليه السلام فهي أساس عقيدتنا وهي من عند اللّه.

إلهي، اجعلنا من جنود ابن الإمام الحسين عليه السلام.

كما قال الإمام المهدي عجّل الله فرجه: [لئن جفّ دمعي لأبكينّ عليك بدل الدمع دما].

والسلام.

محسن كودرزي 1986/1/28»

عند الغروب، أعدّتُ دفتر أحمدي زاده إليه.

في الأيام الأخيرة لوجودنا في مخيم كرخة، كل شيء كان لافتًا. لعلّ أحدًا لن يصدق بأنّنا كنّا نستمتع بكل شيء بشكل من الأشكال، حتى بمشقّة ذهابنا إلى المرحاض، حيث كنّا نجد الأباريق إلى جانب الحمام وقد ملئت بالماء. في مواقع أخرى كان علينا التقاط إبريق فارغ من المرحاض وقطع مسافة خمسين إلى ستين مترًا لنصل إلى خزان المياه فنملأه ثم نعود إلى المرحاض، أما الآن فالحال قد تغيّرت. كان الشباب المخلصون يملأون الأباريق ليستخدمها الآخرون.

كان سعيد بور كريم يملك دفترًا مؤلفًا من أربعين ورقة يكتب فيه خواطره. ذات يوم، عندما قلّب أوراق دفتره أمامي لفت انتباهي وجود قصائد جميلة فيه. دوّنتُ إحدى هذه القصائد التي تقول:

اسمعي يا أمي
من خلف الدشمة
أكتب رسالة
بعين باكية
سلام على وجهك المشرق الجميل أوّلا
وقسمًا بقلبك الطاهر ثانيًا
لا تقلقي عليّ يا أمي
إنّ صوتك يخفق في قلبي
في الليالي التي لا أنام فيها
أراك في منامي
من بين الحدائق الصخرية
أقطف لك وردة من رصاص

صار لأيام «كرخه» لون آخر، وأصبحت لياليها أكثر جاذبية. فقبل ساعة من أذان الصبح، حين يكون نوم الليل لذيذًا، كان عدد كبير من أفراد الفصيل يستيقظون؛ البعض منهم يصلّون صلاة الليل في حسينية الكتيبة حيث لا غطاء سوى السماء، ولا جدار يقيهم هواء الشتاء البارد، والبعض الآخر يذهبون إلى الأخاديد القريبة ليحظوا بخلوة عشق مع معشوقهم. القبور أيضًا لم تبق غريبة مهجورة، فكان لها مرتادوها، واحدٌ يذهب ليأتي آخر مكانه. كنا نشهد حالات تبدو الآن، حتى بالنسبة إلينا، أشبه بالأساطير!

استمرّ بعض شباب الفصيل مشغولين بدراستهم إلى اليوم الأخير، حيث سلّمنا التجهيزات والحقائب والأغراض الشخصية إلى تعاون الكتيبة، حتى إنّ شابًّا أو اثنين منهم حملوا معهم كتبًا دراسية ليستأنفوا درسهم في المخيّم اللاحق فيكونوا، بعد انتهاء العمليات، مستعدّين للامتحان. أحضر سعيد بور كريم أيضًا كتاب مادة الفيزياء ودفتر تمارينها معه ليعوّض ما فاته، فقد حصل على علامة متدنية ورسب في امتحان هذه المادة الذي قدّمه في كانون الأوّل.

من بين عناصر الفصيل كان أربعة أو خمسة شباب فقط يزيد عمرهم عن العشرين عامًا. وكنت أنا أحدهم؛ تاريخ ولادة محسن كلستاني العام 1961، أي كنتُ وإياه في السنّ نفسها وليس كما دُوّن في هويتي. كانت تربطني بمحسن علاقة ودية وحميمة. كان دائمًا يشير بيده إلى نفسه وإليّ ويقول: «إنّ اللّه يحب المحْسِنَيْن».

كان حسين كلستاني يتمتّع بالروحيّة نفسها التي يتمتّع بها أخوه. في الأيام الأخيرة عندما أُبلغنا بوجوب ترك المخيم، لم يعد حسين يتناول سوى القليل من الطعام. فكان يتناول لقمات معدودة، ومن ثم -ولذريعة ما- يتنحّى عن المائدة جانبًا. بسبب سلوكه هذا، سألته ذات

مرة ممازحًا:

– يا أخي، لماذا لا تتناول إلا القليل من الطعام؟ هذا العرفان وهذا الزهد سيفعلان بك فعلهما في آخر المطاف!

أجاب حسين بلهجة قاطعة:

– وهل الزهد في أن تنقص وجبتي عدة ملاعق؟! لا رغبة لي في الطعام.

أجبته ضاحكًا: وكم هي وجبة طعام الفرقة حتى تنقص منها عدة ملاعق؟ إن لم تأكل هذا المقدار الذي تمتنع عنه ستصاب بالوهن والضعف في ليلة العمليات.. وستقصّر في عملك.

بعد أيام، صرتُ للمرة الثانية في عداد عناصر الفريق الذي ذهب قبل الآخرين إلى المخيم التالي كي يُجهز خيم الكتيبة.

أقيم مخيم كارون في وسط بستان النخيل. بقينا هناك ما بين الأسبوع والعشرة أيام، كان الطقس فيها باردًا وماطرًا. في الأيام التي خيّم عليها الطقس الغائم والضبابي كنا في مأمن من خطر القصف الجوي. مَوّهنا[1] الخيم بالطريقة ذاتها التي موّهنا فيها خيم المعسكر السابق، استخدمنا في هذا المكان أوراق النخيل اليابسة التي كانت تنتشر بوفرة على أرض المخيم.

استمرت أعمال التدريب والتمرين في هذا المخيم أيضًا، فقد تدرّبنا على مواجهة الهجمات الكيميائية وقمنا بمناورة لاحتلال جسر.

تضرّر مقاتلونا كثيرًا من الهجمات الكيماوية العنيفة خلال عمليات بدر التي نُفّذت في شهر آذار من العام المنصرم. لهذا السبب

1 - التمويه والاستتار: مصطلح عسكري؛ وهو من أعمال التكتيك في الحرب؛ بمعنى استخدام عناصر الطبيعة المحيطة لإخفاء الخيم والآليات عن أنظار العدو. (المحرر).

كانت القيادة تؤكـد كثيرًا على تدريب الشباب على طرق مواجهة هذه الهجمـات. ذات مـرة، كنّـا في مخيم كرخـه وذهبنـا إلى غرفة الغاز واضعـين الأقنعـة، وهي غرفة مقفلـة لا تحوي نوافذ، تُرمـى بداخلها عـدة قنابل مسيّلة للدموع. خلال هذا التمرين سيشعر كل من لم يضع القناع بالنحو المطلوب على وجهه بحرقة في عينيه وصدره. كان تدريبًا جيـدًا لمواجهة غازات قنابل العدو القاسية التي لا سبيل للمزاح معها، ولم تكن لتُرمى إلا من أجل القتل.

استؤنفـت هذه الإجراءات بإصرار أكبر خلال التدريبات في مخيم كارون. فقـد كان خطر الهجوم على المخيم داهمًـا أيضًا. وكان لزامًا علينـا جميعًا في أي مكان كنا، أثناء الوضـوء والصلاة ليلًا ونهارًا أن يكـون القناع إلى جانبنا. سمعتُ أنهم عاقبوا أحد الشباب من السرية الثانية بإنزاله في مياه نهر كارون الباردة لأنه لم يكن يحمل معه قناعه. وحتـى لا يشعر قائد السرية بالخجل فقد نزل معه إلى الماء أيضًا. لقد كان هذا خطرًا يوجب على الجميع أن يأخذوه على محمل الجد.

في إحـدى الليـالي، ركضنـا من مقرّ تجهيـزات الفرقـة إلى خيم كتيبـة حمزة التـي تبعد مسافة سبعة كيلومـترات أو أكثر، ونحن نضع الأقنعـة على وجوهنا ونحمـل تجهيزاتنا الأخـرى. في وسط الطريق، أصابتنـي حـال اختنـاق، ولكنـي لم أنزع قناعـي وأبقيته علـى حاله، فنحن سندخل بعد أيام ساحة مليئة بالأخطار وحينها قد تأخذ الأمور منحًـى جديًّا. كنـت أشعـر وكأنّ عينيّ تخرجان مـن مكانهما، وحتمًا قد أُصيبتا بالاحمـرار. كان المنفذ الوحيد للهواء النظيف إلى أفواهنا فتحـة مصفاة القناع، الأمر الذي يُعدّ بحد ذاته نوعًا من القيود، قيودٌ كان علينـا أن نتدرّب عليهـا ونتكيّف معها حتى لا تنقطع أنفاسنا أثناء الهجوم الحقيقي.

وُزّعت الذخائر في كارون، وذهبنا مرة أخرى إلى حقل الرماية. وبالرغم من أنّ هذه التدريبات كانت مكلفة إلا أنها ضرورية لتصفير السلاح. ومن حسنات ومزايا هذه التدريبات أيضًا أنّ آذاننا أصبحت تألف صوت الرماية المكثّفة وتتحضّر لها. كانت أصوات الانفجارات والرمايات المتنوّعة في ليلة الهجوم تؤثر على أعصاب المقاتل ونفسيته، فإذا كان قليل التحمّل سينهزم ويفقد معنوياته. هذه التدريبات كانت تؤمن الجهوزية والاستنفار للحضور في ساحات الخطر، خطر الموت والأسر وخطر الإصابة بالجراح و..

لعلّ حقل الرماية هو المكان الأفضل للقيام بالتدريبات العسكرية وتكرارها. هناك طلب مني سعيد بور كريم وأكبر مدني وعدد من مساعدي رماة الآر بي جي أن أتحدث إليهم. قلت: «أكثر الدبابات العراقية من نوع تي 55 وتي 62، تبلغ سماكة درع الدبابة من الأمام عشرين سنتيمترًا ومن الجوانب 16.5 سنتم. إذا تمّ استهداف دبابة العدو من الجانب أو من الخلف فإنها ستنفجر بشكل مؤكد. تبلغ سماكة درع برج الدبابة من الخلف 4.5 سنتم فقط. تحمل الدبابة 43 قذيفة من أنواع مختلفة، ضد الدروع وضد الأفراد وقذائف عادية. بعد كل عملية إطلاق تستغرق عملية التذخير دقيقة واحدة لتصبح الدبابة جاهزة لعملية إطلاق جديدة. خلال هذه الفترة يكون رامي الآر بي جي في مواجهة مع الرشاش والدوشكا الموجودين على الدبابة، وبذلك فإنه يستطيع الاقتراب منها إذ إن التراب والغبار المتصاعدين بعد عملية الإطلاق يشكّلان حائلًا يمنع رؤية راميَي الرشاش والدوشكا العراقيين له».

سأل بور كريم: «حتى الآن كم هو عدد القذائف التي أطلقها الأخ كودرزي؟».

أردت أن أتهرّب من الجواب بالمزاح، ولكنّ استماع الشباب لكلامي وإصغاءهم الجدّي دفعاني لأقول: «تسعون قذيفة أو ربما مئة. لقد أطلقت في عملية بدر ثلاثين قذيفة بشكل مؤكد».

سأل أحد الإخوة: «إذا أطلق رامي الآر بي جي عددًا كبيرًا من القذائف هل يخرج الدم من أذنيه؟».

– أجل، إذا أطلقت عشرين أو ثلاثين قذيفة بشكل متوالٍ يتمزّق غشاء أذنك، يجب أن يكون فمك مفتوحًا حتى ينخفض أثر الصدمة على أذنيك، كما تستطيع أن تضع قطنًا أو قطعة قماش أو أي شيء آخر داخل أذنيك للتقليل من أثر الموجة الانفجارية للقذيفة، ولكن عليك الانتباه بأن لا تغلق أذنيك بشكل كليّ لأنّك في هذه الحال سوف لن تسمع صوت قذيفة الهاون التي يطلقها العدو فتستشهد.

– هل تعطّل قاذفك إلى الآن؟

– في إحدى العمليات، أصبح القاذف ساخنًا إلى درجة ذابت الفرشاة البلاستيكية الخاصة بتنظيفه عندما وضعتها في داخله، ما اضطرني إلى وضعه جانبًا واستخدام قاذف آخر.

في كارون، ولمّا كانت ذخائرنا بحوزتنا وكنا نحملها معنا أراد محسن أن يكون الشباب حذرين ومتنبهين إلى ذخائرهم كي لا يقع حادث سيّئ، لذلك طلب من الرجل المسنّ في الفصيل الحاج علي رحيمي أن يرمي قنبلة بين رتل الشباب الجالسين. ما إن رأى الشباب القنبلة حتى تفرّق جمعهم وبدأوا بالزحف على أرض المخيّم الموحلة ولكن القنبلة لم تنفجر لأنه كان قد نزع الصاعق منها قبل رميها. بعد هذا التدريب، أدرك الجميع ضرورة الانتباه إلى ذخائرهم والمحافظة على أرواح الآخرين. قبل ذلك بمدة، عندما كنا في كرخة،

استشهد أحد الشباب أثناء مناورة الكتيبة، ولم يكن محسن يريد لهذه الفاجعة أن تتكرّر.

شاركت جميع السرايا والكتائب في مناورة السيطرة على الجسر. في هذه المناورة، هاجمنا من إحدى ضفاف كارون الساحل المقابل حيث مكان استقرار العدو الافتراضي، وسيطرنا على الجسر في ساحل العدو. في هذه المناورة التي أطلق عليها اسم «سربل خرگيري» غطّى الوحل معظم الشباب من رؤوسهم إلى أخمص أقدامهم.

كانت بعض التدريبات تُجرى على مستوى سرية أو فصيل أيضًا. ذات ليلة أصدر محسن كلستاني أمرًا بأن ننام حتى الصباح ونحن نضع الأقنعة على وجوهنا. هذا الإصرار أدّى إلى أن يصطحب الشباب أقنعتهم معهم أينما حلّوا؛ حتى أثناء ذهابهم إلى المرحاض.

في ظهر أحد الأيام، عندما كنا نقيم صلاة الجماعة خارج الخيمة في الفضاء الطلق، وصل إلى مسامعنا هدير المضادات الجوية، بعد ذلك بقليل رأينا المقاتلات العراقية فوق رؤوسنا، تَفَرَّقنا بناءً لأمر نائب قائد الكتيبة. فجأةً وخلال ثوانٍ قليلة، استطاع أربعمئة من الشباب أن يختبئوا في ثنايا وزوايا الباحة ويختار كل واحد منهم ملجأ لحفظ نفسه وروحه، كان حسين كلستاني أمامي، وقد انزلقت قدمه في حفرة وكادت أن تلتوي أو تنكسر.

قلت له: «لقد كنت محظوظًا! لو وقعت أرضًا وأصبت بكسر في قدمك لحرمت من المشاركة في العمليات ولأصبحت جليس الخيمة أو مستلقيًا على سرير المستوصف».

أمسك بيدي وقال: «عندئذ كنت سأمسك بك لنقع على الأرض معًا، فلا أملّ من الوحدة إذ سنكون معًا في المستوصف».

حسـين هذا، الـذي كان قليل الطعام وقليل المـزاح، أصبح شخصًا آخـر: كمية طعامه لم تتغـير ولكنّه أطلق العنان للسانـه فغدا يتحدّث ويضحك ويبثّ المعنويات في صفوف الإخوة.

في جميـع المعسكـرات، كنا نقـوم بحراسة الخيم ليـلًا. كانت نوبة الحرس عادةً ساعة واحدة لكل شخصين من كل فصيل. كان محسن كلستـاني أو نائبه حسين فياض يعـدّان قائمة الحراسة الليلية وأحيانًا كنـت أقوم أنا بهذا الأمـر. ذات ليلة كانت نوبـة حراستي من الساعة الثانيـة والنصف وحتى الثالثة والنصف. أثنـاء الحراسة، مررت إلى داخل الخيمة مرتين، فوجدت أن أصوات الأذكار التي تخرج من أفواه الشباب أثناء نومهم -والتي تحدثت عنها قبل ذلك- قد ازدادت. لقد ارتفع عدد الشباب الذين وصلوا إلى هذه الحال.

مضـت عشرة أيام علـى وجودنـا في كارون، تناهـى إلى مسامعنا خبر تـرك المخيّم والانطـلاق إلى الأمـام. في ذلك اليـوم نفسه أُذيع نـداء الإمـام الخميني للمقاتلين خـلال نشرة أخبار الساعـة الثانية. كان الجميـع مصغيًا بكلّ كيانـه وبعضهم أجهش بالبكاء. لقد أخمدت كلمات ذلك النـداء العظيم تلاطم القلوب المضطربة ومنحت الأرواح حـلاوةً وعذوبة: «..يا إلهي، هذا البلد هو بلد الرسول الأكرم ﷺ وأهل بيتـه الكرام. هو بلد حضرة بقيـة الله أرواحنا لمقدمه الفداء. أسألك بمقامهـم في حرم قدسـك أن تديم عناياتك علينـا وأن تجعل النصر النهائـي حليفًا لمقاتلينـا الأعزاء في القريب العاجـل، واجعل للشهداء الأعزاء والجرحى المكرّمين نصيبًا من رحمتك..».

كتبـت في صفحة ذلـك اليوم من دفـتر مذكراتي: «وصيـة الإمام ناصـر المقاتلين، محطّم الأصنام، أن تتقدّموا إلى الأمام بالتوكل على

الله، فـإنّ أمامكـم حربًا صعبة وكبيرة. قال القـادة: «يمكن للمرضى والضعفاء أن لا يلتحقوا بالعمليات».

أظنّــه كان عصر اليــوم التاسع من شهر شبــاط، عندما ركبنا في الشاحنــات المغطّاة وغادرنا كارون خفيــة إلى مقصد مجهول. وسبب الانتقــال بهذا النحو هو صرف نظر الطابور الخامس (عملاء العدو) عــن إجراء انتقال القوات حتى لا ينكشف أمر العمليات. ولكي لا يشتمّ الطابور الخامس رائحة وجود المقاتلين داخل الشاحنات أُلصقتْ على جميع الآليات لافتات كُتب عليها: «هدية أهالي (المدينة الفلانية) إلى جبهــات النور ضــد الظلمة». لا أذكر ماذا كُتِــب بالضبط: أهالي كرج أو كهكلويــة وبويــر أحمد. حان موعد الانطــلاق، وحتى ذلك الحين لم تستطع حتى هوائيات التعبئــة[1] اكتشاف المقصد الذي نذهب إليه. لم يكن أحد يعلم إلى أين نحن ذاهبون.

ومراعاةً للمسائل الأمنيّة، لم يكن يُسمح لأحد بأن يكشف ستائر الشاحنة ليلقي نظرة عابرة أو ينظر إلى الخارج. كذلك كان ممنوعًا ارتفاع الأصوات والضجيج. لذلك جلسنا على أرض الشاحنة كالأولاد المهذبين وبدأنا بتناول البرتقال، وعندما وصلنا إلى مقصدنا كنا قد أتينا على صندوق البرتقال بأكمله. طبعًا بدأ الشباب بالمزاح في وسط الطريق، لكن بهدوء وبصوت منخفض لم يعلُ فوق صوت هدير الشاحنة. وحيث كانوا قد وضعونا مكان البضائع المفترضة المهداة؛ بدأ أحدٌ يقول أنا كيس العدس، ومن كثرة ما أطعمونا الفاصولياء قال شخص آخر أنا أيضًا كيس الفاصولياء الحمراء، وبدأ آخر بالثغاء كالخروف، وآخر يُصدر نقيقًا كالدجاجة فقد كان من المعتاد أن يقدموا لنا الدجاج في

1- وسيــردُ فــي الفصول اللاحقة مصطلــح إذاعة التعبئة؛ كناية عــن تناقل للأخبار بين المقاتلين التعبويين خاصة، حماسةً منهم للمشاركة في العمليات. (المحرر).

ليلة الهجوم. في ذلك اليوم كتبتُ في دفتر مذكراتي:

«وصلنا إلى نهر بهمن شير في جنوب آبادان. ترجّلنا من الشاحنات وعبرنا الجسر فوق النهر في صف واحد. في الطرف الآخر من النهر، انحرفنا إلى جهة اليسار وتقدمنا بمحاذاة طريق بين أشجار النخيل. وصلنا إلى منازل قرية قد خلت من قاطنيها. دخل فصيلنا إلى أحد المنازل. نزعنا عنا تجهيزاتنا، أقمنا الصلاة وبتنا ليلتنا هناك».

كانت شاحنتنا قد وصلت إلى القرية قبل الشاحنات الأخرى بوقت ليس بالقليل. كنت وأصغر علي آبادي مسؤولَيّ حراسة منزل الفصيل في تلك الليلة. وَزّع قسم التجهيزات في الكتيبة الفاكهة المعلبة على الأفراد فحصل كلّ فرد على علبة منها بدلًا من طعام العشاء.

ما إن حلّ الصباح حتى علمنا أنّ الهجوم الكبير الموعود قد بدأ. وقد تأكّد هذا الخبر بتقديمهم لنا الدجاج على الغداء. كتبت في بقية مذكراتي عن ذلك اليوم: «تجهّزنا للانطلاق إلى الخط الأمامي. سرنا مشيًا على الجادة الرئيسة وركبنا الشاحنات. كانت العمليات قد بدأت في الليلة السابقة. في الطريق إلى الخط الأمامي كانت قذائف المدفعية وصواريخ الكاتيوشا تسقط إلى جانبَي الجادة فتهتزّ الشاحنة بشدة عند كل انفجار. لقد بدأت اللعبة من جديد، وأصبحت القلوب أكثر توجّهًا إلى الله. بدأ شخص يرفع الأذان. بينما كان الحاج رحيمي بدوره يقرأ آية الكرسي ويهمس بها في آذان الشباب ويدعو الله سبحانه فيمنح بذلك قلوب الجميع قوّةً وثباتًا. وصلنا إلى ضفة نهر أروند بحمد الله سالمين. زحفنا بين أشجار النخيل لنصل إلى الهنغارات[1] التي كانت قد استحدثت قبل ذلك. استقرت كل سرية في هنغارين».

1- مستوعبات مستطيلة الشكل؛ مشابهة للعنابر المشيدة من ألواح المعدن، ومسقوفة بشكل يحميها من المطر والحر. (المحرر).

عند الغروب، أرادوا نقلنا إلى الطرف الآخر من نهر أروند، لكن لمّا كان عديد القوات الموجودة هناك كافيًا تريّثوا في ذلك إلى وقت لاحق. قضينا ليلتنا داخل الهنغارات.

بقي البعض جالسًا أو واقفًا ويأخذ غفوةً إلى جانب باب الهنغار، ليهنأ الآخرون ويرتاحوا بنومهم. كانت الحراسة في تلك الليلة تطوّعًا.

في الصباح، كان الجميع ينتظر الأوامر. البعض منهم كان يجول في الباحة ويقضي بعض الأمور الشخصية. عند الثامنة صباحًا، أصيبت إحدى مقاتلات العدو بنيران الدفاع الجوّي بشكل مفاجئ فاحترقت وسقطت.

فرح الجميع وأطلقوا صيحات التكبير. كانت كاميرتي معطّلة. أدركتُ ذلك عندما أردت أن ألتقط صورًا للشباب في الشاحنة. ذهبتْ هذه الفرصة الجيدة للتصوير. وحتى لا أنشغل بالكاميرا المعطلة أودعتُها لدى الأخ أحمد مسؤول تسليح الكتيبة آنذاك. كتبت عنواني وألصقته على الكاميرا وقلت له إن حدث لي شيء أن يرسل الكاميرا إلى العنوان المدوّن عليها.

صنعتُ لنفسي قبعة من كيس الخيش. كانت هذه القبعة القماشية تُدفئ رأسي من جهة وتؤمّن لي الاستتار من جهة أخرى. في ذلك اليوم، أي في الحادي عشر من شباط، ركبنا الحافلة لننتقل إلى مَرْسَى* الوحدة البحرية ونتوجه من هناك إلى أرض العراق.

كتبت في مذكراتي عن عبورنا لنهر أروند في ذلك اليوم: «وصلنا إلى ضفة نهر أروند، ركبنا الزورق وتوجهنا إلى الطرف الآخر من النهر. ابتعدنا عن شاطئ أروند الخطر وجلسنا في صف إلى جانب

* رصيف على ضفة النهر ترسو فيه القوارب. (المحرر).

طريـق معبّد في القسم الشرقي من مدينــة الفاو. كان شباب الفصيل يمزحـون ويقولون لنذهـب إلى القهـوة وإلى مطعم الكبـاب. في هذه الأجـواء صدرت الأوامر بالتحرك. استعدّ الطابور وتحرّك. دخلنا إلى مبانٍ إسمنتيّة للاستراحة. وضعنا تجهيزاتنا على الأرض لنزيل التعب عـن أنفسنا. وصل طعام العشاء أيضًا، همبرغر وكبيس الخيار. أقمنا الصلاة وانتظرنا».

نحـن الذين شهدنا عمليات بدر نشعر اليوم بحلاوة النصر جيّدًا. ففـي شتاء العام الفائت عبرت الدبابات العراقيـة فوق أجساد قواتنا واليوم، وفي ميناء الفاو، تمتلئ أرض العدو بجثث قتلاه.

قلـت لمحسـن كلستـاني: «لا قـدّر الله أن يكون علينـا الذهاب إلى السينمـا أيضًـا؟ قطعًـا يوجـد عدد مـن الصالات الجيـدة في مدينة بهذا الحجـم وهذا الجمال! كنا نفرّ من الأفلام الفارسية والآن نُبتلى بالأفلام العربية!».

قـال محسـن: «كلا، لقد أخطأت.. لقد جئـتَ إلى هنا حتى تصبح ممثلًا. هذا الفيلم الذي نقـوم بتمثيله يشاهده العالم بأسره، الجميع يترقّب كي يعرف من سيكون الفائز!».

- إذًا علينا أن نؤدي دورنا جيدًا.

- أجل، إن مثّلتَ جيّدًا تصبح نجمًا وتذهب إلى السماء.

بعد عـدة ليال، أدّى محسن المشهد الأخير في الحياة، أي الموت، أو قُل إنه اتخذ من الموت ألعوبة وغدا نجمًا في السماء.

كان الطقس في تلك الليلة باردًا جدًّا. لم يكن للمبنى الذي استقررنا فيـه نوافـذ وأبـواب. وكان الـبرد القارس ينخـر عظامنا. كنـا سبعة أشخاص. وضعنا غطاءً على أرجلنا وجلسنا القرفصاء لنستريح.

كنّا نرتجف من شدة البرد وسُلب النوم من أعيننا. وعلى تلك الحال، بين النوم واليقظة تذكرتُ أيام طفولتي حين كنت أعيش في القرية وكان طقس الشتاء في آراك لا يُحتمل. كنت أغطّي صدري بلحاف الكرسي[1] وأمدّ رجلي حتى تصل إلى المنقل. أنظر إلى النافذة التي تعلو الباب وأرى من خلالها حبات الثلج الصغيرة منها والكبيرة تتساقط متراقصة فأغوص في بحر من الأفكار. إلى الأسفل من مقبرة القرية، كان هناك مكان مناسب للتزحلق. عندما يتوقف تساقط الثلج كنا نصنع خطوطًا وقنوات للانزلاق على الثلج لنلعب ونلعب حتى نتعب، ثم نذهب مرة أخرى إلى كرسي الجدة للتدفئة ولنتناول من زبيبها أشهى طعام عرفته أيام الطفولة.

بقيّة مذكراتي عن ذلك اليوم كانت بهذا النحو: «بعد أن انقضى الليل أكثر من نصفه، جاءنا الأمر بالتحرك وركبنا في الشاحنات العراقية التي غنمناها قبل ذلك. تقدمنا إلى مقربة من القاعدة الصاروخية العراقية. وقفنا في رتل واحد. كان الفصيل الأوّل يقف في مقدمة رتل الكتيبة. كنا جاهزين للاشتباك. ذهبنا إلى الجهة اليمنى من الجادة المعبّدة واختبأنا إلى جانب الساتر الترابي. جلستُ أنا وأصغر أهري القرفصاء في دشمة تشبه باب البئر[2] حتى الصباح».

كانت قطعة من الإسفنج موجودة على أرض الدشمة وقد امتصّت من داخلها الرطوبة الموجودة في التراب.

بعد حوالي ساعتين من الجلوس عليها تأثّرت أرجلنا بالرطوبة

1 - الكرسي (أو منضدة التدفئة): وسيلة مشهورة في القرى والأرياف الإيرانيّة. يوضع منقل كبير مليء بالجمر تحت طاولة، ويُفرش عليها لحاف كبير، يجلس أفراد العائلة حول الطاولة ويتغطّون باللحاف فيشعرون بدفء كبير. (المحرر).

2 – يُطلق عليها أيضًا: دشمة برميليّة.

الموجـودة. وفي ذلـك الطقس البارد لم تعد ركَبُنـا تقوى على الحركة. لم يقتصـر الأمر على الركب، بل يَبسَـت كل أطرافنا. أردت أن أخرج مـن الدشمة فلم أستطع. ساعدني أَصغر أهري على ذلك. حتى خارج الدشمة لم تستوِ قدماي بشكل كامل. كانتا قد تنمّلتا وسرى الألم فيهما من أعلاهما إلى أسفلهما.

فجأةً، في ذلك الظلام ظهر أكبر مدني. ما إن وقع نظره على عدد مـن الأشخاص الذين توسّـدوا جانب الطريق سألنـي: «من أي فرقة هؤلاء الشباب؟».

قلت بهدوء وارتياح: «هم من فرقة الشهداء».

عندما طلع النهار جاءني قائلًا: «أخ كودرزي، هؤلاء شهداء».

- قلت لك إنهم من فرقة الشهداء.

في تلـك الليلـة، كانت كتيبة حمزة قوة احتيـاط، ولحسن الحظ لم يتم استخدامها حتى طلـوع الصباح. بعد انجلاء الظلمة، رأينا مكان تموضعنـا وموقعنا بشكل أفضل. كانـت الكتيبة قد تموضعت إلى جهة اليسـار من جادة البصرة شمالي جادة أم القصـر. لاحقًا أدركت أنّ ذلك المكان كان قاعدة الفاو الصاروخية المهجورة.

كانت المعركة الرئيسة قائمة في جادة البصرة، بعد أن حلّ الصباح، وبسبب قربنا من منطقة الاشتباكات تعرّضنا لنيران المدفعية والهاون وأُصيب عدد منّا بجراح.

لم يحن وقـت الظهيرة من اليوم الثاني عشر من شهر شباط حتى جاءنا أمر من القيادة يقضي بتبديل الأماكن. كنّا نشاهد المعركة التي تجـري في جادة البصـرة بأعيننا وكانـت تشبه الأفـلام السينمائية. في أحـد مشاهدهـا، رأينا القـوات البعثية في حافلة كانـت تقلّهم إلى

خطوطهم الأمامية، فاستهدفتها قواتنا بقاذف (آر بي جي) ما أدّى إلى احتراق ثلاثين عسكريًّا منهم كحدّ أدنى. لم تكد سيارة (جيب) القيادة العراقية ترى هذا المشهد حتى استدارت في مكانها ولاذت بالفرار. تخيّلت لبرهة أني أجلس في البيت تحت كرسي التدفئة أشاهد فيلمًا سينمائيًّا مشوّقًا مليئًا بالحركة عالي الجودة في التصوير. في ذلك الموقف جاءت آلة تصوير العم حسن لتضفي لذة على لذّتنا وتجعل من تلك المشاهد الممتعة أكثر جاذبيّة. قبل الظهر، لذنا بكتف جادة أم القصر حتى لا يُصاب أفراد الكتيبة بمكروه. كانت جادة أم القصر تبدو أكثر هدوءًا من جادة البصرة الاستراتيجية.

وعن هذا الانتقال كتبتُ في دفتر مذكراتي: «انجلت الظلمة وطلع النهار واشتدّت نيران العدو الذي كان يُمطرنا بالقذائف المدفعيّة وقذائف الهاون. أُصيب عدد من الأفراد بجراح. بقينا إلى جانب الطريق حتى قرابة الظهر، ولم يكن بالإمكان أن نمكث أكثر. تقدمنا حتى جادة أم القصر وتمترسنا في موضع يُسمّى «موضع عبد الله». كان علينا أن ننقل أكياس الرمل من الطرف الآخر من الجادة لبناء الدشم حيث كان الخطر داهمًا. لأنّ جادة أم القصر كانت أيضًا تحت مرمى نيران العدو. بنينا الدشم إلى جانب الجادة المعبّدة التي كانت تعجّ بالحركة ذهابًا وإيابًا.

بعد ظهر ذلك اليوم، جاء أحد الإخوة حاملًا معه سطلًا من الحليب وسألنا: «أيها الإخوة، هل تشربون الحليب؟»».

لم نصدق ما نسمع ونرى، ولم نسأل عن مصدر الحليب، أخذنا منه السطل وشربنا، لقد كان لذيذًا جدًّا، أو لعلّه بدا كذلك.

بقينا من صباح ذلك اليوم حتى غروبه، في محيط القاعدة الصاروخية المهجورة. لاحقًا قمنا بجولة على أطراف الطريق لنجد

في دشـم المـؤن والتجهيـزات العراقية الحليـب المجفّـف والبسكويت والشكولاتة فأغثنا بها بطوننا.

في ذلك اليوم، كان طعام الغداء والعشاء معلّبات الباذنجان المتبّل وسمـك التونة بالإضافة إلى خبز اللواش (المرقوق) اليابس. كان كل واحد منا يحمل معه ملعقة صغيرة مثنية الطرف وكنّا نضعها في جيبنا كالقلـم. عندما كنا في كرخه وزّع محسـن كلستاني الملاعق، التي كان قـد أحضرها أحد الإخوة معه من طهران، على جميع الأفراد. لم يكن ممكنًـا ثني الملاعق الموجودة لدى قسم التجهيزات، كانت لتتكسر. في ذلك اليوم، أفادتنا الملاعق المثنيّة الطرف.

قبـل الانطلاق، قاموا بتوزيع الذخائر علينا مجـدّدًا.. مع أنّ أحدًا منّـا حتى ذلك الحـين لم يكن قد استخـدم شيئًا من ذخائـره. إلّا أنّ القـادة كانـوا يؤكدون على الأفراد أن يحملـوا معهم ما استطاعوا من الذخائر وخصوصًا قذائف الآر بي جي.

كتبـتُ في دفـتري عن غروب اليـوم الثاني عشر مـن شهر شباط: «كنّـا نصلّي صـلاة المغـرب عندما جـاء الأخ مجتهدي وقـال: لتقف وُرُود الفصيـل الأوّل. تجهّزنا بعتادنـا وقمنا من مكاننا وانطلقنا. كان الجميـع في حال من الذكر والدعاء، يناجون الله تعالى. قبل انطلاقنا بساعة، كان أخو علي قابل التوأم قد أُصيب بجراح. أراد علي أن يراه، لم يُسمح له بذلك. لم يكن لقاؤهما في هذه الدنيا متاحًا ولكن سرعان ما التقيا في العالم الآخر».

توقّـف الطابـور عند مثلّث مصنع الملح. اجتمـع جميع القادة تحت جسـر صغير. وجـدت الفرصة سانحـة فقلت لأصغر أهـري: «سأنام قليلًا». قال: «لك ذلك».

منذ العام 83، حين أُصبت بتلك الشظية في رأسي، وأنا أشعر -من حين لآخر- بألم عجيب فيه، لم أجد له علاجًا سوى النوم.

لقد لطف الله تعالى بي، فكان الحلّ لذلك الألم الذي يأتيني من غير موعد أن أنام قليلًا بعد أن توقّف الطابور عن الحركة.

لم يكن البرد القارس والرطوبة ليمنحاني الراحة التي أحتاجها، وعلى الرغم من ذلك فقد زال الألم من رأسي. في تلك الدقائق المعدودة بين النوم واليقظة، تذكّرت أمورًا كثيرة: لحاف الكرسي في آراك، شاي وزبيب الجدة، تصاعد بخار الشاي في الهواء، والدفء اللذيذ والممتع حول كرسي التدفئة و..

لم تكن المسافة من مثلّث مصنع الملح حتى الجبهة الأمامية ونقطة انتشار السرية الأولى طويلة، كانت كيلومترًا واحدًا، أقل أو أكثر بقليل، قطعناها خلال نصف ساعة. خلال هذه الفترة الوجيزة استحضرت في ذهني توصيات قادتنا: «بعد أن تعبروا فوق الساتر الترابي وتتقدموا حوالي مئتي متر إلى الأمام، سترون عددًا من الدبابات المحترقة وعددًا آخر سالمًا.. انتبهوا، فلا تطلقوا النيران باتجاه المحترقة منها فتذهب الذخائر هدرًا. بعد انكسار خط العدو الدفاعي عليكم التقدم إلى الأمام مسافة خمسة كيلومترات حتى تصلوا إلى جسر هو الهدف من عمليات هذه الليلة».

كانت جبهتنا الأمامية حيث نقطة انتشار[1] القوات عبارة عن ساتر ترابي صغير وقليل الارتفاع متعامد مع طريق «أم القصر» المعبّد. كان الحاج أميني قائد الكتيبة هناك. كان عليه أن يبقى هو في تلك النقطة فيما تتقدّم السرية الأولى إلى الأمام لكسر خط العدو الدفاعي. وكان

1 - أي نقطة الافتراق وانتشار الرتل لأخذ مواقع قتاليّة وبدء الهجوم.

مسؤول السرية الأولى إلى جانبه دائمًا. في تلك الليلة الشتوية الباردة، كان خط الجبهة الأمامي غارقًا في السكون، وأي سكون! سكون ما قبل بدء الهجوم وإطلاق النيران. مسح الحاج أميني العرق عن جبينه بكوفيته، فهو لم يهدأ ولم يقرّ لحظة. لم يكن قائد الكتيبة وحده يترقّب البدء بالعمليات، سائر القادة في الفرقة كانوا كذلك. هل ينكسر الخط الدفاعي للعدو؟ هل سنصل إلى الجسر الكبير على جادة أم القصر؟

في تلك الأثناء، شُكّلت مجموعة «القوات الخاصة» أو ما يُسمّى بقوات التدخّل. تم اختيار أكثر أفراد هذه المجموعة من الفصيل الأوّل. كانت مهمة القوات الخاصة البدء بالهجوم وتوجيه الضربة الأولى للعدو. تمّ اختياري أنا وحسين كلستاني -وكلانا مسؤولا مجموعتي الفصيل الأول- كأعضاء في المجموعة الخاصة، وكان لكل رامٍ (آر بي جي) مساعد واحد فقط. كان مسؤول السرية نفسه مسؤولًا عن المجموعة الخاصة ويتحرك خلف عناصر استطلاع العمليات. بعد كسر الخط الدفاعي الأول للعدو، تقدّم بقية شباب الفصيل إلى ساحة المعركة. كان الجهد ينصب على التقليل من الخسائر قدر الإمكان. لذلك كان الثقل الاكبر على كاهل ستة إلى سبعة أشخاص؛ بذلوا جهودًا مضاعفة. كتبت في دفتر مذكراتي عن تلك اللحظات: «عندما أردنا الانتشار عند الساتر الترابي، رأيت شخصًا طويل القامة واقفًا إلى جانب طابورنا بأقدام راسخة في الأرض. قلت لأصغر: «هذا الأخ هو أسد الله بازوكي. إنه قائد جدير وشجاع وخبير. تقدمنا نحن إلى الأمام فيما بقوا هم في نقطة محدّدة، كنا جميعًا نتقدم زحفًا. زحفنا في المستنقع إلى الجهة اليسرى من الجادة فامتلأت أجسادنا بالطين الممزوج بالملح. في تلك الأثناء رأيت شخصًا يريد أن يتخطّاني، إنّه العم حسن. فسحتُ له الطريق فتقدّم إلى مقدمة الطابور. مضت

دقائـق ثم طلبوا من عناصر التخريب أن يتقدّموا إلى الأمام. بالطبع، كل ذلك بالإشارة، فقد كان السكوت مخيّمًا على كل شيء».

كان خـط الدفاع العراقي الأول قد أقيـم عند فجوة[1] موجودة على الطريق المعبّد. ولعلّ عناصر التخريب هم الذين استحدثوا هذه الفجوة الليلة الماضية لكي لا تتمكّن الدبابات العراقية من التقدم على الجادة المعبّدة بسهولة. وبهذا الإجراء كانت الدبابة تقع في قعر الفجوة فيقوم شبابنـا باستهدافها من خلـف ساترنا الترابي. بجانـب تلك الفجوة، كانـت تُـرى قطع كبيرة من الإسفلـت وأكياس الخيشـ الممزّقة وألواح مكسـورة، كأنّ دشمة تجمّع عراقيـة أو اثنتين كانتا قائمتين هناك وقد تهدّمتا. كنّـا منبطحين أرضًا ننتظر الأمر ببـدء الهجوم، فجأةً رأيت الألـواح المنحنيـة والملتوية تهتزّ، أمعنت النظر جيـدًا فوجدت سنجابًا يتحرّك هناك. عندما وقعت عيناي على هذا الحيوان، غرقت في بحر مـن الأفكار وقلت في نفسي ليس معلومًا إلام سيؤول مصيري ومصيره بعـد ساعـة من الآن. فهو غـير مكترث لأنّه لا يعلـم في قلب أي معركة يلعـب، بينما أنا قد استحضرت حتى هذه اللحظـة قصة ليلة الهجوم مـرات عدة وما كنتُ أعلمه فقـط أنّ أحدًا لا يمكنـه التنبّؤ بشيء عن اللحظات القادمة. علينا أن نعير جماجمنا للّه.

خيّم صمت عجيب على المكان والزمان، إنّه هدوء ما قبل العاصفة. كان يتناهـى إلى مسامعـي صوت عقارب ساعة العـم حسن. هل حقًّا بعـد دقائق أو لحظـات معدودة، مـن المقرّر لهذه المنطقـة التي يخيّم عليهـا الهدوء والسكـون أن تتحوّل إلى جهنم مـن الدخان والرصاص والنـار والـدم الممـزوج بالـتراب؟ كتبتُ في دفـتر مذكراتي مـا يلي: «كان صـوت تلقيم رشاشـات الدوشكا العراقية يصـل إلى مسامعنا،

1 - فجوة: حفرة واسعة أدنى من مستوى الأرض، تُبطئ حركة الدبابات أو تعيقها.

وكذلـك الصـوت الناجم عن نقـل صناديـق الذخائر. فجـأة، يُكسر جـدار الصمت ونعبر الساتر الترابي كالـبرق ونهجم على العدو. كان تحرّكي من الجهة اليسرى للجادة، وكان المستنقع والأرض الموحلة إلى الجهـة اليمنى منها؛ ها هو صوت العراقيّين يخترق مسامعنا؛ أصوات وهمهمـات متداخلة تحكي عن خوفهم واضطرابهم. كان أصغر أهري خلفـي كالعادة. كنت أحمل قاذف آر بـي جي، ملقّمًا وجاهزًا للرماية. العـم حسن يحدّق بدشمة دوشكا العـدو ليجد المكان المناسب لضربته الناجعـة. بعد دراسة وضعية دشمة الدوشـكا وتقدير الموقف، توجهت للعم حسن بهدوء وقلت له ممازحًا: «رامي الدوشكا ينتظرنا».

ردّ العـم حسن عليّ بنظرة وابتسامة. بعـد لحظات تقدّم خطوتين إلى الأمـام وبـدأ الاشتبـاك: انفجـرت القنابل وتحـرّك الشباب من أماكنهـم مطلقـين صيحـات التكبـير المترافقـة مع رمايـات رصاص ورشاشات غزيرة.

إلى الجهة اليمنى مـن الجادة، وجدتُ مكانًا ملائمًا جدًّا للرماية. في حـال انحناء، وضعـتُ ركبتي على الأرض وسـدّدت القذيفة الأولى باتجـاه الدبابات الأماميـة وأطلقتهـا. أصابت القذيفـة الصاروخيّة جانب الدبابة. كان أصغر إلى جانبي، أخذت منه قذيفة أخرى ولقّمت قـاذفي ثم تقدمـت خطوات عـدة إلى الأمام لكي أستهـدف الدبابات الخلفيـة. ترافق تقدّمـي إلى الأمام مع ابتعادي عـن أصغر. كان هذا الحوار الأخير الذي دار بيننا:

سألني أصغر: «هل لديك قذائف».

- أجـل.

كانـت جعبتـي لا تزال مليئـة بالقذائف -طبعًا بقيـت على حالها- ومـرة أخرى جثوت على ركبتي وسدّدت علـى الدبابة الثانية أو الثالثة

الموجودة على الجادة لأرميها من الجانب الأيمن، لكنّي لم أطلق القذيفة؛ أُصبت بالجراح.

كتبت عن إصابتي في دفتر مذكراتي:

«جلست على ركبتي لأرمي قذيفة الآر بي جي. لم أكد أفرغ من التسديد حتى افترقنا أنا وسلاحي كلٌّ إلى جهة. وقعت أرضًا على وجهي. وكأنّ شيئًا كالخنجر أو السكين قد أصابني بضلعي ويدي اليمنى من الخلف. أردت النهوض من مكاني فلم أستطع. لقد سبّبت لي هاتان الضربتان الدوار. تذكرت جراحاتي السابقة، واستعدت وعيي سريعًا. بدايةً، فكرت ماذا سأصنع بجعبتي المليئة بالذخائر. كان عليّ نزعها عنّي حتى لا أُصاب بمكروه في حال انفجرت القذائف بداخلها. لم يكن عملًا سهلًا فلم يكن باستطاعتي الالتفات إلى الخلف. أصبت بصدمة، انقلبت على ظهري وأخرجت يدي السليمة من رباط جعبة الظهر. لم أعد أشعر بيدي اليمنى. سحبت جسمي على الأرض لكي أبتعد عن جعبة الظهر وأوصلت نفسي إلى الطريق. كانت الطريق أشبه بجحيم حقيقيّ. الرصاص الخطّاط يرتطم بالجادّة كحبّات البرد أثناء سقوطها، ثم يرجع بحركات ارتداديّة. ورشقات الرصاص من الدشم العراقية تشبه الشرارات المنبعثة من مشعل دوار. حوالي مئة متر إلى الأمام، كانت الاشتباكات تتواصل بعنف. خلال هذه الفترة سقط كثيرون إلى الأرض. لفّ الغموض المكان، فقد اختلط جرحانا وشهداؤنا مع القتلى العراقيّين. أصبحت أنفاسي تضعف أكثر فأكثر. لم أعرف ماذا أصنع في ذلك الصخب والضوضاء. فجأةً رآني العم حسن وقال لي: اذهب إلى أسفل الطريق فالمكان خطر هنا..».

أومأت برأسي موافقًا. لم أكن أقوى على الكلام لأنّ رئتي قد ثُقبت. ذهب العم حسن. كانت القوات تتقدم إلى الأمام من الجهة اليسرى

للطريق. ضغطت بيدي على جرح رئتي وناديت المسعف بصوت خافت..

كادت روحي أن تزهق بسبب هذه الكلمة. في تلك الأثناء تعرّف «علي شهبازي» إليّ. عندما رأيته أدركت أنّ فصائل «السريّة الأولى» الثلاثة قد انخرطت بالاشتباكات التي استمرّت لخمس دقائق؛ فعليّ هو مسعف الفصيل الثالث. قال: «أخ كودرزي، سأضمّد الآن جراحك، أين محل إصابتك؟».

أجبته بهدوء: «في أسفل كتفي من الخلف».

بدايةً فكّ أحزمة عتادي وحزام الوسط. شعرت بأنّي خفيف جدًّا، بعد ذلك مباشرة قصّ قميصي من الخلف بالمقصّ كي يجد جرحي. أغلق ثقب الجرح بدقّة وإحكام حتى لا يتعرّض للهواء. تحسّن تنفّسي بعد أن أغلق جرحي، ولفّ أطرافه بإحكام بالضمّاد الطبّي والشرائط اللاصقة. زال الثقل عن رأسي، كأنّ الدم قد وصل إلى دماغي. قال: «إنّ جرحك عميق، انتبه لنفسك. هل تعاني من إصابة أخرى؟».

– أجل، تعرضت لإصابة في أعلى كتفي أيضًا. لا أشعر بيدي هذه وكأنّها ليست لي..

ضمّد أعلى كتفي الأيمن أيضًا وربطه ومضى. شعرت بعد ذهابه أنّني أصبحت بحالٍ أفضل، لقد أعادني إلى الحياة بيده الحاذقة. في هذه الأثناء، رآني اثنان من «حاملي الجرحى» فتقدّما نحوي. نمت على وجهي على حمّالتهما. كان المشهد الأخير الذي علق في ذهني من تلك الليلة: «أنّ السماء تمطر رصاصًا أحمر فيما تنفجر قذائف الآر بي جي العراقية في محيطنا بالقرب منّا». كتبت هذه الجملة في صفحة من دفتر مذكراتي عن ذلك اليوم.

كان أحد ناقلِيّ الجرحى رجلًا مسنًّا. أرادا أن ينقلاني إلى الخلف

عبر الطريق فقلت لهمـا: «لنمشِ أسفل الطريق، فالسير على الطريق محفوف بالمخاطر».

وافقـاني الرأي ونـزلا. بعد مئة متر إلى الأمـام، وصلنا إلى إحدى غـرف الحراسـة. لم أكن قـد رأيتها أثنـاء انطلاقتنـا إلى العمليات. وأبقياني على الحمّالة إلى جانب تلك الغرفة الصغيرة.

انتظـرتُ وصول سيارة الإسعـاف الصحّي للفرقة. في هذه الفترة، جـاء إليّ أحد المقاتلـين وألقى نظرة إلى جرحي. ولمـا كنت نائمًا على وجهي لم أبدِ اهتمامًا بما يقوم به. لعلّه ظنّ نفسه طبيبًا جرّاحًا عندما مـدّ يده إلى جرحي وفتحـه ونظر إليه نظرةً عميقـة وطويلة. استغرق عملـه وقتًا ليس بالقليل، فبدأت أنـزف من جديد لتسـوء حالي مرة أخـرى وأشعر بصعوبـة في التنفّس. عندما رآني مجهـول الهويّة ذاك كيـف أتخبّط وأتمتم بكلمات لم يفهمها، كفّ يد فضوله عنّي، لكن بعد فوات الأوان، فلم يستطع أن يضمّد الجرح كما كان عليه سابقًا. وعدت أشعـر بثقل في رأسي كأنّـه أسطوانة من حديـد. لم يكن الأوكسيجين يصل إلى خلايا دماغي. فبتُّ أشعر بالدوار والهذيان. على الرغم من حـالي هذه، أدركت أنّ أشخاصًا رفعـوا حمّالتي عن الأرض ووضعوني داخـل سيارة الإسعـاف. بالإضافة إليّ، كان هنـاك أبٌ وابنه قد ركبا في سيـارة الإسعاف، كلاهما كان جريحًـا. وكل واحد منهما قلق على الآخر. الوالد يردّد دائمًا على مسامع ابنه: جُعلت فداك، والولد يسأل عن حال أبيه.. ولا أذكر شيئًا غير ذلك.

عندمـا فتحت عينـيّ وجدت نفسي ممـدّدًا على سريـر في عنبر[1] صغـير علـى الساحل الغربي لنهـر أروند، كنـت لا أزال أشعر بالدوار

1 - يشبه الخيمة أو الكوخ؛ مسقوف بالألواح الخشبيّة أو المعدنيّة، كذلك جدرانه.

ولم أسترجع كامل وعيي. أذكر فقط أنّي قلت للطبيب: «أيها الطبيب، أرسلني إلى الخلف سريعًا.. رجاءً أرسلني سريعًا». بدأوا بمداواة جرحي مرّة أخرى في عنبر استشفاء الفرقة. ولكنّهم هذه المرة أغلقوا فتحة الجرح بالقماش المعقّم بإحكام، واستخدموا لاصقًا وعصبةً ليغلقوا منافذ الهواء بالكامل.

هذا هو الشتاء الثالث الذي أُصاب فيه بالجراح، فأُراكم تجربة فوق تجربة. قلت في نفسي: «يا هذا! غيِّر مهنتك من العمل في مدّ الأنابيب إلى الطب. آن الأوان -بعد أن أُصبت بالجراح ثلاث مرات- أن تكون لنفسك -وللآخرين بالطبع- طبيبًا متخصّصًا بجراحات اليد والرأس والأرجل، وقد أُضيف إليها الآن جرح الرئة.

كنت ملقًى على الحمّالة أنتظر القارب على رصيف المَرْسَى المزدحم. طال الأمر قليلًا ولم يصل الدور إليّ. قلت للربّان: «يا أخي، أنا أيضًا موجود هنا، ذهب الجميع وما زلت هنا!».

عندما رفع شخصان حمّالتي وأدخلاها إلى القارب بشكل مائل، ابتعد القارب عن الرصيف فأفلتت الحمّالة من يد أحدهما وسقطتُ على أرض القارب بشدة. مرة أخرى تحرك جرحي وخرج عن ثباته وبدأت أنفاسي تتقطّع وشعرت بضيق في صدري. كنت أعي حركة القارب، لكنّ أحوالي تبدّلت، فقد فعلت الضربة فعلتها.

عندما وصلنا إلى ساحلنا الشرقي وجدت أنّ الربان متريّث ويدور بالقارب في مكانه. علا صوت الجميع:

- يا أخانا، أنزلنا من القارب، ثم دُر بعد ذلك ما بدا لك.

- لكنّ الرصيف مزدحم.

قلت: إذًا اذهب إلى رصيف آخر.. أنزلنا حيث أمكنك ذلك.

إن استمـررتَ علـى هذا المنوال تزهـق أرواح الشبـاب، إنّ حال بعض المصابين حرجة.

سمع كلامي وقاد القارب نحو رصيف آخر. ابتعدنا قليلًا، وبمجرّد وصولنـا إلى المَرْسى أنزلونا من القارب ومـن ثم صعدنا عدة درجات لنصـل إلى اليابسـة وركبنا سيـارة الإسعاف مباشـرةً. ساءت حالي بعـد أن وقعتُ على أرضيّة القارب، وسـاءت أكثر بسبب تحرّك سيارة الإسعـاف. كان أسفـل الحمّالة يصطـدم بأرضيّة الإسعـاف لتستقرّ الضربـة في صدري. كاد أن يُغمى علـيّ. كانت عضلات ظهري ورجلي تنقبض ثم ترتخي بشكل مستمر. اصطدمـت رجلي مرات عدة بباب الإسعـاف بشدة. أصبتُ بضيـق في التنفّس حتى صـرتُ كأنّي أتنفّس تحـت المـاء. شعـرت أنّ أحدًا مـا قد سلّـط ضوء مصباح يـدوي على عينـي. أجل، كنت أفقد وعيي ثم أستفيـق، وكان المسعف بدوره يسلّط نـور المصباح اليدوي على عيني ليرى إن كنت ما زلت على قيد الحياة أم لا. عندمـا رآني أبتسـم قـال لسائق سيارة الإسعـاف: «لا تتوقف.. تحرّك.. ما زال حيًّا». يظهر أنه كان قد طلب من السائق قبل ذلك أن يتوقّف لكي يسارع في نجدتي.

في مستشفى الزهراء عليها السلام الميداني، تابعوا علاجي، كان مستشفًى مجهّـزًا. في داخل الـرواق، غُطّيت وجـوه أجساد الشهـداء بالقماش الأبيض. شعـرت أنّ الـدم ينساب قطرة قطرة مـن حمّالتي. كم كان المـوت والحياة قريبًـا أحدهما من الآخر في تلـك اللحظات، ولكن من جهتـي، لم أشعـر بشيء خاص، كنـت فقط أفكر برضـى الله والإمام الحسـين عليه السلام: صحيح أنّنا لم نكن يوم عاشوراء حاضرين في كربلاء لننصـر الإمام الحسين، ولكنّنا اليوم ننصر الإمام الخميني كي يبقى دين الله عزيزًا.

بعد أن أُدخلتُ الغرفة، وضعوا زجاجة فارغة من الهواء على أضلاعي، على موضع الثقب في رئتي ونظفوا جرحي. كما وضعوا قناع الأوكسيجين على فمي، لكن من دون جدوى، إذ لم يكن هناك حل لأنفاسي المتقطّعة. كنت أقول للممرّض والطبيب بشكل لا إرادي: «أشعر بألم شديد». كان عدة أشخاص يعملون على معالجة جراحات رئتي ويدي. توقعتُ أن أرتاح من الألم الشديد عندما حقنوني بإبرة موصولة إلى كيس من المصل. كان هناك أيضًا شباب من قسم التعاون الذين تسلّموا أغراضي الشخصية ونزعوا ساعتي من يدي وسجّلوا تفاصيل الحادثة. حينها، وقفوا لدقائق إلى جانب سريري ثم رحلوا.

لقد فعلت بي الحقنة فعلتها عندما استعدت وعيي علمت أنّني نمت لساعات. لم أكد أدرك ما يدور حولي حتى طلبت من الممرض ترابًا للتيمّم. سأل الممرّض: «ماذا تريد أن تصنع بتراب التيمّم؟».

- تكاد تفوتني صلاة الصبح.

ضحك وقال: «يا أخي، الساعة الآن الحادية عشرة صباحًا».

قضيت صلاة الصبح يوم 1986/2/13 عند الساعة الحادية عشرة صباحًا. لم يمضِ وقت طويل حتى نُقلتُ بالمروحية إلى مدينة الأهواز. بعد أن ارتفعت المروحية عن الأرض شعرت بضغط على قفصي الصدري وغبت عن الوعي. حصل الشيء ذاته أيضًا أثناء هبوط المروحية في مدينة الأهواز، لم نمكث طويلًا هناك فقد ركبنا طائرة متوجّهة إلى مدينة مشهد في غروب ذلك اليوم أي في الثالث عشر من شهر شباط. ليلًا أدخلوني إلى مستشفى القائم في المدينة.

في الرابع عشر من شهر شباط، وضعوني في إحدى غرف المستشفى، تحتوي سريرين أحدهما ما يزال خاليًا، الأمر الذي لم يدم طويلًا

وسرعان ما امتلأ في اليوم عينه.

الجريح الذي كان يرقد إلى جانبي في الغرفة هو السيد حسين دستواره الأخ الأصغر لنائب قائد فرقة «محمد رسول الله ﷺ». كان أحدنا يعرف الآخر. كان مقاتلًا في السرية الثانية ويبلغ من العمر ستّة عشر عامًا. هو أيضًا كان مصابًا في رئته. ولقد أُصيب من مسافة قريبة فاخترقت الرصاصة جسمه لتخرج من الجهة الأخرى.

لم تكن الأخبار التي تصلني أنا وحسين عن العملية أخبارًا جديدة. كانت هي ذاتها التي تُبثّ من الإذاعة. قال حسين: «في تلك الليلة أحضر العراقيون حوالي مئة دبابة إلى الجادة ليقوموا بهجوم معاكس في صباح اليوم الثالث عشر، لكن عناصر كتيبة حمزة أحرقوها.

وعلمت أنّ كتيبة حمزة لم تصل في تلك الليلة إلى الجسر الإسمنتي الكبير على جادة أم القصر، فقد أعاقت هذه الدبابات وناقلات الجند تقدمهم. طبعًا عاد العناصر المتبقّون من الكتيبة إلى خط التماس السابق بعد تدمير مدرّعات العدو.

مضت أيام؛ جاءني الممرّض عند الظهر وقال: «أريد أن أفكّ ضمّاد جرحك لأخرج القيح منه وأنظفه. عليك تحمّل الألم حتى أخيط الجرح». جلستُ فوق السرير ومددت رجلي فيما بدأ الممرّض بعمله. رأى حسين، الراقد قربي في سريره، معاناتي من شدّة الألم وبدا عليه التأثّر. أنا بدوري قمت بنقل الضغط الذي أتعرض إليه بسبب الألم إلى يدي فأمسكت بأحد قضبان السرير وبدأت أشدّ عليه بما أُوتيت من قوة. بعد فراغه من تنظيف الجرح أخذ الممرّض إبرة وخيطًا وبدأ يخيط جرحي، وبعد عدد من القطب أغلق فتحته بشكل كامل. في أحد الأيام، جاء أخي وزوجته لعيادتي. غمرني إحساس جيّد برؤيتهما. كنت أرغب في أن أتماثل سريعًا للشفاء لكي أعود إلى البيت.

أخـيرًا، وصلـت إلى طهـران في الأسبوع الأخير مـن شهر شباط. رأيـت حسـين دستواره، كانت ذكرى تقطيب جرحـي لا تزال عالقةً في ذهنه. قال: «يا أخ كودرزي، في كل مرة أتذكّر فيها تلك الحادثة أشعر وكأنّ الألم يلفّ جميع أنحاء بدني.. كيف استطعتَ تحمّل ذلك الألم؟».

كانـت الأخبار الأخرى أيضًا تصلنا تباعًا: لقد دُفن سعيد بوركريم مؤخّرًا. كان والده يتمنى أن يحمل بيده مشطًا ومقصًّا ليزيّن شعر ابنه في يـوم عرسه، ولكـن هيهات. قيل إنّ يوم استرجـاع الجثمان كان في السادس عشر من شهر شباط، ما يعني أنّ جثمانه بقي لأيام بين جثث العراقيـين. كان جثمـان «أكبر مـدني» كجثمان بوركـريم تماماً؛ فقد أُصيـب كلاهما برصاص وشظايا من جهة الفخذ. لقد استشهد رامي الآر بي جي ومساعده كلاهما بالطريقة ذاتها، ولا عجب في ذلك. قبل العمليـات كنتُ قد اتفقت مـع أكبر أن نقوم بزيـارة خاطفة إلى آراك عند أول فرصة متاحة. أردت أن أذهب إلى «تشهل رز» فيما أراد هو أن يكون له بستان تحمل كل شجرة فيه اسم أحد الشهداء.

لم تتوقـف الأخبار عند هذا الحد، فقد نال شرف الشهادة كلٌّ من: مسـؤول الفصيـل الأوّل المخلصـ محسن كلستاني وإمـام الصلاة في الفصيـل الحاج علي رحيمي والأخوين التوأمـين علي وعبد اللّه قابل. كذلـك نال وسام الشهـادة العم حسن مسـؤول السرية الأولى. كذلك وصلنـا في العشريـن من شهر آذار خـبر مفاده أنّ الجريـح أسد اللّه بازوكي –قائد كتيبة حمزة السابق– قد نال شرف الشهادة أيضًا.

كتبـتُ القسم الأخير من ذكريات عمليـات «والفجر8» في يوم كنت فيـه عازمًا على الذهـاب مرة أخرى إلى الجبهــة. السطر الأخير من ذكريـات الفاو في دفتري الصغير جـاء كما يلي: «كانت أوراق مؤسسة الشهيد والرعاية الصحية للمنطقة الأولى «ثار اللّه» معي. ها أنا أعود

إلى الجبهــة من جديد. قطار طهران- الجنوب، الساعة 7.5، الصالة رقم 1، الكرسي رقم 484 بتاريخ 1986/5/3 محطة آراك».

مــرة أخرى انضممتُ إلى الفصيــل الأوّل في شهر نيسان من العام 1986. تلقيــت من قائد كتيبة حمزة درعًا تقديريّة بسبب مشاركتي في عمليات «والفجــر 8» وأصبحت مسؤول الفصيل لمــدة شهرين تقريبًا. كان مســؤول الفصيل قــد استشهد وأُصيب نائبــه إصابة أدّت إلى بتر قدمه. لهذا، قبلت بمسؤوليــة الفصيل بشكل مؤقت. من بين العناصر القدامــى كان أصغر أهري، أحمد أحمــدي زاده، سيروس مهدي بور، ورضا أنصاري ما زالوا موجودين في الفصيل.

لقد راكم رضا أنصاري تجربة بعد تجربة في خوض غمار العمليات، ولكنــه مرة أخرى عمل ناقلًا للجرحــى في الفصيل الأوّل. فهو لم يكن يرغــب بحمل السلاح وآثر حمل النقالة. كان قد أُصيب في العام 1986 في منطقة عمليات مهران برصاصة في رأسه عند الغروب، وكان بقاؤه علــى قيد الحياة أشبه بالمعجزة. كان الــدم يتدفّق من الثقب الصغير في رأسه، فيما المسعف مشغول بتضميد جرحه وقد أحضرتُ الحمّالة. كان بدنــه يرتجف كارتجاف العصفور تحت المطر في وقت كانت درجة الحــرارة في مدينــة مهران في ذلــك الصيف الحار تزيــد على أربعين ونيّــف. توقّفــت يده عن العمل إثــر تلك الإصابــة، ولم يمنعه ذلك من العــودة إلى الجبهة مرة أخرى في العام نفسه. حقًّا كانت الحرب شيئًا عجيبًــا، حيــث ترى شابًّا يافعًــا هادئ الطباع مثخنًــا بالجراح والآلام يعود من جديد إلى ساحة القتال تطوّعًا ولا يأبى أن يفدي دينه ووطنه بروحــه العزيزة. كم أضحى الموت لعبةً سهلةً وبسيطة بين أيدي أولئك الشبــاب. إنّ تذكّر تلك الذكريــات في هذا الزمن يوقد في القلب شوقًا ممزوجًا بالأسى.

لقد بقي لي من محسن كلستاني عدة تذكارات: سجادة صلاة ممسوحة بضريح الإمام الثامن عليه السلام، ومنديل جيب بخلفيّة زرقاء مُزيَّن بورود تشبه أغصان الأرز المتدلّية وسُبحة صُنعت حباتها من الخشب المعطّر.

في تلك الأيام، كان كل همّي وسعيي أن ألتحق بالجبهة، لأَقتل أو أُقتل. أما اليوم فإنّ جهدي ينصبّ على عمارة الأرض والطبيعة لأحافظ عليها خضراء نَضِرة. لقد تناثرت ورود الفصيل الأوّل قبل أن تتفتّح، فيما ستبقى هذه الأرض بأشجارها وجبالها وأوديتها وترابها وسمائها الجميلة خالدةً أبد الدهر.

في هذه الأيام، أملك بستانًا في مسقط رأسي وقريتي الجميلة سربند في مدينة آراك، بستان كأنه من نسج الخيال والأحلام، تحمل كل شجرة فيه ذكرى واسم شهيد معروف: أكبر مدني، سعيد بور كريم، محسن كلستاني، السيد حسن رضي و..

وثائق الفصل الأول

الرقم	الاسم والشهرة	الوثائق المكتوبة	الصور	الوثائق غير المكتوبة
1	محسن كودرزي	383	13	مقابلة لمدة 275 دقيقة
2	الشهيد سعيد بور كريم	43	15	مقابلة لمدة 85 دقيقة مع العائلة
3	الشهيد أكبر مدني	48	13	مقابلة لمدة 95 دقيقة مع العائلة

مـن مجموع وثائق هذا الفصـل أُدرج في هذا القسم تسع وعشرون ورقة من الوثائق المكتوبة وتسع صور.

1- محسن كودرزي

1-1 المعلومات الشخصيّة

– حائز درجة دبلوم في الرياضيات والفيزياء (الشهادة الثانوية)، متأهل، له ولدان، موظف في وزارة الدفاع.

– تاريخ ومحل الولادة: العام 1964 في مدينة آراك.

– مـدة المشاركـة في الجبهة ونوعهـا: أربعون شهـرًا خدمة تعبوية (تشكيل التعبئة).

– العمليـات التي شارك فيها والتصنيف العسكري: عملية «والفجر التمهيديـة» (مساعد رامي آر بي جي)، عملية «والفجر1» (رامي آر بي

جي)، عملية «والفجر 4» (رامي آر بي جي)، عملية «والفجر 8» (رامي آر بـي جي)، عملية «كربلاء1» معاون الفصيل، عملية «بيت المقدس 2» (عنصر قناص)، عملية «بيت المقدس 4» (الوحدة البحرية).

– سجـل الجراحات: قطع إصبعين من اليد اليمنى وإصابة في اليد اليسـرى (عام 1983)، إصابـة في أعلى الفخذين (عام 1983)، جرح بليغ في الصدر (ثقب) وإصابة في الكتف الأيمن (عام 1986)، إصابة في الرجل اليسرى (عام 1988).

– النسبة المئوية للإعاقة: خمسون%

1–2 **قائمة الحراسة** / الوثيقة رقم 1

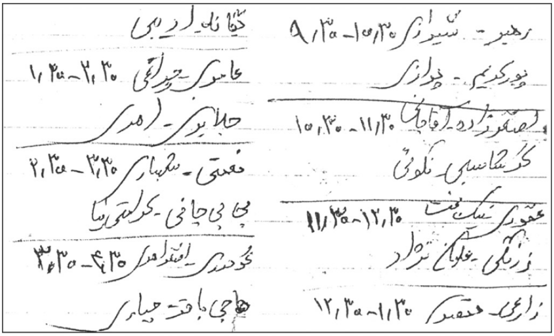

1–3 **المذكرات** الوثيقة / رقم 2 (ورقتان)

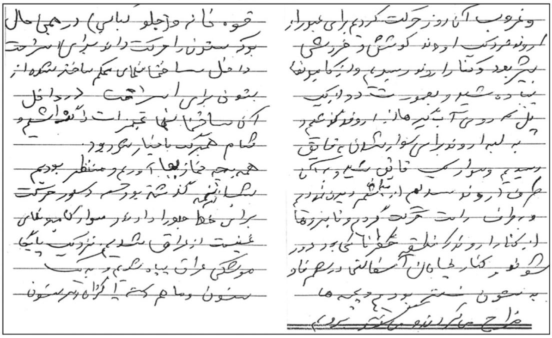

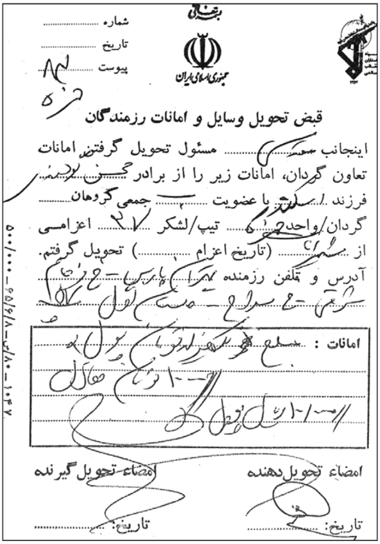

بتعالی

جمهوری اسلامی ایران

شماره ....

تاریخ ....

پیوست ....

قبض تحویل وسایل و امانات رزمندگان

اینجانب .... مسئول تحویل گرفتن امانات تعاون گردان، امانات زیر را از برادر .... فرزند .... با عضویت .... جمعی گروهان .... گردان/واحد .... تیپ/لشکر .... اعزامی از .... (تاریخ اعزام ....) تحویل گرفتم.

آدرس و تلفن رزمنده ....

امانات : ....

امضاء تحویل دهنده — تاریخ: ....

امضاء تحویل گیرنده — تاریخ: ....

1–4 وصل استلام أمانة

الوثيقة رقم 3

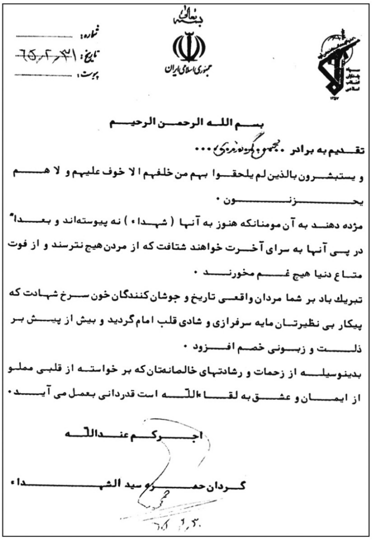

بتعالی

جمهوری اسلامی ایران

شماره: ....

تاریخ: ۶۵/۲/۳۱

پیوست: ....

بسم الله الرحمن الرحیم

تقدیم به برادر ....

و یستبشرون بالذین لم یلحقوا بهم من خلفهم الا خوف علیهم و لا هم یحزنون ٠

مژده دهند به آن مومنانکه هنوز به آنها (شهداء) نه پیوسته‌اند و بعداً در پی آنها به سرای آخرت خواهند شتافت که از مردن هیچ نترسند و از فوت متاع دنیا هیچ غم مخورند ٠

تبریك باد بر شما مردان واقعی تاریخ و جوشان کنندگان خون سرخ شهادت که پیکار بی نظیرتان مایه سرفرازی و شادی قلب امام گردید و بیش از پیش بر ذلت و زبونی خصم افزود ٠

بدینوسیله از زحمات و رشادتهای خالصانه‌تان که بر خواسته از قلبی مملو از ایمان و عشق به لقاءالله است قدردانی بعمل می آید ٠

اجرکم عندالله

گردان حمزه سید الشهداء

1–5 شهادة تقدير

الوثيقة رقم 4

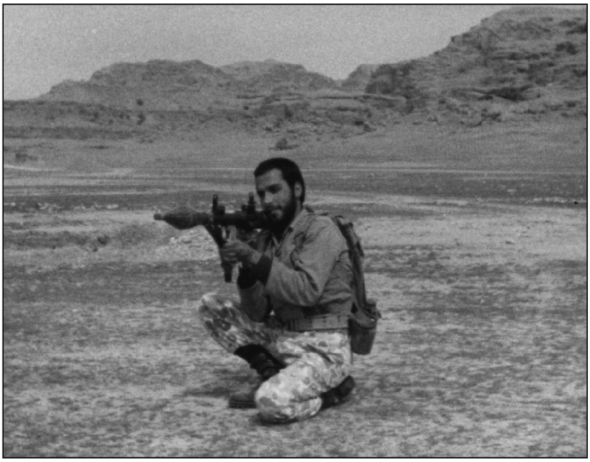

الصورة رقم 1

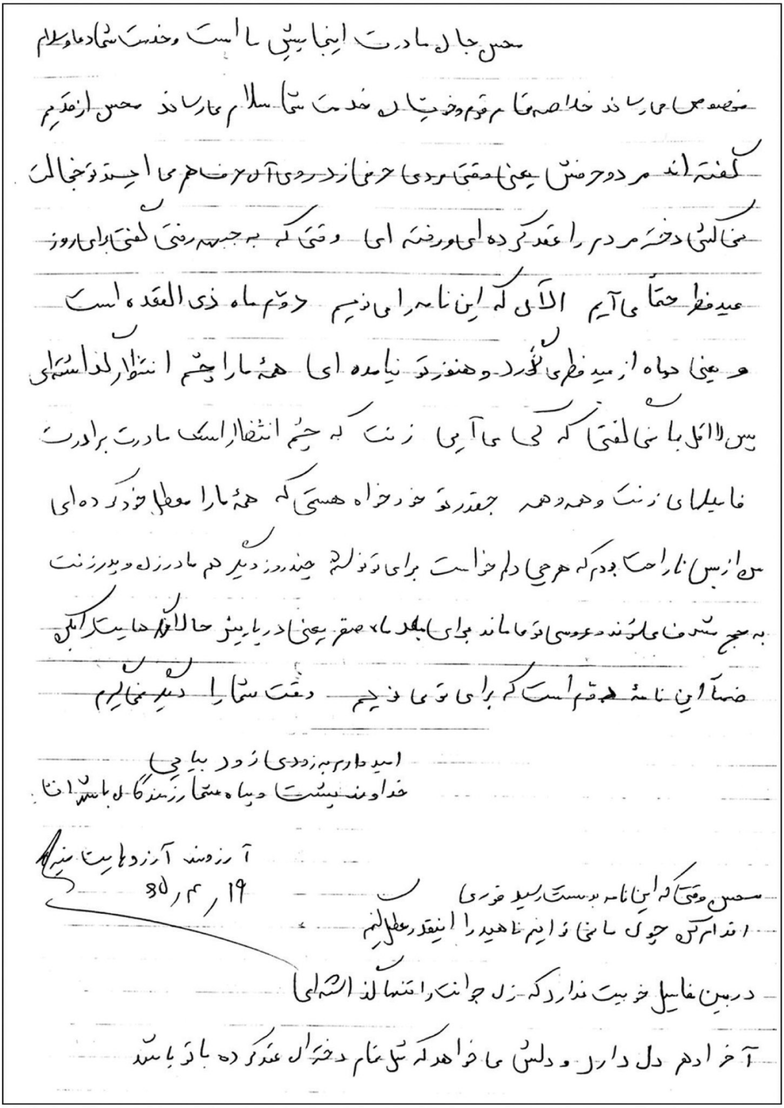

محسن جان مادرت اینجا پیش ماست و خدمت شما دعا و سلام
مخصوص می رساند خلاصه تمام قوم و خویشان خدمت شما سلام می رسانند محسن از قدیم
گفته اند مرد و حرفش یعنی حقیقتا مردی حرفی زدی روی آن حرف هم ماندی احسنت تو خجالت
نمی کشی دختر مردم را عقد کرده ای و رفته ای وقتی که به جبهه رفتی گفتی برای روز
عید فطر حتما می آیم الان که این نامه را می نویسم دوم ماه ذی القعده است
یعنی دو ماه از عید فطر گذشته و هنوز تو نیامده ای همه ما را چشم انتظار گذاشته ای
پس لا اقل با شنی گفتی که کی می آیی زنت که چشم انتظار است مادرت برادرت
فامیلهای زنت و همه و همه چقدر تو خودخواه هستی که همه ما را معطل خودت کرده ای
من از بس ناراحت بودم که هرچی دلم خواست برای تو نوشتم چند روز دیگر هم مادر زنت و پدر زنت
به حج مشرف می شوند عروسی تو هم ماند برای بعد از ماه صفر یعنی در پاییز حالا هر جا هستی
ضمنا این نامه هم قهر است که برای تو می نویسم دفعه شما را دیگر نمی گیرم

امیدوارم به زودی از دور بیایی
خداوند پشت و پناه شما رزمندگان باشد انشا

آرزومند آرزوهایت منیژه
۱۹/۴/۶۵

محسن وقتی که این نامه به دستت رسید فوری
اقدام کن چون ما نمی توانیم ناهید را اینقدر معطل کنیم
در بین فامیل خوبیت ندارد که زن جوانت را تنها گذاشته ای
آخر آدم دل دارد و دلش می خواهد که مثل تمام دختران عقد کرده باز باشد

6–1 **رسالة** / الوثيقة رقم 5 (رسالة العائلة إلى كودرزي)

7-1 وثائق غنمها المجاهدون من الجبهة العراقية.

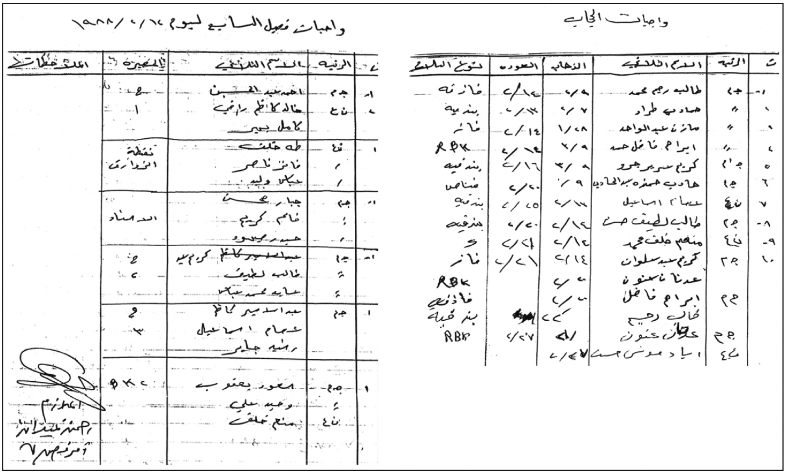
واجبات الحجاب

واجبات فصيل السابع ليوم ٢٦/٢/١٩٨٨

هي أوراق من دفتر مذكرات أحد الجنود البعثيين ويحتمل أن يكون اسمه «عدنان عنون». / الوثيقة رقم 6 (ست أوراق).

الشرح: قائمة بأسماء عناصر الفصيل بالإضافة إلى إدراج نوع السلاح والتصنيف العسكري وزمان المهمة.

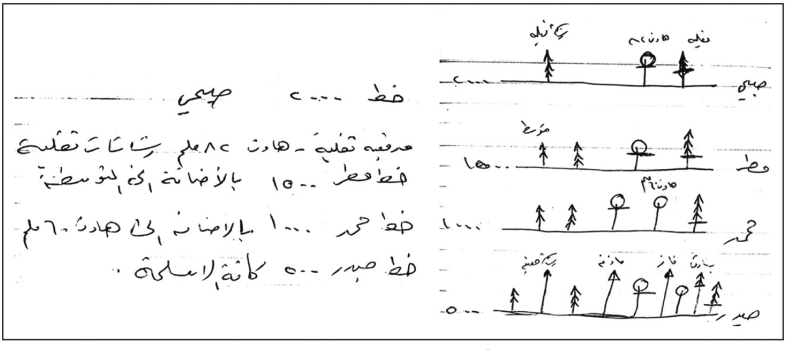
خط ... صبحي

مدفعية تقليدية - هاون ٨٢ ملم رشاشات تقليدية

خط قطر ١٥٠٠ بالإضافة إلى المتوسطة

خط حمر ١٠٠٠ بالإضافة إلى هاون ٦٠ ملم

خط صدر ٥٠٠ كافة الأسلحة.

الشرح: علامات الرماية لعناصر الوحدة.

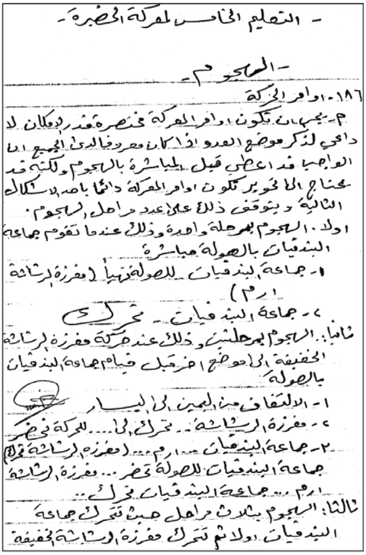

التعليم الخاص بالمعركة الحضرة

الهجوم

١٨٦- اوامر الحركة

م- يجب ان تكون اوامر المعركة مختصرة قدر الامكان لا داعي لذكر موضع العدو اذا كان معروفا لدى الجميع انما الواجب قد اعطي قبل المباشرة بالهجوم ولكنه قد يحتاج الى تحوير تكون اوامر المعركة دائما باحد الاشكال التالية و يتوقف ذلك على عدد مراحل الهجوم.

اولا. الهجوم بمرحلة واحدة وذلك عندما تقوم جماعة البندقيات بالصولة مباشرة

١- جماعة البندقيات للصولة تهيأ (مفرزة رشاشة ارم)

٢- جماعة البندقيات - تحرك

ثانيا: الهجوم بمرحلتين وذلك عند حركة مفرزة الرشاشة الخفيفة الى موضع امر قبل قيام جماعة البندقيات بالصولة

١- الالتفاف من اليمين الى اليسار

٢- مفرزة الرشاشة ... تحرك الى .... للحركة في تحضر

٣- جماعة البندقيات ... ارم ... (مفرزة الرشاشة ارم) جماعة البندقيات للصولة تحضر ... مفرزة الرشاشة ارم ... جماعة البندقيات تحرك ...

ثالثا: الهجوم بثلاث مراحل حيث تتحرك جماعة البندقيات ولا ثم تتحرك مفرزة الرشاشة الخفيفة

الشرح: متن تدريبي عسكري حول هجوم المجموعات على العدو.

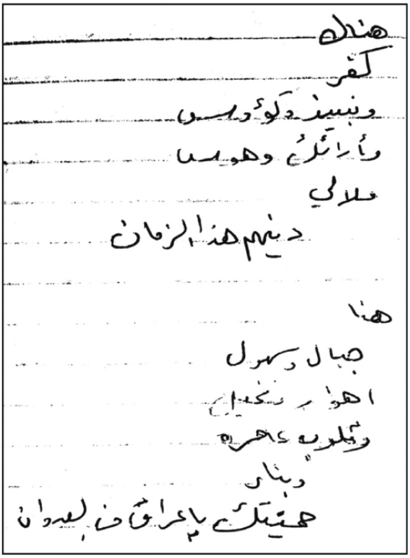

هناك
كفر
ونبيذ وكؤوس
وأرائك وهوس
فلا لي
دينهم هذا الزمان

هنا
جبال وسهول
اهوار ونخيل
وقلوب عامرة
وبناء
حميتك يا عراق من العدوان

الشرح: قطعة من الشعر تصف الجبهتين المتقابلتين. في الجزء الأول يصف الشاعر مكان جبهة العدو من وجهة نظره فيما يحكي في الجزء الثاني عن مكان جبهة الشاعر ويصف وطنه. (تظهر مدى الظلم والتجنّي على الجمهورية الإسلامية).

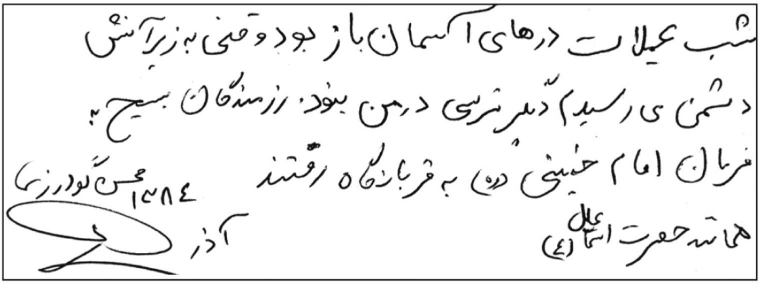

شب عملیات درهای آسمان باز بود و قتی به زیر آتش
دشمن می رسیدم دیگر ترسی در من نبود. رزمندگان بسیج به
فرمان امام خمینی (ره) به قربانگاه رفتند
همانند حضرت اسماعیل (ع)

محسن گودرزی
۱۳۸٤
آذر

1–8 **الكلام الأخير** / الوثيقة رقم 7

2- الشهيد سعيد بور كريم عربي

2-1 الهوية

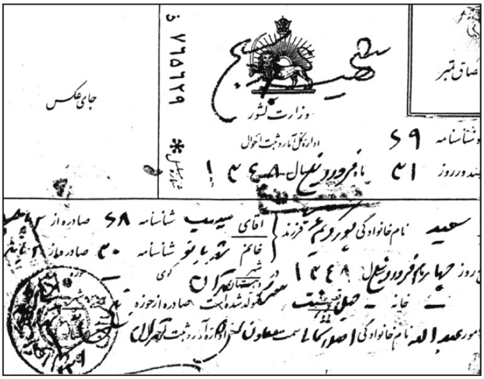
وزارت کشور
اداره کل آمار و ثبت احوال
شماره شناسنامه ۶۹
تاریخ صدور روز ۲۱ ماه فروردین سال ۱۳۴۸
جای عکس
سعید نام خانوادگی پورکریم عرب فرزند آقای حبیب شماره شناسنامه ۶۸ صادره از
خانم شهربانو شماره شناسنامه ۲۰ صادره از
در روز چهارم فروردین سال ۱۳۴۸ در شهر/دهستان تهران
خانه ... متولد شده ثبت صادره از حوزه
مأمور عبدالله نام خانوادگی اصغرنیا سمت معاون اداره آمار و ثبت تهران

الوثيقة رقم 8

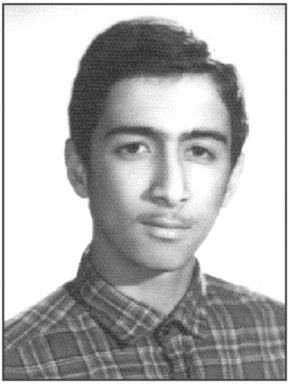

الصورة رقم 2

2-2 رسالة

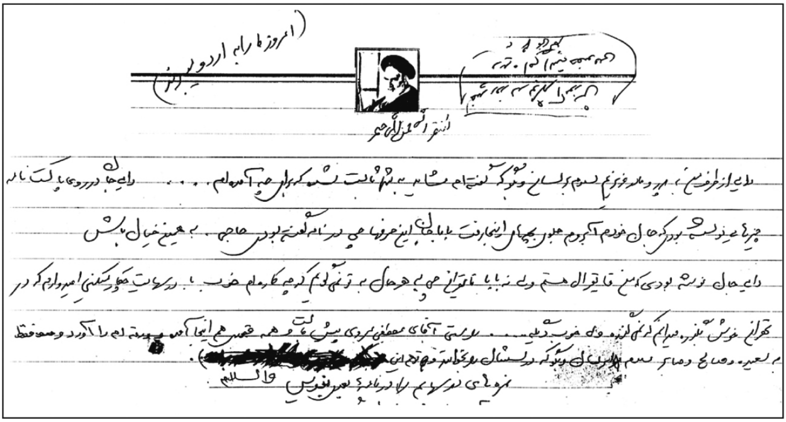
(امروز ما را به اردو بردند)
بسمه تعالی ... تهران
دایی جان درود بر تو باد یک نامه . . . [illegible]
چیزهایی نوشته بودی ... به همین خیال باش
دایی جان نوشته بودی ... امیدوارم که در
تهران خوش بگذرد ... آقای مصطفی ...
... [redacted] ...
والسلام

الوثيقة رقم 9

3-2 المدوّنات (مذكرات)

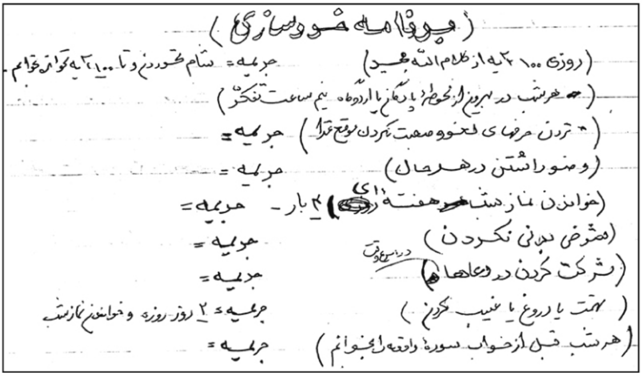
(برنامه خودسازی)
(روزی ۱۰۰ آیه از کلام الله مجید) جریمه = شام نخوردن و تا ۱۰۰ آیه نخوانم نخوابم
(هر شب در بیرون از محوطه پادگان یا اردوگاه نیم ساعت تفکر)
(ترک زدن حرفهای لغو و صحبت نکردن موقع غذا) جریمه =
(وضو داشتن در هر حال) جریمه =
(خواندن نماز شب هفته ای ۲ بار - جریمه =
جریمه =
(شرکت کردن در دعاها) در راس وقت جریمه =
(تهمت یا دروغ یا غیبت نکردن) جریمه = ۲ روز روزه و خواندن نماز شب
(هر شب قبل از خواب سوره واقعه را بخوانم) جریمه =

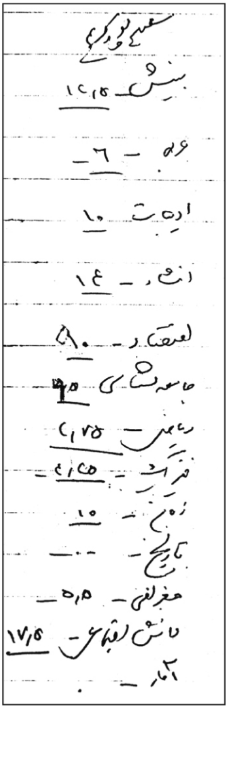

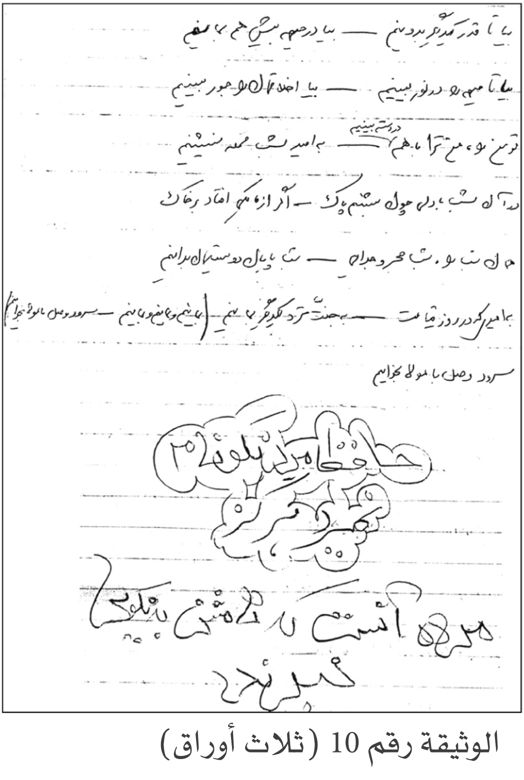

الوثيقة رقم 10 (ثلاث أوراق)

2-4

المذكرات المكتوبة

2-4-1

دفتر أحمد أحمدي زادة

الصورة الملونة لهذه الوثيقة جاءت في الملحقات الواردة في آخر الكتاب في الصورة رقم 140

2-5 الوصية

الوثيقة رقم 11 (ورقتان)

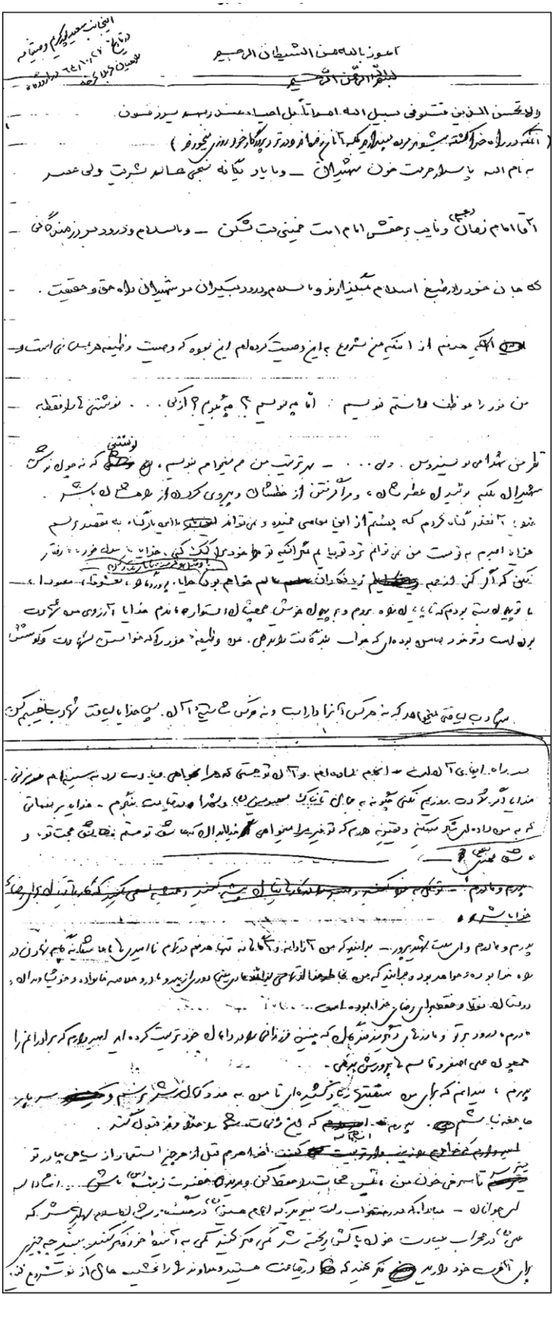

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون

6-2 مقابلة مع والدة الشهيد سعيد بور كريم

كان سعيـد مولودنا الأوّل، وقد أسميناه «سعيـد» لأنّه وُلد في أجواء عيـد النوروز (رأس السنة الهجريّـة الشمسيّـة). كان بشوش الوجه وكأنّ البسمة تعلو شفتيه باستمرار حتى في منامه. وكما يقول القدماء، الأطفال يلعبون مع الملائكة خلال نومهم.

لسعيـد أخَوان وأخت أصغر منه. كان أبوه يعمل في الحلاقة. وحيث إنّ سعيد قليلُ الشعر في مقدمة رأسه كان والده يحلق شعر رأسه بشكل دائـري ليصبح أشبه بمظلّة تغطّي رأسه الأمر الذي كان يعجبني. كبر سعيـد في ظـروف صعبة. كان والـده يشارك في النضـال ضدّ النظام الملكـي البهلوي. واعتقـل على يد لجنـة مكافحة المخرّبـين وزُجّ به في السجـن لمـدة. كان سعيد يحب ركـوب الدراجة الهوائيـة فاشترى له والده دراجـة مرتين. مع أنّه كان كثير اللعب إلا أنّه كان يبدي اهتمامًا بدروسه وفروضه، لذا لم أكن أشعر بالقلق من هذه الجهة.

عندما انتصـرت الثورة ظننت أنّي سأنعم بعيش هادئ. ولكنّ والد سعيـد التحق بالجبهة بعد بدء الحرب. كان سعيد آنذاك في السادسة عشرة من عمـره، وسرعان ما تأثر بسلوك والـده. كان سعيد شجاعًا وجريئًا بشكل لافت. فقد غيّر تاريخ ولادته من العام 1969 إلى 1967م على صورة بطاقة هويته وسجّل اسمه في مقرّ التعبئة بعد أن زوّر رسالة موافقة الأهل. خضع لدورة تدريب عسكري في طهران، وكان يأتي إلى المنـزل في كل يـوم جمعة. في نهايـة المطاف تمكّن مـن الحصول على موافقتي وموافقة والده للمشاركة في الجبهة.

كان خـال سعيد حاضرًا في الجبهة أيضًا. فكنت مرتاحة البال من

هذه الجهة، فخاله ووالده كلاهما سينتبهان له. خدم سعيد في منطقة كردستان مدة ستة أشهر.

كان من عادة العائلة الذهاب كل عام إلى «بابلسر» حيث يملك جدّ سعيد بستانًا كبيرًا. كان سعيد سبّاحًا وربّانًا ماهرًا، يسبح في الماء كالسمكة. في مازندران، كنّا نعدّ سمكًا محشوًّا بخضار بلديّة تشبه النعناع. في كلٍ مرة يكون الطعام فيها سمكًا يبدأ بالتقاط نثرات منه* ولا يتوقف فأصاب باليأس منه. كان يقول: «ماذا أفعل؟ أنا أعشق السمك».

ذات مرة قلت لسعيد ووالده: إذا أردتما الالتحاق بالجبهة فليبقَ أحدكما في المنزل، لا تذهبا معًا. هكذا كانا يتسابقان للمشاركة في الجبهة ويتناقشان حول هذا الموضوع. في كل مرة كنت أسأل فيها سعيد: «ماذا تصنع في الجبهة؟»، كان يجيبني بين الضحك والجدّ: «أقوم بالسقاية يا أمي».

في إجازته الأخيرة، ذهب ثلاثة أيام لزيارة الإمام الرضا عليه السلام. وعند عودته من مدينة مشهد، أحضر الهدايا لنا جميعًا. عندما استلمت هديّتي قبّلت وجهه. نظر في عينيّ وقال: «أنت أفضل أم على وجه المعمورة. سامحيني يا أمي العزيزة». قلت له: «يا عزيزي، أنا أسامحك؟! حتى الآن لم أصنع شيئًا من أجلك، لقد قلّت مشاغلنا هذه الأيام، وأريد الاهتمام بك أكثر».

قال: «كل ما لديّ هو ببركة جهودكم، كبرتُ وتعلّمت والآن أذهب إلى الحرب..». شعرت بالغصّة وقلت: «ولدي العزيز، لا يصيبنّك أي

* عند إعداده وسكبه في الصحون.

مكروه، سأموت إن حدث لك شيء».

قال: إنّ الله تعالى يصبّر المجاهدين وعوائل الشهداء، الأمهات دائمًا يقلن هذا.

كانت عمليات الفاو قد بدأت عندما رأيت ذات ليلة في عالم الرؤيا كلبًا مفترسًا كبيرًا يلحق بسعيد ويعضّ رجله. نهضت من نومي وأنا أصرخ من الهلع. بعد أسبوع من هذه الرؤيا أتانا خبر استشهاد سعيد. عندما أحضروا جسده وجدتهم قد ربطوا فخذه بالكوفية. كان قد استشهد من شدة النزف.

في مراسم دفنه، نظرت عدة مرات إلى وجه سعيد، كانت البسمة تعلو شفتيه كالطفل الذي يلاعب الملائكة في منامه. مسحتُ بيدي على شعره، على رأسه ووجهه. كنت أتمنّى أن أراه مرتديًا بدلة عرسه، لكنّه اختار الذهاب إلى الجبهة ليفارقنا في آخر المطاف بثوب مخضّب بالدم والتراب.

عندما سألت عن كيفيّة استشهاده قال لي زملاؤه كان سعيد رامي آر بي جي.

أدركت أخيرًا أيّ عمل صعب كان على عاتق سعيد في الجبهة.

استشهد سعيد ورفيقه أكبر مدني جنبًا إلى جنب. كان مدني مساعدًا له. أُصيب كلاهما برصاص العدو بالخاصرة والرجل لتشبّ النار في حقيبة ذخائر أكبر ويستشهد على الفور، بعد ذلك بقليل استشهد سعيد من شدة النزف.

بعد شهادة سعيد تعرّفت أكثر إلى عائلة الشهيد مدني، فقد دُفن شهيدانا في الصفّ ذاته في قطعة واحدة؛ الواحد إلى جانب الآخر.

7-2 عنوان القبر

طهران، جنة الزهراء، القطعة 53، الصف 62، الرقم 8

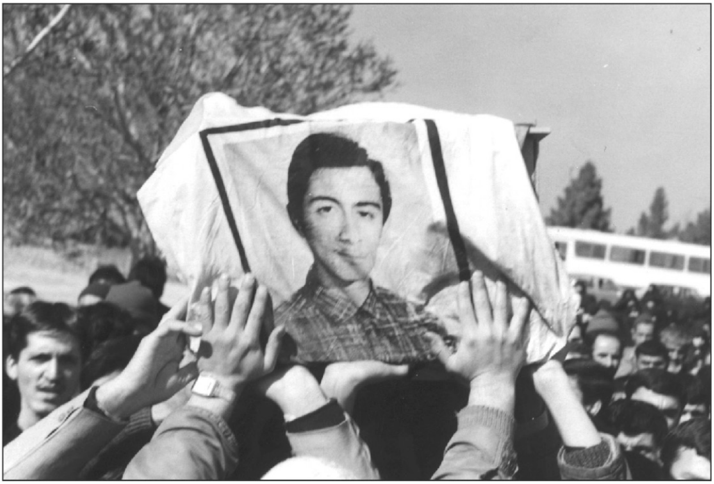

الصورة رقم 3

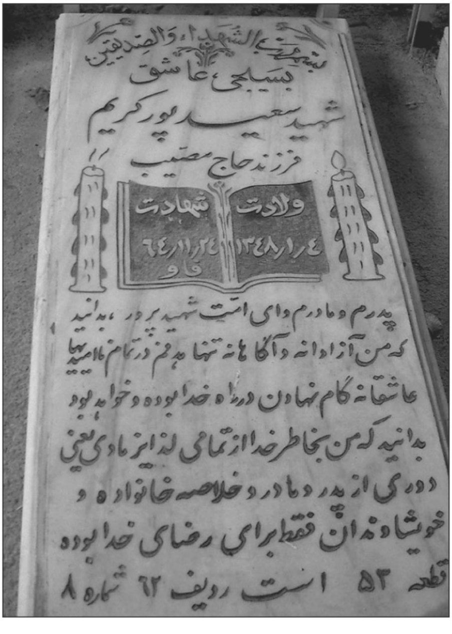

الصورة رقم 4

3 - الشهيد أكبر مدني

3–1 الهوية

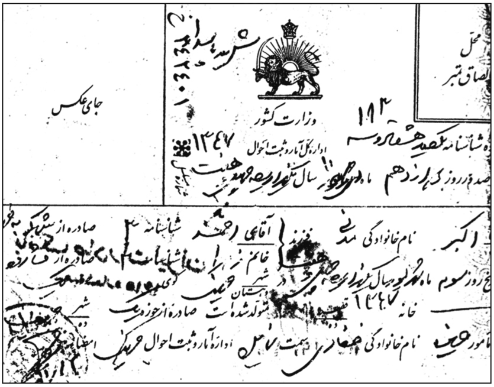
محل الصاق تمبر
وزارت کشور
اداره کل آمار و ثبت احوال
۱۳۴۷
جای عکس
اکبر نام خانوادگی مدنی فرزند آقای احمد شناسنامه
خانم
خانه
متولد شده است صادره از حوزه
نام خانوادگی سمت اداره آمار و ثبت احوال

الوثيقة رقم 12

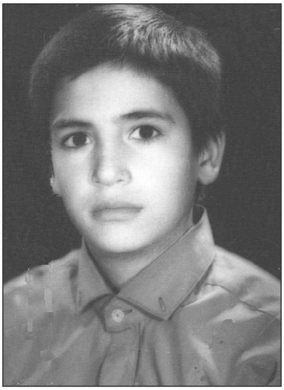

الصورة رقم 5

3–2 موضوع إنشائي من المدرسة

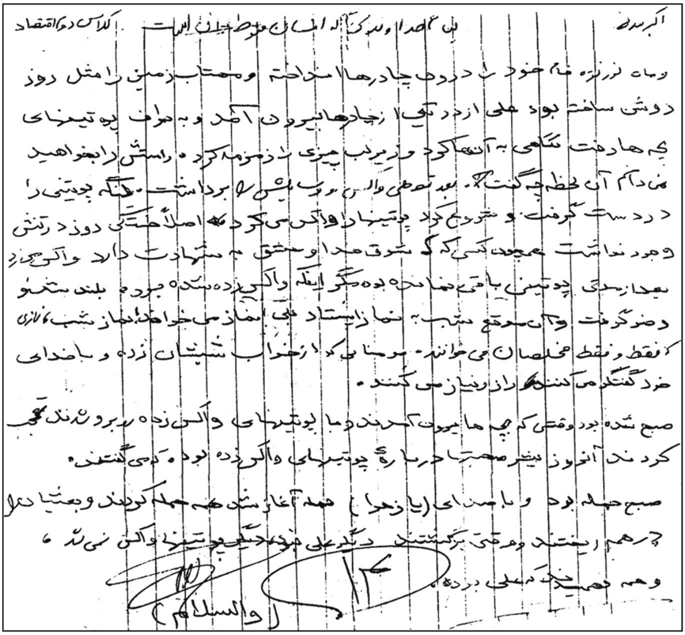
اکبر مدنی — کلاس دوم اقتصاد
وساعت نزدیک دو بود ... درون چادرها استراحت و مهتاب زمین را مثل روز
روشن ساخته بود علی از در یکی از چادرها بیرون آمد و به اطراف پوتینهای
بچه ها رفت نگاهی به آنها کرد و زیر لب چیزی را زمزمه کرد . راستش را بخواهید
نمی دانم آن لحظه چه گفت . بعد قوطی واکس و برس را برداشت . لنگه پوتینی را
در دست گرفت و شروع کرد پوتینها را واکس می کرد که اصلاً خستگی روز در تنش
وجود نداشت همچون کسی که شوق خدا و عشق به شهادت دارد واکس می زد
بعد از مدتی پوتینی باقی نمانده بود دیگر اینکه واکس زده نشده بود . بلند شد و
وضو گرفت و آن موقع شب به نماز ایستاد نمی دانم می خواهد نماز شب نمازی
که فقط و فقط مخلصان می خوانند . مومنانی که از خواب شبشان زده و با خدای
خود گفتگو می کنند و راز و نیاز می کنند .
صبح شده بود وقتی که بچه ها بیرون آمدند و با پوتینهای واکس زده روبرو شدند تعجب
کردند آن روز بیشتر صحبتها درباره پوتینهای واکس زده بود . همه می گفتند .
صبح جمعه بود و با صدای (یا زهرا) حمله آغاز شد همه حمله کردند و بعضیها ...
درهم ریختند و وقتی برگشتند دیگر علی نبود دیگر پوتینها واکس نمی شد ،
و همه فهمیدند که علی برده .
(والسلام)
۱۴

3–3 المذكرات المكتوبة

3–3–1 دفتر أحمد أحمدي زاده

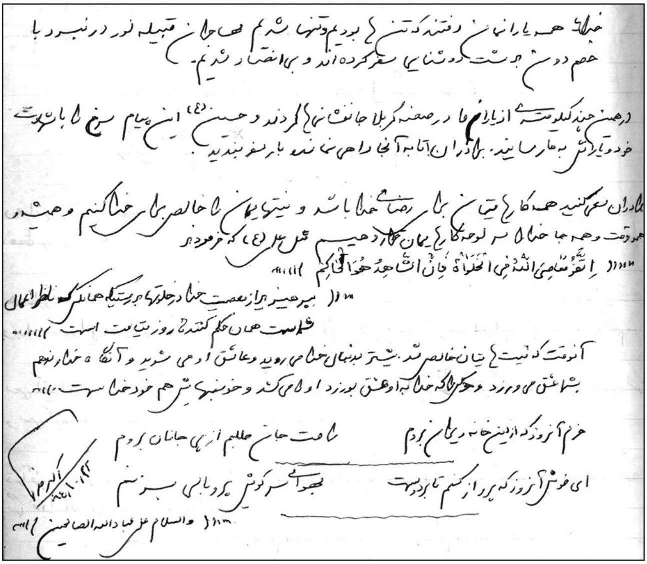

الوثيقة رقم 14

3–3–2 دفتر محمد جواد نصيري بور

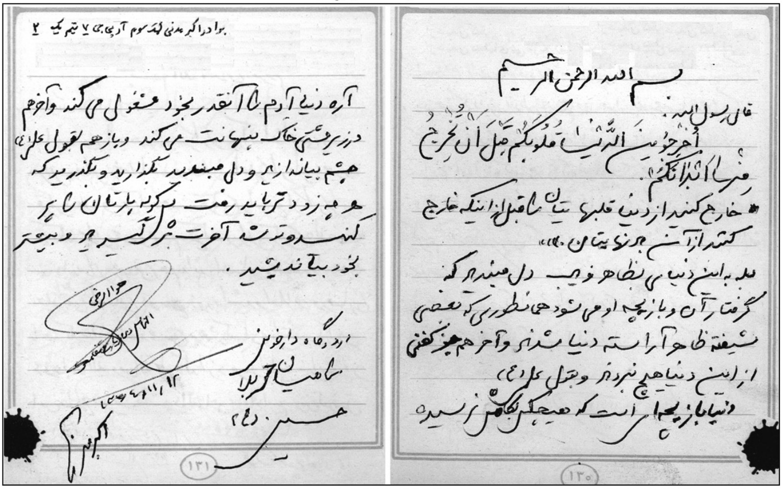

الوثيقة رقم 15 (ورقتان)

4-3 الوصية

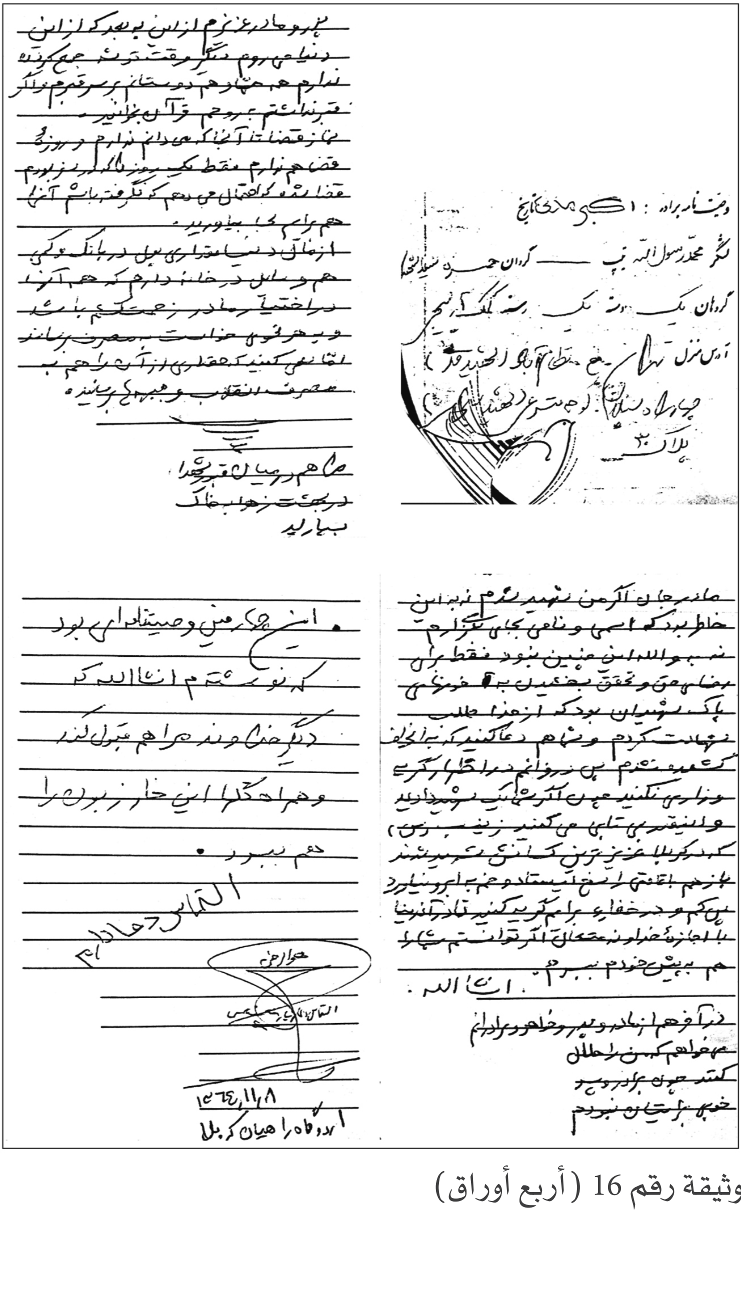

الوثيقة رقم 16 (أربع أوراق)

3-5 مقابلة مع والدة الشهيد أكبر مدني

وُلد ابني الرابع في قرية «تشهل رز» التابعة لمدينة محلات. أسميناه «أكبر». عندما قصدنا مدينة طهران للإقامة هناك لم يكن قد مضى عام على ولادته. استأجرنا منزلًا، ومنذ ذلك الحين نسكن في مدينة طهران. في القرية، كان والد أكبر يعمل في الزراعة والبستنة. أمّا في طهران فقد فتح دكانًا لبيع المواد الغذائيّة، وشيئًا فشيئًا تحسّنت معيشتنا، لكن «أكبر» بقي دائمًا محبًّا للعمل في البستنة ويترقّب ذهابنا إلى القرية في كل سنة. في المدرسة، لم يكن أكبر محل ثقة الأساتذة فحسب، بل كان كذلك بالنسبة إلى مدير المدرسة أيضًا، لذلك غدا مسؤولًا عن بيع أصناف المتجر في المدرسة. كان أكبر يحب التخطيط. وعلى الرغم من أنه لم يكن لديه معلّم خاص كان فنّانَ خطّ بإمكانه أن يخطّط بالخط العريض بشكل جيّد. بالنسبة إلى الثياب، كان لباسه عاديًّا، وكان يفضّل الأحذية والثياب البسيطة على الأجناس الثمينة والفاخرة. كان طعامه المفضّل الجبن والخبز البلدي والقروي، يتناولهما بشهيّة. في إحدى السنوات ابتعتُ له كتبًا جديدة في بداية العام الدراسي، وبعد مضيّ عدة أشهر وجدت أنّ كتبه كلّها صارت قديمة. ما القصة؟ كان أكبر قد أهدى كتبه إلى أحد التلامذة فاضطر إلى تأمين كتب مستعملة ليدرس فيها.

في بداية السنة الثانوية الثانية، أراد الالتحاق بالجبهة. لم يكن عمره يزيد عن ستة عشر عامًا. رفضت أنا وأبوه هذا الأمر. زوّر نسخة عن بطاقة هويّته الشخصيّة ما أتاح له تسجيل اسمه في مقرّ التعبئة. ولكنّه اعتذر منّي ومن والده قبل التحاقه بجبهة كردستان عن هذه الفعلة التي قام بها، ثم ذهب بعد ذلك.

في الشتاء، كانت خدمته في جبال كردستان الباردة. مضت فترة لم يتّصل بنا هاتفيًّا ولم يرسل لنا أيّ رسالة. نفد صبرنا في آخر المطاف، فذهب والده إلى كردستان ليطمئن إليه، وأرسلتُ له مع والده حذاءً كتّانيًّا ليؤمّن الراحة له في الجبهة. عندما عاد من كردستان كان جسمه مثخنًا بالجراح ومليئًا بالبثور، كان يعاني من تقرّحات جلديّة دائمة. فبسبب البرد القارس كان المقاتلون يمضون معظم أوقاتهم داخل الدشمة حيث لا مراعاة لأمورهم الصحيّة.

لم ينتعل أكبر الحذاء الكتّاني الذي اشتريته له، وأحضره معه إلى المنزل وقال: «أمي، أوصلي هذا إلى مركز إمداد الجبهة، فالمقاتلون الآخرون أكثر حاجة منّي إلى هذا الحذاء. عندما حصل على راتبه الأوّل من التعبئة، أعطى جزءًا منه للفقراء واشترى بما تبقّى هديّة لأخته الصغيرة. لقد غيّرت الجبهة خُلُقَ ابني وسلوكه بالكامل. كان يقرأ القرآن والدعاء كلما سنحت له فرصة. في منتصف إحدى الليالي سمعت صوت بكاء يأتي من غرفة أكبر. قلقتُ ودخلت إلى غرفته بشكل مفاجئ، أضأت المصباح لأجد أكبر قد جلس في إحدى زوايا الغرفة يصلّي صلاة الليل ويبكي. كان وجهه رطبًا، احتضنته ووضعت وجهه على وجهي وقلت: «لِمَ تبكي يا ولدي؟ ادّخِر دموعك هذه لتذرفها على قبري».

- أطال اللّه عمرك يا أماه.. ما هذا الكلام!

قبّلت وجهه وجبهته مرة أخرى. بالنهاية ماذا تستطيع الأم أن تقول؟ كنت أفتخر بأكبر. حتى إنّي قبّلت يده وقلت: «أنت مجاهد يا ولدي».

قبّل جبهتي وقال: «أمي الحبيبة، كل ما أنا عليه هو من لطفك وببركة دعائك لي».

في خريف العام 1985 وشتاء 1986 كان أكبر موجودًا في الجبهة. في إحدى إجازاته التي أتى بها إلى المنزل كان قد خضّب يديه ورجليه بالحنّاء. قلت له: «ما الذي يجري في الجبهة يا ولدي؟».

- نخضّب أنفسنا استعدادًا لليلة الهجوم.

- سأصنع لك الحنّاء بنفسي ليلة عرسك.

ثم أشرتُ إلى السجادة الملفوفة في زاوية الغرفة وقلت: «اذهب وارجع سالمًا إن شاء الله.. لقد خصّصت هذه السجادة لبيتك».

احمرّت وجنتا أكبر وأطرق برأسه إلى الأرض. لم أكن لأشبع من رؤيته. فقد قصّ شعره مؤخّرًا وخضّب نفسه بالحنّاء. حقًّا كان يبدو كعريس. كان شباب القرية في عمر أكبر ينتقلون إلى بيت الزوجية.

أعطاني مالًا لأشتري له قطعة من القماش وقال: «سأعود بعد مضيّ أربعين يومًا».

في اليوم الأخير من إجازته، قدّمت له الجبن والزبدة والخبز البلدي. أكل بشهية وقال: «في هذه الأيام عديد القوات في الجبهة كبير. فهم كما يقول الشباب لا يأنفون أكل الخبز اليابس والمتعفّن، يأتون بالجبن من المصانع ولا مذاق له. فضلًا عن أنّهم لا يقدمون لنا إلا اليسير من الطعام».

عند خروجه جعلت القرآن فوق رأسه فمرّ من تحته ولكنّه لم يسمح لي أن أصبّ الماء خلفه. وقال: «أمي، سأعود بعد أربعين يومًا».

أثناء الوداع، رجع مرات عدة ورمقني بنظراته. كانت تلك المرة الأخيرة التي رأيته فيها. في اليوم التالي لذهابه بدأت أعدّ الأيام حتى يرجع ولدي من الجبهة.

ذات يوم، بثّت الإذاعة موسيقـى العمليات العسكريّة. لقد تحرّرت الفـاو. كانـت أختـه الصغيرة قـد رأت في عـالم الرؤيـا أنّ أخاها قد استشهد، وقد حصل ذلك قبل أن يصلنا خبر استشهاده. أقلقتني رؤيا الطفلة ذات الخمس سنوات وأصبحتُ أعدّ الأيام بصعوبة إلى أن أتانا خبر استشهاده في اليوم السادس أو السابع والأربعين.

كانت ثيابه محترقة وكذلك بدنه. كأنّ نارًا شبّت فيه من ظهره إلى أسفـل قدميه. كما إنّ جزءًا من لحم فخذه لم يكن موجودًا، أما وجهه فـكان سالمًا. احتضنته وتذكرت صلواتـه في الليل. قلت له: «ألم تعدني بأنّك ستعود بعد أربعين يومًا؟ يا ولدي، يا أكبري..».

لقـد أرّقني بُعـد ولدي وغيابه عنّـي. كان العـام 1364ش. يشارف علـى نهايتـه (آذار 1986)، نفـد صبري ولم يعد يهـدأ لي روع. وكنت كلّما يمضي يوم أزداد شوقًا إليه. رأيت أكبر ذات ليلة في عالم الرؤيا: ذهبت برفقته إلى بستان كبير، البستان الذي لطالما تمنّاه، فيه أشجار كبـيرة مليئـة بالثمار، وعينٌ ماؤها عـذب زلال. جلسنا في غرفة وسط البستـان قـد فُرشت أرضهـا بسجّادة كبـيرة واسعة، هـي ذاتها تلك السجادة المحبوكة يدويًّا والتي كنت قد اشتريتها لمنزل ابني.

فرحتُ كثيرًا. عندها جاءت فتاة جميلة تلبس عباءة بيضاء وجلست إلى جانب ولدي، وبدآ بالترحيب والاهتمام بي.

لا أنسى أبدًا رؤيـا ولدي وذلك البستان الجميل، لقد كان كلّ شيء تمامًـا كمـا أراده أن يكون. مـذّاك نسيت حزني وألمـي. لا أعلم كيف، ولكنّـي سلّمـت ابني «أكـبر» للّه. وكنت أعلم أنّه يعيش مع الملائكة في السماء.

الصورة رقم –6

من اليسار: سعيد بور كريم، أكبر مدني، غلامرضا نعمتي، حسين كلستاني

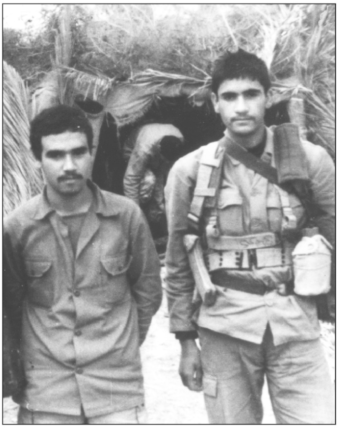

الصورة رقم –7

من اليمين: أكبر مدني

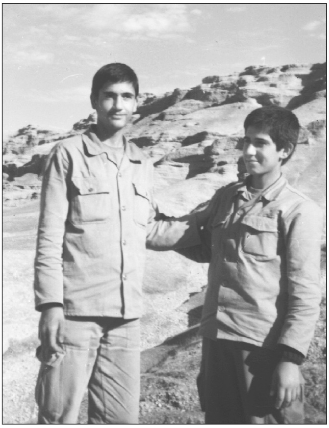

الصورة رقم –8 من اليسار: أكبر مدني، محمد عليان نجادي

6–3 **عنوان القبر**

طهران، جنة الزهراء، القطعة 53، الصف 62، الرقم 6

الصورة رقم 9

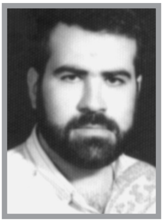

الراوي: أصغر علي محمد بوراهر

التشكيل: مساعد أوّل رامي آر بي جي، المجموعة الأولى

تاريخ ومكان الحوار الأوّل: طهران / 1992م

الفصل الثاني

المغمور[1]

التحقتُ بالجبهة مباشرةً بعد حصولي على شهادة الثانوية العامة. كانوا يرسلون الملتحقين الجدد إلى منطقة كردستان. خدمت عدة أشهر في غربي البلاد خلال العام 1983م. في العام 1984م عند ذهابي إلى الجبهة التحقتُ بكتيبة المشاة والاقتحام، أي كتيبة حمزة في فرقة «محمد رسول اللهﷺ»، السرية الأولى، فصيل الإيمان.

كان ابن عمّي مسعود أهري يرغب أيضًا في الالتحاق بالجبهة، ولكنه كان صغير السن ولا يستطيع الالتحاق من دون تحصيل موافقة خطيّة من والديه. كان يدرس في الصف الثانوي الأوّل ويعيش في منطقة فرديس التابعة لمدينة كرج. قبل انتصار الثورة، عشنا في منزل واحد في منطقة «مجيدية» في مدينة طهران. كنتُ أكبره بثلاث أو أربع سنوات، ولم يكن طوله يتجاوز كتفي. لم أكن أنا ومسعود من عائلة واحدة فحسب بل كنا صديقين حميمين.

1 - أو: خامل الذكر.

في خريف العام 1984 التقيتُ بمسعود في إحدى إجازاتي، وطلب منّي أن أساعده ليلتحق بالجبهة. كان عمّي معارضًا لذهابه ولم يكن ليوافق أبدًا. في تلك الأيام المعدودة لم تأتِ مساعيَّ بنتيجة، حتى أنّ عمّي كان منزعجًا من محاولاتي هذه. عندما أدركتُ صعوبة الموقف، اتفقتُ مع مسعود أن أساعده خلال وجودي في الجبهة؛ إما هاتفيًّا أو من خلال الرسائل المرمّزة، وإلا لو لم تكن الرسائل كذلك ووقعت في يد عمي لأحدثت مشكلة.

لم تكن زوجة عمّي متشدّدة في مسألة التحاق ابنها بالجبهة، فهي كانت تعلم أنّه سيكون إلى جانبي هناك. أمّا عمّي، نظرًا لعمله في المستشفيات الحكومية مساعدَ طبيب، فقد عايش آلام ومعاناة عدد كبير من الجرحى، فلم يرغب أن يلقى ابنه الأكبر مصيرهم، ويُبتلى بهذه البلاءات، خاصة أن أحوالهم المعيشية كانت قد تحسنت في الفترة الأخيرة بعد سنوات مديدة من المصاعب والعناء. كان عمّي يقول لمسعود: «ولدي العزيز، احصل على شهادة الثانوية العامة ومن ثم اذهب إلى الجبهة.. هذه الحرب مستمرّة حتى المستقبل البعيد..».

بطبيعة الحال، لم يكن عمّي غريبًا عن الحرب والجبهة، فقد كانت طبيعة عمله تقتضي أن يخدم شهرًا من كل عام في مستشفى أو مستوصف في مناطق الحرب. لكن تلك السنة مرّت بصعوبة على عائلة مسعود، فقد استشهد خاله في الهويزة.

كتبت لمسعود عدة رسائل أثناء حضوري في الجبهة، وذكرت له ما أعرفه عن الجبهة وشرحت له أوضاعها، لكن بسبب صغر سنّه لم يكن متاحًا له أن يلتحق بالجبهة بالطرق الطبيعية. أوصيته في آخر رسالة بعثتها له أن: عليك التلاعب بصورة الهوية. طبعًا لم أرسل له هذه الوصيّة بشكل صريح، إنّما بشكل مرمّز. بعد أن عمل مسعود

بنصيحتي أصبحت سنة ولادته في الصورة المنسوخة عن هويته 1967 بدلًا من 1969م. وهكذا أصبح عمره على الهويّة أكثر بسنتين من عمره الواقعي. بعد ذلك سجّل اسمه في مقرّ التعبئة والتحق بالتدريب العسكري. أدرك والده ذلك بعد فوات الأوان، ولكن مسعود ولكي يطيّب خاطر والده ويحصل على رضاه، اختار خلال خضوعه للتدريبات العسكرية اختصاص الإسعاف الحربي، وبإقدامه على هذا الخيار، برهن لوالده عن رغبته بالعمل في المجال الطبّي.

يُذكر أنّه قَبْل التحاقه بالتدريبات العسكرية وخلال عدة فصول صيفيّة مضت، كان مسعود قد زاول عملًا في الصيدلية وكان ذلك بناءً على طلب والده. لهذا السبب، اكتسب خبرةً بالأدوية والأدوات الطبيّة، وعندما أنهى دورة الإسعاف الحربي خلال التدريبات العسكريّة كان يُعدّ حينها مسعفًا ماهرًا وذا خبرة وتجربة.

أخيرًا في شتاء العام 1985، تحقّق حلم مسعود مع وصوله إلى ثكنة «دوكوهه»، وأصبحنا نخدم معًا في الكتيبة والسرية ذاتها. في تلك السنة نُفّذت عمليات بدر، ومن خلالها عرفتُ «مسعود» أكثر من ذي قبل. في ليلة الهجوم، تقدّمنا كيلومترات إلى الأمام ووصلنا إلى قلب العدو. لكن بسبب الأزمة التي تعرّضت لها الكتائب المجاورة صدرت الأوامر بالانسحاب. وصلنا إلى قرية عراقية وتوقفنا فيها لفترة قصيرة. استغلّ مسعود هذه الفرصة ليهتم بالجرحى فغيّر ضمادات جراح من كانت جراحهم عميقة.

استأنفنا سيرنا من جديد، وقبيل الغروب عندما أَنْهَكَنا التعب، احتمينا خلف ساتر ترابي يبعد مسافة خمسمئة متر إلى الخلف من تلك القرية. فيما كان الجنود البعثيّون يتعقّبوننا، وكان علينا أن نستقرّ في مكان مناسب. خلف هذا الساتر، راح مسعود يقلّب حقيبة إسعافه،

قال لي وقد بدا الاستياء على وجهه:

- .. المقصّ.. لقد فقدت مقصّي.. لقد بقي في تلك القرية بكل تأكيد. عليّ أن أذهب لإحضاره.

- أولا ترى البعثيّين؟ عشر دقائق ويسيطرون على المنطقة هناك.

كان الاضطراب والفوضى يلفّان الكتيبة، ونحن مشغولون بالانسحاب، بينما يصرّ مسعود على أن يحضر مقصه ويقول:

- ماذا عساي أفعل من دون مقصّ.. لا أملك سلاحًا، لا يصحّ أن لا أهتم بالجرحى.. عَمَلُ المسعف لا يتمّ من دون مقصّ.

فجأةً وضع يده على كتفي وقال: «قل للقائد سأعود حالًا». قال هذا ومضى مسرعًا كسهم انطلق من كبد القوس. أطلق البعثيّون وابلًا من الرصاص، ولكنّه تمكّن من التنقّل بسرعة ورشاقة داخل القنوات والخنادق ليصل إلى القرية ويعود حاملًا مقصّه. ألقيت نظرةً على طوله وقامته فوجدته رفيع البنية ولمّا يصبح عريض المنكبين بعد، ولكنّي غبطته على شجاعته والتزامه ومعرفته بمسؤوليّته.

في تلك الليلة، كان علينا أن نقوم بالحراسة لحفظ الأمن. بعد تحديد المسؤول نوبات الحراسة بيننا. كانت نوبتي قبل نوبة مسعود التي تبدأ بعد منتصف الليل قبيل السحر، إذ إنّ مكان استراحتنا في الخندق نفسه. انتهت نوبتي في وسط الليل وحانت نوبة مسعود. كنت أهمّ بإيقاظه، لكنّ قلبي لم يطاوعني، فقد كان غارقًا في نومه الهادئ رغم دويّ انفجارات قذائف الهاون التي كانت تتساقط فوق رؤوسنا فلا تدع أحدًا ينام ملء عينيه. ومسعود ملتحف بجدار الخندق حتى بان جزء من رأسه خارجه. فجأةً، سقطت قذيفة هاون إلى جانب رأسه بالضبط، فأصابت شظايا منها بدنه ليستيقظ من نومه مشوّشًا

مرتعـدًا ومصدومًـا. كانت الدمـاء تتدفّق من ثقب دائـري صغير في رأسـه مصدرةً صوت بقبقة. قَلقتُ عليه، وعندما ضمّد المسعف الآخر جرحه ناديتـه مضطربًا، لكن كَأنه لم يسمع صوتي أو لم يعرفني، كان فمه وفكّه يرتجفان بشكل واضح.

بعـد أن فـرغ المسعف من عمله نقله إلى الخلـف. لم يتبقّ إلا القليل حتـى يطلع الفجر. أدّيـت صلاة الصبح مـن دون مسعود ودعوت اللّه كثيرًا ليمنحه الشفاء، ربما كنتُ أجد نفسي مطالبًا أمام والديه بشكل من الأشكال. فأنا من عمل على إحضاره إلى الجبهة.

بعدمـا وصلـتّ عمليات بـدر إلى خواتيمهـا ذهبت في إجـازة إلى طهـران وكرج. كانت حـال مسعود قد تحسّنـت، فلحسن الحظ كانت الشظيّـة قد حفّت برأسه ولم تخترق الجمجمـة، إذ كان رأسه ملفوفًا بعصابة دائرية كبيرة. قلت له ملاطفًا:

- لقد أصبحت شيخًا يا مسعود؟!

- الجبهة جامعة وحوزة علمية وهذه شهادتها!

اطمأننـتُ عندمـا رأيتـه. لم أكن لأحتمـل النظر في عينـي أمّه إن أصابـه مكروه. يومذاك كانت أمّه قـد أعدّت الحلوى التي كان مسعود يحبّهـا كثيرًا، حتى إنّه كان يعدّها بنفسه أحيانًا. ذات مرة صنع حلوى بالعسل، لم تكن دسمة كثيرًا ولا حُلوة كثيرًا، وأثناء إعداد تلك الحلوى كان مسعـود وأمه يرتجـزان ويتفاخران، وصـادف أن كنتُ الحكم في هذه المنافسة.

خـلال الشهرين الأوّلين من ربيع العـام 1985م، كان مسعود يعاني من آلام رأس عجيبة أثّرت على عينيه أيضًا، فكانتا تؤلمانه بشدّة. الأمر الـذي جعل والده يراقبه ليلًا ونهـارًا، ويُخضع كلّ خبراته الطبيّة عليه

عسى أن تتحسّـن حاله. في أحد الأيام، أخبرني عمّي قصة حدثت مع مسعود عندما كان له من العمر اثنا عشر عامًا؛ رافقه إلى المستوصف فساءت حاله متأثّرًا من رؤية الدم في غرفة العمليات العياديّة.

بعد مشاركته الأولى والقيّمة في الجبهة وفي عملية بدر، غدا مسعود شخصًا آخر؛ أصبح رجلًا صقلته التجربة وصار ذا خبرة. ومنذ ذلك الحين لم يعد يحتاج إلى مساعدتي أثناء خدمته في الكتيبة العسكرية. لقد كان مسعفًا ماهرًا وخبيرًا، لم يكتفِ بعمله مسعفًا، ففي ذلك العام خدم في اختصاصات أخرى أيضًا. انتهت إجازتي في شهر نيسان وعادت كتيبة حمزة إلى الثكنة. كانت إجازة لخمسة عشر يومًا كفيلة برفع عناء العمليات عنّا. وبعدها بشهر، رأيت «مسعود» في الكتيبة فسألته:

- لماذا لم تأخذ فترة استراحة؟

- لقد انتهت إجازتي المرضيّة.

- كان بإمكانك أن تسوّي حسابك في الجبهة فترتاح أكثر، ثم تلتحق من جديد بعد شهر أو شهرين.

- كلا، كان عليّ أن آتي، لا أستطيع البقاء بعيدًا عن الجبهة. يقولون إنّ عمليّة كبيرة ستُنفّذ قريبًا.

- هل عمّي وزوجة عمّي موافقان؟

- لقد اعتادا على طبيعتي وسلوكي. لقد وعدتهما أن أعود سريعًا.

كانت الكتيبة بحاجة إلى إعادة تأهيل بعد العمليّة. تمّ اختيار حوالي ثلاثين عنصرًا من الشباب للتدرّب على الغطس. كنت واحدًا منهم. كان مسعود يرغب بالانضمام إلينا أيضًا، لكن لم يتسنّ له ذلك، وبالرغم من أنّه كان سبّاحًا ماهرًا يجيد سباحة الضفدع والزحف وكذلك كان يستطيع حبس نفسه جيّدًا، إلا أنّهم قالوا إنّ

تدريـب الغطس غير مناسب لمن هم دون الثمانية عشر عامًا، لا يمكنه الالتحاق. أصرّ مسعود ولم يُفلح.

ذهبـت إلى مينـاء بوشهـر ومكثنا هنـاك أسبوعين للتـدرّب على الغطسـ. وقـد كان هنـاك وحدات كثيرة مـن الحرسـ والجيش وقد جُهّـزت بتجهيزات كثيرة. وبعد انتهـاء دورة التدريب رجعتُ إلى ثكنة دوكوهه.

خـلال هذه المـدة درس مسعـود دروسـه للسنة الثانية مـن العلوم الاختباريّـة، وقـد سُرّ عمّي بسماعـه هذا الخـبر، وكان ذلك جليًّا في رسائلـه. طار مسعود مـن الفرح إذ استطاع أن يكسـب رضى والديه. لقد بلغ مناه فصار يتابع درسه ويشارك في الجبهة.

قبـل عملية بدر كانت الفصائـل في الكتيبة تسمّى بأسماء من قبيل الإيمـان والإخلاصـ و.. تغـيّرت هـذه الأسماء في صيـف العام 1985 بعـد إعادة تأهيـل الكتيبة، فصارت: الفصيـل الأوّل والثاني والثالث. الفصيـل الأوّل هـو ذاته فصيل الإخلاصـ القديم. وقد سبـق لنا أنا ومسعـود أن خدمنـا في فصيلي الإيمـان والإخلاص حيث كان محسن كلستـاني معاونًا في الفصيل الأوّل الذي كان يخدم فيه عناصر قدامى أمثال محمد أمين شريعتي وغـلام رضا نعمتي. كانا كلاهما تلميذين وكانا زميلَي دراسة مع مسعود. بالإضافة إلى الطب، كان مسعود يحب الأدب كثيرًا، ولطالما كتب نصوصًا إنشائية جميلة. أذكر أنّه في المرحلة المتوسطـة كتب الجملـة التاليـة: «لقد كتبـتُ كتابًا وبعتـه بأربعة عشر تومانًـا»؛ ما زلت أذكـر الجملة التي كتبها. قالت زوجـة عمّي لمسعود: «ولـدي، مـا هذا الهـراء الذي تكتبه، متـى بعت كتابًـا ولم أحط علمًا بذلـك؟!». أنا أيضًا آزرت زوجة عمّي بالقول: «أيّها السيد الكاتب، هل تريـد أن تنهب أموال الناس بطباعتك للكتـاب؟ أي قيمة هذه؟ وماذا

كتبت ليكون باهظ الثمن هكذا؟».

التحق عدة أشخاص من منطقة مجيدية بالفصيل الأوّل: «محمد عليان نجادي، سعيد بوركريم، أحمد أحمدي زاده والأخوان عبدالله وعرب علي قابل». غدا الفصيل الأوّل جمعًا حميمًا بالنسبة لي ولمسعود بعد التحاق أبناء منطقتنا بنا. من جهة أخرى كان كل هؤلاء الشباب تلامذة. كنّا في فصل الصيف وفي العطلة المدرسية، وكان من الطبيعي أن يلتحق تلامذة كُثُر بالجبهة.

في أواسط شهر تموز التحقت الكتيبة بدورة دفاعية في مدينة مهران. استغرقت الدورة شهرًا كاملًا وكانت شاقّة. آنذاك، في حرّ تموز وآب أُصيبَ الكثير من الشباب بضربة شمس. كانوا يقدمون لنا شيئًا يسيرًا من الطعام والماء البارد. مع انتهاء هذه الدورة غدا مسعود جلدًا وعظمًا بعد أن كان نحيلًا هزيلًا.

مرة أخرى حصلنا على إجازة، وفي القطار قلت لمسعود: «كم أشتهي الحلوى التي تعدّ في بيتكم.. صحنان لي وآخران لك، لقد عانينا من الجوع إلى درجة أصبحنا نخال أنفسنا غيلانًا لا يكفيهم من الطعام إلا الكثير الكثير.

في أحد أيام الإجازة، ذهبنا برفقة مجموعة من شباب محلّتنا الذين يخدمون في الفصيل الأول إلى قطعة الشهداء في مقبرة «جنة الزهراء». قرأنا الفاتحة وطلبنا المدد من أرواح الشهداء العظيمة لتعيننا على تحمّل صعوبات الجبهة. يومذاك، مضافًا إليّ ومسعود؛ كان الأخوان قابل وعليان نجادي؛ وبور كريم حاضرين أيضًا[1].

1 - حتى نهاية ذلك العام الشمسي (20 آذار 1986)، كانت أرواح جميع رفاقي في تلك الفترة قد رقدت بسلام في تلك القطعة نفسها، كانوا جميعًا يصغرونني سنًّا، وقد أدّوا دينهم إلى الشهداء.

قال أحد الشباب -لا أذكر من كان بالتحديد- جملة جميلة:

- لن نستطيع يومًا أداء حق الشهداء علينا.

كما قصدنا زيارة مراقد الشهداء رجائي وباهنر وشهداء الحزب الجمهوري الإسلامي. بعد انقضاء الإجازة رجعنا إلى ثكنة دوكوهه. هناك تقرّر أن نغادر مكاننا ونذهب إلى مخيّم الفرقة في «كوزران». استغرقت عملية الانتقال أربعًا وعشرين ساعة. طبعًا قبل ذلك قام عناصر التجهيزات في الكتيبة بنصب الخيم في ذلك المخيّم الجبلي، مخيّم في وسط الطريق بين كرمانشاه وإسلام آباد، في قلب الجبل حيث الهواء منعش وعليل.

لم يكن عديد الكتيبة مكتملًا، فالكتيبة بحاجة إلى عناصر وإعادة تأهيل. لهذا السبب، لم يكن برنامج الدورات العسكرية والتدريبات ضاغطًا. تزامنت الأيام الأولى لوجودنا في «كوزران» مع «أسبوع الحرب» وأيضًا مع بدء شهر محرم الحرام.

جاء محسن كودرزي في أواخر شهر شهريور (19-21 أيلول) إلى الفصيل الأوّل. وقد كان مصابًا بجراح في عملية بدر. كان راميًا ماهرًا للآر بي جي، وذا خبرة وتجربة متراكمة من مشاركته في عمليات عدة، وهو من العناصر القدامى في الكتيبة. عندما انضمّ إلى الفصيل الأوّل استقبله محسن كلستاني استقبالًا حارًّا. أصبح رامي (آر بي جي) ومسؤول المجموعة الأولى في الفصيل وغدوتُ أنا مساعده.

يُعتبر مسؤول المجموعة الأولى العنصر الثالث بعد مسؤول الفصيل ونائبه ويقع على عاتقه مهمة توجيه الفصيل. في عملية بدر كنت أيضًا مساعد رامي (آر بي جي) وبقيت في هذه المهمّة إلى العملية القادمة.

مضى الأسبوع الأوّل من شهر تشرين الأول، أصبح الطقس الجبلي

بـاردًا، فرجعنـا إلى ثكنـة دوكوهـه. في هـذه الأثنـاء، أصبح محسن كلستـاني مسؤولًا للفصيل الأوّل الـذي كان يعجّ بالشباب اليافعين وقد ازداد عددهم أيضًا.

انضمّ مهدي كبير زاده إلى الفصيل في شهر تشرين الأول. لم يلبث الأمـر طويـلًا حتّى أصبح هـو ومسعود صديقين حميمـين. كان هذان الاثنـان دومًا إلى جانب بعضهما البعض في المجموعة. فقد كان سعيد بوركـريم رامي الـ(آر بـي جي) الثاني في المجموعـة الأولى، ويساعده مهـدي كبـير زاده ومسعـود أهري، لهـذا سرعان ما توافقـا وأصبحا صديقين حميمين.

لقـد جمعت الجبهة أناسًا كثيريـن، إلّا أنّ حال الودّ والأنس لم تكن لتحصـل بـين أي شخصين بسهولة وكان لا بدّ مـن سبب لتتأصل هذه المـودّة والألفـة وتتعمّق. لقـد كان كبير زاده في كتيبـة حمزة في صيف وربيـع العـام 1985. لكـن العلاقة التـي أتحدّث عنهـا حدثت في هذه الفـترة. أنا أيضًـا كنت المساعـد الأوّل لكودرزي. وصحيـح أنّي رأيته مـن قبل في عملية بدر إلا أن معرفتـي ازدادت به في هذه العملية. كان كـودرزي فتًى قرويًـا ذا بنية جسديّة قويّة وقـد استهدف حوالي عشر دبابات حتى ذلك الحين.

تغـيّر قائد الكتيبة في شهر تشريـن الأوّل، والتحق بالكتيبة عناصر إضافيّـون، وأصبحت جاهزة للتدريبات العسكرية. كما تقرّر أن نغادر الثكنـة بأسـرع وقت ممكـن، إلا أنّ حدثًا مثيرًا حصـل لرامي (آر بي جي) الفصيل سعيد بور كريم:

جلـس بوركريم علـى سطح مبنى الكتيبة تخنقـه الغصّة. لقد جاء أحـد أقربائه -ويُحتمـل أن يكون خاله- ليرجعـه إلى البيت. بدا جليًّا وطبقًـا لتقريـر وكالة أنبـاء التعبئة أنّ خال بوركـريم كان على معرفة

بقائد الفرقة الذي أصدر أمرًا لمسؤولي الكتيبة يقضي بتسوية حساب[1] بوركريم وقد وصل هذا الأمر إلى مسامعه. مكثتُ قليلًا ثم صعدت إلى السطح. كان مساعداه، مهدي ومسعود، يهدّئان من روعه ويواسيانه، فيما كان سعيد يتكلّم بشكل متقطّع.

قال مسعود: «يا أخي، ليس في الأمر غصّة.. لقد مضت عدة أشهر على حضورك في الجبهة، جاهدت في الخطوط الدفاعية الأماميّة.. اذهب واسترح قليلًا وعد بعد ذلك».

أجابه سعيد: «العمليّة.. العمليّة قريبة.. أريد في ليلة الهجوم أن..»؛ لم يكد يكمل كلامه حتى أجهش بالبكاء.

قال مهدي: «يا أخ بوركريم، احترام الكبار واجب، اذهب واحصل على رضاهم وموافقتهم وَعُدْ بعد ذلك.. ربما تعود في آخر فصل الخريف».

قال سعيد: «إذا كان احترام الكبار واجبًا لماذا لا تذهبون أنتم إلى بيوتكم؟ لقد كنتُ سيّئ الحظ إذ..».

كان خال بوركريم ينتظر في غرفة مسؤول الكتيبة، ريثما يُحضِرُ سعيد حقيبته وأغراضه الشخصية لينطلقا معًا، ولكن «سعيد» لم يوافق بعد. قال مسعود: «يا أخ بوركريم، إن ذهبتَ إلى التعبئة في منطقتك تستطيع أن تقوم بعمل يوازي الجبهة، ذات ليلة من شتاء العام الماضي كنتُ في الحسينية، غلبني النعاس في آخر الليل فغفوتُ إلى جانب المدفئة. وأي نومة كانت! عند منتصف الليل، جاء والداي في أثري هلعين. كان والدي غاضبًا بحيث لم أنبس ببنت شفة. وَعَدْتُهم

1- أي معاملة مغادرة الجبهة، لمن يريد تسوية أوضاعه والعودة إلى بيته بعد أن أدّى خدمته في الجبهة.

بأن لا أعود إلى البيت متأخرًا بعدها.

ولكي أحثّ مسعود على الكلام أكثر، وحتى يتغيّر مزاج سعيد، قلت: «ألم يعاقبك والدك».

قال مسعود: «بعد ليال، ذهبت مرة أخرى إلى مركز التعبئة. أنا أيضًا كنت سيّئ الحظ مثلك: كان من المقرّر أن يبقى والدي مناوبًا تلك الليلة في المستوصف حيث يعمل، ولكنّي لم أعلم ماذا حصل، لقد حضر إلى البيت فجأة، ولمّا رأى أنّي لست في المنزل وقد أخلفتُ بوعدي حضر إلى مقرّ التعبئة، أخذ برأسي وجرّني بقوة إلى البيت. في تلك الليلة سُجنتُ لساعة في غرفة الزهور الزجاجيّة، عسى أن أُخرِج من رأسي حبّي للتعبئة وشغفي بها. ولكن هل حصل ذلك؟ لا لم يحصل لأني الآن بينكم». رسم كلام مسعود ومهدي العذب والجميل بسمة الرضى على شفتي بوركريم. وانقضى الأمر على خير بعد تدخّل معاون قائد الكتيبة؛ فقد وعد سعيد خالَه أن لا يبقى في الجبهة أكثر من ثلاثة أشهر، هذا أوّلًا، وثانيًا أن يُعوّض دروسه المدرسيّة التي فاتته أثناء خدمته في الجبهة. غمرت الفرحة رامي الـ(آر بي جي) ومساعدَيه في ذلك اليوم. اجتهدوا في دروسهم جيدًا في الأيام التالية، وحصلوا على علامات جيدة في امتحانات آخر السنة. كنت شاهدًا على جهودهم وسعيهم، وأحيانًا كنت أساعدهم في دروسهم وحلّ تمارينهم.

أخيرًا قصدت الكتيبة الشاطئ الغربي لبحيرة «سد دز» لإجراء دورة تدريبيّة على الأعمال البرمائية. لم يكن الخضوع لهذه الدورة صعبًا عليّ كثيرًا؛ إذ كنت شاركت في دورة الغطس قبل ستة أشهر في بوشهر. لكنّ غرق أحد شباب الكتيبة في البحيرة كان من حوادث هذه الدورة الأليمة. كنت أعرفه قبل ذلك، فقد شاركنا في دورة الغطس معًا. كان يعاني من مرض الصرع. في أحد الأيام وأثناء السباحة في

مياه «دز» الباردة أصيبَ بنوبة عصبية. كانت الزوارق قريبة منه إلا أنّ أحـدًا لم يكن على علم بمرضه. وعلى مرأى من أعين الجميع تخدّرت يداه ورجـلاه وغرق في الماء. بعدها، انتبه الشباب وغطس في الماء من يستطيـع منهـم حبس أنفاسـه إلى عمق عشرة أو خمسـة عشر مترًا، ولكنّه كان قد نزل إلى مكان أكثر عمقًا. حاولوا مرارًا فلم يجدوه وبعد ساعة طفا جثمانه على وجه الماء.

كان إلقـاء المحاضـرات واحدًا من برامـج خيمة الفصيـل الأوّل. فقـد كان شباب الفصيل يختارون موضوعًا بشـكل انتقائي ويتبادلون الحديث حوله لمدة عشرين دقيقة أو نصف ساعة. كنتُ مشهورًا في تلك الأيام بلقب فيلسوف الفصيل. والأصحّ أن يطلقوا عليّ لقب: المتفلسف أو قارئ الفلسفة أو الأخ الكثير الكلام؛ لأني كنت أحبّ أن أفهم فلسفة أي شـيء وأن أناقـش حوله. في تلك الأيام، كانـت حقيبتي الشخصية مليئة بالكتب الفلسفية وخاصّـة كتب الأستاذ مطهري، وقد زاد وزنها بسبب الكتب، لا بسبب اللباس والأطعمة. كان كتاب «توحيد المفضّل» المنقـول عـن الإمام الصـادق عليه السلام من الكتـب التي ترافقنـي دائمًا. ولقد قـرأت خلال خطبتي في مخيّم «سفينـة النجاة» فقرات من هذا الكتـاب: «انظر يا مفضّل.. كيف جُعلـت العينان في الرأس كالمصابيح فوق المنـارة ليتمكن من مطالعة الأشيـاء، ولم تجعل في الأعضاء التي تحتهنّ، كاليدين والرجلين، فتعترضهما الآفات».

كان مهدي كبير زاده شابًّـا نشيطًا وحيويًّا وفي الوقت نفسه، دقيقًا وعميـق التفكير. ولما كان الشباب يطلقون علـيّ لقب الفيلسوف، وكان بـدوره يرى الكتب الفلسفية بحوزتي، أصبـح ذلك مدعاةً لكي يتعرّف إليّ أكـثر. كان يسعـى إلى معرفـة علّة الوجـود وغايته. هـو كمسعود وطئـت قدماه الجبهة للمرة الأولى في شتاء العام 1985. وكان قد سبق

لـه أن خـدم في كردستان لأشهر عدة، إلّا أنّـه لم يشارك في أي عملية إلى حينهـا. كان مهدي ومسعـود كلاهما من مواليد العام 1969. ذات يـوم استعار مهدي كتاب «توحيـد المفضّل» منّي وطالعـه. كان الكتاب نثريًّـا وقديمًا تصعب قراءته وفهم مطالبـه. عندما تناقشنا معًا حول مواضيع الكتاب أدركت مدى إحاطته بعمق هذه المواضيع.

كان مهـدي يدرس في مهنيّـة الشهيد باهنر للعلـوم الكهربائيّة في منطقـة جسر ستارخان. وكان يتـوق إلى أن يصبح مهندسًا، ويتجادل في كل يـوم مـع مسعـود الذي كان بـدوره يتطلّـع إلى أن يغـدو طبيبًا، فكنـت أقول لهمـا: «حاليًّا، لا أنت مهندس ولا أنـت طبيب. عليكما أن تتدرّبا على الاصطفاف في الصفوف العسكرية وأنتما تنتعلان الحذاء العسكـريّ في هذه الجبهـات. في الوقت الحاضر، نحـن الثلاثة نعمل كمساعدي رامي (آر بي جي)، وعلينا أن نلحق بالرامي حتى نصل إلى البصرة وبغداد».

كان مهـدي ماهـرًا جدًّا في صبـغ الأحذية. ذات يـوم صبغ أحذية جميع أفراد المجموعة الأولى. طبعًا كان رضا أنصاري الذي يعمل ناقلًا للجرحـى في المجموعة الأولى يهتـم بصباغة أحذية أفـراد الفصيل. أثنـاء التدريبات البرمائيّـة، كانت الأحذية تبتلّ بالمـاء كل يوم، وكان الشبـاب يلقون أحذيتهم في فـترة بعد الظهر تحت أشعة الشمس حتى تجـفّ. ما يؤدي إلى تشقّقها واهترائهـا سريعًا. كان مهدي كبير زادة ورضـا أنصاري يصبغان ثلاثين زوجًا مـن الأحذية مرتين كل أسبوع. وبعد كل عملية صباغة، كان وجهاهما وأيديهما تبدو عجيبة غريبة.

في أربعـين الإمـام الحسـين عليه السلام رأينا الشيـخ بـروازي، هو أحد محاربي الفرقة القدامى وعالم الدين صاحب الخبرة.

كان محسـن كـودرزي يعرفه جيـدًا. حتى إنّـه دوّن مطالب عنه في

دفتر ملاحظاته للعام 1983. كان يحتفظ بكنز من ذكريات عن الشهيد همّت والشهداء القادة الآخرين في الفرقة، وكلّما سنحت له فرصة كان يتلو هذه الذكريات علينا. بقيت جملة سمعتها منه عالقة في ذهني، تركتْ فيَّ أثرًا بالغًا آنذاك: «أيها الأخوة المجاهدون، إن فاتتكم الصلاة أو الصوم فيمكنكم قضاؤهما، وبذلك توفون الدين الذي عليكم، أمّا إن فاتتكم عملية ما، فلن تتوافر فرصة أفضل لتؤدّوها.. لقد أُنجزت عملية بيت المقدس، وكذلك عمليات مسلم و«والفجر 4» وخيبر وبدر.. تنبّهوا وأنجزوا مهامّكم اليوميّة. إذا ما انتهت الحرب ولم ينجز أحدكم مهمته، لن يعود الندم عليه بأي فائدة».

أصغى مهدي ومسعود جيّدًا إلى هذه الكلمات، وذهبا إلى الشيخ بعد فراغه من الخطبة.

استمرّ الحوار والبحث بيني وبين مهدي في خيمة الفصيل حول أسرار الخلق، ولم ينقطع حتى في أيام التدريبات البرمائية الصعبة. صحيح أنّه صغير السنّ، ولكنه كان يطرح أسئلة مهمّة وكثيرة. أعطيته جميع الكتب التي أملك -تقريبًا- ليقرأها، لكن لم يكن لعطشه وأسئلته نهاية. لقد كان يبحث عن طرق الوصول إلى السعادة والخلاص، بفضول جدير بالثناء.

في أحد التدريبات، التقطنا صورًا كثيرة، فمهدي كان يملك آلة تصوير، وقد التقط الصور لجميع المواقف، الفردية منها والجماعية. أحيانًا كنت آخذ أنا أو مسعود آلة التصوير لنلتقط صورًا يكون مهدي حاضرًا فيها. لاحقًا علمنا أنّ عددًا من صور تلك الدورة تعرّض للضوء أو احترق ولم يبقَ سوى القليل منها.

رجعنا إلى دوكوهه بعد انتهاء التدريبات البرمائية. في اليومين المتبقّيين إلى حين موعد الإجازة، أصبح مسعود ومهدي زبونين دائمين

لدى الوحـدة الثقافيـة[1]، وبدآ بطـرح أسئلتهما على الشيـخ بروازي. كنـت فقط على علم بتردّدهما إلى الشيخ، ولا علم لي بماهية مواضيع البحث والنقاش.

توجّهنـا إلى طهـران في إجـازة في أواخـر شهـر تشريـن الثـاني. حصـل كلٌّ من مهـدي ومسعود على عنوان منـزل صاحبه ورقم هاتفه حيـث التقيا مرات في طهران. كانـا يتفقان على موعد في ساحة آزادي (الحريّة) لينطلقا من هناك إلى لقاء الشيخ بروازي. عندما رجعنا من إجازتنـا قال لي مسعود: «لقد ذهبت أنـا ومهدي برفقة الشيخ بروازي إلى حـوزة أمـين الدولة العلميّة للقـاء الشيخ حق شناسـ. وكان رجلًا عجـوزًا، طاعنًـا في السنّ وعارفًـا، يناهز السبعين عامًـا. لقد أعطانا أنا ومهدي ثلاثة توجيهـات كوسيلة للنجاة: «1- لا تكذبوا 2- لا تغتابوا، وإن صـادف وُجودكـم في مجلس غيبة اتركوا ذلـك المجلس 3- تجهّزوا للصلاة وتوجّهوا إليها قبل الأذان».

لم يكـن لفضول ذينـك الاثنين حـدود، وقد أدرك الشيـخ بروازي تعطّشهمـا إلى العلم فأرسلهما إلى أستـاذ خبير. بالطبع كانا يعملان بتلـك الإرشادات وبمـا يستمعان من توصيات. لم تكـن آذانهما أبوابًا ونوافذ، فصارا يسبغان وضوءهمـا مع اقتراب وقت الأذان ويشتغلان بالعبادة والصلاة قبل رفعه بعشر دقائق أو ربع ساعة.

في بدايـات شهر كانون الأول، انصـبّ اهتمام أكثر شباب الفصيل على التحضير للامتحانات المدرسيّة. كانت غرفة فصيلنا مليئة دائمًا بالأوراق والكتب والدفاتـر والأقلام. وكان البعض يدرس على السطح حيث يمكن التركيز أكثر في المذاكرة. ولمّا كانت السريّة الأولى تقيم في

1- واحد عقيدتي – سياسي.

الطابقين الخامس والأخير من المبنى، كان الشباب يصلون بسهولة إلى السطح. فكانوا يأخذون معهم غطاءً وينشغلون لساعات بالدرس وحلّ التمارين.

ذات يوم جمعة، ذهبت مع مسعود إلى أنديمشك حيث كان عمّي (والد مسعود) يخدم لمدة شهر في أحد مستوصفاتها، وقد اختار مدينة أنديمشك ليكون قريبًا من مسعود. توجّهنا إلى مستشفى الشهيد كلانتري، كانت الغرفة التي يعمل فيها عمي مزدحمة بالناس العاديّين وجرحى الحرب. عندما رأى مسعود أشرق وجهه وزال التعب عنه. عانقنا كلينا، ثم انتظرت ومسعود في غرفة أخرى ريثما ينهي عمّي عمله ويوافينا.

حللنا ضيوفًا عند عمّي على الغداء. استضافنا بحفاوة والتقطنا الصور معًا. في فناء المستشفى أشعل سيجارته وقال: «إذًا أنت تدرس في الجبهة؟ يا أصغر ساعد مسعود كي يصبح طبيبًا. فالأطبّاء يعيشون حياةً طيبة ورغيدة».

قال مسعود وهو ينظر إلى سيجارة أبيه: «أبي العزيز، ماذا يحصل لو أوصى الأطباء بدواء ولم يتناوله المريض؟ أنا أعدك أن أدرس دروسي، ولكن في المقابل عدني بأن تقلع عن التدخين فهو مضرّ بصحّتك!».

ثم أردف مازحًا: «يا أبي، املأ عينيك بالنظر إليّ كي لا تحزن إن قُطّعت يومًا إربًا إربًا».

انتزع منّي عمي القلِق عهدًا بأن أحرص على أن يتوخّى مسعود الحذر ليلة الهجوم. لقد ورث مسعود عن أبيه الجديّة والانضباط، واتّصف أيضًا بهدوء أمّه. في نهاية لقائنا لم يستطع عمي إلا أن يعانق

ولـده مجدّدًا. كأنّه أخـذ كلام ابنه على محمل الجـدّ، أو وقع في قلبه أنّ شيئًـا ما سيحـدث. في العشر الأواخر من شهر كانون الأول غادرتْ كتيبة حمزة الثكنة متوجّهةً إلى كرخة حيث كان مخيّم الفرقة الشتوي بانتظارنا. مخيّم جديد أقيم إلى جانب نهر كرخة الهائج.

استُؤنفـت في المخيّـم الجديـد التدريبـات العسكريـة والتمرينات الرياضيـة والمنـاورات والمسـيرات. في تلـك الأيـام كان طقس كرخة ماطـرًا. استخدمنـا النايلون لتغطية الخيـم ذات القماش المشمّع، ثم طليناهـا بالوحـل، ووضعنا فوقها كومات من القشّ اليابس لنحجبها عـن أعين العدو. ليلًا كنّا نُشعـل مدفأتين نفطيّتين في كل خيمة لنجبر بـرودة ليالي كرخة على التراجع والانحسـار. وإبريق الشاي لم يفارق المدفأة ليكون الماء المغلي جاهزًا لإعداد الشاي عند اللزوم.

كان الشبـاب يبادرون لإنجاز الأعمال داخل خيمة الفصيل. فكانت خيمتهم نظيفة ومرتبة على الدوام. وكان مسؤول الفصيل الأخ كلستاني مبادرًا أكثر من الآخرين. كما كانت الرياضة والليونة الصباحيّة مهمة جدًّا في ذلك الطقس البارد وتبعث الدفء والحيويّة في الشباب.

كان التدريـب والتمرين العسكري اعتياديًّـا لأمثالي، بينما لم يكن كذلك بالنسبـة لأكثر شباب الفصيل، الذيـن التحقوا بالجبهة للمرة الأولى، ولم يشاركوا في العمليات العسكرية من قبل، فكان ذلك مشوّقًا بالنسبـة إليهـم. كان صغـار السـنّ يعتبرونني ومحسن كـودرزي من القدامـى في الفصيل، وقـد اكتسبَ محسن خبرة عسكريـة وميدانيّة جيدة بينما كنتُ مشهورًا في الفلسفة والتنظير.

في طقـس شهر كانـون الثاني البـارد ذاك، اشترينـا اللّفتَ مرات عـدة وقمنا بطهوه باستخدام مدافئ الكاز التي بحوزتنا. كانت رائحة اللفـت تنتشـر في أنحاء الخيمة فتزيـد من شهيّتنـا ورغبتنا في تناول

الطعـام. كذلك رجع بعض الشبّان من الذيـن امتنعوا بادئ الأمر عن تناول اللفت عن قرارهم، بعد أن استمعوا إلى كلام من هم أكبر منهم سنًّـا في الفصيل فأدركوا أنّ للّفت فوائـد وعلموا أنه يحتوي على مادة البنسلين ويمنع الإصابة بالزكام و..

كان إمام الصلاة في خيمة الفصيل حاجًّا مسنًّا. في بعض الأحيان حين تمطر بشدّة، كانت صلاة الجماعة تقام في خيمة الفصيل بإمامة الحـاج رحيمي. كان الشباب يجلّونه ويكنّـون له احترامًا خاصًّا. كانوا أيضًا يمازحونه ويحادثونـه. ذات يوم حدث تحدّ بين نعمتي وبوركريم وبـدآ المصارعة. ثم انضـمّ إليهما الباقون كلّهـم، وراحوا يتصارعون اثنـين اثنـين، وتحوّلـت الخيمـة إلى حلبـة للمصارعة. تذمّـر الحاج رحيمـي من هذا العمل وقال: «ليس لائقًا أن تُحدِثوا كل هذا الضجيج وفي الخيمة رجل عجوز».

أجابـه أحـد الشباب بلسانه العـذب: «يا حاج لقد جُلـتَ العالم في شبابك، وتمتّعت بملذّات هذه الدنيا، والآن أتيت إلى هنا لكي تستشهد وتذهـب إلى الجنّـة. بعبارة أخرى، لقـد نلت سعادة الدنيـا والآخرة. دعنـا نرفّـه عن أنفسنا في هـذه الأيام الباقية فغـدًا نمضي إلى حيث الشهادة».

أجـاب الحـاج رحيمي، الذي كان يـرى شباب الفصيـل كأحفاده، بمـودّة ولطف قائلًا: « يا ولدي العزيـز، أسأل الله أن يطيل في عمرك فتصبح أنت أيضًا كبيرًا في السنّ.. وأنتم أيضًا تمضون وتعيشون أيام شبابكم.. أنتم أيها الشباب نور عيوني..».

كان رجـلًا جليـل القدر. الأجدر برجل في عمـره وسنّه أن يكون في ذلـك الشتاء البـارد جالسًا حول كرسـيّ التدفئة، فيمـدّ رجليه تحته لينعـم بالـدفء ويتسلّى بالبـزورات وحبّات الحلوى ويلاعـب أحفاده

ويناغيهـم، ولكنّه أتى إلى الجبهة ليفدي بروحـه ويتحدّى الصعوبات التي تثقل حتّى ظهور الشباب!

كان لمسؤول الفصيل تعلّـق خاصّ بعملية «والفجر 4»؛ كانت شغفه. لعلّهـا تركـت أثـرًا كبيرًا فيه. فـكان كلمـا سنحت لـه الفرصة يترنّم بذكريـات كثـيرة حول هـذه العمليـة، تارة عـن أحداثهـا العسكرية، وأخرى عن تجاربهـا النفسية والمعنوية. كما كان لدى محسن كودرزي الكثير من الذكريات عن تلك العملية. لقد بُتِرَتْ أجزاءٌ من أصابعه في عمليـة «والفجر 4». لطالما كان شيخ الفرقـة الحاج بروازي يذكر تلك العملية بالثناء والتعظيم أيضًا. حتى ذلك الحين كنتُ قد سمعت قصة استشهـاد مهدي خندان من لسـان الشيخ عدة مرات. كان واقفًا ووقع على هيئة الصليب على الشريط الشائك وسط حقل الألغام.

كنّا في كل ليلة، نرتّل سورة الواقعة ونقرأها معًا قبل المبيت. كانت تستغرق عشر دقائق إلى ربع ساعة. لم يكن مهدي كبير زاده ماهرًا في قراءة القرآن فحسب، بل كان أيضًا بارعًا في الترتيل. وقد نال عدة جوائز في مسابقات القرآن التي كانت تُقام في المدرسة وفي مسجد الحيّ.

أمـا «حسن قابل أعلا» فـكان عنصر التخريـب في الفصيل؛ شابًّا يافعًـا مفعمًـا بالحماسـة والحيويّـة. عندمـا أردنا أن نغطّـي خيمتنا بالنايلـون حين وصلنـا إلى كرخه، تسلّـق سريعًا وبخفّـة فوق قضبان الخيمـة. مع أنّـه الأصغر قامة وبنية بيننا؛ إلا أنّـه لم يكن له نظير في الهمّـة والحركة. ذات يـوم سأل حسن مسؤولَ الفصيـل قائلًا: «يا أخ كلستـاني، لماذا لا نعمل أكثر على الفنـون العسكريّة؟ يجب أن نتعرّف إلى جميع الأسلحة...».

كنـت جالسًا إلى جانب محسن عندما أجابـه: «الأهم من السلاح

هو ذاك المقاتل الذي يستخدمه. بالنسبة للمقاتل فإنّ تقوية النفس والدافع والإرادة مهمّة بقدر أهمية التدريب العسكري. لو أنّ أحدًا امتلك أكثر الأسلحة تقدّمًا وخضع لأفضل أنواع التدريبات فلن ينجز الأعمال من دون المعنويات وقوة العزم والحافز...».

أجرت كتيبة حمزة مناورات واسعة وطويلة الأمد أثناء تمركزها في مخيّم كرخة. كان بعضها مناورات مدتها اثنتا عشرة ساعة، ومناورة واحدة استغرقت أربعًا وعشرين ساعة وقد قطعنا خلالها مسافةً تقدّر بحوالي ثلاثين كيلومترًا. في إحدى تلك المناورات وبسبب الإخفاق وعدم توخّي الحذر ورعاية الاحتياط خلال رمي إحدى القنابل، سقط لنا شهيد وأُصيب عنصر آخر بجراح. كان الشهيد من وحدة الإسناد. وقد أقام عناصر الإسناد مجلس فاتحة له في حسينيّة الكتيبة وشارك جميع الإخوة فيه.

كانت المناورات تُقام أحيانًا بقوام سريّة، وأخرى على مستوى الفصيل. في إحدى مناورات الفصيل الليليّة، أعطى مسؤول الفصيل درسًا في علم النجوم، ودرسًا آخر في معرفة الله سبحانه وتعالى. يُعدّ التعرّف إلى المجموعات الفلكيّة وكيفيّة الاستدلال على الجهات باستخدامها ليلًا من الفنون العسكرية المهمّة التي تزيد حظوظ نجاحنا أثناء تنفيذ المهام، إذ كانت معظم هجماتنا على جبهة العدو تُنفّذ في ظلمة الليل. أما درس معرفة الله سبحانه فقد كان من شأنه أن يجعل قلوبنا وأرواحنا أكثر ثباتًا ورسوخًا في هذا الطريق الذي سلكناه. كان مسؤول الفصيل يهتم بتدعيم قوة أجسادنا وأرواحنا على السواء. لهذا كانت نهاية التدريبات العسكريّة تترافق دومًا مع الأناشيد أو الدعاء أو مجالس العزاء. كان عملنا ينتهي مع حلول وقت صلاة الليل أحيانًا، وحينها كان مسؤول الفصيل يسمح بأداء صلاة

الليل في قلب الطبيعة لنعود بعد الفراغ منها إلى خيمتنا.

كانـت التدريبات العسكريّة تستأنف على اختلاف أنواعها: الحرب الجبليّة ومعرفة خـط الرأس الجغرافي والعسكري، مواجهة الهجمات الكيماويّة وغرف الغاز، التعرّف إلى أنواع الأسلحة، وفكّ وتركيب قطع الدوشكا، وأنواع المتفجّرات كالألغام وسواها.

في أحـد الأيام وأثناء عودته مـن الإجازة، أحضر أحد الشباب إلى المخيّـم كيسًا من خضار أنديمشك. شـارك جميع الشباب في تنظيف الخضـار وغسلهـا. كان مهـدي كبـيرزاده خبـيرًا في أنـواع الخضار وخواصّهـا وفوائدها، وكان أيضًا يغسلها بنحو جيّد. كان يقول: تحتوي طبخـة الـ«سبـزى قورمة»* على أربعة أنواع مـن الخضار، ولا فرق بين الأرز المطبوخ بالخضار والعجّة المطبوخة بالخضار، وكلاهما واحد...

نفـد صبري ولم أعد أحتمل، سألتـه: «لعلّك بائع خضار لتعرف كل هذه التفاصيل؟».

أجابني بهـدوء مبتسمًا: «لقد عملت في بيـع الخضار لسنتين. كان والـدي يملك دكانًا وكنـت أساعده في فصل الصيـف». عندما تحدّث عـن والده أخـبرني أنّهم من يـزد، وعلمتُ أنّ والـده عمل في مجالات شتّـى: بيع الخضار، بيـع الحلوى، وبيع المكسّـرات والبذور. كان دكان والـده يقع في أول جادة «كشاورز»، وكان مهدي وأخوه الأكبر يساعدان والدهما.

تزيّـنت مائـدة طعام الفصيـل في ذلـك اليوم بصحـون الخضار الفاخـرة، فتذكّر الجميـع منازلهم وأمهاتهم وطعامهـنّ على مائدتيّ الغـداء والعشـاء. كلٌّ منهم كان يتحـدّث عن ذكريـات منزله وطعام

* أكلة إيرانية تشبه يخنة الخضار.

والدتـه. تذكّر مسعود الحلوى التي تصنعهـا أمه في المنزل وكان يخبر مهدي عنهـا. أيضًا كان مهدي يقول إنّ «القورمـة سبزي» التي تعدّها أمّـه لا يعلو عليها شيء، فهي تضـع فيها كميّة وافية من ورق «الكراث» وتعدّهـا بتأنّ وتمهّل، كما تضع فيها السمن بالمقدار اللازم. لقد تجلّى العيش في الفصيل في ذلك اليوم بمظهر آخر. حقًّا كم كان ذكر البيت والعائلة عزيزًا!

بالقـرب مـن خيمـة الفصيـل، استُحْدِثـت حفر على شـكل قبور. كنـت أعلـم أن عددًا مـن الشباب كانـوا يجلسون في تلـك القبور بعد منتصـف الليـل إلى السحر ويناجـون الله تعالى. كانـوا ينامون فيها أحيانًا ليتعبّدوا إلى الله بذكرهم الموت. ذات ليلة، أردت أن أجرّب لذّة الآخرين تلك. كانت الغيوم أحيانًا تحجب القمر، وأحيانًا أخرى يظهر بنوره البرّاق. ردّدت فقرات من مناجاة الأمير عليه السلام، ودعاء أبي حمزة الثمـالي؛ كانتْ قد علقت في ذهني من كـثرة ما قرأناها بين جموعنا. نتـأت من جـدران القبر حجارة صغـيرة وكبيرة، وفُتحت فـوق رأسي نافـذة مكشوفـة إلى السماء المليئـة بالنجوم. أغمضـتُ عيني لبرهة واسترجعـت شريـط حياتي بتمامه، وحين فتحت عينـيّ كان جلّ أملي معلّقًـا على لطف الله تعالى. الله الذي كنت غافلًا عنه في تلك الليالي البهيّـة والمليئة بالأسرار والمناجاة، وعـن لذّة أهل الليل من عباده. كم كانت لذّة ذكر الله تعالى تبعث على الدفء والأمل في ظلمة تلك الليلة البـاردة حيث كنتُ وحيـدًا داخل الحفرة الترابيـة الرطبة. لقد كانت تلك الليلة أنيسة إلى درجة جعلتني أعيد الكرّة مرات ومرات.

في منتصف شهر كانون الثـاني، حصل جميع عناصر الكتيبة على إجازة لمدة أسبوع، وانطلقنا إلى مدينة طهران. لم يأتِ مهدي برفقتنا. مـا إن وصلنـا إلى طهران حتى ذهـب مسعود إلى كـرج فيما قصدتُ

وزملائي في الفصيل من أهل حي المجيديّة (القصر الملكي)، أجل لقد كان منزلنا مقارنةً بالجبهة كقصر ابنة ملك الحوريات في القصة الأسطورية (شاه يريان).

مرة أخرى تأخذني والدتي في حضنها الدافئ. وأرى والدي صاحب الهمّة العالية. ومرة أخرى أنام لليالٍ نومًا هادئًا مريحًا على فراشي الناعم وقد لبست ثيابي المنزلية. مرة أخرى أجلس إلى مائدة وقد تزيّنت بالسلطة والخضار والفاكهة وخبز البربري أو الحصوي* .. تذكرت مزاح أحد الشباب عندما كان يقول:

- لا يدرك قدر الخبز البربري إلا من أكل خبز اللواش!

في اليوم الأول من الإجازة، وقع حادث عجيب وغير متوقّع لمسعود. بعد أن فارقنا في محطة القطار، ذهب إلى كرج فرأى أمام باب المنزل شاحنة مليئة بالأثاث والأمتعة. بدا الأثاث معروفًا له فتصوّر أنّ أهل بيته يقومون بنقل أثاثهم وتساءل: إذًا لماذا لا يوجد أحد من أهل البيت مع الأثاث؟ صعد إلى الطابق الثالث ليجد باب المنزل مفتوحًا وقد كُسرت النافذة. هناك في الأعلى، أدرك ما الذي يحدث وقبل أن يرجع إلى الأسفل فرّ اللصوص حاملين معهم نصف أثاث المنزل بالإضافة إلى جهاز[1] أخته. بادر مسعود مخبرًا الجيران، ولكن بعد فوات الأوان فلم يتمكّنوا من إيجاد الأثاث ولا الجهاز أبدًا. لم تحمل إجازة مسعود الأخيرة معها خبرًا طيّبًا له.

مع قطار العودة، تلذّذ الجميع بتناول الحلوى الطيبة التي أحضرها مسعود معه.

* خبز السنكك؛ ويخبز على الحصى في تنور على درجة حرارة عالية.

1 - أو الجهيزيّة: ما يدّخره الأهل من أثاث وأدوات مطبخ لابنتهم إلى حين زواجها.

في كرخه التقيتُ مهدي كبير زاده بعد مضيّ أسبوع. كنت مشتاقًا إليه. بالإضافة إلى مهدي، بقي آخرون في الجبهة ولم يأخذوا مأذونيات، أحدهم محمد جواد نصيري بور مساعد رامي الـ(آر بي جي) في المجموعة الثانية، وقد تعمّقت معرفتي به بعد مضيّ حوالي أسبوعين.

سألت مهدي لماذا لم تأتِ برفقتنا في مأذونيّة، فأجاب:

- إنّ والدتي مريضة تعاني من الربو ومن أمراض القلب. فإذا طلبت مني أثناء الإجازة أن لا أعود إلى الجبهة، كيف لي أن أرفض طلبها! ولأنّ مأموريّة الأشهر الثلاثة قد انتهت فليس لي عذر بعدها لكي أعود إلى الجبهة.

- لكن لو ذهبت ورأيت عائلتك لكانت معنوياتك ارتفعت لأنّك بذلك تكون قد أدخلت السرور على قلب والدتك!

أشار إلى ساعته اليدويّة وقال: هذه الهدية جلبتها أمي من مكة المكرمة. إنها متعلّقة بي أكثر من إخوتي وأخواتي، وبدوري لا أقوى على رؤيتها مريضة. أحيانًا أتساءل: ماذا لو أُصبتُ بجراح وجاءت والدتي لعيادتي، سوف تفقد وعيها بكل تأكيد، فما الذي سيحصل لها إن استشهدت؟

منذ الإجازة السابقة في أواخر شهر تشرين الثاني وحتى عودتنا من مأذونية شهر كانون الثاني، مضى قرابة الأربعين يومًا، وخلال الأيام الأربعين هذه، تبدّلت أخلاق مهدي وسلوكياته كثيرًا. لم يكن يكذب، كانت وصيّة أستاذه له بأن لا يتفوّه كذبًا، وكان مهدي قلقًا من هذه الجهة أنّه ماذا لو ذهب إلى البيت ووجّهت إليه والدته سؤالًا واضطرّ أن يجيبها كذبًا. كأن تسأل مثلًا أنّه هل انتهت مهمّتك

للأشهر الثلاثة؟! وهو الذي يريد أن يبقى في الجبهة، سيتردّد حينها بين الكذب وقول الحقيقة.

كان مهدي يسبغ الوضوء قبل الأذان بنصف ساعة ويستعدّ للصلاة. ولطالما فعل ذلك قبل سماع صوت المؤذّن. كان من عادة الشباب أنهم ينشغلون بلعب كرة القدم حتى حلول وقت الأذان، ولكن مهدي كان يعتذر منهم ويخرج من الملعب قبل الأذان بربع ساعة أو عشرين دقيقة.

كان مهدي يمازح الشباب، يحدّثهم ويضحك ويطلق النكات، لكنّه لم يكن يغتاب أحدًا أو يسمع الغيبة بحق أحد. لم يزل ثابتًا على تلك الوصايا والعهود الثلاثة التي قطعها على نفسه.

في أيام الإجازة تلك، سلّم شباب الإعلام في الفرقة رسالة من تلميذ طهراني في الصف الثاني الابتدائي إلى مهدي. كان التلاميذ يكتبون هذه الرسائل للمقاتلين، ولم يكن معلومًا إلى يد أي مقاتل ستصل. كان ممّا كُتب في تلك الرسالة:

«بعد السلام على الإخوة الذين يحاربون في جبهات الحق ضدّ الباطل ولا يخافون أو يخشون شيئًا. نحن أيضًا نحارب في متاريس مدرستنا العدو الخبيث لا سيّما أمريكا. أيها الأخ العزيز، أتمنّى أن تكون بخير وعافية، وأن تكون في أمان الله المتعال. يا أخي، لطالما أحببتُ الالتحاق بالجبهة، وأن أكون جنبًا إلى جنب في مقارعة هذا العدو البغيض..».

كاتب الرسالة داود فارسيان من مدرسة الشهيد أزكلي، المنطقة التربوية الرابعة في مدينة طهران.

في العشرة الأواخر من شهر كانون الثاني، كان لمنطقة كرخة طابع

آخـر. دبّ فيها نشاط وحركة أوحيا باقتراب بدء العملية. كان الجميع يحضّـرون أنفسهـم لليلة الموعـودة. وكما يقول الشبـاب، تفوح رائحة الدجاج المطبوخ بالأرز.

كان سلاحي الفردي رشاش كلاشنكوف بأخمص (كعب) خشبي. نظّفتـه ودهنته بالزيت مرات عدة. ذات يوم، ذهبنا إلى حقل الرماية لنرمـي الرصاص ونصفّر البنادق. رميت بضعة مماشط حتى تمكنت من تصفير البندقية بشكل دقيق. وقد عقد كودرزي الذي كان صاحب خـبرة في رماية الـ(آر بي جي) جلسةً تدريبيّة لمساعديه: أنا و«أحمدي زاده» و«لـك علـي آبادي». شدّد علـى أنّ عملَ مساعد رامـي الـ(آر بي جـي) لا يقـلّ أهمية عن عمـل الرامي نفسه. إذا لم يكـن ثمة مساعد لرامـي الـ(آر بي جي) فإنّـه سيرهق سريعًا وستذهـب قذائفه هدرًا. يستطيع المساعـد أن يساعد الرامي في بلوغ الهدف، كذلك فإنّه يؤمن لـه الوقاية اللازمة أثنـاء عمليـة التسديد والاستهـداف. خلال هذه الرماية، أطلق كل مساعد قذيفتي آر بي جي.

بعـد حقل الرمايـة، أصبحنا جاهزين لمغـادرة المخيّم. جاء تعميم مفـاده أنّ قسـم «التعـاون» في الفرقـة سيستلـم الأمتعـة الشخصيّة والزائدة.

كانـت الحقائـب الشخصيـة لشبـاب فصيلنا ثقيلـة بسبب الكتب والدفاتر. كذلك كان لاعبو كرة القدم يحملون أحذية رياضيّة. عندما سلّمنا هـذه الأغراض إلى قسم التعاون (الأمانات)، أصبحت خيمتنا أكثر اتساعًا ومتاعنا خفيفًا!

في الأيـام الأخيرة من شهـر كانون الثاني ركبنـا الباصات تاركين كرخـه باتجاه مخيم كارون. في أول الليـل دخلنا الخيم التي عَمِل على نصبها عدة إخوة قبل وصولنا، ولم تكن بعد جاهزة للاستراحة بشكل

كامل. كان الطين يملأ المكان بالقرب من الخيم وحولها، وعندما يصله الماء يصبح وحلًا وطينًا، ما يصعّب المشي عليه.

في الأيام الثلاثة الأولى لوجودنا في المخيّم كان الطقس ماطرًا، فانصبّت جهود الشباب على تحسين الوضع داخل الخيم. وسنحت الفرصة للتحاور والتعارف أكثر، فتجاذبَ الإخوة الأحاديث فيما بينهم، إذ لم يعد هناك درس ولا تدريب ولا مناورة.

في أحد الأيام تذكر مهدي كبير زاده أمّه بشكل لافت. حينها، كانت عملية تبادل الرسائل متوقّفة حتى انتهاء العملية العسكرية، ولم يكن مسموحًا لأحد مغادرة المخيّم. كان مسعود جالسًا إلى جانب مهدي، وكانا يتجاذبان حديث الذكريات. أنا أيضًا كنت أستمع إلى حديثهما. مهدي ومسعود ولد كلاهما في السنة ذاتها، وفي الشهر ذاته، آب من العام 1969. كان كلاهما يتحدّث عن شغبه ومكره وعن حنان والدته. قال مهدي:

- كان عمري عشر سنوات، عندما كنّا نعيش في محلّة هاشمي بالقرب من مطار مهر آباد. أحيانًا كنت أذهب حتى أسوار المطار لأتفرّج على الطائرات. كانت توجد ملاعب ترابيّة كثيرة في تلك المنطقة حيث كنّا نلعب حتى الغروب. في إحدى ليالي الصيف لعبنا حتى العاشرة مساءً. عندما رجعت إلى البيت كان الجميع ينتظرني. لقد قلب والدي المحلّة رأسًا على عقب بحثًا عنّي. ما إن وقع نظرهما عليّ، حتى أمسكا بأذني وراحا يفركانها حتى أجهشتُ بالبكاء.

- «هل آلمتك كثيرًا؟ هل غدت أذنك حمراء؟» سأله مسعود.

- لكنّي لم أكن لأقلع عن مثل تلك المشاغبات. لم يمضِ أسبوع حتى رجعتُ في إحدى الليالي متأخّرًا إلى المنزل. كان شباب محلّتنا يلعبون

حتى الثانية عشرة ليلًا، وأحببت أنا أن ألعب معهم.. وعندما رجعت إلى البيت في تلك الليلة كان الوضع سيّئًا جدًّا، سيّئًا إلى درجة أنّ والديّ كانا قد تفقّدا جميع المستشفيات وأخبرا المخفر أنّي قد ضعت. حتى إنّهما أرادا الذهاب إلى مركز الطب الشرعي عسى أن يجدا جثّتي هناك! فإذا بي أظهر أمامهما.

- لقد عوقبت بكل تأكيد!؟ سأله مسعود.

- في تلك الليلة أحمتْ والدتي ملعقتين ولسعت بهما باطن قدميّ.

- هل كانت ساخنة جدًّا؟ لا بدّ أنّ جلدك خرج مع الملعقة؟

- لم أستطع الوقوف حتى ظهر اليوم التالي، فما بالك بانتعال الحذاء والنعلين؟ بقيتُ عدة أيام حبيس المنزل.

أصبح الطقس مشمسًا في كارون، وبدأت التدريبات العسكريّة والبدنيّة من جديد. كان علينا أن نحافظ على لياقتنا الجسدية؛ فلا نضعف ولا يصيبنا وهن ونفقد جهوزيتنا. فاستأنفتُ الرياضة وحركات الليونة.

كان محمد جواد نصيري بور العنصر الثاني في المجموعة الثانية من حيث الترتيب، فيما كنت أنا العنصر الثاني في المجموعة الأولى. عندما كان الفصيل يصطفّ في الرتل كنتُ وجواد نقف كتفًا إلى كتف. كان جواد مساعدًا لحسين كلستاني. في أحد الأيام طلب منّي أن أكتب له شيئًا للذكرى وقال: يا أخ أهري، اكتب لي نصيحة وجملة تبقى كذكرى.

قبلتُ وكتبت له عدّة أسطر مستخدمًا قلم الحبر الناشف الذي يرافقني على الدوام: «بسم الله الرحمن الرحيم. على الإنسان في أي عمل يريد القيام به أن يكون لديه وعي ومعرفة حتى ينجح هذا العمل.

ليس لخلق الإنسان هدف سوى التقرب إلى الله تعالى، وعلى الإنسان أن يجهد ويسعى بشكل مستمر لهذا الهدف. إذا أراد الإنسان أن يقطع هذا الطريق عليه أن يعتقد بأصول الدين بواسطة الاستدلال، وأن لا يشوب اعتقاده أي شك. وأيضًا عليه أن يكون مجتهدًا في فروع الدين أو يقلّد فيها. أسأل الله أن يرزقنا حسن العاقبة. 1986/2/2. الحقير أصغر أهري».

لقد مضى على تلك المذكّرات المدوّنة حوالي العشرين سنة. عندما أقرأ اليوم ما خطّت يداي آنذاك أجد أنّ الشباب لم يكونوا يطلقون عليّ اسم «فيلسوف الفصيل» عبثًا. كم كانت هذه الكلمات راسخة في ذهني في تلك الأيام وكم كنت أنظر إلى الأشياء من خلالها.

في كارون، شذّب الكثير من المقاتلين أصحاب اللحى الكثيفة لحاهم. لم تبرز هذه الظاهرة كثيرًا في خيمتنا التي كان أكثر قاطنيها من الأحداث وكان الحاج رحيمي الشخص الوحيد الذي له لحية طويلة وقد قام بتقصيرها. كان هذا الإجراء بناءً لأمر القيادة، وذلك للاستخدام الأكمل للقناع أثناء الهجوم الكيماوي. كان القناع يفقد فعاليّته بوجود اللحية الطويلة. وكان لزامًا أن يلتصق القناع بالوجه بشكل محكم.

كنت قد شَهدتُ خلال عملية بدر هجمات العدو الكيماويّة الشرسة، وكان هذا الأمر أحد عوامل الإخفاق في تلك العملية، وأكثر الشهداء فيها سقطوا بسبب الهجوم الكيماوي، وقليل منهم من استشهد بشظيّة أو رصاصة. لهذا السبب وللتمرّن على الوضعيّة ونحن نضع الأقنعة على وجوهنا؛ قمنا بمسيرٍ استغرق ست إلى سبع ساعات، حتى انقطعت أنفاس الجميع.

كان سعيد بوركريم حلّاقًا جيّدًا. وقد ورث هذه المهنة عن أبيه،

وكان يساعـد الفصائل والسرايا الأخرى في هذا المجال. أُخذ التهديد بالهجمـات الكيماويّة على محمـل الجدّ، وكان قـادة الكتيبة يشرفون بأنفسهم على هذه الإجراءات (تقصير اللحى)؛ إلى درجة أنّهم كانوا يعاقبون المتخلّفين فيها.

كانت كمية الطعـام قليلة في كارون. أذكر أننا عندما كنا في كرخه من قبل؛ كنّا نـأكل أحيانًا الخبز اليابس أو المتعفّن، فكان الجوع يأخذ منا مأخذه ويفعل بنا فعله. كان الشباب يجهّزون بطونهم للدجاج الذي سيُقدّم في ليلة الهجوم، ولهذا السبب كانوا ينتظرون تلك الليلة أيضًا.

في يـوم مـن الأيام وأثنـاء تناول الشـاي بعد الغـداء، تحدّثت أنا ومسعـود ومهدي حـول موضوع الطعام الشهيّ. تبـيّن لنا أنّ مهدي قد أحـرز المرتبـة الأولى في مسابقة سرعـة الأكل في بيته وبـين أقربائه. بحسـب قوله، كان يأكل صحنًا مليئًا بـالأرز ويخنة الـ(قورمه سبزي) خلال دقيقتين، وبإمكانه تناول الطعام مستخدمًا ملعقتين في آن واحد. لم يكن ممكنًا التأكّد من صحّة هذا الادّعاء أو بطلانه.

لم يكـد اسم الـ(قورمه سبزي) يذكر حتى سال لعاب مسعود، لعلّه بسماعـه لاسم الـ(قورمه سبزي) تذكّر الحلوى التي تُصنع في منزله. الحـق يقال إنّني أنا أيضًا كنت وما زلت أحب يخنة الـ(قورمه سبزي) كثـيرًا، ولقد عانت معدتي ما عانت طوال ذلك اليوم. ليلًا، كان طعام العشـاء: كاسة مـن الحساء ونصف رغيف مـن الخبز لكل شخصين؛ كاسـة من الحسـاء أي ثلثاها فقـط. لم تكن الكمّية بالشـيء الكثير، ولكنها كانت كافية لتشعـل المسابقة. قلت لمسعود: «كم دقيقة تستغرق لتأكل هذه الكاسة؟».

ألقى نظـرة على الكاسة والحساء وقـال: «إذا استخدمت ملعقتين أنهيها قبل أن تعدّ حتى العشرين، أو خلال نصف دقيقة كحدّ أقصى».

قلت ممازحًا مع شيء من الجدّيّة: «لن أشاركك أي كاسة أبدًا».

في أحد الأيام كنّا في مناورة برمائيّة في نهر كارون، كانت تذكيرًا لتدريبات مخيم «سفينة النجاة» التي أقيمت عند سدّ دز وها هي الآن تنفّذ في نهر كارون من جديد. ركبنا زوارق الوحدة البحريّة في الفرقة. اتّسع عشرون إلى خمسة وعشرين زورقًا كبيرًا لجميع أفراد الكتيبة. كان الجميع يرتدون سترة النجاة. تقدمنا عدة كيلومترات على طول النهر، وترجّلنا سريعًا على شاطئه الشرقي حيث جبهة العدو المفترض، ونفّذنا هجومًا عليه. وهو ما يُعرف اصطلاحًا باحتلال رأس جسر، وبعد احتلال منطقة العدو ركبنا مرة أخرى الزوارق عائدين إلى الشاطئ الغربي لنهر كارون. كان هذا تدريبًا أدركنا أهميته والحكمة منه بكل وجودنا بعد أسبوع وذلك عندما عبرت الزوارق تحت القصف الجوّي للعدو نهر أروند الهائج والمخيف، والذي يبلغ عرضه نحو كيلومتر واحد من ضفّة إلى أخرى.

كان أحمد أحمدي زاده المساعدُ الثاني لمحسن كودرزي هو الإسناد الذي يقف خلفي مباشرةً. في أحد الأيام طلب منّي أن أخطّ له شيئًا للذكرى. فيما كنت معروفًا بفيلسوف الفصيل، كان يطلَق عليه لقب «فنّان الفصيل». كان رسّامًا ومصمّمًا وخطّاطًا، وهو الذي خطّ عبارة «كتيبة حمزة» أعلى البوابة الرئيسة لمبنى الكتيبة في ثكنة دوكوهه. هل حقًّا كتابةُ فيلسوفٍ لفنّان جديرةٌ بالقراءة؟

كان الشباب قد قالوا قبل ذلك إنّ لأحمدي زاده دفترًا خاصًّا من الصور والذكريات المخطوطة. كان قد ألصق صورتي على صفحة وطلب منّي في ذلك اليوم أن أكتب له فيها كلمات للذكرى. لقد كانت هذه الفكرة ابتكارًا خاصًّا بفنّان فصيلنا، إذ لم أرَ شيئًا يماثلها قبل ذلك أو بعده. كتبت له في ذلك اليوم:

«بسم الله الرحمن الرحيم،

سلام عليكم بما صبرتم

بعد السلام والتحية على إمام الزمان ونائبه بالحق الإمام الخميني وأمة حزب الله. يا إلهي، أعنّا على مواجهة الواقع، وأعطِ القوة لهذا العبد الضعيف حتى يستطيع التحمّل، ومن ثم ثبّت قدميه. أسأل الله تعالى أن يصل إلى الكمال الإنساني المتعالي والذي لا يتحقّق إلا بالتقرب منك. آمين يا رب العالمين.

ما إن يضع الإنسان قدمه في هذه الدنيا ويأتي إلى عالم الوجود حتى يبدأ بطرح أسئلة على نفسه، ومن ثم يبحث عن إجاباتها: ما هو الهدف وراء هذا الخلق؟ لماذا خُلِقْتُ أنا الإنسان وإلى أين أمضي.. ولأنه يشعر بالحاجة في نفسه يبحث عمّن هو غير محتاج ليعطيه ويجعله غنيًّا عن الآخرين. تراه كالتائه في صحراء واسعة مظلمة ينظر حوله بعيون محدقة يملأها الشوق والوله بحثًا عن ضالّته. في هذه الأثناء وعندما يشعر الإنسان بالعجز والحاجة يلطف به صانع العالم وخالق الوجود... المرشد والإمام الداخلي للإنسان هما العقل والقلب، يأخذان على عاتقهما القيادة والهداية لسفينة الوجود. والمرشد الخارجي: الأنبياء والنبي الأكرم والأئمة الأطهار والقرآن الكريم، هم الذين يضعون الإنسان على الصراط المستقيم ويحفظونه ويثبّتونه عليه.

أسأل الله تعالى أن يلهمنا طريق الحقّ فنلزمه، وأن نبقى ثابتين عليه حتى نفوز وتكون عاقبة أمورنا إلى خير.

إلهي إلهي حتى ظهور المهدي احفظ لنا الخميني.

الحقير أصغر أهري، مخيم كارون 18/11/1364»[1]

1 - 7-2-1986م.

في الأيـام الأخيرة في مخيم كارون وُزّعت الذخائر والمؤن الحربيّة. ورفعنـا مصفاة الهـواء التدريبيّة للقناع جانبًا لتحـلّ محلّها المصفاة العمليّـة. كما تفقّد الشباب ما ينقصهم من تجهيزات وقاموا بإصلاح مـا يلزم؛ علبـة الإسعاف الكيمـاوي، علبة الإسعـاف العادي، مخازن الرصاص، الحقيبة، مطرة المياه..

مرة جديدة قصدنا حقل الرماية في كارون للقيام بعملية التصفير الأخـيرة لأسلحتنا، وربمـا أيضا لكي تعتاد آذاننـا على صوت الرماية الكثيفة للرصاص التي كانت تبدو مهولة أحيانًا.

في هـذه العملية لم يُجهّـز الشباب بالمعاطف والخـوذ المعدنيّة. في العمليـات السابقة، كانت هـذه من التجهيزات الفرديـة، ولكنها الآن ليسـت كذلـك. ربمـا لم تكـن متاحة حتـى يتـم توزيعهـا أو ربما كان تخفيف الحمل هو السبـب وراء إغفالها. على كل حال، لو كان مسعود يعتمـر خوذة معدنيّة لما سقـط شهيدًا بإصابة في رأسه. تبقى هذه من التمنيات التي لا طائل منها.

كانت نظارتي مربوطة بربطة مطاطية. تفقّدتها جيّدًا حتى لا تكون رخـوةً أو مهترئـة في بعض أنحائها، فمن دونها لـن أشعر بالراحة، إذ سيخيّـم الظلام على كل المكان. ولأكـون مطمئن البال في ليلة الهجوم عندمـا نضطـر للصّعـود والهبوط أحيانـًا وللتحرّك منحنـي الظهور والزحف أحيانًا أخرى، أحكمتُ ربطة نظارتي وجعلتها من طبقتين.

عندمـا أنهيـتُ عملـي، ذهبـت إلى مهـدي. كان جالسًـا في زاوية الخيمـة يصلح قميصـه الترابي اللون. وكم كان صبـورًا حتى يحضر إبرة وخيطًا إلى كارون. قلت له: «يا أخي، لا تهتمّ كثيرًا بهذا القميص، سيتمزّق إربًا إربًا في ليلة الهجوم». أجابني:

- إن لم يكن نظيفًا لن يصل الرصاص والشظايا إليه. أريد أن أكون لافتًا يُشار إليّ بالبنان حتى يسدّد البعثيّون نحوي.

آنذاك ثبّت الزر السفلي في قميصه بإحكام، المكان عينه حيث أصابته الرصاصات البعثيّة بعد عدة ليال.

ذات يوم جاء الحاج بخشي إلى كتيبة حمزة وأحضر معه البسكويت والشوكولاتة وبعض النقولات الأخرى. كان هذا الرجل يطلق الهتافات ويدخل السرور على قلب الشباب ويرفع من معنوياتهم. لقد تحلّق الجميع حول آلية «الجيب» خاصّته حيث كان يطلق الشعارات الحماسيّة ويوزّع النقولات (الحلوى) المختلفة على الشباب. لقد كان قنبلةً من المعنويات والحيويّة.

أثناء وجودنا في كارون، وخلال الأسبوعين اللذين قضيناهما هناك كانت الثعالب والكلاب والخنازير تفرض سيطرتها على المخيّم ليلًا. في إحدى الليالي كان نُباح الكلاب وضباح الثعالب يتسلّل إلى مسامعنا. كنت أنا ومسعود نجلس جنبًا إلى جنب نتسامر. سألت مسعود: كانت زوجة عمّي تحكي عن جروٍ أَحْضَرْتَه أنت إلى المنزل. كأنّك كنت قد ذهبت لشراء.. هل تذكر القصة؟

رتّب مسعود حقيبة الـ(آر بي جي) وقال:

- في أحد أيام الشتاء الباردة عندما كان الثلج والجليد يكسوان الشارع والزقاق، أرسلتني والدتي لشراء الخبز. كان لي من العمر عشر سنوات. في طريق العودة، رأيت جروًا نحيفًا بأذنين متدلّيتين، وقد انكمش على نفسه في إحدى الزوايا. كانت درجة الحرارة تحت الصفر وقد غطّى الجليد كل مكان. مسحتُ بيدي على رأسه ووجهه بهدوء. كان يرتجف بشدة فخشيت أن يلقى حتفه. أشفقت عليه فلففته

بشالي الطويل ليشعر بالدفء وحملته إلى المنزل.

سألته: «كم يومًا احتفظت به؟».

أجابني: «احتفظت به أيامًا عدة في فناء المنزل وسردابه. بعد أن تحسّنت حاله ذهب ليمرح ويلعب وكان كلّما لمحني في الزقاق لحق بي وشرع بالنباح كأنّه يريد رد الجميل وتعويض ملاطفتي له. مرّت أسابيع وبعد ذلك لم أره في حيّنا قط.

كان الطقس في تلك الأيام غائمًا وكنّا ننتظر الأمر بالتحرّك. كان شباب الإعلام يسجّلون رسائل ووصايا شباب الكتيبة على أشرطة الكاسيت. في ذلك اليوم تم تسجيل رسائل مجموعة من الشباب ومن بينهم محسن كلستاني.

أخيرًا، ركبنا في شاحنة قد غُطّيت خلفيّتها بالقماش المشمّع، ونحن بدورنا فرشنا غطاءً على أرضيّتها. أثناء ركوبنا لفتنا بيت الشعر الذي كتب على مؤخّرة الشاحنة: «شهامة مع الأصدقاء/ مداراة مع الأعداء». للكلمات التي تُكتب على مؤخرة الشاحنات ثقافتها الخاصة. أحيانًا تكون زبدة لكلام، وأحيانًا أخرى تحكي عن تجارب السفر، ومرة تعبّر عن إيمان وعقيدة وأخرى تكون مثلًا أو بيت شعر بليغًا و.. انطلقنا مع غروب الشمس. كان في انتظارنا داخل الشاحنة صندوقٌ من الفواكه، أثناء مسيرنا أتينا على آخره. ولما انتصف الليل توقفت الشاحنة عن الحركة. أُزيح القماش المشمّع عن قسمها الخلفي وترجّلنا عند بيوت قرويّة بين بساتين النخيل بالقرب من نهر «بهمن شير».

كانت تلك البيوت القروية لافتة ومثيرة للاهتمام. فأرض غرفها ترتفع مترًا فوق الأرض، لم تكن الغرف تحوي أي أثاث. فرشنا الأغطية التي أحضرناها معنا على أرضيّة الغرف لنستريح قليلًا، عسانا ننسى

آلام عظامنا الناجمة عن ركوب الشاحنة والمسير. استلقى بعض الشباب وهم ينتعلون أحذيتهم العسكريّة. في وسط تلك الليلة وزّع عناصر التجهيز الفواكه المعلّبة لإسكات صراخ بطوننا الجائعة. كان التفاح المعلّب من نصيبي، فيما نال مسعود الكرز المعلّب. ناداني من بعيد: أصغر، هل تأكل الكرز؟

رمقته بنظرة، كان أشبه بأخ أحبّه، وقد امتلأ وجهه شوقًا قلّ نظيره. انطلق نحوي كعصفور خفيف الجناح قبل أن أجيبه، كان قلبي يرتعش خشية أن لا أراه بعد اليوم. قلت بهدوء: كلا عزيزي مسعود، لقد تناولت فاكهتي المعلّبة.

تلك الليلة، لم يهدأ صوت إطلاق قذائف المدفعيّة للحظة، كأنّها كانت ليلة البدء بالعمليّة. بان البِشر على وجه مسعود لأنه شارك في عملية للمرّة الثانية في حياته، لقد بذل كل ما في وسعه وتخطّى كل الصعاب ليُدرِك تلك الليلة. كان رذاذ المطر يتساقط ثم يتوقف. مع بزوغ الصباح، أراد الشباب أن يجولوا في المنطقة ليتعرفوا إلى المكان الذي حلّوا فيه، ويستكشفوا ما الذي يدور حولهم، ولكن أوامر المسؤولين اقتضت بأن لا يبتعد أحد عن مكان تموضع الكتيبة. قبل حلول الظهر جاء نبأ يعلن عن بدء عملية «والفجر 8»، سُرّ الشباب وفرحوا.

أخيرًا جاء دور ذاك «الدجاج بالأرز» الأسطوري، هذه المرة قدّموه لنا على مائدة الغداء. كان مهدي كبير زاده مشغولًا بتناول طعامه، بينما لم أكن قد بدأت بعد. مددتُ يدي نحوه حاملًا ملعقتي المنحنية وقلت:

– يا أخي، خذ هذه الملعقة وتناول طعامك بملعقتين في آن واحد.

– لهذا الطعام مذاق مختلف. سأتناوله بهدوء لأستمتع به أكثر،

فإنّ طعام الجنّة لا يُتناول على عجل.

بعد الظهر، صعدنا الشاحنات وغادرنا «بهمن شير». هذه المرة وقفنا في الجزء الخلفي من الشاحنة المكشوفة نشاهد منطقة العمليات. عند الغروب ترجّلنا بجانب عنابر أُقيمت في منطقة «أروند كنار». كان عدد العنابر قليلًا، فنام الشباب من جلوس. كذلك نام البعض الآخر في أكياس النوم خارج العنابر.

كان يوم الحادي عشر من شهر شباط، الذكرى السنويّة لانتصار الثورة. حوّلت المقاتلات البعثيّة السماء الزرقاء سوداء، وكانت المضادات الجويّة تتصدّى لها بشكل متواصل. ومن حين إلى آخر كان يطلق صاروخ جوّي ضد المقاتلات المغيرة، الأمر الذي لم نشهده من قبل. لم يكن لبطاريات الدفاع الجوي هذا الحجم والتنوّع من النيران في عملية بدر. كان مسار صواريخنا واضحًا بشكل كامل حتى وصولها إلى المقاتلة الصدّاميّة. وقد شهدنا بأعيننا في ذلك اليوم سقوط إحدى مقاتلاتهم فصدحت حناجرنا بصيحات التكبير.

مضينا بعد الظهر إلى جانب أحد الأنهر وعبرنا عند الغروب نهر أروند. عندما رأيت النهر وتيّاراته الدوّارة، وأنا الذي خضعت من قبل لتدريبات الغطس، أدركت مدى أهمية التدريبات البرمائيّة وضرورتها. كان أمرًا صائبًا أن يخضع جميع المقاتلين لدورة التدريب على الغوص.

ترجّلنا عند الشاطئ الغربي لنهر أروند، لكننا لم نلحظ أي وجود للعدو هناك، فقد قاموا بعمليات تطهير للمنطقة خلال الليالي السابقة. نبّهنا المسؤولون إلى أنّ البعثيّين يختبئون داخل البيوت، وفي المخابئ داخل المدينة وقد يُلحقون بنا الخسائر.

في ليلة الثاني عشر من شهر شباط، تموضعنا في أحد بيوت الفاو؛ لم تكن هذه البيوت قرويّة كتلك التي رأيناها في بهمن شير بل اتّخذت شكلًا وطرازًا مدنيًّا وصُمّمت من قبل مهندسين، وكانت في الأغلب مؤلّفة من طبقة واحدة، وهي تابعة لشركة النفط العراقيّة. كما كانت هناك صالة سينما بين تلك البيوت. قمنا بتفقّد غرف المنزل باستخدام مصباح مهدي كبير زاده اليدوي. بدا واضحًا أنّ حياةً مترفة كانت قائمة في ذلك البيت. في تلك الأنحاء، وجدنا أحذيةً ونعالًا قديمة وأغراضًا منزلية متنوّعة. كما كان يوجد تنور لصناعة الخبز. وكنا قبل ذلك قد رأينا تنورًا في المنزل القروي في بهمن شير. إلى جانب التنور وجدنا دراجة هوائيّة بمقود ودواليب ملتوية وحقيبة ظهر. راح مهدي يتفحّص الدراجة بدقّة، فأدركت حينها أنّه خبير بأنواع الدراجات. دقّق أكثر في ماركتها. سألته: «هل تريد أن تشتريها حتى تتفحّصها بهذا الشكل؟». قال: «كلا، بل أريد أن أحصل عليها كغنيمة، فأقودها ليلة الهجوم وأهجم بها على دبابات العدو».

لم نبتعد كثيرًا عن غرفة الفصيل الأوّل، كنّا قطعنا حوالي خمسين مترًا عندما قال مهدي:

- لقد حصلت على جائزة في مباراة سباق الدراجات في محلّتنا. كنت أركب الدراجة منذ أن كان لي من العمر عشر سنوات، واكتسبت المهارة بسرعة. عام 79 أو 80، اشترى لي والدي درّاجة رياضيّة فرنسيّة مزوّدة بمبدّل للسرعة من رجل هنديّ بمبلغ 450 تومانًا، تحمل ماركة «آروسا». كانت مذهلة. عندما كنت أقودها كان يشار إليّ بالبنان. كنت أيضًا أملك دراجة أخرى بمقود عادي (المقود الشبيه بأذني الأرنب).

أثناء وجودنا في الفاو، قُدّم لنا الهمبرغر بالسمن طعامًا على

مائدة العشاء. ساعدتُ في توزيع الوجبات، بعد ذلك تناولت وجبتي. لم يتناول البعض طعامهم حتى تكون بطونهم خفيفة أثناء الهجوم، ويتمكّنوا من التحرّك بشكل مريح. لعلّهم أيضًا كانوا يخشون العواقب الوخيمة لنوع دسم كهذا من الطعام، ولم يكن خوفهم هذا عبثًا. فقد ساءت حال عنصر تخريب الفصيل حسن قابل، وانقضى الأمر على خير، ولم نضطر لحمله إلى مستوصف الفرقة.

كانت ليلة الأربعاء ودعاء التوسّل. لم يكن يفصلنا عن الخط الأمامي للمعركة سوى عدة كيلومترات، حتى إنّه كان من الممكن أن يكون البعثيّون قد تخفّوا على مسافات قريبة. افتتحنا بقراءة الدعاء. كم كان مؤنسًا دعاء التوسّل في أرض العدو، في ليلة مظلمة وغامضة، وعلى مسافة قريبة من العدو الذي نترقّب المواجهة معه، ترافقها أصوات متنوّعة لمدافع تعزف على إيقاع الموت والحياة التي تناغمت مع نور القنابل المضيئة بالأبيض ووميض النيران الحمراء الملتهبة في مخازن النفط التي تسطع علينا من النافذة إلى داخل الغرفة. كان هذا الدعاء هو الدعاء الأخير للفصيل جماعةً.

وصلت الشاحنات في منتصف الليل. ركبنا وانطلقنا إلى الخط الأمامي على جادة الفاو–أم القصر التي تقع غرب مدينة الفاو. استطعنا تحديد جهة حركة الشاحنات من خلال وميض النيران الحمراء المنبعثة من تلك المخازن. تسلّلت الشاحنات إلى الأمام بأضواء مطفأة وبهدوء كامل مدة ساعة ثمّ ترجّلنا منها.

وقفنا صفًّا إلى يمين الجادة وتقدّمنا مئات الأمتار إلى الأمام. ثم ابتعدنا عن الجادة وتموضعنا خلف ساتر ترابي. كان الطقس باردًا ورطبًا، والصقيع ينفذ إلى لبّ عظامنا. وجد محسن كودرزي قطعةً من الاسفنج فوضعها على أرضيّة المتراس تحت أرجلنا. كنت أرتدي

سترة واقية من المطر وأرتجف من شدة الصقيع. كانت نيران الهاون الصداميّة تطلق بشكل عشوائيّ ومن دون هدف محدّد.

بعد أن أسفر الصبح عرفنا في أي مكان من العالم نحن، فارتاح بالنا من هذه الجهة. كانت نظارتي قد ابتلّت بالندى في وقت السحر فمسحتها بطرف قميصي. لم نكن نبعد كثيرًا عن الخليج الفارسي، إذ إنّ المياه تحيط بنا من جهات ثلاث: نهر أروند وخليج عبدالله والخليج الفارسي. قُدّم لنا البسكويت كوجبة للفطور ولكن من دون الشاي. كنت أرغب أن أشرب الشاي. لقد اعتدت على تناوله على مائدة الفطور.

كان بعض من المقاتلين القدامى يغلون الماء في علبة المعلبات الفارغة أو في المطرة المعدنيّة لإعداد الشاي. لقد كانوا يحملون معهم قطع السكّر والشاي اليابس دائمًا. إن لقب «شارب الشاي» يناسب أفرادًا كهؤلاء ولا يليق بأمثالي أنا الذي كنت أنظر إلى السماء مترقّبًا عساها تمطر شايًا في مكان ما!

اشتدّت نيران البعثيّين عند الساعة التاسعة والعشر دقائق صباحًا. قام العدو الذي كان يستقرّ على بعد كيلومترات من جادة أم القصر بهجوم معاكس على جادة البصرة، وضرب نقطة ارتكازنا. كانت النيران تنهمر فوق رؤوسنا، فانتقلنا من الساتر الترابي على يمين الجادة إلى المنزلق الترابي عند الجهة اليسرى منها.

على الغداء قدّم لنا الباذنجان المتبّل المعلّب وسمك التونة وخبز الـ(اللّواش). تناولنا وجبة خفيفة حتى نقوى في ليلة الهجوم. كان يفصلني متراسان عن مهدي ومسعود. تفقّدت مسعود وسألته عن أحواله. وجدت أنهما لم يكملا طعامهما. سألته: «لماذا لا تأكلان؟ لن

تقويا على العمل ليلة الهجوم...».

- أنا أكلت حصّتي، ولكن مهدي لم يأكل.

قلت لمهدي: «لماذا لا تأكل؟ لن يتوافر لك شيءٌ آخر هنا».

- لي ذكرى سيّئة مع المعلّبات. في شتاء العام الماضي عندما كنت في كردستان، أُغلِقت طريق المقرّ بسبب الثلوج والعاصفة الثلجيّة فتناولنا المعلبات والخبزَ المتعفّن لأسابيع. كان الطعام حينها الباذنجان المتبّل أيضًا، فساءت حالي وأُدخِلت المستشفى. عانيت من إسهال دموي قادني إلى مدينة طهران حيث نقلت إلى مستشفى نجميّة التابع للحرس.

- أيّها الشجاع! كم أسبوعًا حصلت على إجازة مرضيّة؟

- ما قبلت الإجازة المرضيّة وما ذهبت إلى البيت. حتى إنّ عائلتي لم تعلم بوجودي في طهران وفي المستشفى. عدت إلى كردستان من المستشفى مباشرةً.

سأل مسعود: ما كان ليحصل لو كنت أخبرت عائلتك؟

- أمي ليست على ما يرام.. لو رأتني مريضًا على سرير المستشفى لما سمحت بعودتي إلى الجبهة، وبهذا لكانت تلك المرة الأولى والأخيرة التي ألتحق فيها بالجبهة.

وبعد الظهر، وزّع قسم التجهيزات في الكتيبة تفاحًا أصفر. أعتقد أنّ مسعود لم يتناول تفاحته، وأعطاها لمهدي كي يسدّ جوعه. طبعًا، في ظهر ذلك اليوم ذاته أتيت أنا ومسعود على ما تبقّى من المعلبات حتى لا تذهب هدرًا.

قبل أن ننطلق أعطونا ذخائر إضافية. إذ كانت الأوامر بأن لا يتقدم أحد إلى الأمام بأيدٍ فارغة. حتى إنّ البعض قاموا بحمل البطاريات -بالرغم من ثقلها- لمساعدة عامل اللاسلكي.

انطلقنا في تلك الليلة بعد صلاتي المغرب والعشاء. تقدّمنا في طابورين على الكتفين الترابيّتين لجادة أم القصر المعبّدة نحو الخط الأمامي. في ظلمة ذلك الليل، لم يكن شيء يضيء سوى قذائف الهاون بالرغم من أنها كانت تعيق حركة قواتنا. إلّا أنّ الطابور كان يتوقف فينزل الجميع أرضًا مع صفير كل قذيفة، ثم يستأنفون حركتهم بعد الانفجار مباشرةً.

استغرق الأمر ساعة إلى ساعتين حتى وصلنا إلى الخط الأمامي عند مثلّث مصنع الملح. توقف الطابور قبل المثلّث بمئة متر. كانت كتيبة أنصار الرسول قد استقرّت قبلنا هناك. مكثنا ساعة من الزمن. كان محسن كودرزي يعاني ألمًا في رأسه. قال لي: «يا أصغر، أريد أن أغفو قليلًا.. لا تنسَ أن توقظني». ربما كان ألم رأسه بسبب الموجات الانفجارية، أو لأنّه أطلق عددًا كبيرًا من قذائف الـ(آر بي جي). بقيت منتبهًا كي لا يبقى نائمًا ويتأخر عن الطابور.

عقد قادة الفرقة جلسة تحت جسر صغير على جادة أم القصر. حُدّدت مهمة كتيبة حمزة بعد جلسة مطوّلة عقدت في غرفة الحرب الميدانيّة تلك: ضرب خط العدو والتقدم من الجبهة الأمامية حتى الجسر الكبير على جادة الفاو–أم القصر. طريق بطول ستة كيلومترات.

لإتمام هذه المهمة كان لا بد لعناصر التخريب في الفرقة من تفجير الجسر، وإذا ما تمّ ذلك لن يكون الدفاع النهاريّ صعبًا علينا. تمّ التبليغ بمهمة الكتيبة، قام مسؤولو الفصائل والسرايا بالتنسيقات الأخيرة فيما بينهم. كذلك انشغل الشباب بوداع وتقبيل أعزّائهم. أنا بدوري قبّلت وجوه كل من محسن كودرزي وأحمدي زاده ولك علي آبادي وبوركريم وكبير زاده. قبّلت وجه مهدي كبير زاده من الجهتين، وكان قد عصّب رأسه بعصابة حمراء كُتب عليها «يا مهدي». قبّلته

وطلبت منه الشفاعة. كان مسعود الشخص الأخير الذي ذهبت لرؤيته. عندما احتضنته كان الطابور قد بدأ بالحركة. فجأةً شعرت باضطراب أربكني وسيطر عليّ فلا قدّر الله أن تكون هذه هي المرة الأخيرة التي أرى فيها ابن عمّي. كان مستبشرًا فرحًا. ما زالت صورة بسمته البريئة مرتسمة في ذاكرتي. لم أدر ماذا أفعل غير تقبيله وماذا أقول غير طلب الشفاعة ولأجل أن أكلمه أكثر ولا يكون جل حديثنا صمتًا أوصيته بعدّة توصيات عسكرية: «ابقَ خلف بوركريم، لا تنفصل عن الطابور، انتبه.. عزيزي مسعود.. انتبه». ولم يجر على لساني كلام آخر. أصبحتُ خالي الذهن كليًّا، وإن كنت قد تفوّهت بكلمة أخرى فإنّي لا أذكرها الآن.

كان الطابور ما زال يتقدم إلى الأمام. عبرنا مثلّث مصنع الملح أيضًا. بعد نصف ساعة وصلنا إلى الساتر الترابي عند الخط الأمامي، أي إلى مقدمة جبهة جادة أم القصر. بمبادرة من مسؤول السرية تمّ تشكيل مجموعة اقتحام خاصة، فانضممتُ إليها مع: محسن كودرزي، حسين كلستاني، نصيري بور، مسؤول السرية وعنصر من عناصر معلومات العمليات.

انطلقت السرية الأولى من نقطة انتشارها. سارع طابور السرية من الجهة اليمنى للجادة إلى الجهة اليسرى منها. لم تكن المسافة التي تفصلنا عن خط دفاع العدو الأوّل وكمينه طويلة. صرنا نتقدّم منحني الظهر ونمشي مشية البطّة ونتقدّم زحفًا. توقّفنا لدقائق قرب فجوة على الطريق المعبّدة. في هذه الجهة عمّ المكان سكون مهيب، أمّا من الجهة الأخرى، وعلى مسافة عشرين إلى ثلاثين مترًا فكانت أصوات البعثيّين وجلبتهم تتناهى إلى مسامعنا.

فجأةً تفرّق الطابور من مكانه إثر انفجار قنبلة وإطلاق قذيفة

(آر بـي جـي) ووابـل مـن الرصاص. كنـت أركّـز بكل وجـودي على محســن كودرزي. لقـد أطلق قذيفـة (آر بي جــي) في الدقيقة الأولى لبــدء الاشتباك. ناولته قذيفة أخرى فوضعها سريعًا في داخل القبضة وأكملنا المسير.

كانــت نيران البعثيّين هائلة لا مثيل لها. كأنهم لم يؤخذوا على حين غرّة، بل كانوا مستعدين وجاهزين.

لم أعلـم ماذا حصل، لقد أضعتُ محسن كودرزي بعد عبورنا عدة متاريس. لاحقًا أدركت أنه قد ذهب إلى الجهة اليمنى من الجادة فيما بقيـت أنا في الجهــة اليسرى. كان عناصر الفصيـل الأول والفصيلين الآخريــن من السريــة الأولى يتقدمون إلى الأمــام. أطلقت النار على عدة متاريســ ظنّا مني أن جنودًا بعثيّين موجــودون بداخلها فأفرغت قرابة المخزنين من الرصاص. دقّقت كثيرًا ولم أجد كودرزي. كان جلّ همّــي أن أجده لأسانده. وأزيــز الرصاص من حولي لا يتوقف. القنبلة تنفجــر تلــو القنبلة، مــن الأمام والخلف، مــن اليمــين واليسار. يعبر الجنود إلى جانبي ويتقدمون إلى الأمام، لكن خطوة إثر خطوة.

كنــت أتقدم فوق الجادة المعبّدة وأطلق مــن حين لآخر رشقات من الرصاص على جوانبي. في إحدى المرات ضغطت على الزناد فانطلقت عــدة رصاصــات إلى أن فرغ مخزني. كان علــيّ أن أبدّل المخزن. على ما يبدو أنّ ذلك المتراس إلى الجهة اليمنى كان مليئًا بالبعثيّين. ينبغي أن أرسلهــم جميعًا إلى الجحيــم. حملتُ مخزنًا محشوًّا بالرصاص في يدي، ولم أكد أسمع صوت طقّته وهو يستقرّ في مكانه من البندقيّة حتى تغــيّرت الأحوال، فقد انفجــر شيء ما خلفي. شيء كان أكبر من قنبلة عاديــة، وجّهت شظاياه ضربــة قاسية إلى يدي. تسمّرت في مكاني. لم أشعر بــالألم. نظرت إلى الجهة الخلفيّة مــن ساعدي الأيمن فوجدت

جرحًا عميقًا. لقد انفصل اللحم عن العضل حتى امتلأ قميصي دمًا. جلست وأخذت سلاحي بيدي اليسرى. شعرت بالألم بعد أن رأيت الجرح. لم يكن هناك مكان مناسب للجلوس على الجادة. احتميت بكتف الجادة الترابيّة وجلست في أسفلها. قلت في نفسي: وهل هذا وقت الإصابة بالجراح؟ عليك أن تفرغ مخزنك في أولئك الذين لا أبا لهم!.. كم انتظرت للمشاركة في هذه العملية وترقّبت هذه اللحظات، ما كان يجب أن أنهار بهذه السرعة.. جالسًا، وضعت المخزن في سلاحي وثبّتّه بالاستعانة بقدميّ، ثم أطلقت -غاضبًا- رصاصاته كلّها نحو ذلك المتراس. شعرت بعرق بارد على جبهتي، وقد صبغ الدم كل ملابسي. سألت نفسي: هل أستطيع -وأنا على هذه الحال- أن أقوم بعمل آخر سوى الانتظار؟

فجأةً وصل أحمدي زاده لنجدتي. فكّ حزام جعبة قاذف الـ(آر بي جي) فأصبحت خفيفًا. ثم أخرج علبة الإسعاف الفردية من جعبتي وضمّد جراحي. لقد أظهر فنّان الفصيل أنّه مسعفٌ جيّدٌ، وقد أثبت أنّه حاضر في الوقت المناسب. لم يكن يعلم شيئًا عن محسن كودرزي، كذلك لا أعلم شيئًا عن أصغر لك علي آبادي. كأنّ الجميع أضاعوا بعضهم البعض منذ بداية المعركة. طلب منّي قنبلة، فقلت: لديّ اثنتان، خذ من جعبتي..

أخذ القنابل وحقيبة ذخائر الـ(آر بي جي) وأيضًا مخازن سلاحي ومضى. وقبل أن يبتعد قلت له: عزيزي أحمد، الجهة اليمنى مليئة بمتاريس البعثيّين، اذهب من الجهة اليسرى.. تلك الجهة أكثر أمنًا.

لا أدري إن كان سمع كلامي كلّه أم لا. كنت أرى وميض نار يتوهّج من بعيد، لعلّها آليات العدو التي كانت تحترق. شعرت بدوار في رأسي. وقد امتلأت نظارتي بالدخان والتراب. لم أنظّفها، فقد كانت مربوطة

بربطـة مطاطيّة ولم يكن بالإمكان تنظيفها بيد واحدة. اكتفيت بذلك المقدار من الرؤيـة وتوجّهت من الجهة اليسرى للجادة، أي خور خليج عبـد الله، نحو الخلـف، وسلكت طريق العـودة. مشيـت ومشيت حتى وصلـت إلى طابـور لقوّاتنا الصديقـة، كانوا عناصـر السرية الثانية. سألنـي الأخ قيومـي مسؤول السرية: ماذا يحـدث في الأمام؟ كيف هو وضع العدو؟

– الجهـة اليمنى من الجـادة مليئة بالبعثيّـين. ينتشر العدو بكثرة داخـل المتاريـس والبيوت المرقّطـة.. على الجادة أيضًـا يوجد دبابات وناقـلات جند على مدى النظـر.. أعتقد أنّ الوضع علـى هذا المنوال وصولًا إلى الجسر.. نيران العراقيّين كثيفة، ولكن مع كل هذه الأوضاع اقتحم عناصر السرية الأولى خط الدفاع البعثي.

استمـع قيومـي إلى كلامـي، كلمةً كلمـة. ربّت على كتفـي اليسرى ونهض من مكانه ومضى برفقة طابور سريّته. خرج الدم من الضمّادة التـي ربطهـا أحمدي زاده قبل ذلـك وتخثّر. وصلتُ منهـكًا إلى نقطة انتشـار الكتيبـة المزدحمـة. الجميع يسارعـون إلى مساعـدة جرحى السرية الأولى وسحب الشهـداء إلى الخلف. بينما كان طابور السريّة الثالثـة جاهزًا ينتظـر الأمر بالتقدم. نظرتُ حـولي عساي أجد حلًّا: أيـن سيارة الإسعـاف؟ أين دشمـة مستوصف الكتيبـة؟.. وأنا أنتظر جوابًـا عـن أسئلتي هذه، شغّـل سائق الدراجة الـذي يقف إلى جانبي دراجته وقال: يا أخي، اركب.. أنا ذاهب إلى الخلف..

ركبـت خلفـه على الدراجـة الناريـة وأمسكـت به بيـدي اليسرى بإحـكام. خشيـتُ أن أصاب بالـدوار فأقع أرضًـا، لأنّ الدراجة كانت تسير بسرعة وقد أطفئ ضوؤها. جعلني الجلوس خلف السائق لنصف ساعة أرتجف من شدة البرد الذي حال دون إصابتي بالدوار.

وصلنــا إلى مقــرّ الفرقة الكائن على ضفّة نهــر أروند. دلّني سائق الدراجــة على العنبر المخصّص لمستوصف الفرقة، فيما ذهب هو إلى منشأة أبعد بقليل أعتقد أنها وحدة التجهيزات.

فــور دخولي المستوصف وجــدت مصباحًا خافتًا ضــوؤه. كان يبدو كقاعــة كبيرة بسقف محكم. أما المسعفــون فنائمون. حين أوشكت أن أفقد وعيي أيقظتهم بصوتي العالي: ألا يوجد أحد هنا ليأتي لنجدتي؟

جــاؤوا وهم يتثاءبــون. ذهب أحدهــم إلى خارج العنــبر فأضيئت الصالــة بعــد أن ارتفع صوت مولّــد الكهرباء. ها أنــا الآن أدرك ماذا يدور حولي؛ صالة كبيرة وأسرّة كثيرة. في الدقائق المعدودة تلك، وصل عددٌ آخر مــن الجرحى، كانت أوضاعهم حرجــة. استلقيت على أحد الأســرّة. نظر مساعــد الطبيب النعسان إلى جرح يــدي، غيّر الرباط وحقنني بإبرة مسكّن. لم أعد أرى بشكل واضح. أصبح كل شيء معتمًا وصرت أرى الأشياء مزدوجة وثلاثيّة و..

تناثــرت قطرات المــاء على وجهي فأدركت أننــي على متن المركب. عندمــا وصلنا إلى الضفــة الشرقية من نهر أرونــد، وُضعتُ في سيارة إسعــاف ونُقلــت إلى مستشفــى فاطمــة الزهــراء عليها السلام. هنــاك بحث الممرضــون في جيوبــي ليجدوا بطاقة هويتي. سألــوا أيضًا عن بياناتي الشخصيّــة؛ بعد ذلك علّقــوا مصلًا إلى يدي وبقيــت ضمادة جرحي على حالها ولم تُبدّل، الضمّادة ذاتها التي ربطها أحمدي زاده.

حتى اليــوم الثالث عشر من شهر شباط، بقيت راقدًا في مستشفى الشهيد بقائــي في مدينة الأهواز. هناك التقيــت أحد عناصر الكتيبة القدامــى. كان مــن المسؤولين وأصحــاب الخِبرة، علــى معرفة جيدة بمسعــود، وقــد علمت منــه أنّ «مسعود» قد أُصيب بجــراح. حتى ذلك الحــين كان الخــبر الوحيــد المؤكّد أنّه لم يبــق من كتيبــة حمزة سوى

فصيل أو فصيلين سالمين من مجموع القوات، وكذلك علمت أنّ أكثر الجرحى كانوا من السريّة الأولى.

انتقلت في الرابع عشر من شهر شباط إلى مستشفى «أمير كبير» في مدينة آراك. أثناء ترجّلي من الباص الذي ينقل الجرحى أمسكتْ ممرّضة بيدي كي لا أقع على الأرض. تراجعت فورًا إلى الخلف. لم تكن من محارمي وأنا من جرحى الحرب. أضف إلى ذلك إنّي لم أكن بحاجة إلى مساعدتها. لقد كانت السيدة الأولى التي أراها بعد فترة طويلة من وجودي في الجبهة. كأنّي أُصبت فجأةً بصعقة كهربائيّة.

في مستشفى آراك لم يغيّروا ضمادة جرحي أيضًا. لقد مضى على هذه الضمادة ثمانٍ وأربعون ساعة من دون تغيير؛ إنّها ذكرى من أحمدي زاده. أنا الذي لا أفقه شيئًا كنت أعلم أنّ عليهم أن يفكّوا الضمادة ويعالجوا الجرح من الالتهابات، ويغسلوه ويلفّوه من جديد بالشاش المعقّم، ولكنهم لم يفعلوا. كنت أدخل إلى مستشفى ثم أخرج منه لأنتقل إلى آخر. في اليوم التالي -الخامس عشر من شهر شباط- نُقلت من آراك إلى مستشفى في مدينة كرج. هناك انكسر الطلسم الذي رافق جرحي، فقد فكّوا الضمادة وعالجوه من الالتهابات، ثم ضمّدوه مرة أخرى. عندما رأيت الشاش القديم والممزّق والممزوج بالدم تذكرت جادة الفاو-أم القصر. لقد شخّص الطبيب حالي، وقال إنني كنت محظوظًا إذ لم يصل الضرر إلى عظمي.

غادرت مستشفى كرج في السابع عشر من شهر شباط وتوجهت إلى منزلي في محلة مجيدية في مدينة طهران.

حتّى تلك اللحظة لم يصلني خبر مؤكد عن مسعود، لكنّ مهدي كبير زادة قد نال شرف الشهادة. سمعت أنّ رصاصةً أصابته في ظهره وخرجت من بطنه، وقد ضمّد المسعف جرحه في المكان ذاته حيث ضمّد

أحمدي زاده جرحي، ولكنّه كان قد أُصيب في مكان آخر من جسده: في كتفه. لقد وجدوا جثّته الممرّغة بالطين في حفرة غمرتها المياه.

سمعتُ أنّ جنود العدو أثناء تقدّم الأخوة اختبأوا تحت الدبابات وناقلات الجند فيما تظاهر البعض منهم بالموت واستهدفوا شبابنا من خلف ظهورهم. يبدو أنّ مهدي قد استشهد بهذه الطريقة.

لم أستطع المشاركة في مراسم تأبين مهدي أو الذهاب إلى منزله. لقد سلبني جرح يدي الراحة. خطر ببالي أن أذهب إلى مستشفى نِجميّة في شارع حافظ. تمّت معاينتي وهناك أدخلت المستشفى. أُخرجت الشظيّة من جرحي في عمليّة جراحيّة.

في ذلك اليوم، جاء خبر استشهاد مسعود، وسُلّم جثمانه إلى عائلة عمّي. أي جثمان هذا الذي أتكلّم عنه، كان مجرّد رِجْلٍ من جسد. لم ينبئوني بخبر استشهاده لأني لم أكن على ما يرام. وعندما تحسنت أحوالي أخبروني بذكرى مرور أسبوع على دفنه. بعد عشرة أيام خرجت من المستشفى وذهبت مباشرة إلى منزل عمّي الكائن في محلّة فرديس في مدينة كرج.

عُلّقت اللافتات وقطع القماش الأسود على باب منزل عمّي وجدرانه. خنقتني العبرة. لم أكن أصدّق أن أحيا لأرى هذا المشهد. رحل ابن عمّي وصديقي الوفيّ والمخلص وزميلي في القتال وما زلتُ هنا. كنّا قد ترافقنا في هذا الدرب، لكنّي رجعت وحيدًا ذليلًا.

هو أيضًا مضى وحيدًا، لقد عادت رجله فقط. منحني الرأس، قدّمتُ واجب العزاء لعمّي وزوجته. أطلعوني على صورة رجله المدفونة تحت التراب. الذكرى الوحيدة التي بقيت من ذلك المدلّل صاحب الوجه الحسن الذي مضى بسرعة وثبات. تعجبت من رؤية هذه الصورة: هذه لم تكن رجل مسعود، فرجله لم تكن كثيفة الشعر هكذا. إنّها رِجل رجل

في العقد الثالث من عمره ولا تعود لشاب يافع في السادسة عشرة من العمر. لذا من الواضح أنّ حجمها وشكلها لم يكونا متناسبين مع بنية مسعود الجسديّة. تذكرت أيام ذهبنا معًا إلى المسبح، وحين شاركنا في التدريبات البرمائيّة. تأملت الصورة لنصف ساعة.. تمعّنت واستحضرت الذكريات وفكرت مليًّا و.. وأخيرًا لُذْتُ بالصمت.

في أوّل فرصة تسنّت لي سارعت إلى مقبرة جنة الزهراء حيث دُفن أصحابي، ذهبت إلى القطعة 26، الصف 84، الرقم 41، إنّه المكان الذي دُفنت فيه تلك الرجل. جلست إلى جانب القبر وقرأت سورة الفاتحة، لكنّ قلبي كان يشهد بأنّ الصورة تلك لم تكن صورةٍ رجل مسعود. أصابني القلق والاضطراب؛ ربما يكون مسعود قد أُصيب بجراح وهو بحاجة إلى مساعدتي.

لم تفارقني هذه الشبهة، يجب أن أدفعها بشكل من الأشكال، فحدّثت نفسي: أما كانوا يطلقون عليك لقب فيلسوف الفصيل؟! أيها السيد الفيلسوف، يجب أن يُكشف سرّ هذه الجثّة!

فور عودتي إلى المنزل. ذهبتُ في طلب أحمدي زاده الذي أُصيب بجراح بعد أن ضمّد جرحي. قصصتُ عليه قصة تلك الرِجل المجهولة. كان أحمدي زاده قد سمع أنّ «مسعود» تعرّض لضربة على رأسه ولعصف انفجاري، وأنه كان قد نُقل في سيارة الإسعاف. زادتني مقولة أحمدي زاده تصميمًا على التحقيق.

وكانت قد عُلّقت قلادة على تلك الرِجل. لا بدّ أنّ أحدًا ما حصل على هذه القلادة وعلّقها على تلك الرِجل بعد شهادة صاحبها الذي تقطّع جسده. لم أستسلم ولم أتعب من التحقيق؛ انطلقت بالقطار في بداية شهر آذار من العام 1986 نحو منطقة الجنوب. ركبت باصًا صغيرًا من محطة القطار في الأهواز، ومن ثم شاحنة تويوتا صغيرة

حتى أصل إلى مقر الفرقة في مخيم كارون.

بدايةً ذهبت إلى وحدة «تعاون» الفرقة. أشارت إحصاءات الوحدة إلى أنّ مسعود قد جُرح وتمّ نقله إلى مستشفى آية الله كاشاني في مدينة أصفهان، فهممتُ بمراجعة قسم إحصاء الأفراد في الفرقة. هناك كانت الإحصاءات تشير إلى إصابة مسعود بالجراح وشهادته بعد ذلك.

قمت بعدها بزيارة قصيرة إلى كتيبة حمزة. الحمد لله، لم تكن مزدحمة. بدا لي أنّ العناصر الموجودين داخل الخيم مجهولون بالنسبة لي. لقد تمّ حلّ كتائب من الفرقة ليحلّ مكانها كتائب قتاليّة، وكتائب خدمات ودعم قتاليّ أخرى. وجدتٍ مهدي بور وأنصاري ورمضاني في خيمة الفصيل الأوّل. كانوا قد أُصيبوا أيضًا بجراح، ولكنهم لم يغادروا منطقة القتال فجراحهم كانت طفيفة.

أخبرتهم القصة العجيبة المليئة بالألغاز التي تشغل ذِهني، وطلبت مساعدتهم في حلّها، اتّفقت آراؤنا جميعًا بأنّ مسعود أُصيب بجراح ونُقل إلى الخلف. كنت أرغب أن أبقى لوقت أطول معهم في خيمة الفصيل، لكن لم يكن لديّ متسع من الوقتً. ذهبت بعدها في زيارة خاطفة إلى ثكنة دوكوهه. قطعت المسافة بين ثكنة دوكوهه ومخيم كارون مرات عدة. كنت آمل أن أرى قدامى مقاتلي الكتيبة عسى أن أحصل على خبر جديد عن مسعود.

تكلّلت جهودي بالنجاح نوعًا ما. فقد أكّد عدة أشخاص آخرين أنّ مسعود قد أُصيب برأسه. قال أحدهم: كان مسعود يقف إلى جانب ناقلة جند بعثيّة وفجأة انفجرت بما فيها من ذخائر. ونتيجة ذلك الانفجار تعرّض مسعود لضربة في رأسه جعلته يترنّح في مكانه، ولكن الشباب قدّموا له المساعدة على الفور ونقلوه إلى الخلف.

استغرق الأمر أسبوعًا كاملًا حتى بحثت في جميع مستشفيات

مدينة الأهـواز وتفقّدت جميع الجثث التي لم يُعـرف أصحابها، لكنّي لم أجـد «مسعـود» بينها. أحيانًا كنـت أعتقد أنه ربمـا أثناء الانفجار والعصـف الانفجاري وقعت القلادة من عنـق مسعود، ولكن من الذي التقطهـا وعلّقها إلى تلك الرِجل؟ أحيانًا أخـرى كنت أحدس أنّه ربما تعرضـت جنازة مسعود أثناء وجودها في داخـل الإسعاف لغارة جويّة وتقطعت إربًا إربًا في مكانها واحترقت. لم يفارقني سيل الخواطر.

تحدّثـت إلى عامـل بريد الكتيبة. هـو أيضًا رأى «مسعـود» مصابًا بجراح ونَقَلَه بنفسه إلى داخل الإسعاف. تيقّنت حينها أنّ جثة مسعود مـا زالت سالمة إن كان قـد استشهد. ركنتُ إلى زاويـة وبدأت بتجميع اللغز -وكأنّه قطع البازل- الذي كنت قد ألّفته بنفسي. وضعت الفلسفة جانبًـا لأتحـوّل إلى محقّـق. لم يفارقني وجه مسعود أبـدًا. لربّما كان الآن فاقد الوعي أو مجهول الهويّة في زاوية ما داخل أحد المستشفيات. دعـوتُ اللّه أن يوفّقني مرة أخرى لتقبيـل وجهه. كانت آخر مرة رأيته فيها واحتضنته عند مثلّث مصنع الملح. في تلك اللحظة كان كل منّا قد وعد الآخر بالشفاعة، كان ذلك قبل بدء الهجوم بساعة واحدة أو أقل.

عندمـا عـدت إلى طهـران، حصلـت علـى إحصائيـة الجرحـى والشهـداء مـن جمعية الهـلال الأحمر في طهران. كمـا وجدت اسمي والطريقـة التـي أصبت بهـا في تلك القائمة الطويلـة. فهمت وقلت في نفسي: إذًا هذه إحصائيّة دقيقة. بحثت جيّدًا لأجد أيضًا اسم مسعود! كان اسمه بين أسماء الجرحى الذين أُدخلوا مستشفى آية اللّه كاشاني في مدينة أصفهان. اتصلت بالمستشفى هاتفيًّا. استغرق الأمر ساعات ليؤكّـدوا لي في نهايـة المطـاف أنّ مسعود كان هنـاك في اليوم الثالث عشر من شهر شباط، وقد استشهد بسبب الجرح في رأسه.

حينئـذٍ، تيقّنـت أنّه قـد استشهـد. لم أكـن قد صدّقـت بعد خبر

استشهـاده يوم شاركت في مراسـم تأبينه، ولكن ما إن وضعت سمّاعة الهاتف في مكانها حتى خنقتني العبرة. لقد تأكدت من شهادة مسعود! حقيقة حلوة ومرة. طبعًا كنـت سعيدًا لأني استطعت بدقّة وإصرار أن أكشف عن حقيقة كبرى. كما أخبرني مسؤول ثلاجة الموتى في مستشفى آيـة اللّه كاشاني أنّ جثة مسعود قد نُقلت إلى مركز الطب الشرعي في طهـران قبل شهر. فذهبت سريعًـا إلى مركز الطب الشرعي، وعندما أحضر موظـف المركز ملف الشهيد مسعود أهـري أمامي بدأ يتحدث بمـا يعتلـج في صدره وقال: «متـى يتّضح ما يجب القيـام به تجاه هذا الشهيد؟.. لا أعلم».

سألته مستغربًا: «ماذا حصل؟ ما القصة؟».

– قبـل عدة أسابيع نُقلت جثة أهري من أصفهان إلى طهران فقمت بإرسالها إلى كرج قبل عشرين يومًا، ولكنّها رُدّت إلى هنا. قالوا إنّه قد تمّ تسليم جثة أهري إلى عائلته في مدينة كرج وهذه ليست بجثّته. فقمت بمقارنة بياناته الشخصية مع عنوان المنزل وكانت النتيجة مطابقة.

قلتُ له:

– هذا هو عنوان منزله نفسه.. إذًا لماذا لم تُبدِ إصرارًا؟

– أرسلـت الجثة مرة أخرى إلى كـرج ولكنهم أرجعوها من جديد. والآن لا تستطيـع أن تأخذ الجثة، فلستم وحدكـم من يدّعي أنها تعود لابنهم. أجابني الموظف.

– وكيف ذلك؟ سألته.

– توجـد عائلة أخرى مازندرانيـة فُقد ابنها، وتدّعي أنّ هذه الجثّة تعود له وتريد أن تأخذها. هم الآن يملأون استمارة الاستلام. لو كنت تأخرت وأتيت في الغد لوجدت أنّ الجثّة قد دُفنت في مدينة ساري.

دخلتُ لأعاين جثّة مسعود. كان قد أُصيب بشدة في رأسه من جهة الخلف، وكأنّ جمجمته قد انكسرت. تحقّقت من محفظة الوثائق المرفقة بالجثة، كان عنوان المنزل المكتوب على البطاقة دقيقًا وصحيحًا. عدا هذه البطاقة كان قرآن مسعود الجيبي وساعته اليدويّة المعفّرة بالدماء في داخل المحفظة. هي الساعة ذاتها التي كان والده قد أهداه إياها.

آسفًا للمصير الذي لاقاه جثمان مسعود، شكرت موظف مركز الطب الشرعي وأسرعت قاصدًا مدينة كرج. لم يكن تضييع الوقت مسموحًا. عمّي وزوجته ليس لديهما أي فكرة عن كل هذه التفاصيل، وخلال الطريق رحتُ أفكر من أين سأبدأ بالحديث معهما وماذا أقول؟ حقًّا كيف لي أن أُفهم أبًا وأمًّا مفجوعين بولدهما أنّ الرِجل المدفونة ليست جزءًا من جثة ولدكما المقطّعة، وأنّ جثة مسعود سليمة وتامة وما زالت في برّاد حِفظ الموتى في مركز الطب الشرعي في مدينة طهران، وأنّ الجثة قد أُرسلت مرتين إلى كرج وعادت أدراجها، وأنّ ثمة عائلة أخرى من مازندران تدّعي أن الجثة تعود لولدها، وإذا لم يسرعوا عليهم استخراج جثّته لاحقًا من داخل قبر في مقبرة في مدينة ساري و.. حقًّا، إن كان عمّي على قدرٍ من التنظيم والدقّة ولديه خبرة في مجال الطب كيف ولماذا أخطأ خطأً كهذا؟

لم يتحمّل رأسي كل هذه الأسئلة والتحليلات، فأطلعت والدي على القصة كاملة، وانطلق معي إلى كرج كي يساعدني في هذه المهمة الصعبة. فالأخ وأخوه قادران حتمًا أن يفهما لغة بعضهما البعض على النحو المطلوب. تعجّب عمي عندما رآني مع والدي، خصوصًا أننا كنا قد وصلنا معًا وعلى حين غرة. تحدثنا وتحدثنا بما بدا لنا من كلام

حتى اقتنع عمّـي بأنّ تلك الرِجل المليئة بالشعر لا تعود لمسعود و.. كأنّ جبلًا كبيرًا زال عن كاهلي.

وفي صباح اليوم التالي ذهبنا برفقة عمّي وزوجته إلى مركز الطب الشرعـي في طهران. كان على الوالديـن أن يتعرّفا إلى الجثمان حتى يُحـرز الاستلام شروطـه القانونيّة. مع أنّه مضى ثلاثـون إلى أربعين يومًـا على استشهاد مسعـود إلا أنّ لون الجثة لم يتغيّر. كان الأب والأم متفاجئين ينظران بدهشة إلى تلك الجثة. إلى أن انفجرت زوجة عمّي بالبكاء وأراحت نفسها، وهذا معناه أنّ الأم قد تعرّفت إلى ولدها.

وبـدوره تحقّق عمّي من أسنان مسعود. كان ناب مسعود الأيمن يعلو السنّ المجاور له. رأى عمّي ذلك فتعرّف هو الآخر إلى جثة ولده. كما إنّ الوثائـق المرفقة بالجثة كانت بذاتها شهادة صريحة. مع كل هذا كانت العائلة المازندرانية ما زالت مصرّة على طلبها. وكانت قد حضرت برفقة جماعة كبيرة لاستقبال الجثمان باحترام ونقله إلى مدينة ساري تمهيدًا لمراسم التشييع والدفن، وقد جُهّزت التدابير اللازمة لذلك، كما كانوا علـى عجلة لإتمام هذا الأمـر بالرغم من عدم صوابيّته. صاح الطبيب الشّرعـي في وجوهنا قائلًا: ينبغي من أجل الحكم الصائب والصحيح ورفـع الاختـلاف أن تخضع الجثة لفحص الحمض النووي. عاد عمّي وزوجته إلى كرج ليصحّحوا الاشتباه الذي وقعوا فيه، وليخبروا الأقارب بالموضـوع ويتّخذوا الإجراءات اللازمة ليـوم التّشييع والدفن والتأبين. بعد يومين أدلى الطبيب الشرعي بإفادته، وحدّد العائلة التي تعود الجثّة لها. لقد رقّ قلبي لتلـك العائلة المازندرانية فقد مضت ستة أشهر على استشهاد عزيزهم وكانوا يبحثون عن جثّة ما -بأعين مغمّضة- لدفنها عسى أن يبعث ذلك الطمأنينة في قلوبهم وأرواحهم.

وقبل حلول عيد النوروز وعلى مشارف العام 1365ش (21 آذار 86م) دفنت جثة مسعود وأُقيم حفل تأبينيّ له. وهذه المرة دُفن مسعود بتاريخ 1364/12/24 (15 آذار 1986) في القطعة 53 من مقبرة جنة الزهراء. وقد وضعت بلاطة جديدة على ذلك القبر السابق في القطعة 26 مهرت بعبارة «الشهيد المجهول». «الشهيد المجهول» يعني جثمانًا عزيزًا لأب وأم ما زالا يطرقان هذا الباب وذاك ويجولان هذا الزقاق وذاك بحثًا عن فلذة كبدهما. جرحٌ موجع ما زال يسحق أرواح وقلوب عائلات كثيرة ويخنقها! وهل يكون هذا جزاء مثل هذه الأمهات؟

لقد مضت سنوات على تلك الحرب الفتّاكة التي نشأت من عصبيّة جاهليّة لنَذّل حكم أرض الجوار، وفي الوقت عينه كانت امتحانًا لرجولة واستقامة أصحاب الشهامة من أبناء أرضنا الأبيّة. والآن يجب أن يحاكِموا ألعوبة الاستعمار تلك، طبعًا إن سمح بذلك الموصومون بالعار والخزي.

قبل سنوات خلت، رأى أحد أهالي فرديس في عالم الرؤيا أنه يجب تبديل بلاط قبر تلك الرجل المدفونة. لقد فسرنا تلك الرؤيا بأنّ تلك الرِجل هي الجزء الوحيد المتبقّي من جثمان عزيز على قلب والدة ما زالت تترقّب جسده بفارغ الصبر. لقد بدّل ذلك الشخص بلاطة القبر الأسود بحجر ثمين ملوّن بالأبيض والأحمر. ما زلت أزور القطعة 53 في مقبرة جنة الزهراء في طهران مرة على الأقل في السنة، ولم أنسَ أبدًا القطعة 26.

لقد سكن في القطعة 53 أعزائي من السنوات الغابرة، مسعود أهري، مهدي كبير زاده وآخرون كثر.

بقي شريط مسجّل من مسعود أوصى فيه بوصاياه، إلّا أنّ وصاياه المكتوبة بخط يده لم يصلنا منها شيء.

وثائق الفصل الثاني

الرقم	الاسم والشهرة	الوثائق المكتوبة	الصور	الوثائق غير المكتوبة
1	أصغر علي محمد بور اهر	4	7	مقابلة 235 دقيقة
2	الشهيد مسعود علي محمد بور اهر	42	24	35 دقيقة بصوت الشهيد + 55 دقيقة مقابلة مع العائلة
3	الشهيد مهدي كبير زادة	34	23	95 دقيقة مقابلة مع العائلة

من مجموع وثائق هذا الفصل نورد في هذا القسم 19 ورقة من الوثائق المكتوبة و13 صورة:

1 - أصغر علي محمد بوراهر

1-1 المعلومات الشخصية

- حائز دبلومًا في الرياضيات ودبلومًا في الاقتصاد (الشهادة الثانوية)، متأهل، وله ثلاثة أولاد، المهنة حرة.

- محل وتاريخ الولادة: اهر، العام 1969.

- مدة المشاركة في الجبهة وطريقة الانتساب: اثنان وخمسون شهرًا من الخدمة في صفوف التعبئة.

- تاريـخ الخبرة العمليّـة والتشكيل العسكري: بـوكان، سنة 1983 (عنصـر قناص)، عملية بـدر (مساعد رامي رشاشـ BKC)، جبهة دفـاع مهران، العام 1985 (مساعد رامي آر بي جي)، عملية والفجر8 (مساعـد رامي آر بـي جي)، جبهة دفاع الفاو، العـام 1986 (مساعد رامـي آر بي جي)، عملية كربـلاء1 (مساعد رامي آر بي جي)، عملية كربلاء5 (مسؤول فصيل)، عملية نصر7 (قسم الإعلام في الكتيبة)، عمليـة بيت المقدس2 (إعلام الكتيبة)، عملية بيت المقدس4 (الإعلام في الكتيبة)، عملية مرصاد، (الإعلام في الكتيبة).

- عـدد الإصابـات: إصابـة الساعـد والكتـف اليمنـى (1985)، قطـع عصب السياتيك في الرجل اليسـرى (1986)، إصابة بالقصف الكيماوي في الرئة والجلد (1988).

- نسبة الإصابة المئوية: 45 %.

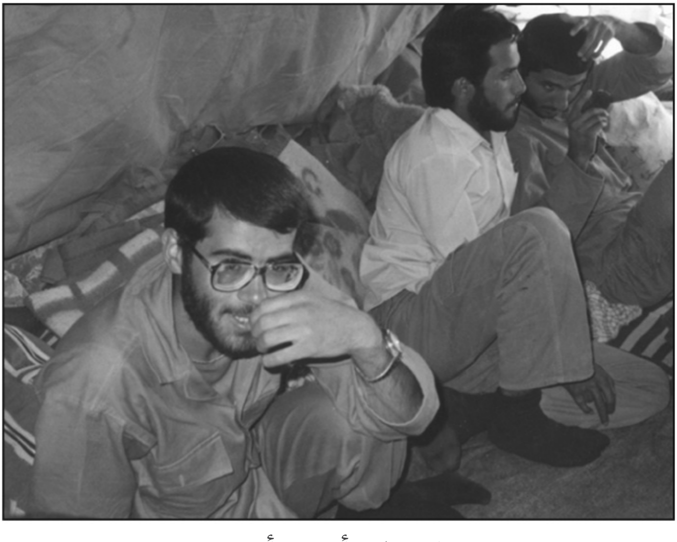

الصورة رقم -10 من اليسار: أصغر أهرى، محسن كودرزي

2-1 المذكرات المدونة

1-2-1 دفتر حسن أعلايي نيا

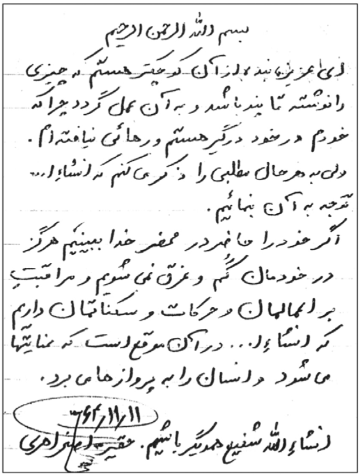

بسم الله الرحمن الرحیم

ای عزیزان بنده بدان که حقیر هستم و چیزی
را نوشته تا پند باشد و به آن عمل گردد چرا که
خودم هم در خود درگیر هستم و رهائی نیافته‌ام.
ولی به هر حال مطلبی را ذکر می‌کنم که انشاءالله
توجه به آن بنمائیم.
اگر خود را حاضر در محضر خدا ببینیم هرگز
در خودمان گم و غرق نمی‌شویم و مراقبت
بر اعمالمان و حرکات و سکناتمان داریم
که انشاءالله... در آن موقع است که عنایتها
می‌شود و انسان را به پروازها می‌برد.

۶۲/۱۱/۱۱

انشاءالله شفیع همدیگر باشیم. حقیر اصغر اهری

الوثيقة رقم 17

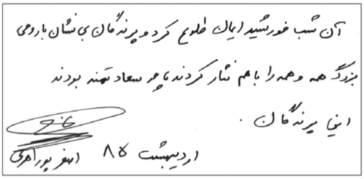

آن شب خورشید ایمان طلوع کرد و پرندگان بی‌نشان با روحی
بزرگ همه و همه را با هم نثار کردند، چه سعادتمند بودند
این پرندگان.

اردیبهشت ۸۴ اصغر پوراهری

3-1 الكلام الأخير

الوثيقة رقم 18

2 - الشهيد مسعود علي محمد بور اهر (أهري)

1-2 بطاقة الهوية

الصورة رقم 11

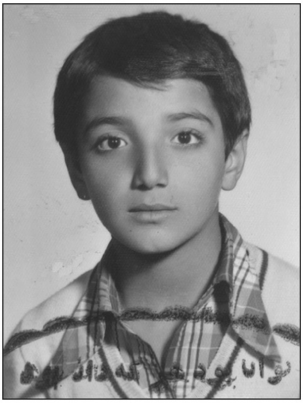

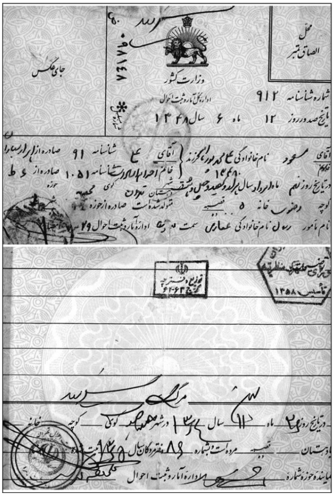

وزارت کشور

اداره کل آمار و ثبت احوال

جای عکس

محل الصاق تمبر

شماره شناسنامه ۹۱۲

تاریخ صدور روز ۱۲ ماه ۶ سال ۱۳۴۸

نام مسعود نام خانوادگی علی محمد پوراهر

الوثيقة

رقم 19

(ورقتان)

الصورة رقم –12 من اليمين: مسعود أهري، سعيد بور كريم، أصغر أهري

2-2 الرسائل

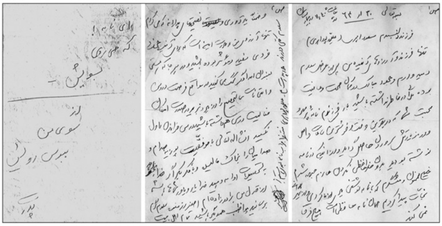

الوثيقة رقم 20

(رسالة الوالد إلى مسعود أهرى ثلاث أوراق)

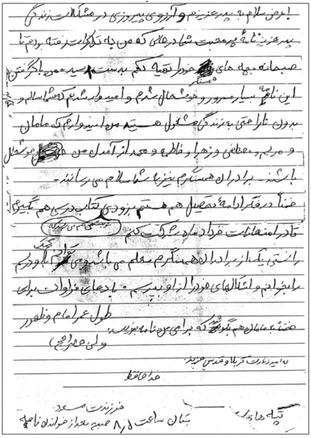

الوثيقة رقم 21

2–3 المذكرات المدونة

2–3–1 دفتر محمد جواد نصيري بور

الوثيقة رقم 22

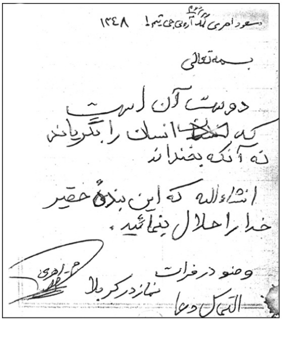

۱۳۴۸

بسمه تعالی

دوست آن است
که انسان را بگریاند
نه آنکه بخنداند

انشاءالله که این بنده حقیر
خدا را حلال بنمائید.

وضو در فرات
نماز در کربلا
التماس دعا

الصورة رقم 13

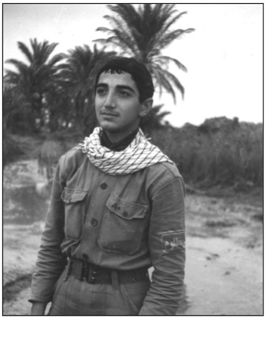

4-2 الوصيّة

هذا المتن تمّ إفراغه من شريط مسجّل.

أتمنى أن أزور سيدي الحسين بن علي عليه السلام عند استشهادي.

والدي العزيز، آمل أن لا تحزن على فراقي ولا تجزع وأن لا تبكي وتنتحب، فيكون بكاؤك وحزنك سببًا لسعادة أعدائنا.

والدي العزيز، لا أدري كيف أشكرك إذ أوصلتني إلى هذا العمر وربّيتني فلساني عاجز عن تقدير محبّتكم ولطفكم وتعبكم وعذابكم في سبيل تربيتي.

آمل أن لا تسأموا من الحياة لعدم وجودي بينكم. يا والدي، يا نور منزلنا، أتمنى أن تعلم أنّ الله تعالى يبتليكم ويمتحنكم، وعليكم أن تشكروه وتكونوا فخورين أنّ ولدكم نال سعادة الاستشهاد في سبيل الإسلام والدفاع عن الأهداف السامية.

يا والدي العزيز، يا عزيز قلبي أطلب منك متوسّلًا إليك أن تعفو عني وتسامحني إن كنت قد أسأت إليك من حين لآخر.

السلام على أولئك المرابطين على الثغور، في منزل الصيحات والسكون حيث رائحة الطراوة ورائحة التراب. أجل، إن رائحة التراب تفوح من الأصحاب هنا، ولم يكن عبثًا أن أطلق النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الإمام علي عليه السلام لقب أبي تراب. لقد كان علي عليه السلام يأنس بالتراب، يأنس بالظلمة ويأنس ببستان النخيل.

إلهي إنّ قلبي يعتصر ألمًا، ما زلت أترقب هذه اللحظة الحلوة وأنتظرها منذ أمد بعيد، وكم من الليالي غفت عيناي وأنا أهيم في بحرها عشقًا.

5-2 مقابلة مع أم الشهيد

رُزقت بمولودي الثاني وكان صبيًّا. وُلد مسعود في العام 1969. كان طفلًا هادئًا ذا صدر رحب. كان قليل المشاغبة والأذى. وكان يساعدني وأخته في أعمال المنزل. ولمّا كان يحب الخياطة وطهو الطعام، فقد كان يحمل معه في أسفاره دائمًا إبرةً وخيطًا وينجز أعمال الخياطة الصغيرة بنفسه.

عند انتصار الثورة، كان لمسعود تسع سنين من العمر فقط، ومع هذا كان يشارك في التظاهرات جنبًا إلى جنب معنا؛ أنا ووالده.

في شهر شباط من ذلك العام (1979)، صرف مسعود جميع مدخراته واشترى قطنًا ودواءً أحمر ليتبرّع به للمسجد. أراد أن يقدم شيئًا للشعب والثورة.

كان والد مسعود مساعد طبيب وموظّفًا رسميًّا في الدولة. أتينا إلى كرج في العام 1979–1980 وأقمنا فيها. توظّف والده في مستشفى كمالي في كرج. أحيانًا كان مسعود يذهب لزيارته في مكان عمله، ولكن طبعه لم يكن موافقًا لعمل والده، إذ لم يكن يتحمّل رؤية الجروح والدم والمرض.

وعندما بلغ الخامسة عشرة، بدأ يتردّد إلى المسجد ومركز تعبئة المحلّة إلى أن التحق بالجبهة. شارك إلى جانب ابن عمّه في العمليات، وأُصيب بجراح في رأسه وجمجمته. أحيانًا لم يكن ينام ليلًا من شدة الوجع، فكان والده يضطرّ إلى حقنه بإبرة مسكّن للألم. في العام 1985 انتقلت أخت مسعود إلى بيت الزوجيّة. قلت لمسعود يا ولدي بعد هذا العرس يأتي دور خطبتك».

كان مسعود خجولًا فطأطأ رأسه إلى الأرض. مع أنّه لم ينه المرحلة

المتوسطـة بعـدُ، وعليه أن يكمـل تعليمه ويلتحق بالجامعـة، فأردت أن أحول دون التحاقه بالجبهة التي لم يكن شيءٌ ليعيقه عنها، إلّا أنّ شيئًا لم يحصـل. في إجازته الأخـيرة لم أهتم به كما يجب؛ على الرغم من بقائه في المنزل مدة أسبوع. وذلك بسبب حادثة اللصوص الذين دخلوا إلى منزلنـا وسرقوا الأمتعة والأثـاث. في تلك الأيام التي أهملته فيها، وجدتـه يهتم بطائـر سنونو كان يأتـي كل يوم ويجـول في فناء البيت. الطائـر المسكـين، كان جناحه مكسـورًا ولم يكن يقـوى على الطيران بسهولة. كان مسعود يرمي الحبوب للطائر فيلتقطها ويزقزق.

في اليـوم الأخـير صنعنـا الحلوى معًـا. كانت حلوى لذيـذة. ولكن مذاقهـا كان مـرًّا بالنسبة لي بعد أن تفوّه مسعـود بكلماته: إنها حلوى استشهادي.

قـال مسعود جملته هـذه ولا أدري لما وقع في قلبي أني لن أرى ولدي بعـد الآن. لم أتناول شيئًا من تلك الحلوى. حملها ولدي معه في طريق عودتـه إلى الجبهة ليتناولها مع رفاقه في القطـار. كانت تلك الحلوى الأكثر حلاوةً بالنسبة لولدي.

عندما رحل مسعود إلى الجبهة صرت أضع الحبوب لطائر السنونو ذاك، ولكني نسيت كل شيء بعد سماعي خبر استشهاده. لقد صُدمت أنـا وزوجي واعترتنا حال من الاضطراب الروحي والنفسي إلى درجة أنّنا لم نلتفت إلى أنّ الجثة التي استلمناها لم تكن لمسعود. عندما جاء ابـن عمّـه التفت إلى الخطأ الحاصـل، وبعد مدة رأيـت جثّته. أُعلنت الجثة السابقـة جثّةً لشهيد مجهول الهوية، فيما وارينا جثمان مسعود في الثرى.

في شتـاء العـام التـالي أتى ذلك الطائـر مرة أخـرى إلى منزلنا، كان يحطّ فوق شجـرة التوت ويزقزق. كنت أضع له الحبوب ويبدأ هو

بالتغريد. لسنوات عدة وفي كل شتاء كنت أذكر ولدي عندما أرى ذلك السنونـو. كان مسعود عطوفًا وحسّاسًا. لم يؤذ أحدًا طوال حياته التي استمرت ستة عشر عامًا. بعد شهادته سمعنا عن مآثر حنانه وعطفه. عندما استشهد جاء أستاذه في المرحلة الابتدائية من طهران إلى كرج لمقابلتنـا. قال إنّه خلال السنوات التي كنـت فيها أستاذًا لمسعود، كان يهدي الحليب الـذي يقدّمونه له في الصـف إلى الفقراء والمحتاجين. لم يكـن عيشنا في الماضي وحتى الآن عيش رفاهية وترف، كانت دائمًا معيشة عاديـة، ولكن ولدي كان حنونًا، لم يكـن يشرب الحليب، وكان يقدّمه للأطفال الذين هم بحاجة إلى الطعام.

الصورة رقم 14: من اليسار: أهرى، محسن كلستاني

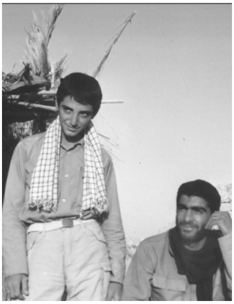

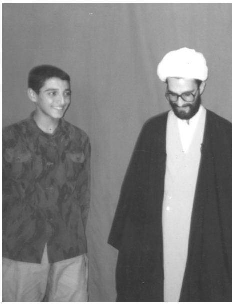

الصورة رقم 15: من اليسار: أهرى، الشيـخ محمد بروازي

6-2 عنوان القبر (روضة الشهيد)

طهران، مقبرة جنة الزهراء، القطعة 53، الصف 95، الرقم 3

الصورة رقم 16

الصورة رقم 17

3- الشهيد مهدي كبير زادة هنزايي

3-1 **بطاقة الهوية**

الوثيقة رقم 23

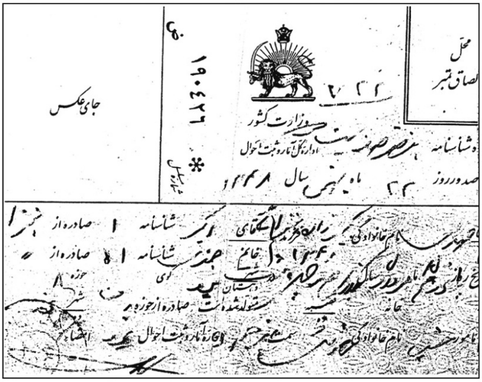

الصورة رقم 18

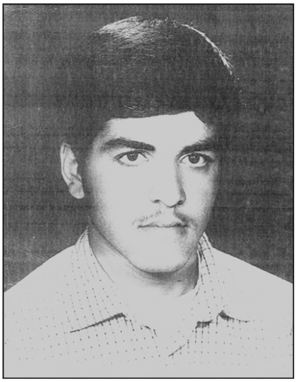

3-2 **الرسائل**

الوثيقة رقم 24

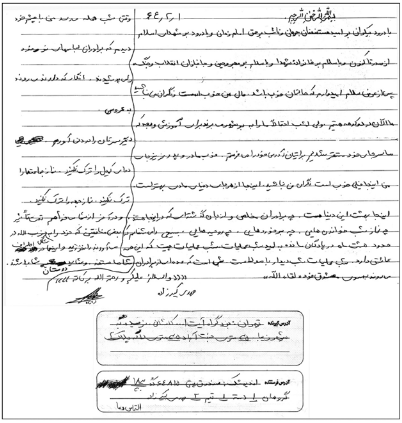

الوثيقة رقم 25

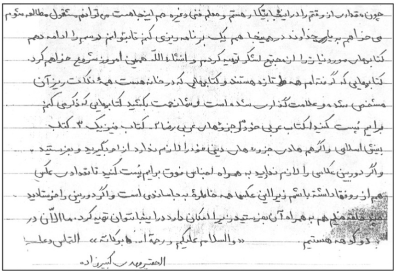

چون مقداری از وقتم را در اینجا بیکار هستم و معلم فنی وغیره هم اینجا هست می توانم مشغول مطالعه شوم
می خواهم به یاری خداوند در همینجا هم یک برنامه ریزی کنم تا بتوانم درسم را ادامه دهم
کتابهای مورد نیازم را از مجتمع لشکر تهیه کردم و انشاء الله همین امروز شروع خواهم کرد.
کتابهایی که گرفته ام همه طرح تازه هستند و کتابهایی که در خانه هست همه نکات ریز آن
مشخص شده و علامت گذاری شده است و شما زحمت بکشید کتابهایی که ذکر می کنم
برایم پست کنید ۱. کتاب عربی خودم و جزوه های عربی رضا ۲. کتاب فیزیک ۳. کتاب
بینش اسلامی و اگر هم مادر جزوه های دینی خود را لازم ندارد از او بگیرید و بفرستید.
و اگر دوربین عکاسی را لازم ندارید به همراه اجناس فوق برایم پست کنید تا تعدادی عکس
هم از رفقا داشته باشم زیرا این عکسها همه خاطره با ماندنی است و اگر دوربین را فرستادید
[illegible] هم به همراه آن بفرستید زیرا امکان دارد در اینجا نتوان تهیه کرد. ما الآن در
دوکوهه هستیم «والسلام علیکم و رحمة الله و برکاته» التماس دعا
الحقیر مهدی کبیرزاده

3-3 المذكرات المدونة

3-3-1 دفتر محمد جواد نصيري بور.

الوثيقة رقم 26 (ورقتان)

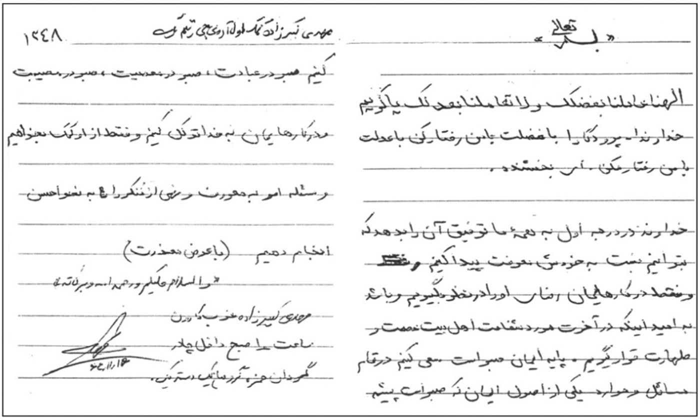
بسمه تعالی

الهی عاملنا بفضلک ولا تعاملنا بعدلک یا کریم

خداوندا، پروردگارا با فضلت با من رفتار کن، با عدلت با من رفتار مکن، ای بخشنده.

خداوند در درجه اول به همه ما توفیق آن را بدهد که بتوانیم نسبت به خودمان معرفت پیدا کنیم و معتقد در کارهایمان رضای او را در نظر بگیریم و باید امیدوار باشیم که در آخرت مورد شفاعت اهل بیت عصمت و طهارت قرار گیریم. پایه ایمان صبر است سعی کنیم در تمام مسائل و موارد یکی از اصول ایمان که صبر است پیشه

مهدی تبریززاده کمک اول آرپی جی تیم ... ۱۳۴۸

کنیم. صبر در عبادت، صبر در معصیت، صبر در مصیبت

در کارهایمان به خدا توکل کنیم و فقط از او کمک بخواهیم

و مسئله امر به معروف و نهی از منکر را هم به نحو احسن

انجام دهیم (با عرض معذرت)

والسلام علیکم و رحمة الله و برکاته

مهدی تبریززاده عضو ...

ساعت ... صبح داخل چادر

گردان ...

3-3-2 دفتر أحمد أحمدي زاده

الصورة الملونة لهذه الوثيقة تأتي في الصورة رقم 141 في الملحقات في آخر الكتاب.

3-4 ورقة المأذونية

الوثيقة رقم 27

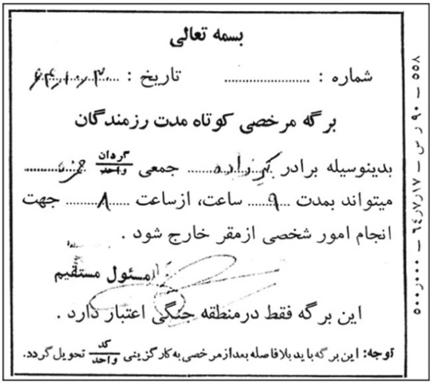
بسمه تعالی

شماره : .... تاریخ : ۶۴/۱۰/۳۰

برگه مرخصی کوتاه مدت رزمندگان

بدینوسیله برادر تبریززاده جمعی گردان/واحد ...

میتواند بمدت ۹ ساعت، ازساعت ۸ جهت

انجام امور شخصی ازمقر خارج شود .

امضاء مسئول مستقیم

این برگه فقط درمنطقه جنگی اعتبار دارد .

توجه: این برگه باید بلافاصله بعدازمرخصی به کارگزینی گردان/واحد تحویل گردد.

الصورة رقم 19

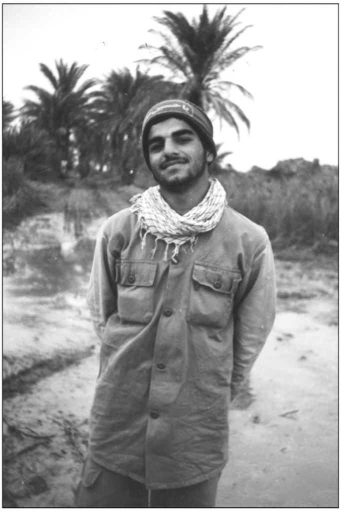

3-5 الوصية

الوثيقة رقم 28 (أربع أوراق)

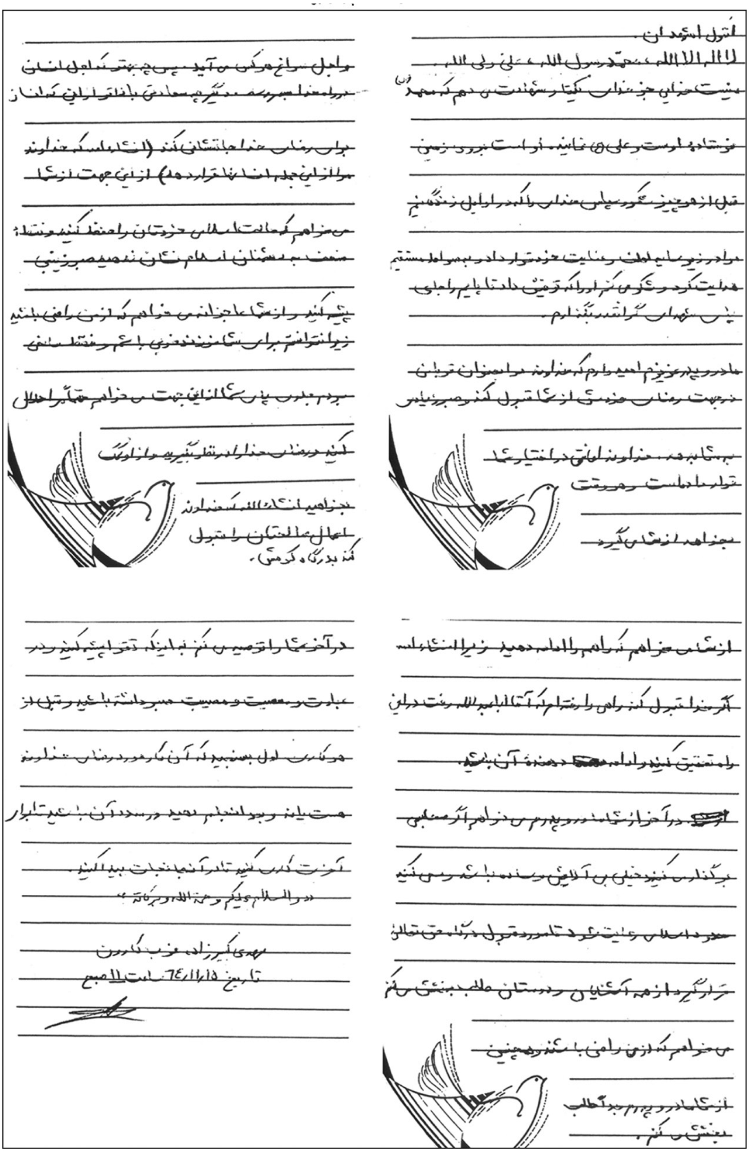

6-3 مقابلة مع والد الشهيد

ولد مهـدي في صيف العام 1969، كان الولـد الثالث في العائلة وله أخ وأخـت يكبرانـه سنًّا. الأمهات هنّ الأكثر معرفـة بطفولة أبنائهنّ، ولكن والدة مهـدي لم تعش بعده طويلًا. ولو كانت حاضرة بيننا اليوم لأخبرتنا الكثير الكثير.

كان ولـدي مؤمنًا ومنظّمًا جدًّا فلا أذكر أنه ذهب إلى فراشه يومًا مـن دون أن ينظّف أسنانـه. حتى إنّه كان ينظّف أسنانه قبل الصلاة، وكان فمه طيب الرائحة دائمًا.

عندمـا كان يدرس في المرحلـة المتوسّطـة، جاءني يومًـا وسألني: والدي العزيز، هل دفعت خمس أموالك؟».

أهل يزد ملتزمـون جدًّا بالمسائل الشرعية، أنـا أيضًا كنت كذلك. بدايـةً تعجبت وحملت كلامه على نحو المـزاح وقلت: يا ولدي لم أدفع، هذه السنة لم أدفع خمس أموالي.

منـذ اليوم التالي امتنع مهدي عن تناول الطعام. أساسًا لم يخطر على بالي السبب. بعد يومين من الإضراب عن الطعام أخبرني مهدي بالسبـب، وأدركـت أنّه كان بسبب جوابي ذاك حـول موضوع الخمس! سألته من علّمك هذا الأمر حتى لا تتناول الطعام.

- أستاذي في المدرسة.

في اليوم التالي ذهبتُ إلى المدرسة وتحدثت إلى أستاذ مهدي. مددتُ إليه يديّ وقلت: «انظر.. انظر، لقد سعيت وتعبت سنوات بهاتين اليدين. انظر إلى أنسجة يدي. لقد عملت، وأسّست معيشتي وربّيت أولادي بالمال الحـلال. لماذا تعلّمهم كذبًا؟ لقـد أصغى ابنـي إلى كلامك وامتنع عن الطعام حتى برزت أضلاعه. أنت مقصّر في محضر الله ورسوله».

في تلـك الأيام، لم تكن عمليـة اختيار الموظفين دقيقة ووفقًا لمعايير سليمة، فكان أحيانًا يتمّ اختيار بعض الأساتذة الجاهلين.

كان مهـدي يحب والدته أكثر منّـي. كان يعشقها. شأنه شأن جميع الفتيـان الذين يحبّـون أمهاتهـم. كان دائمًا قلقًا مـن أن تصاب أمّه بـأذًى في كل مرة يذهـب فيها إلى الجبهة. إذ كانـت تعاني من الربو، الأمـر الذي كان يقلق مهـدي دومًا فكان يخشى أن يعـاود المرض أمّه وتسـوء حالها أكـثر إن هو التحق بالجبهة. ذات مـرة دخل مهدي إلى أحد مستشفيات طهـران، ولكنه لم يخبر أحدًا من أفراد العائلة. كان يخشـى أن تعلـم والدته بالأمر. عندما وَصَلَنا خـبر استشهاده لم نكن في طهـران، فانتقلنا مباشرةً من مدينة يزد إلى مركز الطب الشرعي في طهـران. كانت والدته مريضة، ولكنها تحلّت بصبرٍ عجيب في ذلك اليوم، وشاركت الآخرين جنبًا إلى جنب في مراسم التّشييع.

مـن بين الأغراض التي استلمناها من الطب الشرعي كانت فرشاة الأسنـان. فرشاة صغيرة طُوي أولها على آخرها كي يتسنى له وضعها في جيبـه. إنها عـادة طفولية حملها معه حتى ليلـة الهجوم. بلا شكّ، لقـد نظّف أسنانه ليلة الهجوم وقبل استشهاده. كان حظّ والدة مهدي أن تذهـب قبلـي إلى لقائـه. أنا أيضًا آمـل أن أكـون إلى جانب ولدي وبرفقته في الآخرة.

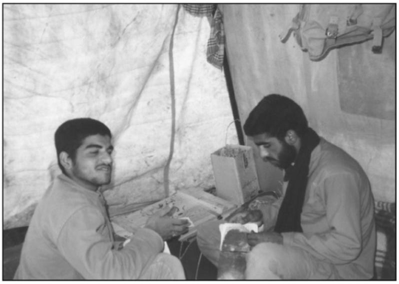

الصورة رقم 20 من اليسار:
كبير زادة، محسن كلستاني

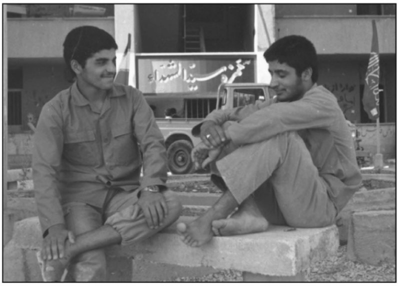

الصورة رقم 21 من اليسار:
مهدي كبير زادة.

3-7 عنوان القبر

طهران، مقبرة جنة الزهراء، القطعة رقم 53، الصف 74، الرقم 1

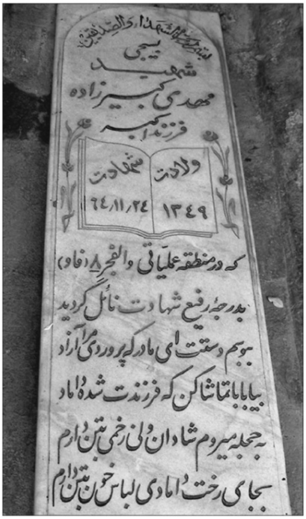

الصورة رقم 22

الراوي: أصغر لك علي آبادي

التشكيل: مساعد ثالث لـ «رامي آر بي جي»، المجموعة الأولى

تاريخ ومحلّ إجراء المقابلة الأولى: طهران 2003م.

الفصل الثالث*

المتآخيتان

وُلدت بالقرب من نهر أروند، في محلّة «مولوي»، إحدى ضواحي «خرّمشهر»، وتُسمّى أيضًا «سن تاب». كان نهر «أروند» من وَسَمَ طفولتي بالهدوء، وها أنا الآن أستحضر ذكريات عنه. شهدتُ حياتي تقلّبات كثيرة؛ لكنّني لم أتنكّر لأصلي وماضيّ، ولم أنقطع عنه يومًا. مع أنّي أعيش اليوم وأعمل في طهران في مؤسّسة المرافئ والملاحة، لكنّي ما زلت أحنّ إلى الماء والساحل والبحر وهوائه الرطب، كما إنّني على صلة به. يقع منزلنا بالقرب من مديريّة مرفأ «خرّمشهر»، التي كان أبي موظّفًا فيها. كان راضيًا عن عمله في المرفأ ويحبّه. سمعنا منذ الصغر باسم العراق؛ البلد الجار الذي يفصلنا عنه نهر «أروند» الجميل. كما كنّا على مقربة من «شلمجه»، فإلى الجهة الغربيّة من محلّة «مولوي»، تقع «درب فعليّة» و«صد دستگاه» ثم محلّة «الجسر الجديد» التي تؤدّي إلى مركز «شلمجه» الحدوديّ. كان ساحل نهر

* ترجمة الحاجة فاطمة شوربا.

«كارون» جميـلاً وساحرًا، يحوي ممشًى كبيرًا وسوقًا صغيرًا، يبيع فيه الباعة الجائلون وبائعو الخرضـوات البضاعة الأجنبيّة. يسبح الأولاد في هـذا النهر ويرفّهون عـن أنفسهم. أمّا السيّاح فكانوا يصعدون عن طريـق منصّــة خاصّة بالمسافريـن على متن المراكـب ويقومون بجولة سياحيّــة في نهـر «كارون»، ويصلون أحيانـًـا إلى منطقة «حفّار»، حيث ملتقــى نهر «كارون» بنهــر «بهمن شير»، ومن ثمّ يعــودون. يُطلق على هــذا السوق والساحـل والمنصّة «لب كارون». وقـد تعلّمت السباحة في تلـك المنطقة في سـنّ السابعة أو الثامنة. كانـت مياهها موحلة، وفيها دوّارات مائيّــة؛ لكـن لم يكن بيدنا حيلة، سـوى المخاطرة والنزول إلى المـاء من أجل الترفيه عن أنفسنا. فالسباحة في نهر «كارون المعطاء»، لا تكلّفنـا شيئًـا مقارنة بالسباحة في مسابح المـدن النظيفة والفخمة. كانـت خرّمشهـر مدينة عامرة وجميلـة، وقد عشت فيهـا أربعة عشر عامًا بسعادة عارمة. كان العراقيّون يتردّدون بحرّيّة إلى جزيرة «مينو» الواقعـة بالقرب من «آبـادان». جزيرة واسعة مليئـة بأشجار النخيل، كانـت في أيّام «النوروز» وخاصّة في «يوم الطبيعة» ملاذًا لأهل الترفيه والتسلية والنزهات.

بعد سنتــين [تقريبًا] من انتصار الثورة، أقبـل الصيف حارًّا جدًّا، لم أشهـد مثلـه طوال سنيّ حياتــي. وكنّا كلّ سنة بعـد امتحانات آخر العـام الدراسي، نسافـر إلى طهران لنرفّه عن أنفسنـا ونتخلّص من ذلك الحرّ والرطوبة التي تقطع الأنفاس؛ لكن تلك السنة، ذهبت أمّي وبعض إخوتي فقط، أمّــا أنا وأختــي الكبرى، فبقينا مـع أبي. مضى شهران مــن فصل الصيف، بدأنـا نسمع أصوات طلقـات رصاص في الليـل وأحيانًـا في النهار؛ وذلك كما كنّا نسمعها أيّـام الثورة ولياليها. بـدت الأوضـاع غير طبيعيّـة، ولا يمكن التنبّؤ بما قـد يحدث. حتى في

أواخر شهر آب بدأ بعض الأهالي يتركون المنطقة بحجّة انعدام الأمن. جاء عمّي إلى بيتنا في أواسط شهر أيلول، وكان يشكو من ألم في كليتيه ولم يعد المسكّن يفيده. كانت أسرته تقطن في «أزنا»، وقد جاء لإجراء عمليّة استئصال حصى الكلية في خرّمشهر، حيث المستشفيات فيها أكثر تجهيزًا. في ذلك اليوم، قُصفت الأحياء المحاذية لنا، أي «درب فعليّة»، و«صد دستگاه». ذهبت وعمّي إلى هناك. لم أكن أتجاوز حينها الأربعة عشر عامًا، ولم أكن قد رأيت مثل هذه المشاهد المرعبة من قبل؛ جثث تحت الأنقاض؛ واختلاط الدم بالتراب والضحايا.

في تلك الأيّام العاصفة، قصد عمّي مستشفى «خرّمشهر» مرّة أو مرّتين؛ إلّا أنّه لم يأخذ جوابًا حاسمًا فيما يتعلّق بدخوله المستشفى وتحديد يوم لإجراء العمليّة، فبقي عندنا. وذات ليلة، بينما كنّا جميعًا في البيت مجتمعين حول بعضنا البعض، فتحت الحديث:

– أبي، لقد رحل الكثير من الناس عن المدينة، فلنرحل نحن أيضًا!

ردّت أختي: «فلنذهب إلى طهران لمدّة أسبوع، نرفّه فيه عن أنفسنا إلى حين تفتح المدارس أبوابها، ومن ثم نعود».

أما عمّي الذي كان يحاول التكيّف مع مرضه، فقد ظلّ ساكتًا. أجاب والدي بجدّيّة: «لا يمكن ذلك.. فإدارة المرفأ لا تعطي مأذونيّة لأحد. بعض الموظّفين ذهبوا من دون مأذونيّة وتوقّفتْ نصف أعمال الميناء.. إنّ ذهبنا، أفقِد عملي».. لم يكن أبي يريد أن يفقد عمله ويكون عالةً على الآخرين، فما لبث وضعنا أن تحسّن بعد سنوات من الصبر والتحمّل.

صَدَمَ خبرُ الغارة على مطار «مهر آباد» في طهران الجميع؛ فقد بدأت الحرب العراقيّة-الإيرانيّة رسميًّا. قُطعت الاتّصالات بين

المدن. وانشغل أهل خرّمشهر ليلًا نهارًا بمتابعة الأخبار والاطمئنان عن بعضهم البعض. كانت أصوات القصف الأرضي والجوّي تُدوّي بشكل متواصل في المدينة. في 21 أيلول لم تفتح أيّ مدرسة أبوابها. كنت حينها سأباشر دراسة الصفّ الثالث المتوسّط ولم أفعل. حتّى إنّي تركت في المدينة بعض الكتب الدراسيّة التي كنت قد اشتريتها مسبقًا. تعرّض زقاقنا في أواخر شهر أيلول للقصف، حتى إنّ أعمدة بيتنا قد تخلخلت وانكسر زجاج بعض النوافذ. في ذلك اليوم عاد أبي إلى البيت مسرعًا؛ ما زال مصرًّا على بقائنا في المدينة؛ واعتقد أنّ هذا الوضع سرعان ما سينتهي. وبرغم التردّد الذي كنّا نسمعه في صوته، لكنّه كان متمسّكًا بعمله كثيرًا. وهو حتمًا كان يعلم أنّ هذه ليست لعبة تنتهي ببضع دقائق. في تلك الأيّام تذوّقنا بكلّ وجودنا الطعم المرّ لكلمتي «العدوّ» و«الحرب» اللتين سمعناهما في القصص. كانت الحرب تلقي بظلالها على حياتنا كلّها؛ القصف والقنص، نقص المياه والكهرباء، القلق والاضطراب.. والتشرّد.

كما زاد من غصّتنا عدم معرفة أيّ خبر عن أمّي وإخوتي وأخواتي. لم تقصف مدفعيّة العدوّ مخازن الجمارك والمرفأ، بينما قصفت الأماكن المزدحمة في المدينة بشكل متواصل. كان من الواضح أنّهم يريدون تهجير السكّان من المدينة، ليستطيعوا السطو بسهولة على بضائع المرفأ السالمة وسرقتها، مرفأ «خرّمشهر» الذي كان أكبر مرافئ إيران في تلك الفترة. أمّا في العلن وأمام الرأي العام، فكانوا يطلقون عبر الإذاعة العراقيّة شعارات قومية كاذبة مثل: على الشعب العربي أن ينهض ويستفيق. يا عرب إيران، انهضوا وحقّقوا استقلالكم...!

كان نصف سكّان المدينة قد رحلوا عنها. فتركها كلّ منهم راكبًا وسيلة النقل التي توافرت لديه. العرب أنفسهم هاجروا، كما إنّ

القذائف المدفعيّة وصواريخ الطائرات لم تكن لتميّز بين عربي أو غيره؛ كانت تقتل وتدمّر فقط. وأنا في بداية سنّ المراهقة تلك أدركتُ أنّ شعارات العراقيّين كاذبة جوفاء. لم يكن والداي عربًا؛ لكن كانت تربطنا علاقة جيّدة بعرب «خوزستان»، وكنّا ملمّين باللغة العربيّة شيئًا ما. كانت أمّي تعجن الطحين وتخبزه في التنّور مع جيراننا العرب. لا أذكر اليوم الذي غادرنا فيه «خرّمشهر». فلم يكد ينتهي شهر أيلول، حتّى بدأوا يزرعون القنابل الموقوتة في المدينة، ويفجرونها. كان القلق والخوف يسيطران على المدينة بشكل مطلق. ما إن صرف عمّي النظر عن علاج كليته وأراد المغادرة، حتّى عزمنا على الرحيل معه. لم نكن نملك سيّارة، وكان ينبغي علينا إيجاد وسيلة نقل. يومها، كان أحد الجيران قد أحضر شاحنة وحمّل أثاث بيته فيها. سألته: «إلى أين أنت ذاهب؟».

قال: «الأمر واضح.. إلى الأهواز».

لم يكن والدي في البيت، فقلت لعمّي وأختي:

- هناك شاحنة متوجّهة إلى الأهواز.. ما رأيكما أن نذهب بها أيضًا؟

وافقا. فانطلقتُ بذلك النعل البلاستيكي والملابس التي كنتُ أرتديها؛ وكذلك فعلتِ أختي. صعدنا إلى صندوق الشاحنة من دون أن نحمل معنا شيئًا. ما إن أقلعتِ حتّى انقبض قلبي. فأثناء المغادرة كنت أعاين المدينة من أعلى الشاحنة، والنار والدخان ينبعثان من كلّ أرجائها. وتشرّد الناس حاملين معهم أثاثهم خارج المدينة وداخلها. عند رؤيتي لمشاهد ذلك اليوم، أدركتُ كم كانت أوضاعهم سيّئة. يعلم الله لو لم تكن تلك الشاحنة موجودة، أو لم أطلب من جارنا أن يحملنا معه خارج المدينة، ماذا كان سيحلّ بنا.

ترجّلنا من الشاحنـة في «الأهواز». وكانت هي أيضًا غير مستقرّة، فالحـرب كانت حديث الساعـة. انطلقنا مباشرة نحـو «أزنا»، وحللت أنـا وأختي ضيفـين على بيت عمّـي. والأمر الجيّد الآخـر الذي حدث حينهـا، أنّ أمّي عادت مـن طهران إلى بيت عمّـي ولم تتوجّه مباشرة إلى «خرّمشهر».

اجتمعت العائلة كلّها، إلا أنّ هاتف «خرّمشهر» بقي إمّا مشغولًا أو مقطوعًا، فلم نستطع الاتّصال بوالدي. وقد ذهبتُ مرّة إلى «الأهواز» لأنتقل منها إلى «خرّمشهر» وأستعلم عن والدي، لكنّي لم أفلح. فالسير من «خرّمشهر» إلى «الأهواز» كان في اتّجاه واحد إجباري. وجميع الناس يأتون من هناك قاصدين المدن الأخرى، وما خلا الجنود والمقاتلين لم يكن أحد يصل إلى تلك الناحية. كما إنّ الاتّصال الهاتفي من «الأهواز» لم يكن متاحًا أيضًا، لذا، رجعت إلى «أزنا». كنّا جميعًا قلقين على أبي. مضى الأسبوع الأوّل من شهر تشرين الأوّل، وكنّا نتابع أخبار «خرّمشهر» و«الأهواز» لحظة بلحظة، فنسلّي أنفسنا بهذه الطريقة وكلّنا أمل أنّ أبي ما زال على قيد الحياة. كان طقس «أزنا» جبليًّا، فهي باردة في بداية فصل الخريف. كنت قد زرتُ عمّي عدّة مرّات من قبل، فقد كان أبي من «لك لرستان» وذهب لسنوات للعمل في خرّمشهر قبل أن أولد، ونستقرّ هناك. بدأ الدهر يظهر لنا أنّ أيّامنا الحلوة القصيرة قد ولّت، وأنّ عائلتنا قد تشرّدت. بعد عشرة أيّام من الانتظار، اتّصل والدي بنا فعمّت الفرحة الجميع. كان قد خرج عن طريق «آبادان» إلى بندر «ماهشهر». فقد احتلّ العراقيّون طريق خرّمشهر-الأهواز ثم قطعوها. وصل والدي ذات يوم إلى منزل عمّي، وأقمنا عندهم لمدّة. اتّضح من أحاديث والديّ المطوّلة أنّهما يفتّشان عن

حلّ لحياتنا: المنزل، المستلزمات، الأثاث، المدرسة، العمل، تأمين النفقات و... ولربّما العشرات من المشاكل المعقّدة الأخرى، الصغيرة منها والكبيرة. كان ذلك الخريف صعبًا؛ لا أنسى أبدًا خريف العام 1980م. رغم إصرار عمّي على بقائنا في «أزنا»؛ لكنّ أبي لم يقبل. بالنهاية، توجّهنا إلى طهران. كان والداي يريدان شراء منزل مهما كان صغيرًا، وذلك حتّى إذا ما توافر لهما مدخولٌ لا يصرفانه كلّه على دفع إيجار المنزل.

باعت أمّي كلّ ما لديها من حليّ ومجوهرات. ومن بينها قطعة ذهب صغيرة، كانت هدية والدي إليها في يوم زواجهما وأصرّ على عدم بيعها. لكنّ أمّي قالت: «لا ينبغي لنا أن نحمّل أنفسنا أعباء القروض.. إن كان لدينا سقفٌ وبيت يؤوينا، فإنّ باقي الأمور تُحلّ بعونه تعالى؛ هذه الحليّ نعود ونشتريها يومًا».. اشترينا منزلًا بمساحة 70 مترًا في محلّة «يافت آباد» في طهران. المنزل الذي بقي لمدّة خاليًا من دون أثاث. فقد صُرفت كلّ أموال والديّ على شراء المنزل، كان عَلَيّ أن أعمل لتدور عجلة الحياة. أمّا عن المدرسة، فلم أذهب إليها؛ مضى أكثر من نصف الخريف، ولم يتحدّد مصير دراستنا وما يجب علينا فعله. بالنهاية، التحقت بمدرسة ليليّة. فكنت في النهار أعمل، وفي الليل أدرس في المدرسة؛ وكلا الأمرين كانا ناقصين. فقد تنقّلت بين عدّة معامل صغيرة، وكنت أتقاضى راتبًا يوميًّا أو شهريًّا، كما إنّي تعلّمت مهنًا كثيرة.

انقضى العام 1980، عام تشرّدنا وحياتنا في المدينة والمحلّة الجديدة. كما حلّ العام 1981 وانقضى. حتى إنّي لم ألتفت إلى مرور الأيّام والأسابيع والأشهر؛ فكنت إمّا أعمل أو أدرس. لكن، حين فُكّ الحصار عن «آبادان»، تذكّرنا «خرّمشهر» وبيتنا. فـ«طريق القدس»

و«الفتح المبين» اسمان لعمليّتين عسكريّتين كبيرتين، قامت بهما القّوات الإيرانيّة في «خوزستان»، ووجّهت ضربة قاصمة للقوّات البعثية العراقيّة، إذ أجبرتها على الانسحاب. في أواخر شهر نيسان من العام 1982، بدأت «عمليّات بيت المقدس». كان للتقارير الواردة في الإذاعة والتلفزيون عن هذه العمليّات طعمها الخاصّ بالنسبة لنا. في تلك الفترة، كان بعض من هم في سنّي في المدرسة لا يعلمون في أيّ محافظة تقع «خرّمشهر»؛ أمّا أنا فكنت أعرف الكثير عن «كارون» و«شلمجه» و«بهمن شير» و«جفير» و«كرخه» و«الهور العظيم» و... وأحفظها بكلّ جوارحي. والأهمّ من هذا، أنّ وجودي كلّه كان هناك. عندما كانت التقارير تذكر أنّ المجاهدين عبروا هذا الطريق، أو هذه المنطقة أو.. واقتربوا من «خرّمشهر»، كانت ترتسم تلك المشاهد في مخيّلتي وأستحضرها بحنين. وقد أحيا خبر تحرير طريق الأهواز -خرّمشهر، في ذهني من جديد صورة محلّة «مولوي» بشكل جليّ. هل سأتمكّن ثانيةً من رؤية ذلك الزقاق والمحلّة والبيوت عن قرب، وأن أسير فيها، أركض، وأتنفّس؟

عندما تحرّرت «القلعة الحدوديّة»، و«پل نو»، وجادّة «شلمجه»، وضرب المجاهدون طوقًا على «خرّمشهر» من جميع الجهات، بدا الانتصار قطعيًّا. في البلاغات الإيرانيّة التالية، تمّ الإعلان عن وقوع عدد كبير من الجنود العراقيّين، وهم بالملابس الداخليّة أسرى في أيدي قوّات الإسلام؛ طابور لا نهاية له ممّن غرّر بهم النظام البعثي. وقد عرض التلفزيون الإيراني أيضًا مشاهد مبهجة لهذا الانتصار، وتحرّر المسجد الجامع في «خرّمشهر»، على الرغم من الدمار الذي حلّ به. كان الحديث بين الأقارب والأصدقاء يدور حول «خرّمشهر» وتحريرها.

قرّر البعض العودة إليها مباشرةً. وهذا تحديدًا ما أراده والدي،

وذلك ليرى ما حلّ بالبيت وأثاثه.

بعد تحرير «خرّمشهر»، وفي صيف العام 1982، بدأت عمليّات رمضان الكبرى؛ التي كانت تهدف للوصول إلى مشارف البصرة. تمكّن المجاهدون في هذه العمليّات من التقدّم إلى ناحية «موقع زيد» والاقتراب من شمال شرق البصرة، ولو استطاعوا عبور «قناة السمك» لوصلوا إلى «تنومه»، التي تشكّل نصف البصرة وتقع إلى الشرق من نهر أروند. والبصرة هي مرفأ كبير ذو قسمين يفصل بينهما نهر أروند. القسم الأكبر منهما يقع إلى غرب النهر، والنصف الأصغر إلى شرقه على مقربة من الحدود الإيرانيّة. تبعد خرّمشهر عن البصرة 40 كيلومترًا. إنّهما المدينتان الأختان. حينذاك كان أبي يقول منتقدًا: عجبًا لهاتين الأختين كيف دارت بينهما هذه الحرب الشرسة! كنت أتابع التقارير الواردة عن عمليّات رمضان. كنت قد كبرت وأدركت الأحداث التي تدور حولي، وأخبار البلد صارت مهمّة في نظري. كانت هذه العمليّات عبارة عن مراحل، واستمرّت لأسابيع كعمليّات «بيت المقدس»؛ لكنّ القادة لم يحقّقوا فيها نتائج مهمّة.

كما ذكرت التقارير التلفزيونيّة أنّ المجاهدين لم يصلوا إلى البصرة، لكنّهم حتمًا قد وجّهوا صفعةً للقوّات العراقيّة. فقد سدّدت قوّاتنا ضربات لهم على حساب كلّ ذلك الدمار والمجازر والنهب والأذى الذي أوقعوه بـ«خرّمشهر» وسائر المناطق، فدكّت قواعدهم العسكريّة في «تنومه»، كما شُلّت الحياة في القسم الأكبر من «البصرة». في العام 1982م سمعت قصصًا كثيرة عن مرحلة الأسر وكيفيّة تحرير «خرّمشهر». وهذه واحدة منها قد قصّها على مسامعي أحد أبناء مدينتنا المشرّدين:

«عندما احتلّ العراقيّون «خرّمشهر»، بدأوا بنهب المدينة وسرقتها.

وكان الضبّـاط يقومـون بالسرقـة أوّلًا ومن ثمّ يتبعهـم العناصر. ثمّة ضابـط عراقـيّ حمل معـه أغراضًا وأمـوالًا كثيرة. وحمّـل أثاث عدّة بيـوت مـا زالت جديدة، في شاحنة ثم نقلهـا إلى بيته في العراق. وبعد عـدّة أشهر، استطاع أن يزوّج ابنه بهذا الأثـاث. فمن عادة العرب أن يكون الجهـاز على عاتق الرجل. فأصبح أثـاث بيوت خرّمشهر جهازًا للعريس؛ لكنّ حياة هذين العروسين لم تستمرّ لسنة واحدة، حيث مات العريس وجُنّت العروس. كان جميع أهالي المحلّة يعرفون السبب والعلّة وراء ذلك البلاء».

في العـام 1983م، التحقـت للمرّة الأولى بالجبهـة وبحرس «گيلان غرب». وكان لي حينهـا من العمر سبعة عشر عامًا، حيث كان يمكنني الالتحـاق مـن دون إذن والديّ. وهمـا لم يمانعا ذلـك. في ذلك العام بقيـت في الجبهة لأشهـر، في قسم الدفـاع الجوّي التابـع للفرقة «27 محمّد رسول الله» صلى الله عليه وآله وسلم.

وأيضًـا انشغلـت في طهران بالعمـل والدراسة الليليّـة؛ لكنّ حادثة وقعـت لي في تلك السنة. ففي معمل الصحون، علقت ثلاثة من أصابع يـدي اليسرى تحت الآلـة فقُطعت عقدة مـن كلّ منهـا. وأصابع يدي الأربعة الآن بالطول نفسه.

قليلـة ما قبـل الحادثة، بقيت حتـى منتصف الليل أدرسـ. وأثناء العمـل صباحًـا، كان كلّ تركيـزي على الكتـاب! كان لدينا امتحان في مـادّة التاريـخ التي لم يعلق منها شـيء في ذهني. كنـت أستذكر هذا الملك وتلك المعركة حتّى حدث ما حدث.

في العام 1985م، كان عليّ الذهاب للخدمة الإجباريّة؛ التي أُعفيت منها بسبب تلك الإصابة (في أصابعي). إلّا أنّي لم أترك الجبهة. ففي شتـاء ذلك العـام، التحقت مرّة جديـدة بالجبهة. وهـذه المرّة وقعت

القرعة عليّ في إحدى كتائب المشاة القتاليّة والهجوميّة: الفصيل الثاني من السريّة الأولى لكتيبة «حمزة».

حينذاك، كانت الكتيبة قد عادت للتوّ من خطّ الدفاع، وكان عناصرها القدامى الذين انتهت مأموريّتهم يقومون بمعاملات إنهاء الخدمة. فملأتُ وعددًا آخر من العناصر أماكنهم الشاغرة، وأصبحت مساعد رامي آر بي جي.

كان «كوزران» المخيّم الصيفي للفرقة فبقينا هناك لمدّة. كان شباب الفصيل الأوّل يمكثون في الخيمة المحاذية لنا، ولم أكن على معرفة جيدة بهم. وبعد شهر، التحقتُ بذلك الفصيل. كانت الكتيبة في وضعية إعادة الهيكلة، لم تكن لتُجرى الكثير من الدورات التدريبيّة والتمارين العسكريّة. وقد توافرت لي في تلك الفترة، فرصة جيّدة للدرس. كنت أدرس العلوم الإنسانيّة، وكان صديقي أمير عباس رحيمي يدرس اختصاص الكهرباء في المهنيّة. وحيث كنت معتادًا على الدرس الليلي، فسرعان ما كنت أدخل في جوّ الدرس، وذلك بتعاون الآخرين الذين كانوا يهيّئون أجواء الدراسة في الخيم. أخذت الكتب الدراسيّة من المجمع التعليمي، ودوّنت موعد الامتحانات.

في العشر الأوائل من محرّم الحرام، كنّا نسافر إلى باختران (كرمانشاه). وكان أمير عباس يظهر حماسة كبيرة في إقامة مراسم العزاء، وكان يحمل معه راية عزاء الهيئة، فكانت لافتة للنظر وهي في يده بقامته الطويلة تلك.

في شهر أيلول انتقلنا إلى «دوكوهه» واستقررنا في مبنى كتيبة «حمزة». في تلك الأثناء جرى تبديل في قيادة الكتيبة وقادة السرايا وبعض الأفراد. فانتقلت أنا بدوري إلى الفصيل الأوّل. قال قائد الكتيبة الجديد: «على من يريد البقاء في الكتيبة أن يتعهّد من الآن

بالحضور لثلاثة أشهر. التدريبات العسكريّة والتمارين سرعان ما ستبدأ وستكون جدّيّة». بانتقالنا إلى ضفّة بحيرة سدّ «دز»، بدأت التدريبات العسكريّة للكتيبة؛ وكانت تدريبات على العمليّات البرمائيّة.

كنت في الفصيل الأوّل إلى جانب صديقين من أصدقائي: «مهدي كبيرزاده» و«أمير عباس رحيمي». كان مهدي مساعد رامي (آر بي جي)، وأمير عباس عنصر إشارة، وقد انتقلت وإيّاهما من الفصيل الثاني إلى الفصيل الأوّل. ومع أنّ «أمير» كان يصغرني بسنوات، إلّا أنّه كان طويل القامة، فكنت لا أكاد أصل إلى كتفه.

منذ البداية كان واضحًا بأنّ الفصيل الأوّل مختلف عن الفصائل الأخرى. في الفصيل السابق كنت الوحيد الذي يفتح كتابًا ويقوم بالدرس؛ لكن في هذا الفصيل كان حمل الكتاب والقلم أمرًا عاديًّا؛ وذلك لكثرة ما كان يضمّ من التلامذة. والأمر الآخر هو أنّ معظمهم كان مثلي لم يشارك بعد في العمليّات الكبرى. وعلى الرغم من أنّها كانت المرّة الثالثة التي ألتحق فيها بالجبهة، لم أكن قد شاركت فعليًّا في أيّ من العمليّات. الملاحظة الأخرى، أنّ طقس «خوزستان» كان طقسًا جديدًا وغريبًا بالنسبة لشباب طهران؛ الأمر الذي كان عاديًّا بالنسبة لي.

في أواخر شهر تشرين الأوّل استقررنا في مخيّم «سفينة النجاة» أو موقع الشهيد «نادري»؛ مخيّم التدريب على العمليّات البرمائيّة. أثناء هذا الانتقال، اختلطت علبتان من الشاي ومسحوق الغسيل ببعضهما البعض. استشار قائد الفصيل الإخوة هل نرميهما أم لا؟ اتّفقت آراء الجميع على أن يجلس كلّ شخصين حول صحن من هذا الخليط، فيلتقطا حبّات الشاي من مسحوق الغسيل للحيلولة دون الوقوع في الإسراف.

تذكّرت حينها أيّام كنّا نعيش في «خرّمشهر»، حيث كان شاي

«آسام» والشاي السيلاني مُفَضَّلَيْن في سوق المرفأ. وكانا زهيدي الثمن ويمكن للجميع الحصول عليهما. وحيث اعتدت منذ الصغر على شرب الشاي المستورد من الخارج، كنت قادرًا بمجرّد إلقاء نظرة تمييز الشاي الجيّد من غيره. فالشاي الجيّد له لون شراب الكرز وطعمه، ليس بالحلو ولا بالمرّ، ويمكن تناوله من دون السكّر. وقد اعتاد عرب مدينتنا أن يشربوا الشاي الغليظ في فناجين صغيرة، أمّا نحن حيث كنّا عائلة لوريّة، فكنّا نشرب الشاي كالأتراك في أكواب كبيرة. كنا قد اعتدنا في طهران على شرب الشاي الإيراني؛ أمّا هنا فعلينا أن نشرب الشاي مخلوطًا بمسحوق الغسيل. قلت في نفسي: أين كنت وأين صرت! عسى الله أن يمضي آتي الأيّام بخير!

كنّا نسبح في بحيرة سدّ «دز» العميقة مرتدين سترة النجاة. أثناء فترة التدريب، تعلّمنا وتدرّبنا على الهجوم من الضفّة إلى البحيرة، وبالعكس. وكانت طريقة التمويه في هذه الدورة التمرّغ بالوحل؛ الأمر الذي كان الإخوة يعرفون اللعب به جيّدًا. قبل هذه الدورة لم أكن قد سبحتُ ليلًا؛ لكن في نهاية الدورة صرت قادرًا على السباحة ليلًا مسافة خمسمائة إلى ستمائة متر في البحيرة. فقد كنّا نذهب ليلًا إلى تلك الناحية من البحيرة المضاءة بالكشّافات الضوئيّة، ومن دون استراحة كنّا نسبح ونجذّف بأيدينا وأرجلنا ونتقدّم في ذلك الماء البارد الذي ينخر صقيعُهُ العظام.

كان صيد السمك في بحيرة سدّ «دز» وسيلة تسليتنا، وكنت بدوري بارعًا في هذا الأمر. فقد كنّا نصنع من أشرطة الهاتف المفتولة صنّارة صيد ونجلس على الضفّة منتظرين السمك. كان هذا الأمر ممتعًا إلى درجة، بحيث كان الإخوة بدل أخذ إجازة ليوم في المدينة، يذهبون إلى البحيرة ويصطادون السمك هناك.

ذات يـوم شعـرت بألم شديد في أذني. ذهبـت إلى المركز الصحّي في الكتيبـة، فنقلوني إلى مستشفى «أنديمشـك». ما إن عاينني طبيب المستشفـى حتّى قال: «تعاني من التهاب شديد في أذنك». وقد ارتفعت حرارتي بشدّة. ولكـون المستشفى هناك غير مجهّز بالمعدّات الكافية، نُقلـت من هناك بعد حقني بحقنــة إلى مستشفى الشهيد «شمران» في «الأهواز». قيل لي هناك إنّ طبلة أذني قد ثُقبت بثقوب كبيرة وصغيرة. مكثـتُ هناك مـدّة 48 ساعة أُعطيـت فيها الأدوية المسكّنــة والمضادّة للالتهاب.

بعـد خروجي من المستشفـى، في طريق العـودة إلى المخيّم، عرّجت لساعات على منزل أختي في «أنديمشك»، التي انتقلت منذ عدّة سنوات مـع زوجها للعيش في هــذه المدينة. واستضافوني عندهـم على الغداء، سألتهم عن أحوال أمي وأبي، وطلبت منهم أن يخبروهما عن هذا اللقاء.

بعـد عدّة أيّام، ومع انتهاء الـدورة التدريبيّة، تركت الكتيبة مخيّم «سفينــة النجــاة» وعــادت إلى «دوكوهــه»، وأرســل جميــع عناصرها في مأذونيّــة. فعدت برفقة الإخــوة في أواخر شهــر تشرين الثاني إلى طهران بالقطار.

كان الحديث يدور في كلّ مكان حول عمليّات مصيريّة وحاسمة؛ سواء في الجبهة أم في طهران. كما كان سيتمّ إيفاد بعثة كبيرة إلى الجبهة. فبعد عمليّات «رمضان» و«خيبر» و«بدر» كان الجميع مستعدًّا ومنتظرًا لهجوم ينهي الحرب. كما كان أبي يحكي قصصًا عن قتال المتآخيتين -أي خرّمشهر والبصرة- كان قد سمعها من أبيه وأجداده، كما إنّي قرأت بعضًا منها في الكتب. كان أبي يقول: «إنّ الإيراني والمسلم لا يرضخ للذلّ والأسر. والإيراني عزيز أمام العدوّ... وهذه العزّة مقدّسة».

انقضت مأذونيّة الأسبوع بسرعة، وعدنا إلى ثكنة «دوكوهه». كان ذلك في 18 – 19 شهر كانون الأوّل وعلى مقربة من فترة الامتحانات. كانت أرض غرفة الفصيل الأوّل مفروشة دومًا بالكتب والدفاتر والأوراق والأقلام. وحكت تقارير إذاعة التعبئة أنّ المخيّم التالي للفرقة سيكون في «كرخه». فـ«محمّد قمصري»، مساعد رامي الرشاش في الفصيل الأوّل، وأخوه الأكبر الذي يعمل في وحدة الهندسة للفرقة، قد أخبر أنّهم يعملون على إنشاء طريق وباحة للكتائب في المخيّم الجديد. ولقد عملت هوائيّات التعبئة هذه المرّة بدقّة، فبعد أسبوع، وبعد الامتحانات، انتقل مقرّنا إلى مخيّم «كرخه». لكن، في خريف ذلك العام، كانت خوزستان تعاني جفافًا، فعوّضت السماء ذلك في الشتاء؛ فقد تواصل انهمار المطر، بحيث تبلّلت خيمنا، بطّانيّاتنا.. وكلّ وسائلنا. ذات يوم، حين رأينا الجوّ مشمسًا، رحنا نعالج أسقف الخيم وأرضها وجوانبها: فحفرنا قناة للمياه حول الخيمة، وضعنا شرشفًا من النايلون على سقفها. جفّفنا البطّانيّات المبلّلة تحت أشعّة الشمس، وفرشنا عدّة طبقات من أقمشة الخيام على أرض الخيمة.

بعد استقرارنا في مخيّم «كرخه»، بدأت التدريبات العسكريّة من جديد؛ الصفوف الصباحيّة وصفوف فترة بعد الظهر. كان مدرّب الكتيبة ذا خبرة وتجربة. كانت قد نشرت الصحف والمجلّات في تلك الفترة، أنّه قد حاز المرتبة الأولى في مسابقات الرماية على محافظة طهران. كما كنّا نقوم بمسير ليلي خفيف وصعب عدّة مرّات في الأسبوع. فأصبح المسير الليلي مسافة عشرة أو خمسة عشر كيلومترًا في منحدرات «كرخه»، والبقاء مستيقظين حتّى السحر أمرًا عاديًّا بالنسبة لنا.

ذات ليلة، خلال المسير، غفا من ورائي «سعيد پور كريم» رامي

الـ(آر بـي جي) الثاني في الفصيـل الأوّل. وكنت أنتبـه إلى الشخص الـذي يسـير أمامي أي «أحمـد أحمدي زاده» وكذلـك إلى «پور كريم» الـذي كان يسير وهو نائم ويتأخّر عـن الطابور. كما كان «مهدي كبير زاده» ينتبـه لـ«پور كريم» حتّى لا يغفو وينقطـع الطابور. حتمًا، لم يكن يقع إلى الخلف دائمًا؛ ذات مرّة، وقع إلى الأمام فاصطدم وجهه بعقب بندقيّتي الخشبي، فطار النوم من عينيه. وقبل ذلك وقع عدّة مرّات في حضن «كبير زاده». كان «پور كريم» وثلاثة من مساعديه - «مهدي كبير زاده» و«مسعـود أهري» و«أكـبر مدني» - جميعهم تلامـذة ومن الذين يهتمّـون بدراستهم، ومن مواليد العام 1969م؛ فكانوا في السنّ نفسها وفي الصف نفسه (وبالطبع، ترافقوا على درب دار الآخرة).

في يوم من الأيّام، ذهبت في مأذونيّة إلى المدينة، فقصدت منزل أختي في «أنديمشـك». عنـد العودة، اشتريت علبة حلويّـات وعدّة كيلوات من اللفت. وكان أحد معـارفي في إحدى المأذونيّات إلى طهران، قد أعطاني مبلغًا من المال لأصرفه على المجاهدين، فصرفته بهذه الطريقة.

عـدت يومها إلى الخيمة بيدين ممتلئتـين. بعد مدّة قليلة، ملأ بخار اللفت ورائحته الخيمة. انزعج شخص أو شخصان؛ لكنّهما تحمّلا ذلك.

تذكّر الجميع بيوتهم وأمّهاتهم. فقال أحدهم إنّ أمّي تطبخ اللفت من دون ماء... كانت ترشّ الملح في قعر القدر وتضع اللفت على الملح ليُطبخ بمائـه. وآخر قـال: أنا أُحبّ حساء اللفت كثيرًا. أمّـا ذاك الذي لا يحبّ اللفت فقال: أفضّل أن أُحقن بحقنة بنسيلين على أن أتذوّق اللفت.

سُـررتُ حين ذكّرت الإخوة بأمّهاتهـم، وشُرّع الباب للحديث، فبدأ كلّ منهـم يتحدّث عن ذكرى له مع اللفت؛ وسررتُ أيضًا لكوني أنفقت المـال بنحو جيّد وفي مكانـه المناسب. فيما بعد، رويـت لصاحب المال

قصة ذلك اليوم «اللفتي» فضحك وسُرّ لذلك.

كنّا في الأيّام الممطرة نؤدّي صلاتنا جماعة داخل الخيمة. كان «أمير عباس رحيمي»، عامل الإشارة (اللاسلكي) في المجموعة، يؤذّن للصلاة، ويكبّر في صلاة الجماعة. مع أنّ نَفَسه كان قصيرًا، لكنّه يمتلك صوتًا جميلًا. كان الإخوة يسخرون من صوته المتقطّع؛ ومع ذاك كان يتابع عمله من دون اكتراث لهم. ذات مرّة وجدته غائبًا، فشرعت بالأذان وقمت بالتكبير في صلاة الجماعة؛ وذلك لمرّة واحدة فقط.

صباح ذات جمعة ذهبت مع بعض شباب الفصيل في مأذونيّة، إلى بيت أختي في المدينة. وقد استضافتهم أختي بنحو لائق، وعدنا عصرًا إلى كرخة. قضينا وقتًا ممتعًا. كما علمنا بأنّ والد «مسعود أهري» يعمل في مستشفى «أنديمشك». كان الوالد يعمل مساعد طبيب، والابن مجاهدًا، وكلاهما كانا في منطقة القتال. بالطبع، كانت مأموريّة الوالد تشارف على الانتهاء، وسرعان ما سيعود إلى طهران.

في التدريبات العسكريّة، كان قادة الكتائب يؤكّدون كثيرًا على أهميّة تعلّم طرق مواجهة الهجوم بالأسلحة الكيميائيّة. فكانوا يدرّبوننا على كيفيّة استعمال القناع واللباس الواقيين مرارًا وتكرارًا.

في خيمة الفصيل الأوّل، كثيرًا ما كانت تُقام حلقات الأدعية؛ فكنّا نقرأ دعاء التوسّل كلّ ليلة أربعاء، ودعاء كميل كلّ ليلة جمعة، وكنّا نقرأ كلّ ليلة قبل النوم سورة الواقعة جماعةً. وكان للمعنويّات في هذا الفصيل جوّ خاصّ؛ لربّما كان السبب في ذلك أنّ معظم أفراده كانوا من الفتيان. كان الفصيل الأوّل معروفًا بفصيل أولاد الحضانة.

إلى جانب خيمة الفصيل، توجد حفر شبيهة بالقبور. كان البعض ينزلون في منتصف الليل، إلى هذه الحفر بالتناوب، للصلاة والدعاء

والمناجاة. دخلت ذات ليلة بعد نوبة حراستي قبرًا من تلك القبور، ودعوت بكلّ دعاء حفظته عن ظهر قلب. لم يكن المرء يستطيع في تلك الحفرة سوى الجلوس أو النوم. وهذا الجمود يتسبّب بنفوذ البرد إلى الجسد. بدأت أرتجف من البرد؛ أو ربّما خوفًا من الوحدة.

تذكّرت يومًا لا بدّ آت، حيث سأُدفن في التراب. كانت الحجب تزول عن عيني. لربّما هذه هي الحكمة من فعل الشباب: «موتوا قبل أن تموتوا».

في خيمة الفصيل، كانت تُقام أنشطة منها المضافات. فكان الفصيل الآخر يحلّ ضيفًا علينا وقت الغداء أو العشاء، وحتمًا كنّا بالمقابل نُستضاف. وبهذا العمل الجميل، الذي يُحدث تغييرًا للأجواء، ويدخل السرور على قلوب الإخوة، تزداد المحبّة والألفة فيما بينهم، ونتعرّف إلى الشباب أكثر، ونتعرّف إلى وجوههم وأصواتهم، لتبقى العمليّات ليلة الهجوم أكثر أمنًا و... والمحصّلة أنّ هذه اللقاءات كانت تأتي بالخير الكثير. كما قال أحد أصحاب الخبرة إنّه ينبغي للمقاتلين في العمليّات الجبليّة أن يتعرّفوا إلى بعضهم البعض، وذلك حتّى لا يأتي المخترقون من المنافقين ويُضِلّوا الطابور في كمائنهم. طعامنا في هذه الضيافات كان طعام الكتيبة نفسه، فكان الضيوف يأتون بصحونهم وطعامهم للمضيف، ومن ثمّ يأتون كالناس المحترمين ساعة الغداء أو العشاء، فيسلّمون على بعضهم البعض، ثم يطلقون الصلوات، ويتناولون طعامهم، يتحلّقون حول بعضهم البعض، فيمزحون ويمرحون ويتبادلون الخبرات و... ومن ثمّ ينصرفون.

بالطبع، كانوا يسترجعون بعد ذلك صحونهم نظيفة. أحيانًا، كان المضيف يقدّم لضيفه العزيز الحلوى أو الفاكهة أو الخضار أو أي طعام إضافي كان يجلبه على نفقته الخاصّة من المدينة.

في المرّة الأخيرة، غادرنا في أواسط شهر كانون الثاني في مأذونيّة

لمـدّة أسبوع ثـم عدنا. وللمرّة الثانية وصلنا خـبر جديد عبر هوائيّات التعبئة أنّه علينا الانتقـال بسرعة. بعد مدّة قليلة، ثبت الخبر رسميًّا. فانتقلنا في الأسبوع الأخير من شهر كانون الثاني إلى حقل الرماية.

أطلقـت الرصاص برشّاشي «الكلاشنكـوف» وصفّرته. ولأنّي كنت مساعد رامي آر بي جي، أطلقت أيضًا قذيفة آر بي جي؛ لكنّها لم تكن رميــة مسدّدة كفاية. شـرح لي «گودرزي» الـذي كان رامي آر بي جي، وقائـد مجموعتنا، إشكالات رميتي. كانت يده مثل يدي ينقصها بعض أطـراف الأصابـع، حيث فقدها في الجبهة، فيمـا فقدتها أنا في معمل الصحون. وقـد أُصيب في عمليّات «والفجر 4». كان الإخوة يقولون إنّه قد أصاب حتى الآن عشر دبّابات للعدوّ. توجّه «گودرزي» إلينا وقال:

– إنّ عمل مساعد رامي الـ(آر بي جي) لا يقتصر على حمل الذخائر. عليه أن يراقب كلّ شيء بدقّة؛ سواء الدبّابات أم قوّات العدوّ. إنّ رامي الـ(آر بي جي) لا يمكنه العمل من دون مساعد حاذق ودقيق. كما ينبغي علـى المساعدين أيضًـا أن ينتبهوا للنيران المنبعثة مـن عقب القبضة، ذلـك أنّ رامي الـ(آر بي جي) لا يركّـز حواسّه عند التسديد والإطلاق على ما وراءه، لذا عليهم أن ينتبهوا لهذه المسألة...

قبل مغادرة «كرخه»، خطّ الإخوة رسائلهم الأخيرة، والبعض منهم كتب وصيّته؛ كلّه مكتوب بعد عدّة أيّام من الصفاء والخلوة مع النفس. للبعضـ منهم كانـت المـرّة الأولى التي يكتـب فيها وصيّتـه. الرسالة الأخـيرة في السادسة أو السابعـة عشرة من عمرنـا. وقبل مغادرتنا، استلم «تعاون الكتيبة» الأغراض الإضافيّة للإخوة، ثم انطلقنا.

انتقلنـا من «كرخـه» إلى مخيّم آخر في «دارخويـن» على ضفّة نهر «كارون». وكانـت تبعد عن «خرّمشهر»، مسقط رأسي، ما بين الثلاثين

والأربعين كيلومترًا. حملتني رائحة «كارون» العطرة إلى أيّام الطفولة؛ رائحة خليط الماء والتراب وبساتين النخيل. في الليل، كانت تلمع في الأفق الغربي هالة من النور. قلت للإخوة إنّ هذه أنوار مدينة «البصرة». رسمت مثلّثًا على البطّانيّة أو على الأرض، لا أذكر، وقلت:

- هنا مخيّم الفرقة، وهنا «البصرة»، وهنا «خرّمشهر».

المسافة من هنا إلى خرّمشهر تعادل المسافة من هنا إلى البصرة.

لم يكن يُرى من خرّمشهر أيّ نور؛ لكنّ ليالي أختها البصرة كانت مضاءة ومنيرة. فهذه كانت خربة ومهدّمة، وتلك عامرة.

اعتصر قلبي ألمًا. فمنذ شهر أيلول من العام 1980 إلى ذلك الحين، لم أكن قد رأيت مسقط رأسي، وكنت مشتاقًا إليه كثيرًا. والآن، من المفترض أن يتّضح أفق الحرب في هذا المكان. فالبصرة هي ميدان الانتصار أو الهزيمة لكلا الطرفين في هذه الحرب. لذا كان الطرفان يوليان أهمّيّة كبيرة لهذه المنطقة.

كان شباب الفصيل في أعلى درجات الحماسة. فجسّد كلّ منهم حماسته بطريقة ما. طلب «محمّد جواد نصيري» الذي كان يفوق الجميع -وأنا من جملتهم- بحسن تفكيره وذوقه، أن أكتب له بعض العبارات على دفتر المذكّرات. وقبل أن أكتب سألته: «هل كتب لك الإخوة الآخرون؟».

قال: «يا أخ «لك»، أنت الشخص الثاني الذي يكتب لي». فكتبت له هذه الكلمات:

«ينبغي للإنسان أن يعمل من أجل رضى الله، وأن يؤمن بأنّ الله ناظر إلى أعماله، فيمنع نفسه عن كلّ عمل ينهى الآخرين عنه، وعن كلّ عمل يعتبره هو مخالفة من الآخرين، عليه أن يعتبره مخالفة

بالنسبة له أيضًا. وعلى الإنسان أن يكون هو نفسه في كلّ حالاته؛ أي أن لا يكون ذا وجهين. وأن تكون أخلاقه وأعماله واحدة مع الجميع، بحيث تكون محبّته على مستوى واحد للجميع. وأن يبقى حتّى النهاية في طريق الله، ولا ينحرف عن هذا الطريق. أسألكم الدعاء».

أصغر لك علي آبادي، 1986/1/31.

في صباح أحد الأيّام الباكر، وبينما كنّا واقفين في صفّ المراسم الصباحيّة، هاجمتنا مجموعة من الخنازير البرّيّة؛ لكن لحسن الحظّ أنّ أحدًا لم يُصب بأذًى. كنّا قد سمعنا ليلًا أصوات عواء بنات آوى، وعلى ما يبدو أنّها عرفت أنّه يمكنها أن تجد طعامًا لها في هذه الناحية ممّا بقي من طعام الإخوة.

في «كارون»، أجرينا مناورة برمائيّة. ركبنا الزوارق من على منصّة الوحدة البحريّة للفرقة، وهاجمنا العدوّ الافتراضي في الضفّة المقابلة. استمرّت مناورة احتلال نقطة العبور هذه من الساعة العاشرة صباحًا إلى وقت متأخّر من فترة ما بعد الظهر. تبلّلت كلّ ملابسنا وتمرّغت بالطين. وحين أنهينا المناورة عدنا إلى الخيم، كانت أطراف الخيم ملأى بالألبسة المغسولة والمنشورة على الحبال؛ بحيث لم يعد بالإمكان السير بسهولة في فنائه.

بعد العودة، جمع «رضا أنصاري» الذي كان مسؤولًا عن نقل جرحى المجموعة الأولى من فصيلنا -وكان آذريًّا زنجانيًّا[1]، وقد ترعرع في طهران- أحذيتنا العسكريّة واشتغل بتلميعها. فكان الإخوة يسمّونه على سبيل المزاح: السيّد رضا واكسي[2] الذي طالما قدّم هذه الخدمة

1- نسبة إلى آذربايجان وزنجان.

2 - ماسح الأحذية.

للإخوة، بمساعدة «مهدي كبير زاده». هذان الإثنان كانا منهكين جدًّا مـن المناورة كمـا بقيّة الإخـوة، لكنّهما أخجلا جميع الاخـوة بعملهما هذا. خلال ساعتين كانت جميع الأحذية العسكريّة ملمّعة وجاهزة.

كان في الفرقـة عـدد من المجاهدين الكبار في السـنّ، الذين كانوا بشكل ما، يمدّون الإخوة بالمعنويّات. في الأيّام الأخيرة، وقبل مغادرتنا مخيّم «كارون»، حضر الحاجّ «بخشي»، وعمو «حسن» إلى فناء كتيبتنا. وعمـو حسن هذا غير عمو حسن قائد السريّـة الأولى في كتيبتنا. كان الحاجّ «بخشي» يـوزّع الكعك والفطائر المحلّاة والبسكويت بين الإخوة ويحلّـي أفواههم، وهو يطلق الشعـارات ويردّد الإخوة مـن ورائه. أمّا عمو حسن فكان يوزّع الحنّاء على الإخوة. كانت لحيته البيضاء تضفي السكينـة على المرء، ويداه المباركتان تمدّان الأخوة بالحنّاء؛ حنّاء ليلة الوصال واحتفال الشهادة أو الولادة الثانية.

بالنهايـة، تركنا «كارون»؛ بعد «ميدان تير» بجعبة مليئة بالذخائر. يومهـا، كان الطقس غائمًا، فصعدنا في صندوق شاحنة مغطّى بشادر وانطلقنـا إلى مـكان مجهـول. فهوائيّات التعبئـة لم توفّق هـذه المرّة بالحصـول علـى الأخبار. كما لم يكن مسموحًا لأحـد أن يرفع الشادر عن الجهة الخلفيّة للشاحنة. وهكذا لم نتمكّن من معرفة إلى أين نحن ذاهبـون. لكنّ الفضول لم يتركنـا وشأننا. لقد كان الشادر فوق رأسنا مثقوبًـا بعدّة ثقوب كبيرة وصغيرة بمقدار عملة معدنيّة أو ممحاة قلم الرصاص. لم يرفع أحد الشادر؛ لكـن، لم نتحمّل أن نغضّ النظر عن إلقاء نظرة من تلك الثقوب.

سألنـي قائـد الفصيل الأول «محسـن كودرزي»: «يـا أخ «لك»، قل لنـا أين نحن؟ فأنـت من أبناء خرّمشهر.. وتعـرف المنطقة هنا ككفّ يدك».ألقيـت نظـرة إلى الخـارج وقلـت: «جـادة الأهـواز ـ آبـادان».

قرابة الغروب، سأل الإخوة مجدّدًا: «يا أخ «لك»، أين نحن الآن؟». قلت: «آبادان».

كنّا في جادّة مطار «آبادان». مرّت الشاحنة بمحاذاة المدينة، وتابعت طريقها نحو جنوب «آبادان»، أي نحو «بهمن شير». ترجّلنا من الشاحنة في عتمة الليلة. تحرّكنا وانطلقنا مشيًا على الأقدام بضع مئات من الأمتار حتّى وصلنا إلى مقرّ الكتيبة. كانت السماء ترسل بعض الرذاذ، والأرض موحلة ورطبة. وصلنا إلى بيوت قرويّة على ضفّة نهر «بهمن شير»، فاستقرّ فصيلنا في أحد هذه البيوت.

كان لدينا في المخيّم كما في المخيّمات السابقة برنامج للحراسة. أعلن موزّع الحراسة في تلك الليلة، لائحة الحراسة الليليّة. فجاء اسمي ضمن الأشخاص الأُوَل. وقد أكّد مسؤولو السرايا والفصائل أيضًا على عدم السماح لأيّ غريب بالدخول إلى نطاق بيوت القرية، وعلى أن لا يدخل أحدٌ من عناصر الفصيل إلى بساتين النخيل الواقعة في محيطنا. لكنّني لاحظتُ أثناء الحراسة، مجموعات تتحرّك في الفناء بين بيوت القرية. بعد البحث والتدقيق، علمتُ أنّ شاحنة إحدى الفصائل قد تأخّرت في الوصول، وأن لا داعي للقلق.

بقي كثيرون في تلك الليلة مستيقظين حتّى الصباح. فمن شدّة شوقهم وفرحهم للمشاركة في العمليات لم يتمكّنوا من النوم ليلة الهجوم. استلقى عدد منهم على البطّانيّات المفروشة في أرض الغرفة.

طوال تلك الليلة كنّا نسمع أصوات نيران قواتنا إلى أن حلّ الصباح. كما أشارت وَمَضات القنابل المضيئة إلى أنّ معركة كبيرة تدور في جزيرة «أمّ الرصاص»، ومعركة أخرى يدور رحاها في جنوب جزيرة «آبادان». أمّا الكتيبة فكانت تبعد عن المعركتين قرابة العشرين كيلومترًا.

عندما طلع الصباح، حضر قادة الكتيبة لتوجيهنا وإعطاء التعليمات. واتّضح أنّ العمليّات الحاليّة تجري في مدينة «الفاو» العراقيّة، وأنّها بدأت بالأمس، وأنّ فرقتنا ستهجم اليوم في المرحلة الثانية من العمليّات على خطّ دفاع العدو، وأنّ كتيبة «حمزة» مستعدّة تنتظر وصول الأوامر من المقرّ و..

قُدّم لنا على الغداء يومذاك «تشلو مرغ» (الأرزّ بالدجاج). وإمضاء الموافقة عليه كان عبر الجلبة والتهليل والحركة والحماسة. ذكّرتني أشعّة الشمس الدافئة، بالأيّام السعيدة التي أمضيتها في هذه المناطق. كنت قد قضيت بعض عطل «النوروز» مع الأهل في جزيرة «آبادان» وعلى ضفّة نهر «أروند». وعندما أقارن تلك الأيّام الجميلة بالأوضاع الراهنة، كنت آسف بشدّة، حيث سيطرت «الضباع الغريبة» على هذه الطبيعة الجميلة. حينذاك كان العراقيّون يتردّدون بحرّيّة إلى جزيرة «مينو»، والإيرانيّون في تلك الناحية، وها هم الآن جيراننا عديمو الأصل قد هجموا على أرضنا معلنين العداوة.

عصر ذلك اليوم، تركنا البيت القروي، وعند المساء تموضعنا في خنادق على ضفّة نهر «أروند». كان ذلك عشيّة الثاني والعشرين من بهمن[1]. سمعنا عبر الراديو ومكبّر صوت الإعلام، بأخبار العمليّات. كما شهدنا بأنفسنا تزايد الغارات الجويّة للمقاتلات العراقيّة التي قصفت منذ الصباح إلى الغروب، المنطقة الواقعة إلى جانب نهر أروند والساحل الشرقي والغربي منه الذي كان بأيدينا، عدّة مرّات. قبيل الغروب، عبرنا تحت القصف الجوّي للعدوّ، نهر «أروند» الهائج من ضفّة إلى أخرى؛ ألف متر من الماء العميق والهائج. وبفضل الله وصلنا جميعًا سالمين إلى الساحل الغربي منه. ولما أظلم الجوّ ومع

1. 11 شباط، ذكرى انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران.

الأذان مكثنا في أحد البيوت الساحليّة. وطبقًا لأوامر قائد الفصيل، كان علينا التيمّم للصلاة. فقد نحتاج الماء الموجود في القرب للشرب. وقع نظري على تنّور للخبز في ناحية من نواحي البيت. فقد كان لدينا اثنان مثله في خرّمشهر؛ واحد في الفناء، وواحد على سطح المنزل. كان تنّورًا طينيًّا خمريّ اللون يبلغ قطره مترًا، وقد نصب فوق التراب. ولأنّ أرض خوزستان كانت رطبة، كانوا يبنون التنور على الأرض. حين ضربت بيدي على التراب لأتيمّم، اعترتني حال عجيبة: هل ستُقبل صلاتي؟ فهذا بيت أحد العراقيّين.. أوَليس هذا التراب الذي أتيمّم به مغصوبًا؟ و.. تذكّرت أيّام احتلال «خرّمشهر»، وجثث النساء والأطفال المعفّرة بالدماء والتراب التي هرّبت النوم من عينيّ لمدّة مديدة، ومخازنهم الملأى بصنوف البضائع والمواد التي سطا عليها العراقيّون. وها هي «الفاو» الآن تدفع ثمن مقابل ما نُهب من «خرّمشهر». وهذا جرى من دون أي عملية سلب ونهب أو قتل وإراقة للدماء وأيّ ظلم وفساد.. تيمّمت ببال مطمئنّ وأدّيت صلاتي. بقينا في ذلك البيت الساحلي إلى منتصف الليل، حيث صدرت الأوامر بالتحرّك. وكانت الشاحنات التي تخرجنا من الفاو شاحنات غنمتها قوّات الإسلام في المعارك. فسارت بنا مطفأة المصابيح. كان خطّ المواجهة على بعد عدّة كيلومترات منّا. فعمد مسؤولو الفصيل والسريّة إلى توجيهنا وإعطائنا التعليمات حول المنطقة ومهمّتنا من وقت لآخر. كانت كتيبة «حمزة» يومذاك تشكّل الاحتياط في العمليّات لكتيبتين من كتائب الفرقة هما، «أنصار الرسول ﷺ» و«مالك الأشتر».

ترجّلنا من الشاحنات في مكان ما. كنّا قد ابتعدنا عن «الفاو» مسافة 10 كيلومترات. كانت المدينة تبدو واضحة. فالنيران المشتعلة في آبار النفط فيها والتي امتدّت ألسنتها عشرات الأمتار إلى السماء،

كانـت تبـيّن بوضوح موقعيّة المدينـة. لم نرتدِ في ذلـك الطقس البارد المعاطـف، إنّما السترات الواقية من المطر وحسب. أنهكنا البرد ونخر عظامنا، فَلُذْنا بجانب الساتر اتّقاءً للبرد وللخطر المحتمل.

مـا إن أسفـر الصبـاح، حتّـى بدأ هجـوم القـوّات العراقيّـة. كنّا حينـذاك إلى الجهة اليمنى من الجادّة الإسفلتيّة لـ«أمّ القصر». وقبل حلول الظهـر، تقدّمنا خمسمائة متر إلى الأمـام، ومن ثم انتقلنا إلى الجهـة اليسرى من الجـادّة، إذ إنّها الأكثر أمنًـا. لم نستطع سوى أن نلوذ بأسفل الجادّة الترابي منها. لكن على بعد عشرين مترًا فقط من تلك الناحية، يبدأ مستنقـع ويمتدّ حتى يصل إلى الخليج. وكان يُطلق على تلك المنطقة قاعدة الصواريخ.

كان يـوم الثـاني عشر من شباط للعام 1986. تيمّمنـا أيضًا وأدّينا صلاتي الظهـر والعصر من جلوس في الدشم التـي بنيناها بأنفسنا. وكان طعـام الغداء لكلّ شخصـين علبة من سمك التونة. وكان في تلك الناحيـة محلّ مهجور لبيع السمانة وجد فيه الإخوة صندوقًا من المياه الغازيّة، فأخذوها وشربوها.

بعد ظهر ذلك اليوم، عادوا ووزّعوا الذخائر الإضافيّة علينا. وقال المسؤولـون، ليحمل كلّ شخص ما استطاع مـن الذخائر. فحملتُ وكلّ واحـد من مساعِدَيّ رماة الـ(آر بي جي) الآخرَيْن قذيفة (آر بي جي) أخـرى في يدنـا الخالية. قبل الغـروب، ودّعنا بعضنـا البعض وطلبنا المسامحـة. لكن عـادت وتسنّت لنـا فرصة أخرى، وحصـل تأخير في المهمّة. أقمنا صلاتي المغـرب والعشاء في المكان نفسه، ومن ثمّ انطلق طابـور الكتيبة سـيرًا على الأقـدام، ليتوقّف بعد ساعتـين إلى الجهة اليمنى من الجادّة في مكان ما، علمنا فيما بعد أنّه مثلّث مصنع الملح.

اجتمع قادة الفرقة الكبار، مـع قادة السرايا والفصائل كلّهم تحت

جسر إسمنتي صغير اتّخِذَ كمجرى للماء. طال اجتماعهم لمدّة، ومن ثمّ قام المسؤولون بإعطاء التعليمات لعناصرهم. قال قائد الفصيل الأوّل:

– هناك عدد من الدبّابات السالمة وعدد من الدبّابات المدمّرة على الجادّة. بحال تمكّنت كتيبة «حمزة» من تدمير تلك الدبابات السالمة، أو أخذها غنائم، ستتمّكن بكلّ سهولة من الوصول إلى جسر «أمّ القصر» الكبير..

وهكذا، تسنّت لنا فرصة أخرى لتوديع بعضنا البعض، إضافةً إلى «أحمدي زاده» و«أصغر أهري» و«كودرزي» حيث كنّا في مجموعة واحدة، ودّعت كلًّا من «پور كريم» و«كبير زاده» و«مسعود أهري»، و«أكبر مدني» و«أمير عباس رحيمي». حين أراد أمير عباس تقبيلي أحنى رأسه بشكل كبير ليصبح في موازاتي وقال: يا أخ «لك»، لا تحرمنا من شفاعتك، واذكرنا..

أخيرًا، انطلق طابور الكتيبة من مثلّث مصنع الملح. لم تكن تفصلنا عن الخطّ الأمامي مسافة كبيرة. بعد نصف ساعة، أصبحنا في ساتر نقطة الانتشار مستعدّين للهجوم. كانت السريّة الأولى طليعة الكتيبة، والفصيل الأوّل طليعة هذه السريّة، كما كانت مجموعة تتألّف من سبعة أو ثمانية عناصر تتقدّم الفصيل. وكان «محسن كودرزي» و«أصغر أهري» في عداد هذه المجموعة. وطبقًا لخطّة المناورة، كان على قائد السريّة أن يتقدّم مع مجموعة الطليعة، ويكسر خطّ الكمين وخطّ الدفاع الأوّل للقوّات العراقيّة، ليدخل بعده باقي عناصر الفصيل الأوّل المعركة، ومن ثمّ سائر الفصائل.

عندما تركت السريّة الأولى ساتر الخطّ الأمامي، كان العناصر إلى الجهة اليمنى للجادّة. تقدّمنا بهدوء ومنحني الظهر، حتّى وصلنا إلى الجادّة. عبرناها ورحنا نتقدّم في الجهة اليسرى منها.

أصبحنـا على مسافة قريبة جدًّا من خـطّ الدفاع العراقي، بحيث كنّا نسمـع أصواتهـم. ولو كنت دقّقـت السمع لاستطعت فهـم ما يقولون، لكـنّ أصوات المحـرّكات وجنازير الدبّابات لم تدع أحـدًا يسمع شيئًا. كنـت أسـير منحنيًا خلف «أحمـدي زاده»، وخلفي «سعيـد پور كريم». كان «كاكاونـد» وهو من الفصيـل الثاني في عداد المجموعـة الأماميّة كونـه من رماة الـ(آر بي جي) الماهرين. كان عدد العراقيّين كبيرًا. لم تكـد المواجهة تبـدأ حتّى أدركت ذلك. وكانت جبهتهـم تزداد وضوحًا تحـت وهج القنابـل المضيئة. فكانت في الجهة اليمنـى التي كنّا نتقدّم فيها مترًا فمترًا، أعمدة كهرباء، وكان بإمكاننا من خلال المسافة التي تفصل بين هذه الأعمدة، التحقّق جيّدًا من المسافة الفاصلة بين طابور السريّة الأولى والقوّات العراقيّة، ولم تكن تتجاوز الخمسين مترًا.

وكان أحد أعمدة الكهرباء خلفي تمامًا، والعمود التالي كان أمامي عنـد الخطّ المتقدّم لقوات العدوّ وبعض الدشم. وعليه، فالمسافة بيننا وبينهم كانت قرابة الخمسين مترًا.

أبلغنـي «أحمـدي زاده» بأنّه علينـا التأهّب للهجـوم. أبلغت بدوري الشخص الـذي يليني. بعد ثوان، انطلق الرصاص. وأطلق أحد رماة الـ(آر بي جي)، الذي كان صديقًا قديمًا لـ «كاكاوند»، النار فوق رؤوس الإخـوة الذين كانوا في الطابور، فانبطحنا جميعًا أرضًا. ومع إطلاقه، استتـار الليل المظلم في لحظـة واحدة، وصمّ سمعـي صوت الصفير. في الدقيقـة الأولى تلـك، أضعـت «أحمـدي زاده». فعندما نهضت من مـكاني وركضت، غاب عن نظري. فنـيران العراقيّين شديدة. وكأنّهم كانوا متيقّظين ومستعدّين، إذ حرثت نيران رشّاشاتهم سطح الجادّة. وكان عليّ إيجاد مجموعتي. فتّشتُ عن: محسن، أصغر، أحمد، لم أجد أيًّا منهم. تقدّمت من الجهة اليسـرى للجادّة، كانت الطريق والأرض

مليئتــين بالقتلى والجرحى. لا أعلــم إن كانوا عراقيّين أم إيرانيّين. ما كان علــيّ الاهتمام بذلك. عبرت عدّة دشــم للعراقيّين مدمّرة وسالمة وصامتة، فرأيت أحدهم جالسًا وهو يدير ظهره لي.

كان يضــع خــوذةً معدنيّة على رأســه ويرتدي لباســ الكومندوس. أحسســتُ بخطر داهــم. كان رشّاشي جاهزًا للرمــي. أمعنت النظر؛ كان يوجد علــى بزّته درجة عسكريّة، وكان يقــوم بأشياء وراء بعضها البعض؛ وكأنّه كان يلقّم قاذف آر بي جي. لم يكن بيني وبينه أكثر من نصــف متر، نهضت وصحت فيه مصدومًا: أنت إيرانيّ أم عراقي؟... تفاجأ هو أيضًــا وصاح. تأكّدت أنّه ليس إيرانيًّا. فجأةً استدار بسرعة وأمســك بفوّهــة سلاحي. عندمــا سحــب البندقيّة، كانــت يدي على الزناد، سرعان ما ضغطت وأفرغت وابلًا من النيران في صدره. كنت لا أزال مشوّشًــا مــن بدنه القــوي وشاربيه العريضين، حــين شقّ وابل سلاحــي مقدّمة بدنه من صدره إلى بطنــه. جحظت عيناه. ولم يفلت البندقيّــة؛ أحسست بسخونة تسري في جميع أنحاء جسدي. كان واقفًا ويشخر شخيرًا عاليًا.

مرّ الوقت ببطء. لربّما استغرق الوقت نصف دقيقة حتّى سقط ذلك الغول الضخم أرضًا. سقط، لكنّه لا يزال يريد الاستيلاء على سلاحي.

أراد ذلك، لكنّ أصابعه ارتخت ولم يعد بها من قوّة. فجأة سقط ومات. تقدّمتُ أكثر، رأيت أحد عناصر الفصيل الثاني.

لا أذكر اسمه. كان مصدومًا فقال باضطراب:

– لقد استُشهد الجميع.. ارمِ على أولاد الحرام هؤلاء..

الملاعين، ليسوا واحدًا أو اثنين.. كلّما رمينا عليهم ازداد عددهم..

أشــار بيده إلى الجهــة اليمنى. فهمتُ بأنّ تعداد القــوّات العراقيّة

في تلك الناحية أكثر من الجهة اليسرى. تقدّمت وأفرغت عددًا من مخازن الرصاص على الدشم الموجودة على الناحيتين. لم أجد أثرًا لـ«كودرزي»، «أهري» أو «أحمدي».

لم ينقطع أزيز الرصاص الذي كان يمرّ من جانبيّ كل لحظة. كنت أتقدّمُ منحنيَ الظهر، إلى أن رأيت أحد عناصر الفصيل الأوّل، وكان مصابًا. لا أذكر اسمه وشكله. كان مصابًا في رجله ووركه بشظايا يدويّة. ضمّد المسعف جرحه. كان يهمّ بالرجوع إلى الخطوط الخلفيّة، فقال لي:

- يا أخ «لك»، لا ترمِ القنابل.. ستتشظّى كلّها، وتصيب شبابنا..

فهمت أنّه أُصيب من قنبلة صديقة. سألته: «ماذا حدث هنا؟». قال بصوت متقطّع: «التحمنا بالعراقيّين.. المواجهة في المقدّمة وجهًا لوجه.. فاحذر من العراقيّين، ومن نيران شبابنا أيضًا»..

حان وقت الوداع؛ كان عليه أن يرجع إلى الخطوط الخلفيّة، أما أنا فعليّ أن أتقدّم إلى الأمام. في تلك الدقائق المعدودة، التقط كلّ منّا أنفاسه قليلًا. ابتعد عنّي، فتقدّمت شيئًا فشيئًا بحذر. إلى الأمام، كان يوجد تلّة ترابيّة صغيرة، يتراوح طولها ما بين الخمسة والستّة أمتار، بارتفاع متر ونصف، تنخفض قليلًا عن سطح الطريق الإسفلتيّة وكتفها.

كان ينبغي عليّ أيضًا أن أعبرها ثم أتابع طريقي. ربّما تقدّمت ما بين المئة والمئة والخمسين مترًا في جبهة العدوّ. كانت هذه التلّة الترابيّة متعامدة مع الطريق، أما إلى الجهة الأخرى منها فيوجد مستنقع. اقتربت منه؛ لكنّي حيث كنت أعلم أنّ المواجهة أصبحت وجهًا لوجه، رحت أتقدّم بحذر وبكامل الاستعداد. في المقدّمة، كان الالتحام مع البعثيّين مشهودًا. توجّهت مرّات عدّة نحو الجادّة لأستكشف وأشرف

علـى الجهات من حولي؛ مع أنّ الذهــاب إلى الجادّة كان خطرًا. قلت في نفسي: إن عبرت هذه التلّة، ونزلت عن الجادّة، وتقدّمت نحو الجهة اليســرى، سيكون الأمر أكثر أمنًا؛ لكن مــا إن تقدّمت أربعة أو خمسة أمتار إلى جانب التلّة، حتّى شخَص عراقيّ أمامي، كان يكمن في ذلك المـكان. لما رآني اقتربت، أطلق النار صوبي. كان رشّاشي أيضًا جاهزًا للرمي. صوّبت سلاحي نحوه لتكون فوّهته موجّهة إلى صدره مباشرة؛ لكنّــه سبقني وأطلق الرصاص. رأيت النـيران تنبعث من فوّهة اللهب إلى الجوانب. لم أعرف، ولم أذكر إن كنت رميت أم لا؛ لكنّي أحسست بالنصـف الأسفل مـن جسدي يشتعل. شعرت حينهـا برعشة قويّة في جسدي وعظم ساقي؛ وكأنّ طلقة مدفعيّة أصابت رجلي اليمنى.

أحسسـتُ بالعالم يدور من حولي، وتكوّمت فجأة على نفسي ككيس نايلـون أُلقي في النار، إلى أن تلاشيت. سقطـت من أعلى الجادّة إلى تلك الجهة التي أطلق الجندي العراقي النار عليّ منها. كما تمرّغ وجهي وامتلأ رأسي بالتراب. كنت أشاهد وجهه المنحوس بشكل ضبابي. كان يعتمر خوذة، وتبدو ضحكته مرعبــة بشاربيه العريضين. رحت أنتظر رصاصة الخلاص؛ لكنّه اختفى فجأةً ورحل. كلّ هذا حصل في أقلّ من دقيقة. رحل هو، وبقيت وحدي مع رجلي المكسورة.

في البدايــة، ظننــت بــأنّ رجلي قــد قُطعت؛ لكن حـين مددت يدي وتحسّســت رجلي، أمدّني ذلـك بالقوّة وسيطرت علـى نفسي. ورحت أخاطبها مؤنّبًا: أصغر، لقد أُصبت، وأصبحت جريح حرب... لا تخف! وصـل المسعـف. كان «سيروس مهدي پـور» مسعف فصيلنـا. فكّ في البدايــة المعـدّات وجعبة ذخائر الــ(آر بي جي) عن ظهـري. ومن ثمّ الحـزام العسكـري، رفـع قميصـي إلى الأعلـى، وأنزل سـروالي إلى الأسفل قليلًا، ليجد مكان الإصابة. لم يجد شيئًا. استخرج مقصًّا من

حقيبته وراح يقصّ به بنطالي إلى أن وصل إلى مكان الإصابة فقال:

- أخ لـك، لم تصب بأي أذى.. لقد أصبح هـؤلاء الأعداء وقحين، علينا أن نلقيهم جميعًا في هذا الخليج!

كان يمدّني بالقوّة ويشجّعني. ولم ينقص من معنويّاته كثرة القتلى والجرحى الذين شاهدهم، بل كان يمدّني بالمعنويّات ويقول:

- مـن حسن حظّك أنّها لم تصل إلى الشريـان الرئيسي، وإلّا لكان الـدم نزف منك كمـا يتدفّق الماء من خرطوم الميـاه! ألقيت نظرة على جرحـي قبل أن يضمّـده. كان اللحـم والجلد والعظـم مختلطًا بعضه ببعض بمقدار راحة اليد. وكأنّه فُرم بماكينة فرم اللحم.

حينمـا أنهـى «سيروس» تضميـد جرحي ذهـب لإسعاف الجرحى الآخرين.

بعدهـا بقليل، ضغطت بكلتا راحتيّ على الأرض، لأنهض متّكئًا على بندقيّتي؛ لكنّني لم أستطع ذلك من شدّة الوجع، فعدت وجلست في أرضي. كنت قـد جُرحت وعليّ تصديق ذلك بالرغم من صعوبة الأمر. فقدت قـوّة الدقائق الخمس السابقة وطاقتها كلّيًّا. فقبل دقائق معدودة كنت أسير على قدميّ وأجري. أقفز؛ لكن الآن لم أعد أستطيع النوم براحة. تركـت سلاحـي وذخائري ومعدّاتـي في مكانها ورحـت أزحف باتّجاه الخطوط الخلفيّة. بالاعتماد على يديّ رفعت نفسي عن الأرض قليلًا، ورحـت أتقـدّم. كنت أسحب رجليّ على الأرض، وأذكر لحظة بلحظة ذلك الجنديّ العراقي وشاربيه وضحكته، فترتعد فرائصي لذلك.

قلـت في نفسي ليتني أحضرت سلاحي معـي، فلربّما صادفت مرّة أخـرى واحدًا من أولئك الغيلان. كنت قد ابتعدت عن سلاحي مسافة عشرة أمتار. عشرة أمتار في تلك الأوضاع كانت كألف متر؛ بل أكثر.

زحفت عدّة أقدام أخرى، بل عدّة أيد، فلم يبقَ أثر من بنطال علي. فقد قصّ «سيروس» نصفه ليجد مكان الإصابة، والنصف الآخر تلاشى مع هذه الأمتار العشرة التي زحفتها. حمدت الله سبحانه أن كان قميصي طويلًا يسترني حتى نصف ساقي الأعلى. تابعت مسيري، لم يكن صائبًا انتظار ناقلي الجرحى، ففي طريق العودة كنت قد شاهدت الكثير من الجرحى، كم يوجد من ناقلي الجرحى في الفصيل أو السريّة؟ فإن رجعت مائة متر إلى الوراء، لوصلت إلى مكان المواجهة، ومائة متر أخرى إلى الوراء أصل إلى نقطة الانتشار.

في معمعة التحليل والسير تلك، أنجدني «حميد رمضاني» أحد ناقلي الجرحى في فريقنا. لم يكن معه حمّالة، وكان وحيدًا.

حملني على ظهره وانطلق. كنت أرتجف من البرد. بينما كان أحد قادة السرايا ما زال يعطي الأوامر بالتقدّم:

- أيّها الإخوة، انهضوا.. لِمَ قعدتم.. تقدّموا إلى الأمام..

إلى حينها، كانت السريّة الثانية للكتيبة قد دخلت المعركة. مضى نصف ساعة على بداية الهجوم، فسمعت من العناصر المتأهّبين للهجوم بأنّ لدى القوّات العراقيّة على الجادّة، رتلًا من الدبّابات وناقلات الجند المدرّعة. وقد قيل لنا قبل الهجوم إنّه يوجد على الجادّة عدد من الدبّابات المحترقة والسليمة فقط. وكان من حقّ العناصر الحديثة العهد بالجبهة أن تتردّد في التقدّم إلى الأمام. فالمعلومات التي وصلت إليها كانت إمّا ناقصة أو مغلوطة، وقد أدركوا ذلك؛ ولحظة بلحظة كان يُنقل جرحى من أمثالي، من خطوط المواجهة، وبدورهم يخبرون عن المواجهة المباشرة التي تجري وجهًا لوجه هناك. فقلّت ثقتهم بفريق المعلومات، وازداد الغموض فيما يتعلّق بالتكليف الملقى على عاتقهم، وخوفهم من ازدياد عدد الجرحى كان في مكانه.

كانـت نـيران العراقيّين شديدة، فكان الرصاص الغزير يمرّ من فوق الجـادّة وعلى جانبيها ويُسمع أزيزه. فعلـى مسافة خمسمائة متر إلى الأمـام كانـت القيامـة قائمة، وأنـا لا أزال محمولاً علـى ظهر «حميد رمضاني» متوجهًا إلى الخطوط الخلفيّة. احترق قلبي على «رمضاني»، وكذا على الجرحى الذين كنّا نمرّ بإزائهم. قلت له:

– أخ رمضـاني! أنزلنـي أرضًا، سأذهـب بنفسي شيئًـا فشيئًا إلى الخطوط الخلفيّة....

لم يكـترث رمضـاني لقـولي، وتابع راكضًـا. نقلني مائـة متر إلى الخلف، ثـم أنزلنـي أرضًا. أما هنـاك فيوجد ناقلو جرحـى آخرون. طلبـت من رمضـاني أن يؤمّـن لي بطّانيّـة أو كوفيّـة أو أيّ شيء آخر لأستر بهـا ساقيّ. فأعطاني قطعة من القماش. عند ذاك، وضعوني علـى الحمّالة ونقلوني إلى الخلف إلى فناء مليء بالشهداء والجرحى. مُلئـت سيّارة أو سيّارتا إسعاف بالجرحـى، وانطلقتا. ثم مُلئت سيّارة إسعاف ثالثة؛ أمّا أنا فأدخلوني بعد جهد إلى سيّارة الإسعاف وأغلقوا بابها بعد عسر ومشقّة وانطلقنا.

مع كلّ حركة لسيّارة الإسعاف، كانت تتعالى أصوات الجرحى. لم يكن بي من رمق حتّى للصراخ والأنين. سرنا قرابة نصف ساعة إلى أن توقّفت سيّارة الإسعاف، وفُتح بابها. بعدما وضعوني أرضًا، نُقلت إلى داخل قاعة كبيرة مضاءة بمصابيح كهربائيّة. ما إن تمدّدت على السرير حتّى وقع نظري على «حسن قابل أعلا» الذي أُصيب بشظيّة في بطنه وكانت حاله سيّئة. بعدما ضمّد مساعد الطبيب في المستوصف جرحه، انتقل إلى الجريح التالي. بعد فترة، جاء دوري وضمّد جرحي. قال أحد شباب الفصيل الثاني وكان من رفاقي القدامى، بين المزح والجدّ:

– سمعت أنّك كنت واقفًا وسط الطريق، وتنزل البلاء على رؤوس العراقيّين برصاص الكلاشنكوف...

أجبته بابتسامة رسمتها على شفتيّ. وكأنّ الحقنة التي حقنوني بها قد بدأ مفعولها، فخفّفت وجعي، وجعلتني مشوّشًا. بعدها بقليل، نُقلت إلى رصيف المنصّة، ووُضعت في قارب. لم يكن هناك مسافة كبيرة بين المستوصف والساحل. توقّف القارب إلى الجهة الأخرى من الساحل الإيراني. أنزلوني من القارب ووضعوني داخل سيّارة إسعاف. غبت عن الوعي. حين فتحت عينيّ وجدت نفسي في مستشفى ميداني. وهناك سألوني عن اسمي وبعض الأسئلة الأخرى، ومن ثمّ نقلوني مباشرة بحافلة فُرّغت من المقاعد وجُهّزت بالمعدّات الطبّيّة. كما كانت تحتوي على مقاعد للجرحى العاديّين، وأماكن لتوضع فيها حمّالات الجرحى من ذوي الإصابات البالغة.

قبل طلوع الصبح بساعة واحدة فقط، كنت في حال بين النوم واليقظة، وما زال أثر المسكّن والتعب يفعلان فعلهما بي، وإذا بالحافلة ترتجّ بنا جرّاء صدمة قوّية، فارتفعت أصوات الجميع. انقلب كلّ شيء في الحافلة بعضه على بعض: الجرحى، والحمّالات. على ما يبدو أنّ السائق غلبه النعاس فاصطدم بساتر ترابيّ. كان ذلك في سحر الثالث عشر من شباط، واليوم الثالث للعمليّات. فغاب بعض الجرحى عن الوعي، وكنت أنا من بينهم. حين فتحت عينيّ، وجدت نفسي في مستشفى الشهيد «بقائي» في «الأهواز»؛ كان الصبح قد أسفر. حين رأوني أفقت، نقلوني لإجراء بعض صور الأشعّة. كما نقلوني مرّة إلى غرفة قريبة من غرفة العمليّات.

نظرت في زاوية الغرفة التي تُجمّع فيها بعض الأيدي والأرجل المبتورة وقد تجمّد الدم عليها. فشعرت بالغثيان، وكدت أغيب عن

الوعـي. لقد خطر على بالي فجأة، أنّ هـذه الأطراف المقطوعة كانت قبـل ساعات أعضاءً لبدن شخص ما. ساءت حالي كثيرًا وانتشر الألم في جميـع أنحـاء جسـدي. ألقيت نظرة علـى رجلـي المصابة، ورحت أتحسّسهـا وأضغـط عليهـا برجلي الأخـرى. شعرت بالخـوف من أن يبتروا رجلي، وصرت لا إراديًّا أقول لمن حولي:

- باللّه عليكم، أخرجوني من هنا.. أنا سليم معافًى.. خذوني..

لم يكـترث الممرّضون، الذيـن اعتادوا على مثل هـذه الاستغاثات، لكلامـي. وقالوا لي إنّه لا يوجد قرار أصلًا بإجـراء عمليّة لك، وإنّهم يريدون فقط أن يجروا صـورة أخرى لرجلي. وكانوا قبل نقلي لإجراء الصـورة قـد أفرغوا مثانتي عن طريـق الميل. فجـاءت نتيجة المعاينة والصـورة بلزوم نقلي إلى مستشفى أكـثر تجهيزًا. فاتّجهنا إلى مطار الأهواز الذي كانت حركة الملاحة فيه معطّلة.

وبعـد انتظار فـترة طويلة، صعدنا إلى طائـرة (C130) وانطلقنا. وفي الطائـرة، سمعـت أنّ طائـرة أخرى قـد سقطت جـرّاء إصابتها برصاص العـدوّ، وكان علـى متنهـا قيـادات رسميّـة وعسكريّـة. حطّـت طائرتنا في مطـار «رشت»، وكانـت تلك الطائـرة الأولى التي أركبهـا. وبالرغـم مـن إصابتـي كنت أستمتـع بصعودهـا وهبوطها. أُدخلـت إلى أحد مستشفيات «رشت». كنت أشعر بألم شديد. ولم يكن أحد يكترث لآلام الجرحى. وأخيرًا، من شدّة ما صرخت وأنّيت جاءني الممرّضـون بالطبيب. بعد معاينة الصور وجد أنّ رصاصة قد استقرّت فـوق الفقـرة السفلى مـن ظهـري. فأعطـاني حينها حقنـة مسكّن، ونُقلـت في ذلك اليوم نفسـه إلى غرفة العمليـات، فأُجريتْ لي عمليّة جراحيّة سريعة استخرجوا فيها تلك الرصاصة من بدني. باستخراج الرصاصة، خفّ الألم، وارتاح بالي وبال الطبيب؛ لكنّ الطبيب غفل عن

حوضـي المكسور، وكانت آخر كلماتـه: «سيّد «لك علي آبادي» بعد أيّام قلائـل ستتمكّن من المشي علـى قدميك مثلي تمامًا؛ لكن لا تستعجل.. عليك الآن أن تمشي بهدوء وتحرّك رجلك دومًا»..

شكـرت الطبيب؛ لكنّي حدّثـت نفسي: كيـف لي أن أسير بعد عدّة أيّام مثلك بهذا الحوض المكسور؟!

قبـل مغادرة مستشفى «رشـت»، أجريت اتّصـالًا هاتفيًّا بطهران، وأخبرت العائلة بإصابتي. ظنّوا بأنّني أتكلّم من «خوزستان». وتعجّبوا حـين أخبرتهم بأنّني في «رشت». قبل مغادرة المستشفى أيضًا، التقيتُ بأحـد جرحى كتيبة «حمزة»؛ ذلك الجريح نفسـه الذي أُصيب بقنبلة يدويّـة صديقة، والتقيت به ليلـة الهجوم.. كنّا متيقّنين بـأنّ البعثيين العراقيّـين كانـوا ليلة الهجـوم على علم بـه، فتظاهروا بعـدم ذلك، واستهدفـوا شبابنـا من الخلف. وما وصلنا من أخبـار يومها أنّ كتيبة «حمـزة» لم تتمّكن تلك الليلة من الوصول إلى جسر جادّة «أمّ القصر» المشهور، وأنّه لم يبقَ سالمًا من عناصر الكتيبة سوى فصيل أو فصيلين.

كنـت أتـوكّأ على عـكّاز حين قرعتُ جرس البيـت في محلّة «يافت آبـاد» في طهران. فتحت أمّي الباب، صُدمتْ لرؤيتي، وراحت تنظر إليّ فحسب. بنـاءً على تعليمات الطبيب «الرشتي» كنـت أمشي على رجلي وأتحمّـل الألم الذي كان يسبّبه المشي. وهكذا فعلتُ في الأيّام اللاحقة. لكنّ أمّي وأخي لم يحتملا رؤيتي أتألّم، وأقنعاني باستشارة طبيب آخر. ذهبـت إلى مؤسّسة الشهيد، فحوّلـوني إلى مستشفى «أختر» في جسر «الرومي»، فركبت الحافلة برفقة أمّي وأخي واتّجهنا إليه.

بعـد معاينة طبيـب المستشفى وإجـراء صورة شعاعيّـة أخرى لي، أجلسنـي على كرسي، ومن ثمّ مدّدني علـى سرير وقال: «لا ينبغي لك أن تخطو عليها ولو خطوة واحدة!».

تذكّرت الطبيب «الرشتي» وأوجاع الأيّام القلائل التي عانيتها جرّاء المشي عليها. كنت مسرورًا كوني أعمل بتعليماته، وأظنّ بأنّ هذا الألم هو أيضًا علامة على التحسّن.

أُدخلتُ إلى المستشفى. خضعت لعمليّة جراحيّة في حوضي الذي عطّله لي العدوّ، لكنّ آثار المشي السيّئة على رجلي بناءً على تعليمات الطبيب «الرشتي» لم تفارقني أبدًا. وقد خضعت في تلك العمليّة لمخدّرٍ عامّ واستغرقت ساعات، كونها عمليّة صعبة. بعد العمليّة، تذكّرت خيمة الفصيل الأوّل، وأصدقائي الحميمين، فقرأت سورة الواقعة التي كنت أحفظها عن ظهر قلب، لأخفّف من أوجاع ما بعد العمليّة؛ لكنّ الوجع لم يبارحني. كنت أصيح للممرّضين بأن يحقنوني حقنة مسكّن. وقد علّقوا إلى رجلي وزنًا يبلغ عشرين «باوندًا» وكان عليّ تحمّله لأشهر.

بقيت في المستشفى من 29 شباط إلى السادس من أيلول من العام 1986م؛ مع ذلك الوزن الثقيل الذي كان أحيانًا يسحبني ببدني ذي الخمسين كيلوغرامًا، إلى أسفل السرير. وكذلك تابعت دراستي في هذه الأشهر الستّة، وصمتُ أيضًا بعد استشارة الطبيب وسماحه لي بذلك.

زارني في تلك الفترة في المستشفى «أحمدي زاده» الذي كان قد أُصيب أيضًا. علمت منه بأنّ «پوركريم» وثلاثة من مساعديه قد استُشهدوا. لقد كان «أحمدي زاده» الشخص الذي يتقدّمني في الطابور، و«پوركريم» ومساعدوه من خلفي.

في شتاء العام 87، نُفّذت عمليّات «كربلاء5»، وأثناء هذه العمليّات اقترب مجاهدونا من البوّابة الشرقيّة لـ«البصرة». في عمليّات «خيبر» في العام 1983 اقتربنا أيضًا من البوّابة الشماليّة للبصرة؛ كما اقتربنا خلال عمليّات «والفجر8» من البوّابة الجنوبيّة لها. أما في العام 86،

فحاولت قوّاتنا أيضًا التقدّم إلى البوّابة الشرقيّة؛ الطريق الأقرب والأصعب للوصول إلى البصرة. لم يكن هناك نهاية لحروب المدينتين المتآخيتين.

في أشهر الحرب الأخيرة، أي في ربيع العام 1988، وعلى الرغم من إصابتي، ذهبت إلى الجبهة مجدّدًا. وكان العراقيّون حينذاك قد أصبحوا وقحين للغاية، فكانوا يقصفون المدن وأهاليها بالصواريخ خاصّة العاصمة طهران. لم أكن أستطيع أن أكون مع المجاهدين ليلة الهجوم. لهذا السبب، انضممت إلى الوحدة البحريّة؛ العودة إلى عهد الطفولة؛ إلى «أروند» والمراكب والسمك. ففي الوحدة البحريّة أدّيت عملي بنحو جيّد.

في العام 88، برزت مطامع العراقيّين من جديد، فعادوا واحتلّوا طريق «الأهواز - خرّمشهر»، ووصلوا إلى مشارف خرّمشهر كما فعلوا في العام1980م. لكنّ جهوزية المجاهدين وهمّتهم العالية لم تسمحا بذلك. بعد عدّة أشهر آل مصير الحرب إلى ما تعلمون* .

هذه هي الحرب، لكنّها بالنسبة لي ولأمثالي من الجرحى الذين تركت أثارًا في أجسادهم وأرواحهم، ولعوائل كثيرة قدّموا فلذات أكبادهم فداءً لأمر الإمام و... لم تنته. سيبقى على الأقلّ، جرح رجلي اليمنى معي إلى آخر العمر. يقول الأَطبّاء إنّ المادّة اللزجة الموجودة في مفصل وركي ستجفّ مع مرور الوقت. وإنّ حركة رجلي في منتصف العمر وما بعده- إذا ما عشت إلى ذلك الوقت- ستكون مصحوبة بألم شديد، وحينها ينبغي أن أخضع لعمليّة زرع ورك صناعي. إلى حينها، ستنطبع في ذاكرتي، أحيانًا في الليل، وأحيانًا أخرى في النهار، تلك

* الموافقة على القرار 598 وتوقف الحرب.

الضحكـة المنحوسة المسمّة لذلك البعثـيّ ذي الشارب العريض، الذي رمـاني تلك الليلة، وستطلّ صورته على مخيّلتـي من وقت لآخر. ولقد استحضـرت حتـى اليوم تلك الذكـرى التي لا تتعدّى الثـواني القليلة، مئـات المرّات، وفي كلّ مرّة تأتي وتغيب. أحيانًا أقول، ليتني كنت أسرع منه وضغطتُ على الزنـاد قَبْلَه؛ وأحيانًا أخرى أقول: ليتني كنت قُتلت حينها ونلت فخر الشهادة في سبيل الدين والوطن.

اليـوم، حينما أسـير في طرقات «خرّمشهر»، وعلـى الرغم من أنّي أعـرج في المشي، لكنّني أشعر برضًى كبـير. ولولم يقدّم في ذلك اليوم أفـراد من أمثالي، أرواحهم علـى طبق الإخلاص عشقًا لبسمة الإمام، لربّما كان أُطلق على خرّمشهر العزيزة اليوم اسم المحمّرة[1]. لقد حملت القليـل من آثار الحرب على عاتقي؛ لكنّ ابني اليوم يتمشّى على ساحل «خرّمشهـر» الجميـل بحرّيّـة. وينمو ويترعـرع في أرض أبيـه العزيزة الخارجة من بين الدمار والدماء، وهل هذا بالشيء القليل؟

1- كما يسمّيها العراقيّون.

وثائق الفصل الثالث

الصف	الاسم والشهرة	الوثائق المكتوبة	الصور	الوثائق غير المكتوبة
1	أصغر لك علي آبادي	2	1	125 دقيقة حوار

ورد في مجموع وثائق هذا الفصل، وثيقتان ورقيّتان وصورة فوتوغرافيّة.

1- أصغر لك علي آبادي

1-1 **معلومات شخصيّة**

- حائز إجازة في العلوم الاجتماعيّة، متأهّل وله ولدان، موظّف في مديريّة المرافئ والملاحة.

- تاريخ ومحلّ الولادة: خرّمشهر 1966.

- مدّة الحضور في الجبهة ونوع العضويّة: ستّة عشر شهرًا في التعبئة.

العمليّات التي شارك فيها والمهام العسكريّة: كيلان غرب، 1983 (قنّاص)، شيخ سله 1984 (الدفاع الجوّيّ)، عمليّات والفجر 8 (مساعد رامي آر بي جي)، دفاعات شاخ شميران، 1988 (الوحدة البحريّة).

- إصابات سابقة: كسر في الورك ومفصل الرجل اليمنى (1986).
- درجة الإصابة: 25%.

الصورة رقم 23
من اليمين:
أصغر لك علي آبادي
أمير عباس رحيمي

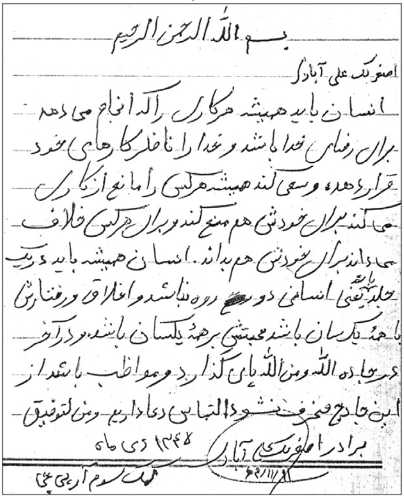

بسم الله الرحمن الرحيم
اصغر لک علی آبادی
انسان باید همیشه هر کاری را که انجام می دهد
برای رضای خدا باشد و خدا را ناظر کارهای خود
قرار دهد، و سعی کند همیشه هر کس را مانع از کاری
می کند برای خودش هم منع کند و برای هر کس خلاف
می داند برای خودش هم بداند. انسان همیشه باید در یک
حالت یعنی انسانی دو رو نباشد و اخلاق و رفتارش
با همه یکسان باشد محبتش بر همه یکسان باشد و در آخر
در جهاد فی الله و من الله پای گذارد و مواظب باشد از
این جاده صحیح منحرف نشود التماس دعا داریم و من الله التوفیق
برادر اصغر لک علی آبادی ۱۳۶۴ دی ماه

1- 2 ذكرى مكتوبة

1- 2- 1 دفتر مذكّرات

محمّد جواد نصيري پور

الوثيقة رقم 29

1- 3 الكلمة الأخيرة

الوثيقة رقم 30

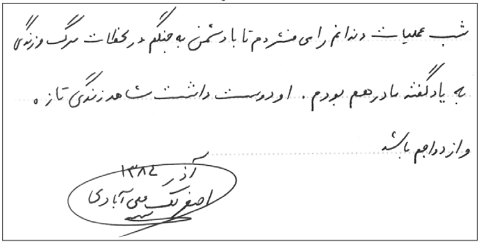

شب عملیات دندانم را می شمردم تا با دشمن به جنگم در لحظات مرگ و زندگی
به یاد گفته مادرم هم بودم. او دوست داشت شاهد زندگی تازه
و ازدواجم باشد
آذر ۱۳۸۴
اصغر لک علی آبادی

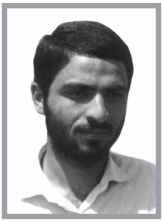

الراوي: سيروس مهديبور (شهيد)

المهمة: مسعف في المجموعة الأولى

الفصل الرابع*

الخوذة المعدنية[1]

والـدي! كانـت إجازتي الأخيرة قبل تنفيذ العمليـة، حين جئتُ إلى المنـزل قبـل شهرين تمامًـا؛ أي في أواسط شهر كانـون الثاني. مكثتُ أسبوعًـا فقـط. وعندما رجعـتُ إلى معسكر «كرخـه»، لم نبقَ طويلًا، قصدنـا ميدان الرماية حيث كتب الإخـوة وصاياهم، سلّموا حقائبهم لـ«تعاون»[2] الفرقة وغادروا «كرخه».

مضينا إلى معسكر «كارون» على متن حافلات عليها لافتات: «زيارة تفقديـة لعمّال المصنع إلى الجبهة»؛ بمعنـى أنّه لا يوجد في الحافلات مقاتلـون. أسدلَ الإخوة الستائر علينـا، وارتدى الجالسون في المقدمة

* الفصول (4-5-6) ترجمة: حوراء طحيني، دقق الترجمة: فاطمة شوربا.

1 - تـمّ تدوين هذا الفصل على أساس أشرطة التسجيـل التي أعدّها والد الشهيد سيروس مهديبور. قال السيد مهديبور: «كلّما رجع سيروس من الجبهة، كنت أستمع بشوق لمذكراته، وأضع آلة تسجيل تحت ملاءة من دون أن ينتبه بالطبع، أشغّلها، أجرّه إلى الحديث وأسجّل ما يقول». وردت المقابلة التي أجريت مع السيد مهديبور من ضمن وثائق الفصل.

2- هـو المركز الذي يعنى باستـلام الأمانات من سلاح وأغراض خاصة بالمقاتلين، وأيضًا يؤمّن الخدمات الطبية اللازمة، إضافة إلى تسلّم أجساد الشهداء تمهيدًا لتسليمها إلى أهلها. (المحرّر).

ثيابًـا عاديّـة غير عسكريـة.. فلربّمـا كَمَنَ لنـا جاسوسٌ أو الطابور الخامس وأفشى أمرنا؛ هكذا افتُضح أمر عملية «بدر»، حيث كان العدوّ متربّصًـا ليلة العملية وأجبرَنا على الانسحـاب، وقدّمنا حينها الكثير مـن الخسائر. أمّـا في عملية «والفجر 8»، فقد تمّـت حماية المعلومات بشكل متقن، ولهذا نجحنا في السيطرة على «الفاو».

استقررنا في معسكر «كارون» في جنوب «الأهواز».

والـدي! هل تذكر أيام عطلة النيروز عـام 1974م أو 1975م؟ حين ذهبنـا إلى «الأهواز» و«آبادان» وركبنا القـوارب في نهر «كارون»؟ لقد حافظـتْ بساتين النخيل على جمالها ذاك. كلّمـا نظرت إلى «كارون» استحضـرتُ ذكريات تلك السنوات، حين لم أكن قد تجاوزت العاشرة أو الثانيـة عشرة من عمـري.. كانت رحلة الحرب بالنسبـة إليّ أيضًا رحلة مليئة بالمخاطر والتجارب، ووجدت في الجبهة رجالًا عظماء.

يشبه معسكر «كارون» منطقة العمليات إلى حدّ كبير. تابعنا هناك سلسلـة تدريبات عسكريـة؛ ركبنا الـزوارق ونفّذنا منـاورة برمائية. ولأنّ البعثيّـين استخدموا الكثير من القنابل الكيميائية في عمليّة بدر، ركّـزت القيادة في المنـاورات والتدريبات على كيفيـة مواجهة الهجوم الكيميائـي. حتى إنّنا تدرّبنا على استخـدام القناع الواقي أثناء النوم لنكون على أعلى جهوزية إذا اقتضت الحاجة.

عملـت وحدة الوقاية في المعلومات بشـكل جديّ، بحيث لم يسمحوا للشبـاب بإرسـال وصاياهـم التـي كتبوهـا في معسكـر «كارون» إلى «طهران» قبل البدء بتنفيذ العملية.

بعدها، اختبرنا في «كارون» عتادنا لآخر مرّة، ثم ذهبنا مرّة واحدة إلى ميـدان الرمايـة. كنت أحمل حقيبـة ظهر ملأى بالعـدّة والعتاد،

إضافـة إلى قارورتي ماء. فكان الشباب يمازحونني قائلين: كان يجب أن أُعْطَـى عربة يد لأضع فيها حمولتي. سلّمونا كلّ التجهيزات ما عدا الخـوذة المعدنيـة، لأنّهم كانوا يعلمـون أنّ الشبـاب سيرمونها جانبًا؛ فعلًا، لم يكن أيٌّ منّا يضع خوذة على رأسه.

غادرنـا «كارون» في يوم غائم، فلم تتمكّن طائرات العدوّ العسكرية من التقاط الصور من الفضاء. لم يكن ثمّة حافلات، وركبنا هذه المرّة الشاحنـات بعد أن غطّوها بقطعة من القماش المشمّع، وألصقوا عليها لافتة مكتوبًا فيها: «هدايا الشعب إلى جبهة الحق في مواجهة الباطل». برأيـي حتى عناصر الدرك في جـادّة «الأهواز» لم ينتبهـوا إلى عمليّة انتقـال الكتائب. هذا أفضل، فلطالما وُجد جواسيس أو طابور خامس. كان القادة متيقّظين إلى المسائـل الأمنية والوقائية بشكل جيّد؛ ولأنّنا عندما وصلنا إلى «بهمن شير» استقررنا في بيوتات القرية التي غادرها سكانها قبل ستة أشهر أو سنة، لم يكن العدوّ ليلتفت إلى وجود الكتيبة؛ حتـى لو التقط صورًا من الجو. كمـا لم يُسمح للشباب بالانتشار قرب النهر أو في بستان النخيل.

في تلك الليلة، حين كنّا في «بهمنِ شير»، انطلقت عمليات «والفجر8» الكـبرى. وفي صباح اليوم التالي، أُخبِرنا بتفاصيلها. لم يكن العناصر علـى علـم، حتى تلـك اللحظة، بمكانهـا. في ذلك النهـار، طرق اسم «الفـاو» مسامعهم للمرة الأولى. وبسبب هـذه السِرّيّة، لم يُفتضح أمر العملية، ولذلك تحرّرت «الفاو».

في ذلـك اليوم يـا والدي، قدّموا لنـا على وجبة الغـداء «جلومرغ» دجاج مـع الأرز. كانت المرّة الأولى التي يشارك فيها أغلب الشباب في عمليـة، وقد نال إعجابهم مـذاق الـ«جلومرغ». وبعـد الظهر نُقلنا إلى «أروند كنار» وجمّعونا في عنبرٍ بالكاد اتّسع لنا.

مع حلول الحادي عشر من شهر شباط، ظهرت الكثير من المقاتلات العراقية في سماء المنطقة وقصفت المكان. عبرت كتيبتنا «أروند» ذلك النهار. لقد تعذّر علينا عبور النهر يومها بسبب سرعة المياه وضغطها. فمكثنا قرب الشاطئ، إلى أن تمكنّا -أخيرًا- مع الغروب من الوصول إلى الساحل الغربي، أي مدينة «الفاو».

كانت الفاو مدينة عسكرية لم يسكنها مدنيّون عاديّون. وبينما كنّا نمشي في طريق «الفاو» الساحلي، ظهرت آلية كبيرة غنمها الشباب، تُستخدم لإطلاق الصواريخ. ربّما كانت أكبر آلية عسكرية غنمناها في الحرب. لقد أخفاها الشباب بين أشجار النخيل ووضعوا لها حارسًا.

وصلنا عند أذان المغرب إلى منزل خالٍ، استرحنا فيه حتى منتصف الليل. وبعد منتصف الليل أحضر الشباب شاحنة كانوا قد غنموها، ركبناها وانطلقت مُطفَأة المصابيح، لنصل إلى الصحراء بعد مسير. إنّها جادّة «أم القصر».

تصل جادّة «أم القصر» ميناء «الفاو» بميناء «أم القصر»؛ جادّة إسفلتية لكنّها قليلة العرض، وقد وُضع على أحد طرفيها الموانع كالأسلاك الشائكة والعوائق الحديدية المتشعّبة.

والدي! تلك الجادّة تشبه جادّتنا الأولمبية تمامًا، طولًا وعرضًا. يقع على يسارها «خليج وخور[1] عبد الله»، وقد وضع العدو هذه الموانع خوفًا من أيّ هجوم محتمل بالحوّامة أو القوارب، من البحر على اليابسة.

قامت كتائب الفرقة بعمل جيّد في تلك الليلة. وبقيت كتيبتنا كتيبة احتياط، ولم يكن ثمّة حاجة لتقدّمها أكثر، فلبثنا هناك حتى صباح

1- الخور أو مَصَبّ النهر هو مسطح مائي ساحلي يأخذ شكل خليج شبه مغلق، يصب فيه نهر أو مجرى مائي من جهة، ويتصل بالبحر من الجهة الأخرى، تمتزج فيه المياه المالحة بالمياه العذبة.

اليوم الثاني عشر من شباط.

مع إشراقة الشمس، اتّضح لنا أين نحن؛ إنّها قاعدة صاروخية مهجورة. لقد سيطر شباب الفرقة في اليوم نفسه وفي نقطة متقدّمة أكثر على قاعدة صاروخية أخرى فعّالة. كان للعدو في «الفاو» ثلاث قواعد صاروخية، اثنتان منها فعّالة، وكانوا يستطيعون بصواريخهم البعيدة المدى استهداف ميناءي «خارك» و«لنكه»[1] النفطيين بسفنهما. لذا كان أحد أهداف العملية القضاء على هذه القواعد والصواريخ. من الأهداف البعيدة للعملية أيضًا، إفهام الكويتيين أنّنا بتنا جيرانهم، وإن لم يلتزموا الحياد ويكفّوا عن تقديم الدعم لصدام، فسنسوّي حسابنا معهم، فجزيرة «بوبيان» الكويتية قريبة منّا، ويمكن في الليل رؤية أنوارها في الأفق. كما تبعد جادّة «أم القصر» 7 أو 8 كلم عن الحدود العراقية-الكويتية.

قضينا اليوم الثاني عشر قرب جادّة «أم القصر» حتى المساء. لم نكن نبعد كثيرًا عن الخطّ الأمامي وساحة المعركة. تقدّمنا سيرًا على الأقدام، وعند مثلث مصنع الملح صدرت الأوامر لنا باقتحام الخطّ. كانت الأوامر تقضي بأن تتقدّمَ كتيبتنا حتى جسر جادّة «أم القصر» الكبير وتسيطرَ على الجادّة وتطهّرها. أظنّ أنّ المسافة حتى تلك النقطة بلغت حوالي 10 كلم، وإذا ما استطعنا هدم ذلك الجسر الإسمنتي، فسوف تنعم الجادّة بالأمن الكامل. لكن لم يتمّ توجيه الشباب بشكل دقيق. ربّما قادتهم أيضًا لم يكونوا على علم بوضع هذه الكيلومترات العشرة. كانوا قد ألقوا نظرة عبر المناظير في النهار، ورصدوا أربع أو خمس دبابات سليمة في الجادّة وبعض الدبابات المحترقة. هذه هي كل المعلومات التي قدّموها لنا قبل الهجوم وكانت خاطئة بالطبع.

1 - موانئ إيرانية في الخليج الفارسي.

بعد أن تلقينا التعليمات اللازمة في مثلث مصنع الملح، انطلقنا إلى ساحة المعركة. تحرّكت السرية الأولى. وحيث إنّنا في الفصيل الأول، هاجمنا خطّ العدوّ قبل سائر الفصائل والسرايا. تقدّمنا ببطء؛ زحفًا وبمشية القرفصاء، إلى أن تناهى إلى أسماعنا أصوات جنازير الدبابات وحتى صياح القادة البعثيّين وصراخهم. كنت في ذلك الرتل، وربّما تقدّمني عشرون شخصًا. هناك عرفت أنّ البعثيّين يخِطّطون القيام بهجوم معاكس. قلت للواقف أمامي:

– وكأنّ العراقيين يستعدّون لهجوم معاكس في الغد؛ لكنّنا سنباغتهم اليوم ونقتحم خطّهم حتى لا يتمكّنوا غدًا من الهجوم...

عندما همَّ الإنصات إلى أصواتهم والجلبة الغريبة التي تصدر عنهم، بدأ الهجوم؛ انفجار القنابل، إطلاق الرصاص،... وسمعنا نداء «الله أكبر» من شخص أو شخصين. بلغ عدد شباب السرية مئة شخص، وكان علينا العمل على وجه السرعة وإلا انتبه العدوّ لنا وتأهّب لمواجهتنا. برزَ الشباب بهجومهم تمامًا كما الهنود الحمر في الأفلام الأمريكية.

أمرنا مسؤول الفصيل بأن نذهب إلى الجهة اليمنى من الجادّة، فتوجّهت إلى هناك مع اثنين من فريق الإنقاذ[1]. كنت وذانك الاثنان ماهرين في عملنا. لم أرَ أحدًا ناحية الجادّة. دقّقت النظر، فوجدت شبابنا خلفنا موجّهين سلاحهم ناحيتنا. كادوا يشتبهون بيننا وبين الأعداء، فانبطحنا أرضًا إلى أن وصلوا إلينا وعرفونا.

كانت ليلة مظلمة غاب فيها نور القمر، فلم يكن أحدٌ يرى أمامه على مسافة بضعة أمتار إلا إذا ألقيت قنبلة مضيئة على مقربة منه. كان

1 – حميد رضا رمضاني ورضا أنصاري (شهيد).

الشباب يرمون بـ«الآر بي جي» والكلاشينكوف على التوالي. لقد خضنا حربًا قاسية. كنتُ مسعفًا وأتقدّم خلف الطابور مع اثنين من فريق الإنقاذ، حيث رأيت العديد من العناصر أرضًا. كنت أستطيع تمييزهم فيما إذا كانوا من شبابنا أم من الأعداء من خلال كوفيّاتهم ولباسهم.

أنرت المصباح اليدوي؛ وجدت الشخص الأوّل شهيدًا، والثاني نائمًا على بطنه. قلبته على ظهره فوجدته بعثيًّا، كان ميتًا. كانت بزّات العراقيين جديدة، وأحذيتهم العسكرية جميلة؛ بنية اللون وجديدة. كانوا حليقي الذقون دون الشوارب. تقدّمنا أكثر، وجدت [مساعد] رامي «الآر بي جي» في الفصيل[1] وقد جرح. لقد أصابت رصاصة ساقه وفتّتت عظمه. لحسن الحظّ لم يصب العصب أو الوريد. قصصتُ كلّ بنطاله لأستطيع الوصول إلى مكان الإصابة، ثمّ ضمّدت جرحه وحَمَلَه المنقذ[2].

إلى الأمام أكثر، سقط جريحٌ عراقي. ما إن رآنا حتى راح يئنّ ويولول، ربّما ظنّ أنّني جئت لأرمي عليه رصاصة الخلاص. لم يكن يعلم أنّني مسعفٌ إيراني، والمسعفون الإيرانيون لا يحملون سلاحًا. قلت في نفسي: «يجب أن أذهب إلى ناحية أخرى، فلا يجب أن ينتبه إلى أنّني أعزل». وهذا ما فعلته. ربّما كان يحمل قنبلة أو مسدّسًا، وإذا ما أدرك أنّني أعزل قد يؤذيني.

بحثت في الخلف عن كلاشينكوف لكنّي لم أعثر على واحد. فجأة رأيت عالم الدين الشّاب وكان مبلِّغ الكتيبة ويؤمّ الصلوات. لم أتوّقع رؤيته. كان وحيدًا وتائهًا. لقد تقدّمت السريّة أكثر فأكثر، وهو الذي يقف في آخر الرتل بقي في مكانه. راح يمشي تائهًا هنا وهناك بين القتلى والجرحى لا يدري ما يفعل. ناديته: «يا حاج، أعطني سلاحك».

1 - أصغر لكعلي آبادي.

2 - حميد رضا رمضاني/ مساعد المسعف.

أجاب بجدّية كبيرة: «لا أعطيكه.. إنّه لي...».

قلتُ: «إذًا اتبعني، فأنا بحاجة للمساعدة. العراقيون البعثيون يتظاهرون بالموت.. كلّما وجدتُ بعثيًّا حيًّا أُخبرك لتقتله».

تقدّمنا حتى وصلنا إلى أحدهم. قلت له:

- ارمِه!

نظر إلى الجريح البعثي مبهوتًا ومتحيّرًا. كان الشيخ خائفًا. البندقية في يده ولم يفعل شيئًا. ليس من المعلوم لمَ جلبها معه. لم يعطني إيّاها ولم يطلق النار هو أيضًا. صحت فيه منزعجًا:

- مع من أتكلم؟ ارم... أسرِع، لدينا عمل... لا يحتاج الأمر إلى استخارة يا حاج... هيّا ارمِ.

لقد أثّر صراخي به؛ ... فقلت له:

- لا تظنّهم مظلومين.. إنّهم يتظاهرون بالموت.. لو لم ترمهم لرموك. لقد أطلق هؤلاء أنفسهم النار على شبابنا من الخلف.. إذا تأخرتَ بالتحرّك فسوف يُقضى عليك. لقد تفوّهتُ بكلام سيّئ يا والدي!

في تلك المعمعة حيث عليّ الاهتمام بالجرحى صرت مشغولًا بالشيخ. في النهاية تقرّر أن يرافقني؛ أسلّط أنا الضوء على الجثث والجرحى ويكون هو مستعدًّا لإطلاق النار عند الخطر. إلى الأمام أكثر، ضمّدتُ جراح أحد شبابنا بينما كان هو يراقب المحيط بدقّة. في ناحية أخرى شاهدت جريحًا بعثيًّا. قلت له:

- إنّه بعثيّ، وقد يطلق النار علينا!

كانت هذه الكلمة كافية ليقوم بعمله ويطلق رشقًا عليه. قلت:

- ما القصة يا حاج؟ كلّ هذا الرصاص؟!.. ليس لدينا ذخيرة.

كان جبينــه يتصبّب عرقًــا في طقس كانون الثــاني القارس. وكأنّ أعصابه توترت، وبدا وجهه غــير عادي. ربّما غضب بسبب صراخي. لقد صحتُ في وجه من لا يسمع في خيمة التبليغ سوى من يناديه سماحة الشيخ، ولم يكن أحد ليجرؤ على القول له: «ما أحلى الكحل بعينيك».

إلى الأمام أكثر رأينــا من جديد بعثيًّا وقد سقط أرضًا؛ جسدًا بلا رأس. قلت في نفسي: «مــاذا سيحصل إن رآه الحاج؟». لم أجد أمامي فرصة للقيام بتدبير مناسب. قلت له فقط: «لا حاجة لتطلق النار على هذا فهو بلا رأس...».

نظــر مرعوبًــا إلى الجسد الملقى بــلا رأس وإلى أوردته المقطوعة وقال متمتمًا: بلا رأس... بلا رأس...

أطفــأتُ المصبــاح وتابعــت طريقي، لكــنّ الشيخ وقــف مبهوتًا. أنا أيضًا رحت بالطبع أفكر في ذلك المشهد. لقد قُطع رأسٌ أنيق ومهندم، وهذا ما بدا عجيبًا في تلك المعمعة. بعد نصف ساعة وجدنا رأسه على مسافة 50م، ما جعل هذه الأحداث أكثر غرابةً وذهولًا.

لقد رأينا عددًا آخر من جرحى العدو المتظاهرين بالموت، وشاهدنا كثــيرًا مــن أجساد شهدائنــا. كانت الجــادّة المعبّــدة وأطرافها ملأى بالشهــداء والجرحــى مــن شبابنا، وقد وقــع عدد منهم قــرب برميل متفجّــر. حدث أن رأيــت أحد الشهــداء وهو يشتعل. لقــد صبّوا موادّ محترقة على جسده وصارت عظام قفصه الصدري مثل قنديل وقّاد، وراحــت النــيران تتصاعد مــن بينهــا. لم يتبقّ على جســده شيء من اللحم والجلد إلا على رأسه ورجليه وكانت تنبعث منها رائحة الحريق.

لقد سقط عدد من الجرحى الإيرانيين بعضهم قرب البعض الآخر. قمت مباشرة بتضميد جراحهم. وعندما أنهيت تضميد جراح الجريح

الثاني ووقفت، لم أرَ الشيخ* . كان قد غادر[1] . لم يكن لديّ الوقت الكافي لأبحث عنه أيضًا، فباشرت بتضميد جراح الجريح الثالث.

مـن جديد، صرت وحيـدًا. وتوجّـب عليّ تضميد جـراح الجرحى والتنبّـه لأيّ هجوم محتمـل من الأعداء أيضًا. في تلـك الليلة، كان في المجموعـة الأولى من الفصيل الأوّل مسعـف واحد هو أنا، ومعي منقذ مساعـد[2] . وقد انسحـب المساعد الثاني بعد أن تعـب وأصيب بعصف انفجار. قلت للمساعد:

– لا تستطيـع بمفردك أن تسحـب الجريح إلى الخلف.. ابحث عن شخـص يأخذ بطـرف الحمّالة الآخر... يستطيـع بعض ذوي الجراح الطفيفة مساعدتك.

بذل المسكين الكثير من الجهد. كان كلّما ذهب إلى الخلف اصطحب معه جريحًا إصابته سطحية وآخر إصابته خطيرة. تناولت كلاشينكوفًا مـن على الأرض. اختلط العـدّو بالصديق. لم يعد واضحًـا هل العدوّ أمامي أم خلفي. كان البعض يخادعون ويحتالون. يضعون البندقية على الصـدور وهي معدّة للإطـلاق، ويتظاهرون بالمـوت، ونحن لا نستطيع تمييز الحيّ عن الميّت بين كلّ هذه الأجساد المضرّجة بالدماء.

لقـد زرعت هذه الحيلة الاضطراب بين شبابنا. هناك، رأيت شابًّا

* يبـدو ان الشيـخ لم يكـن مقتنعًا منذ البداية بهذه المهمة حتى مـع احتمال الخطر من المتظاهريـن بالمـوت ولربما أصيـب بصدمة فقرر الانكفاء. هنا لا بـد من الاشارة الى وجـود هفوات ومشاكل في الحرب منها مسألة التعامل مع جرحى العدو الخطرين خاصة أثنـاء المعركة وتعقّد أحوالهـا؛ وقد يكون القرار من القائـد الميداني هو التخلص منهم بهذه الطريقة وقد يكون الامر متروكا للمقاتلين. (المحرر).

1 - بعد العملية، رأيته في صلاة الجمعة في طهران. قلت له بصراحة ووضوح وبلا خجل: «لقد تذاكيت أيها الشيخ.. تركتني وحيدًا وذهبت». أجاب: «أخ سيروس، لقد ذهبت لأقدّم تقريرًا للإخوة في الخلف عمّا يجري».

2 – حميد رضا رمضاني.

يافعًا يئنّ ويولول. قلت في نفسي إنّه جريح حتمًا، لكن عندما أنرت المصباح عرفت أنّه ليس بجريح ولا حتى مصابًا بموجة انفجارية. عرفت أنّه أصيب بصدمة. كان غاضبًا. هدّأت من روعه وقلت له:

- قف، لنذهب معًا ونقضي على الصدّاميّين...

حتى اللحظة، كانت قد باشرت السرايا الثلاث العمل معًا. ولقد شاهدتُ طابورهم أثناء التقدّم؛ نظم السرايا والفصائل. لكن سرعان ما تفرّقوا وتدهورت معنوياتهم، وقد ساهمت حيلة العراقيين بهذا الأمر.

تابعت سيري مع الشابّ الذي هدّأته كلماتي. عندما فطن إلى حيلة العراقيين استطاع السيطرة على نفسه. بعد مسافة بضعة أقدام، كنت منشغلًا بتضميد جراح أحدهم، بينما هو يراقب الجهات الأربع بدقّة وقلق كبيرين. لقد أراد الاقتصاص للشهداء والجرحى من الصدّاميّين المخادعين. كنت منشغلًا بتضميد الجرحى باستخدام العصابات والضمادات ومصباح الجيب، مطمئنّ البال إلى أنّه يراقب المحيط. ها أنا وجدت مساعدًا من جديد وتحرّرتُ من وحدتي. وبينما كان ذهني مشغولًا بهذه الفكرة، إذا بي فجأة أسمع صراخًا:

- إيراني أنت أم عراقي؟.. إيراني أم عراقي؟

التفتُّ حيث ينظر، رأيت دشمة صغيرة على مسافة 10 أو 15م؛ بضعة أكياس تدشيم مصفوفة بعضها فوق بعض، وخوذة معدنية تظهر فوقها ثم تختفي.

لم أكن قد أنهيت عملي بعد. نظر إليّ الشابّ المندفع وتوجّه نحو تلك الدشمة. أراد الهجوم عليها. لم أمنعه؛ لكنّني لم أكن أستطيع مرافقته، فلَمْ أُنْهِ عملي بعد.

ومع دويّ انفجار قنبلة تناهى إلى سمعي صوت يقول بالفارسية:

- آخ يا أمي...

ذلك الذي يعتمر الخوذة، كان إيرانيًّا. قلت لذلك الشابّ اليافع:

- كان إيرانيًّا... حسنًا فعلنا... الجرحى قلّة، وأضيف هذا إليهم... اذهب إليه حتى أوافيك...

ما إن أنهيت معالجة الجريح الذي بين يديّ، حتى حملت الحقيبة وتوجّهت مسرعًا ناحية الجريح الجديد، لكن قبل أن أضمّد جراحه صحت فيه بغضب:

- ما هذه الخوذة التي تضعها على رأسك؟ أَوَلَم يقولوا لا تضعوا الخوذات المعدنية على رؤوسكم؟ أعجبك الوضع الآن؟

لم ينبس ببنت شفة. فقط رفع القبعة عن رأسه. أما أنا ففتحت حقيبتي وباشرت العمل. عندما قصصت ملابسه، وجدت أنها قنبلة ضد الدروع، ولو كانت قنبلة ضدّ الأفراد لانتهى أمره. كان محظوظًا. امتلأ ظهره وبعض نواحي جسده بشظايا الخردق التي تجاوزت الجلد ووصلت إلى اللحم، فتركت في جسده جراحًا كثيرة، لكنّها لم تكن عميقة. أجريت اللازم للجرح، ضمّدته بضمادة كبيرة وعريضة حتى توقف النزف.

عندما أنهيت تضميد جرحه، أكّدت عليه مجدّدًا أن لا يضع تلك الخوذة المعدنية على رأسه. ذلك أنّ الكتيبة لم تُعطِ خوذات لأيّ عنصر، وكان من الطبيعي أن يظنّه الإخوة عراقيًّا.

تقدّمنا أكثر. على مقربة من بعض الدبابات المحترقة وجدنا عددًا من الأفراد أرضًا. رحت أسلّط الضوء عليهم فردًا فردًا؛ من كان من شبابنا ضمّدتُ جراحه. كانوا جرحى، لكنّهم بقوا أرضًا بسبب النقص

في عدد المنقذين المساعدين. قلت في نفسي: «إنّ عملك هذا بلا فائدة، إذا ما بقي الجرحى أرضًا فسوف يستشهدون حتمًا».

بقي مرافقي هناك قرب الجرحى بينما ذهبتُ أنا لأقدّم تقريرًا للقائد حول وضعهم ومن ثم أعود. كانت دبابات العدو وناقلات جنده مصطفّة بعضها خلف بعض. رأيت قادتنا في مقدمة الطابور جالسين تحت مقدّمة إحدى ناقلات الجند. أعلمت السيد مجتهدي[1] بصعوبة الأوضاع. فقال:

- الآن أجري اتصالًا عبر اللاسلكي.

والدي! لقد حصلتُ على تكليفي وعدت إلى الجرحى. لقد أثمرت رسالة السيد، وسرعان ما وصلت سرية من المنقذين. أما ذاك الشاب فتركني وحيدًا كما عالم الدين. قال لي الجريح الذي احتجت إلى 15 دقيقة لتضميد جراحه: «لقد رجع صديقك ومعاونك إلى الخلف لطلب المساعدة».

كان عناصر كتيبة «أنصار الرسول» متموضعين في مثلث مصنع الملح. حضروا لمساعدة جرحى كتيبة «حمزة». الجميع كان يحمل الحمّالات، من العنصر البسيط حتى القائد. وتمّ نقل الجرحى بسرعة وجاء دور الشهداء. وعلى وجه السرعة كلّما أنهيت تضميد جراح أحدهم نقلوه فورًا إلى الخلف.

تعبتُ تلك الليلة لكثرة ما ضمّدت من جراح. شعرت بالملل. رغبت بإطلاق الصواريخ وتفجير الدشم والدبابات كي أطرد الملل قليلًا وأشفي غليل كلّ هؤلاء الجرحى والشهداء. عاهدت نفسي على أن أطلق بضع قذائف «آربي جي» ثم أعود لمتابعة عملي، أي مساعدة الجرحى.

1 - السيد محمد مجتهدي، نائب قائد الكتيبة.

عرفتُ من الجرحى الذين كانوا يصِلون من الخلف أنّ شباب السريتين الثانية والثالثة يعملون على تطهير ذلك الرتل الآلي من الميمنة والميسرة. ذهبت إلى هناك. لم يكن رتل دبابات العدو وناقلات جنده قد تضرّر بشكل كبير. ربما هدف المسؤولون إلى ذلك لأخذها غنائم. كانت الجادّة وبقية الطابور تَظْهران بوضوح في الضوء الناجم عن احتراق الآليات التي دمّرها الإخوة. لقد وقعت اشتباكات عنيفة وواسعة النطاق.

كلّما تقدّمتُ إلى الأمام وجدت الأوضاع أكثر تعقيدًا. ولم يكن واضحًا أيّ مكان تمّ تطهيره وأيّ مكان لم يُطهَّر بعد. وبينما أنا أعبر من قرب دبابة وإذ بنور قويّ يشعّ أمام ناظري، وأسمع صوتًا عجيبًا وتنفجر الدبابة. رميت بنفسي مباشرة على الأرض. لكن كان الوقت قد تأخر ولم يكن لذلك من فائدة. شعرت بقدمي تحترق وثُقِب بنطالي. رفعته حتى ساقي. أجل. لقد أصبت. أصبت في هجوم لشبابنا. لقد اخترقت الشظية جلدي ووصلت إلى اللحم. ضمّدتها بسرعة.

- والدي! انظر هنا... لا تزال الشظية في قدمي.

تراجعت إلى الخلف وأنا أعرج؛ جريحًا ومن دون أن أطلق ولو صاروخًا واحدًا. ربّما ما كان عليّ أن أترك عملي وأذهب لصيد الدبابات. ربّما.. وصلت إلى أوّل الرتل. كان السيد مجتهدي هناك. قلت له: «لقد أصيبت قدمي بشظية. لا أستطيع إخلاء الجرحى والشهداء. ولكن أستطيع القيام بأيّ عمل آخر توكله لي...».

أجاب غاضبًا: «أنت نفسك مصاب.. امضِ إلى الخلف على قدميك ما استطعت حتى لا يضطروا لنقلك على حمّالة».

كان صاحب خبرة هامة وقد خاض العديد من العمليات. سرعان

مـا صحّت توقّعاته. بدأت قدمي تؤلمني بشـدّة. أمسكت بطرف حمالة لأقـدم مساعـدة ما، لكنني أنـا نفسي كنت عاجـزًا. أعطيت الحمالة لأحدهم وجلست أستريح.

تابعت طريقي من جديد بهدوء وتأنٍّ. وبينما كنت أستريح في إحدى الممـرّات، رأيت مجدّدًا ذلـك الرأس المقطوع على بعـد متر أو مترين منّـي. ما الحكمة في ذلك؟ لا أعلم. تعجّبت... وتابعت طريقي. وصلت إلى ساترنا الترابي. وكان مزدحمًا.

والـدي! لقد عمل الشباب تلك الليلة بشكل نوعيّ. كان رامي رشاش الـBKC يقـف وسط الجادّة وتحت نيران العـدوّ مثل غصن الشمشاد، ويصبّ حمم النيران على رؤوس الأعداء. كان معاونه يناوله (الشرشور) وهو يرمي. عندما نفدَت الذخيرة لدى رامي الفصيل، رماه العراقيون، فاستشهد[1] وجُرح معاونه[2] أيضًا، وقد أصبح ضريرًا بالكامل ولم أذهب لعيادته بعد.

كانـت المخاطرة الكبرى تلك الليلة عندما التحمنا بالبعثيّين، حيث استشهـد عددٌ منـا وجُرح عدد منهـم على يد شبابنـا. لم نكن ندري من أي جهـة تُطلق نيران العدوّ. فالرصاص ينهمر من كلّ جهة. وعند انفجـار أي دبابة أو ناقلة جند تتطايـر شظاياها في كل ناحية، بحيث لم تكـن تميّز بين نـيران الصديق والعدو. وهكذا جُرحـتُ أنا. بيد أنّ أحد شباب الكتيبة أحرق تلك الدبابة. لحدّ الآن لم أفهم كيف تفجّرت بقنبلـة أم بقذيفة «آر بي جـي». وأكّد العناصر القدامى في الكتيبة من ذوي الخبرة أنّ نيران العدو في تلك الليلة كانت أعنف نيران شهدوها.

1 - غلام رضا نعمتي (بقي جسده مفقودًا).

2 - الجريح علي بي بي جاني.

والــدي! تصوّر أنّ مئتي دبابــة وناقلة جند اصطفّت في جادّة ضيّقة جــدًّا وطولها كطـول المسافة الممتدة مــن هنا حتى المدينــة الأولمبية[1]. الدبابــات تقــف الواحدة تلــو الأخرى، ولكــي تعبرَ من بينهــا لا بدّ أن تمــرَّ بشكل جانبي. في تلك الليلة كانت كتيبــة حمزة هي الفِداء. لو لم نقم بهجوم على الخطّ العراقــي لسقطت كلّ جادّة «أم القصر» وربّما خسرنا العملية كلها.

لقــد عانــى الجرحى كثــيرًا ريثمــا نُقلــوا إلى الخلف، وذلــك لقلّة سيارات الإسعاف وشاحنات التويوتا الصغيرة، إلى أن بادر نائب قائد الفرقــة «الحاج رضا دستواره» بنقل الجرحى بنفسه في جِيب القيادة: على المقاعد، على القماش المشمّع، وحتى على غطاء محرك السيارة وفي كلّ شبر خالٍ كان يضع الجرحى وينقلهم إلى الخلف. ولولا سرعته في نقل الجرحى في ذلك الصقيع لكانوا استشهدوا.

«حســين دستــواره» -الأخ الأصغــر للحــاج «رضا دستــواره»- كان في كتيبتنــا، وقــد جُرح في تلك الليلــة الباردة. وُضــع في البراد كسائر الشهداء لأنّه كان فاقــد الوعي، وهناك تنبّهوا أنّ جسده لا يزال دافئًا فنقلوه إلى المستشفى.

كنت لا أزال في الساتر الترابي في الخطّ الأمامي ولمّا يأخذوني إلى الخلــف بعد. سيارات الإسعاف قليلة وقد تعطّل جيب «رضا دستواره». حــاول مرّات عدّة تشغيــل محرّك الجيب، لكن مــن دون جدوى، حتى كادت بطاريته تفرغ بسبب كل هذه المحاولات الملحّة. قلت له:

- يــا أخي، تــكاد بطارية السيــارة تفرغ.. يجــب أن ندفعها.. افتح غطاء المحرك وألقِ نظرة. لربّما كان خرطومٌ أو شريطٌ ما مقطوعًا...

1 - تبلغ المسافة من منزل الشهيد مهديبور حتى القرية الأولمبية حوالي 500م.

ألقينـا حمّالة نقل الجرحى التي كانت علـى غطاء المحرك جانبًا، وأنرتُ المصباح اليدوي. كان السائق إما تعبًا وإما لا يدري كيف يصلح السيـارة. اتكأتُ بقدمـي المجروحة على السيـارة، وألقيت نظرة على المحرّك في تلك العتمة. تفقّدت أولًا خرطوم الوقود فوجدته سليمًا. ثم أمسكت بطرف البوجيات وقلت للسائق:

– أدر المحرك، وأنا سأمسك أسلاك البوجيات والموزّع...

حاول ثلاث أو أربع مرات تشغيل المحرك، وعندما ثَبَّتُّ سلك الموزع في مكانه اشتغل. أغلقتُ الغطاء، وضعتُ الحمالة عليه، وانطلق السائق بسرعة.

كانت حال معظم الجرحى وخيمة، وها قد وصل الدور إليّ. بالطبع قمـتُ بتضميد جراحهم حتى وأنا على تلك الحـال. لم يكن هناك أيّ شخـص يمكنه مساعدتي، فقد قدّم كلّ فرد ما أمكنه من عون. توجّب علينا تثبيت الخطّ الأمامي قبل الصباح.

قبل أن أغادر الخـطّ الأمامي، علمتُ أنّ خطّ الفرقة سيكون الخطّ السابق نفسه، أي المكان الذي بدأنا منه الهجوم. اضطرّ شباب الكتيبة الذين تقدّموا، إلى الرجوع إلى الخلف. كان من المقرّر أن تتمّ السيطرة على جسر جادّة «أم القصر» الكبير، لكن لم يحصل ذلك. من الطبيعي أن تحصـل مع القـادة أخطاء كهذه عندما يقومـون بإعطاء التعليمات اللازمـة للعملية، وذلك لنقص معيّن في المعلومـات. قالوا إنّ الهدف لا يبعد أكـثر من كيلومترين، وعند بدء المسير، أدركنا أنّ الله وحده يعلم كـم هي المسافة التي قطعناها سيرًا على الأقـدام! اكتشفنا صباح يوم العمليـة أنّنا قطعنا 10 كلم مشيًا، وهذا ما حصل في عملية «بدر» حيث لم يحسبوا المسافة بدقة. قالوا لكتيبة «حمزة» ليلة العملية إنّه يوجد في جـادّة أم القصر أربـع أو خمس دبابات سليمة... وحـذارِ الاشتباه بين

الدبابات السليمة والمحترقة. هكذا كان التوجيه للعناصر، كما أفهموهم أنّهـم إذا ما دمّروا هذه الدبابـات لن يواجهوا أيّ عائق في الوصول إلى الجسـر. على أيّ حال، لقد أَنْجَزَت الكتيبـة عملاً جيّداً في تلك الليلة. حتـى إنّني سمعت بـأنّ الشباب وصلـوا قرب الجسـر. كانت قد بقيت دوشكا واحدة أمامهم (في مواجهتهم) لينجزوا المهمّة، فجاء الأمر أنّ هذا يكفي لهذه الليلة وعليكم إخلاء الجرحى والشهداء والانسحاب.

بقيـتُ منتظرًا بلا عمل ريثما يتمّ نقلـي إلى الخلف. كانت المسافة كبيرة جدًّا بين خطّ الفرقة الأمامي ونقطة الاسعاف والطوارئ. برأيي إنّ شباب الإسعاف فوجئوا أيضًا إذ لم يتوقّعوا سقوط هذا العدد الهائل من الجرحـى. كان على عناصر الإسعـاف أن ينصِبوا خيمة أو عنبرًا علـى مقربة من خطّ الفرقـة الأمامي ليتمكّنوا مـن معالجة الجرحى بشكل أسـرع. في تلك الليلة استغرق الأمر ساعـة كاملة لتقطع سيارة الإسعاف مسافة 14-15 كلم وهي مُطفأة المصابيح.

أحـد الذين ضمّدت جراحهم كان شابًّـا متعلّمًا، قد داس على لغم ضـدّ الأفراد فبُترت رجـلاه. وأثناء تضميد جراحـه علمتُ أنه يدرس العلـوم الطبيـة؛ فقد بـدأ يوجّهنـي إلى كيفيّة تضميد رجلـه المبتورة. ضمّـدت جرحه بشـكل متقن وتمكّنـت من خـلال إرشاداته وتجربتي الخاصـة من إيقاف النزف، لكنّه ما لبـث أن استشهد بسبب الصقيع والتأخير في نقله إلى الخلف.

كان عنـبر الإسعـاف قرب الماء. نُقلتُ إلى «الأهـواز» بعد أن عبرنا النهر، وفي مستشفى «الأهواز» نظرتُ إلى ملابسي، فوجدتها مضرجة بالدمـاء. عندمـا رأى الممرضون حالي وهَيْأتي، توجّهـوا إليّ بسرعة، لكنّني طلبت منهم أن يهتموا بسائر الجرحى؛ فحالي جيّدة...

في مستشفـى «الشهيـد بقائي» في الأهواز صادفـتُ أحد أصدقائي

القدامى وزميل الدراسة في المرحلة الثانوية. لحسن الحظّ كان طبيبًا يخدم في المستشفى. طلبتُ منه ملابس جديدة، وعندما أحضرها، غسلت يديّ ووجهي وارتديتها. ثمّ همّ بمعالجة جرح قدمي وغيّر الضماد.

تماثلتُ للشفاء بسرعة. ورأيت هناك أيضًا «حميد رضا رمضاني». كان السيد «مجتهدي» أيضًا قد أصيب بجراح طفيفة، وعندما رأى أنّ طبيب المستشفى هو صديقي قال لي:

– سيروس، لديك واسطة في كلّ مكان...

أراد الطبيب نزع الشظية من قدمي بعملية جراحية عيادية، لكنّني لم أوافق، وقلت له مازحًا:

– دعها سوف تخرج بنفسها...

كانت معلوماتي الطبية متواضعة، التفتُّ إلى أنّ الشظية لحظة الإصابة كانت حامية، لأن المسافة بين المكان الذي أقف فيه ومكان الانفجار لم تكن كبيرة، فأصابتني الشظية وكانت حامية جدًّا حتى ساورني الشعور بأنّ قدمي تحترق، وبسبب تلك الحرارة تعقّم مكان الإصابة ولم يلتهب. لو أجروا لي عملية جراحية عيادية، وأخرجوا تلك الشظية مع أنّها ليست كبيرة نسبيًّا، لأُجْبِرْتُ على الاستراحة أيامًا عدّة حتى يتحسّن مكان الجرح، حتى إنّني كنت سأُجْبر أيضًا على الذهاب إلى «طهران» لأستريح أسبوعًا. وللحيلولة دون هذه المعمعة كلّها، لم أدعهم يلمسون مكان الإصابة، خاصّة أنّه لم يُصب بالتهاب أيضًا. قلت للأطباء الذين كانوا إلى جانبي:

– لقد بُترت يد أحدهم لكنّه صَمَدَ ولم يتحرّك من الدشمة، وأنا إصابتي لا تُذكر. وأعرف مجاهدًا قُطع رأسه لكنّه لم يغادر الخطّ

الأمامي... والآن تريدونني أن أذهب إلى طهران بسبب شظية صغيرة؟ ستطردني أمي من المنزل...

أقنعت الأطباء بحلاوة لساني بأن يسمحوا لي بالذهاب. استطاع السيد مجتهدي، كونه قائدًا، الخروج من المستشفى بسرعة. لم تكن إصابته عميقة. عدتُ والمساعد المنقذ بطريقة ما إلى منطقة العمليات والخطّ الأمامي.

عند ظهر الثالث عشر من شباط كنت في جادّة «أم القصر» إلى جانب شباب الكتيبة، وها قد وصل السيد مجتهدي قبلي بحوالي الساعة. ولا يزال هناك عدد من العناصر سالمين؛ فصيل أو فصيلان. وكان قد استشهد من الفصيل الأول تلك الليلة 14 مقاتلاً.

والدي! إنّ سجلّ الإحصاء الخاص بالفصيل الأول معي... لقد استشهد منهم 14 شخصًا من أصل 30.

قمنا بمهمة الدفاع لليلتين في القاعدة الصاروخية قرب الحدود المائية للعراق مع الكويت. وضعنا حرّاسًا على الشاطئ لصدّ أيّ هجوم محتمل من جهة الماء. كانت قاعدة الصواريخ خطّنا الثاني في الجبهة، لتصبح المسافة بيننا وبين جادّة «أم القصر» بضعة كيلومترات. كانت الجادّة الخطّ الأول وهي ساحة المعركة.

بعد يوم أو يومين وصل خبر مفاده أنّ كتيبة «سلمان» هاجمت الخط. دخلت كتيبة «سلمان» المعركة حديثًا واستطاعت التقدّم، لكنها لم تصل إلى الجسر. فقد واجهوا أرتال الدبابات وناقلات الجند وتفرّق جمعهم. فيما كانت كتيبتنا لا تزال تدافع في شاطئ «خور عبد الله»، لكن كتائب الفرقة [الأخرى] أبيدت، وأصبحت خالية من العناصر.

في أحد الأيام قال لنا قائد الكتيبة:

- نريد عناصر متطوعين، لا أحد مجبرٌ على العمل...

تطوّعتُ، وتطوع من الكتيبة كلّها 10 أو 20 شخصًا. كان من المقرّر أن تهاجم كتيبة «حبيب» الخطّ وتتقدّم حتى الجسر. لم أعد مسعفًا. قال القائد إنّه ليس ثمّة حاجة للمسعفين. أصبحت رامي «آر بي جي» وشكلت مجموعة مع ثلاثة مساعدين.

في ظلمة ليل الثامن عشر من شباط، نُقلنا إلى الخطّ الأمامي على متن شاحنة صغيرة، وعادت بعدها آلية الكتيبة إلى القاعدة الصاروخية. تقرّر أن نلتحق بكتيبة حبيب وأن نتقيّد بكل أوامرهم.

كانت نيران العدو عنيفة جدًّا. عزمتُ و«رمضاني» على الدخول إلى إحدى الدشم. كان فيها عدد من الأفراد، ووجدنا فسحة لنا نحن الاثنين، لكنهم رفضوا. شعرت بالغثيان لما رأيته من شدّة خوفهم. قلت لأحدهم وقد حشر نفسه داخل الدشمة:

- أنا مستعدٌّ للمضيّ تحت مرمى النيران، وأن تصيبني الشظايا ولا أراك وأنت ترتعد إلى هذا الحدّ...

كانت دشمتهم مسقوفة ومحكمة البناء.

ابتعدنا عن المكان. كان «رمضاني» شابًّا شجاعًا لا يعرف الخوف. بنينا معًا دشمة. لم نجد معولًا أو مجرفة، لكنّنا حفرنا حفرة بكل ما وصل إلى متناول أيدينا ولُذنا إليها.

كانت نيران العدو تُصبّ فوق رؤوسنا بكل أنواعها: هاون 60ملم و120ملم، قذائف الدبابات المباشرة، الدوشكا والغرينوف والكلاشينكوف... ولم يكن المحيط المتواجدون فيه واسعًا كثيرًا. بلغ عرض ساترنا الترابي أضعاف عرض الجادّة وانتصب فيها كعمود. ملأت المكان رائحة انفجار القذائف وصواريخ الدبابات، وانتشرت في

كل ناحية رائحة البارود والحريق وغطّاها الدخان، كانت الانفجارات قريبة منّا إلى درجة أن غطّى الغبار والتراب فيها كامل وجوهنا ورؤوسنا منذ الساعة الأولى؛ لقد أصبحنا شعثًا غبرًا.

في تلك الليلة، كان من المقرّر أن تعمل فرقتا «27 محمد رسول الله ﷺ» وفرقة «17 علي بن أبي طالب عليه السلام» معًا. وكان معنا عددٌ من مجاهدي «قم». كنّا خلف الساتر حين عبر من قربنا بسرعة رتل من العناصر وهاجموا قلب جبهة العدوّ. إنّهم شباب «قم»، كانوا جميعًا يعتمرون خوذات معدنية. ما إن عبروا الساتر حتى تفرّق جمعهم، وبقي بعضهم -ربّما سرية بأكملها- خلف الساتر. وعلى ما يبدو أنّها كانت سرية احتياط.

لقد كُشف أمر تلك الليلة، وعمل شباب «قم» بسرعة كبيرة، وواجههم العدو بنيران جهنمية أيضًا. لم يستطع أحدٌ مغادرة الدشمة. على ما يبدو أنّ جميع الذين تقدّموا ليصلوا إلى الجسر استشهدوا. لقد رأيت أجسادهم بنفسي صباح يوم العملية؛ أجساد تفترش الأرض من أمام الساتر الترابي وعلى رؤوسها خوذات معدنية.

وصلت كتيبة «حبيب» إلى الخطّ في وقت متأخر، وكان عناصرها مربكين. بقينا نحن العشرين شخصًا المساندين في كتيبة حمزة في الدشمة عاطلين من العمل بانتظار أوامر المسؤولين. لم يكن لانتظارنا أيّ فائدة. لقد اختلّ نظم وحداتنا بسبب نيران العدوّ الكثيفة، وتثبّطت همم الجميع عن القيام بالهجوم.

لم أعد أشعر بقدمي المجروحة. حرّكتها في مكانها لكن بلا فائدة. شعرت بخدر مزعج جدًّا فيها. كنت أعلم بأنّي لو أخرجتها من الدشمة لأصيبت بشظية. فالانفجارات والشظايا والدخان والغبار والتراب ملأت الأنحاء. في النهاية انبطحتُ على تلك الحال لعلّ الدم يجري

فيها بشكل جيد، لكن لم تمضِ عشر أو عشرون ثانية حتى أصابتها شظية ساخنة جدًّا. لحسن حظي لم تكن كبيرة، وكانت كسكين ساخن ارتطمت بقدمي من الجهة المسطحة فيها. قلت لرمضاني:

- رمضاني، وكأنّ شظية أصابتني...

- دعني أرى ما حصل...

أدنيتُ يدي من مكان الجرح. كانت الشظية الساخنة ملتصقة بجلدي. انتزعتها ورميتها باتجاه «رمضاني». قال:

- لقد احترقت يدي... ماذا تفعل؟

قلتُ ضاحكًا:

- أَوَلَم تُرِد أن تنظر ما الذي أصابني؟ انظر الآن.

والدي! لحسن الحظّ كان جرحي طفيفًا للمرّة الثانية. حتى إنّ الجرح لم ينزف. لقد احترق جلدي والقليل من لحم قدمي، وتجوّف الجرح واحمرّ، لكنّني استطعت البقاء في الخطّ.

أحد القادة من فرقة «علي بن أبي طالب عليه السلام» - وهو من «آراك» وربّما كان معاون قائد كتيبة أو مسؤول سرية، أعلن الجهوزية فيمن بقي من عناصره، وأعطاهم الأمر بالهجوم. نادى بصوت مرتفع:

- اليوم يجب أن نقضي على البعثيّين... سوف نتقدّم حتى نصل إلى الجسر.

كان رجلًا غيورًا ولا يقبل التراجع والاستسلام. تقدّموا، ولم نعلم بعد عنهم شيئًا.

لم يعد إلينا أيّ قائد من كتيبة «حبيب»، ولم نعلم شيئًا أيضًا عن شباب «قم».

أشرقت الشمس. ألقيتُ نظرة على المساحة الممتدّة من الساتر الترابي حتى الخطّ العراقي؛ شاهدتُ أعدادًا هائلة من الخوذات المعدنية ملقاةً على الأرض، وعددًا كبيرًا من الأجساد.

عند حلول المساء توجّهنا نحو الخطّ. عندما رأيت العراقيين عرفت أنّ الوضع سيّئ. لقد جُرح عددٌ من أولئك العشرين الذين رافقوني في كتيبة «حمزة». سألني من بقي سالمًا منهم:

- مهدي بور، ماذا نفعل؟ ما هو تكليفنا؟

كنت مثلهم، تعبًا وعاجزًا. أجبتهم:

- لماذا تسألونني أنا؟ أنا مسعف، لست بقائد... افعلوا ما شئتم...

لقد غضبتُ كثيرًا يا والدي! قلت ذلك، لكنّني لم أستطع الجلوس مكتوف اليدين. وإلا سوف نستشهد تلقائيًّا نحن الاثني عشر شخصًا المتبقّين أو نُجرح. حدّثتُ نفسي: في النهاية سننسحب ويحاكموننا ميدانيًّا، عند ذلك سأقول إنّني مسعف؛ وإنّهم انسحبوا من تلقاء أنفسهم. هذا هو الفيلم الذي أعددته في ذهني.

استجمعت أفكاري، وحدّدتُ المسافة الفاصلة عن الجبهة العراقية بشكل جيّد كي أتمكّن من اتخاذ القرار الصائب. وخطّ العراقيين يعجّ بالعناصر والتجهيزات والآليات المدرّعة، أمّا من ناحيتنا، فلم تكن تُطلق ولا حتى رصاصة واحدة اتجاههم. كانوا يتحرّكون في خطّهم بكلّ جرأة، أمّا نحن، فلم نكن نستطيع حتى التململ لشدّة الرصاص والشظايا.

في النهاية عندما قرّرنا الانسحاب، كانت لنا دبابة واحدة تمنع تقدّم العراقيين. كان خطّنا خاليًا تقريبًا، أما تلك الدبابة فلم تتوقف لحظةً عن إطلاق النار. غادرت الخطّ الأمامي وتبعني عشرة من

شباب «حمزة». كنت في طليعة المنسحبين، وتراجعنا بضعة كيلومترات سيرًا على الأقدام.

عندما وصلنا إلى قاعدة الصواريخ وساحل «خور عبد الله»، التقيتُ بقائد كتيبة «حمزة». رويت له خائفًا ما حصل. توقّعت أن يقول «لقد أخطأتَ إذ انسحبت مع هؤلاء العناصر...»، وهيّأت له جوابًا «لم يكن ممكنًا القيام بأيّ فعل أيّها القائد»، أو «ما شأني أنا... هم تبعوني»، إلا أنّ القائد قال كلامًا خالف توقعاتي. لقد أثنى عليّ لأنّني أنقذت حياة الشباب. منذ ذلك اليوم صرت مسؤول الفصيل الأوّل.

في ذلك اليوم وصل خبر مفاده أنّ العراق قام بهجوم معاكس، فتراجع خطّ الفرقة في جادّة «أم القصر» قليلًا. بعد الظهر، تحوّل الطقس فجأة إلى غائم. زحفت غيمة سوداء من جهة الغرب و«خور عبد الله» حتى سماء جادّة «أم القصر»، تشبه مخلب القطّ، ثم راحت تمطر، وترعد وتبرق بشدّة... انهمرت الأمطار بغزارة حتى ملأت السيول كلّ مكان. ثم بلغنا خبر أنّ هجوم العراق المعاكس قد انتهى. لقد فقدت الدبابات وناقلات جند العدو فعاليتها بسبب السيول التي اجتاحت الطرقات.

كان يوم الثامن عشر من شباط بنهاره وليله يومًا شاقًّا وحافلًا بالنسبة لي. لم أشعر في ذلك اليوم بالهدوء إلا بعد أن أذن القادة لنا بكتابة الرسائل، فأخذت ورقة من دشمة الإعلام، وكتبت لك بضع كلمات. لقد انقضى ذلك اليوم الصعب على خير.

كانت مياه الشرب قليلة، وبقينا عطاشى أغلب الأوقات. كانت مياه البحر شديدة الملوحة، لذا أُنشئ مصنع للملح في «الفاو»، يقع بين جادتي «الفاو-البصرة» و«الفاو-أم القصر». كانت مياه المصنع تمرّ من تحت ذلك الجسر الإسمنتي الكبير الذي يشكل الهدف النهائي

للفرقة. وبما أنّني أصبحت مسؤول الفصيل الأول، قمت بتوزيع ما تبقّى من المياه بين الشباب. قال لي أحد الشباب مازحًا:

– مهدي بور، هل أصبحت كيزيد؟ لماذا تعطي الواحد منّا هذه الكمية القليلة من الماء؟

في الأيام الأخيرة، صاروا يعطوننا الماء في أكياس من النايلون تتسع لليتر واحد، بينما كانوا سابقًا يوزعونه في قوارير تتسع لعشرين ليترًا. تشبه أكياس النايلون هذه تلك التي يبيعون فيها الحليب. عندما رأيتها للمرّة الأولى ظننت أنهم يوزّعون الحليب علينا، لكن عندما تناولت القليل من ذلك الكيس عرفت أنّه ماء. كانت تلك المرّة الأولى التي يوصلون فيها الماء إلى الجبهة بهذه الطريقة. وكانت فكرة جيدة.

والدي! لقد قمت في الجبهة بكلّ المهمات، ولم أجلس لحظة واحدة بلا عمل. قبل البدء بتنفيذ عملية «والفجر 8» كنت أعطي الدروس للشباب في خيام معسكر «كرخه» وفي ثكنة «دوكوهه»، أما ليلة العملية فكنت مسعفًا. في الخطّ الأمامي، أصلحت سيارة الجيب الخاصة بالقائد وصرت عاملَ ميكانيك. حتى إنّني قمت بطبخ الطعام في الجبهة. حين بقينا لمدّة أسبوع أو عشرة أيام في قاعدة الصواريخ في خطّ الدفاع الساحلي، اقتصر طعامنا على المعلبات وحسب؛ علب الفاصوليا والباذنجان، وإذا حالفنا الحظّ فعلب التونة. بالطبع غنمنا الكثير من دشم العدو. وجدتُ فيها الأرز والزيت فقمت بإعداد الطعام للشباب؛ شيئًا يشبه «الإستانبولي بالأرز»[1]، ووجدتُ مرطبان صلصة فأضفته إلى الأرز. لم يترك الشباب حبّة ممّا التصق منه في قعر القدر حتى ما احترق منه. في إحدى المرّات أيضًا قمت بإصلاح كاميون «أيفا» كنّا قد غنمناه، إضافة إلى سيارة إسعاف من نوع «لاند روفر». كان التقنيّون

1 - نوع من الطعام المعروف في ايران ويعد من الأرز واللحم والبصل والزعفران.

قلّـة، فقمت بـأيّ عمل أستطيع القيام به كي تتيسّـر الأمور. حتى إنّني ذات مـرّة أصلحت قطعة دفاع جوي غنمناها من العراقيين. وجدنا في القاعدة الصاروخية مضادًّا للطيران أحادي السبطانة روسي الصنع، وإلى جانبـه دشمة ملأى بالذخائر. نظرت إليـه فوجدت جميع قطعه سالمة ما عدا العتلة[1] الموصولة بالمقبض، قد اعوجّت فتعطل عن العمل. أخرجـتُ اللولب المكسور بواسطة مسمار فـولاذي كبير وجلّست العتلة بالمطرقـة، وأعدتها إلى مكانها، ثم استخدمت ذلك المسمار الفولاذي بدلًا من اللولب أيضًا.

استغرق الأمر ساعتين لإصلاحها. هيّأت ذخائرها وجلست خلفها. مـا إن أطلقت الطلقة الأولى في السماء حتـى صاح مسؤولها «يا أخي، هـذا بيت المال... لا تسرف منه...». تركـت القطعة من دون أن أنطق بكلمة وذهبت. لم يكن أحد يقترب منها وهي معطّلة، وعندما أصلحتها صار لها صاحب!

والـدي! لديّ الكثير من الذكريات عن ذلك اليوم. في إحدى المرّات رأيت أسيريـن عراقيين، أَسرا في جـادّة «أم القصر». رأيتهما عندما كانـا يخضعـان للتحقيـق الأولي. كان أحدهما يتكلـم التركية. فهمت كلامـه إلى حـدٍّ ما. كان يقـول: «أنا خجل... لقـد أحضروني إلى هنا بالقـوة... أنا لست سوى مستخدَم...» ثم أشار إلى الأسير الآخر وقال بغضب:

– العـرب.. كلّ شـيء سببه هؤلاء العـرب.. العراقيون التركمان لا يتدخلون بشؤون الإيرانيين..

كان الأسـير التركي من «كركوك»، أما الثـاني فكأنّه كان بعثيًّا؛ إذ لم يندم على أيّ فعل قام به. عندما رأى الشباب تعاطُف الأسير الأوّل

1- الحلقة أو الوصلة.

معنا وما تكلّم به ضدّ صدام، قدّموا له الفواكه المعلبة.

والدي! لم أكن حتى ذلك الحين قد رأيت تركمانيًّا عراقيًّا.

كان عمداء وضباط الجيش العراقي يقتلون جنودهم ومرؤوسيهم. لقد شهدت ذلك بنفسي. استهدف دفاعنا الجوي طائرة هليكوبتر عراقية وأصابها في ذنبها، فراحت تدور حول نفسها. استطاع الطيار أن يهبط بالطائرة لأنّ جسمها كان لا يزال سليمًا تقريبًا ولم يتأذّ كثيرًا. لكن ما إن اقترب من الأرض حتى انفجرت في الهواء بعد إصابتها بصاروخ هيلوكوبتر عراقية أخرى. وهكذا، إذا ما أرادوا تسليم أنفسهم وإعطاء غنائم للإيرانيين، كان قادتهم البعثيون يقتلونهم فورًا.

بقيتْ كتيبة «حمزة» يومين في منطقة العمليات ثم عادت مع سائر الكتائب إلى معسكر «كارون». بدأ العمل على إعادة تشكيل الكتيبة في أواخر آذار. وعاد عدد من الجرحى إلى الكتيبة، غادرها بعض الذين شعروا بالتعب، والتحق بها عدد من العناصر الجدد أيضًا. في الحقيقة، لقد دُمجت كتائب الفرقة بعضها ببعض، وحُلّت كلّ كتيبة استشهد معظم قادتها.

كتبت لكم رسالة وأنا في «كارون». أعطيت للشباب رقم هاتف التعبئة في مسجد المحلّة ليُطَمئنوكم عن حالتي. ثم عرفت لاحقًا أنّهم اتصلوا بالمنزل.

بقينا في «كارون» مدّة أسبوعين أو ثلاثة، ثم أرسلونا من جديد إلى «الفاو» وجادّة «أم القصر» للدفاع عن الخطّ. عندما وصلت الكتيبة إلى «الفاو» استقرّت في مدرسة المدينة. كنت مسؤول الفصيل الأول. راح الشباب يمزحون:

- أخ مهدي بور، نحن حيثما ذهبنا وجدنا مدرسة أمامنا، لقد خرجنا من مدرسة طهران، وها نخن الآن على مقاعد الدراسة في الفاو!

كانت مدرسة «الفاو» كبيرة. وجدنا الدفاتر والكتب وحتى أوراق الامتحانات على الأرض. راح الشباب ينظرون إلى علامات الطلاب ويبدون رأيهم حولها.

بقينا ليلة في تلك المدرسة. قال بعضهم إنّها مدرسة للصبيان، وعارضهم آخرون وقالوا إنها للبنات. في النهاية اتفقوا على أنّ المدارس في العراق مختلطة.

بقينا خمسة أو ستة أيام في خطّ الدفاع في جادّة «أم القصر». لم يقم العدو في تلك المدّة بهجوم معاكس، إلا أنّ نيران مدافعهم ودباباتهم المباشرة لم تهدأ. كانت دشمنا صغيرة لكنّها محكمة. لم يعد هناك إسفلت في جادّة «أم القصر». لقد قام فريق الهندسة العسكرية بقلب الإسفلت وجمع التراب الذي تحته لينشئ ساترًا ترابيًّا.

هناك، تذكّرت انسحابي من المعركة في الثامن عشر من شباط الماضي. كانت ساحة المعركة تبعد يومذاك عن جادّة «أم القصر» كيلومترًا واحدًا ونصف الكيلومتر. فأرجعنا خطّ الدفاع حينها مسافةً مماثلة، وبذلك صرنا نبعد عن ذلك الجسر ثلاثة كيلومترات.

عندما انتهت مهمة الكتيبة الدفاعية، عبرنا نهر «أروند» وذهبنا إلى عنابر «أروندكنار». بقينا هناك عاطلين من العمل أيامًا عدّة، وقضينا ليلة الرأس السنة الهجرية-الشمسية الجديدة [النوروز]. أنهيت خدمتي في الكتيبة في الرابع من نيسان وها أنا الآن بينكم في المنزل.

والدي! لا يزال جيش العدو يظنّ أنّه يستطيع استرجاع «الفاو». إنهم

ينتظـرون تحسّن أحـوال الطقس لتجـفّ مستنقعات «خـور عبد اللّه»، عندهـا ستتمكن الدبابات وناقلات الجند من المنـاورة من دون عوائق. ولقـد رأيت العراقيين في هجومهـم يتقدّمون جماعات جماعات، فتغرز أحذيتهم العسكرية في الوحول ويعجزون عن الحركة، ويُقتلون جماعات جماعات، لكنّ قادتهم كانوا يصدرون الأوامر بالهجوم مجدّدًا!

يريد صدام استرجاع «الفاو» ولو أدّى ذلك إلى القضاء على الجيش العراقي بأكمله.

والدي! ادعُ اللّه أن يحفظ مجاهدينا في «الفاو». ما زال سؤال حول منطقة العمليات قائمًـا: هل يستطيع الإيرانيون الاحتفاظ بالفاو فيما لو جفّت المستنقعات؟

والـدي! بما أنّ العطلة قد انتهـت، أريد العودة إلى الجبهة مجدّدًا. لقد قدّمنا الكثير من الدماء لتحقيق النصر. ورحل عنّا نحن الثلاثين عنصـرًا في الفصيـل الأول، أربعة عشـر شهيدًا. علـيّ أن أبذل ما في وسعـي للحفاظ علـى النصر. لقد سرّح قادةُ الكتائـب الشبابَ الذين انتهت خدمتهم في شهر آذار، لكنهم قالوا لهم إنّ الجبهة تحتاجهم.

والدي! أريد العودة.

وثائق الفصل الرابع

تسلسل	الاسم	الوثائق الخطية	الصور	الوثائق غير الخطية
1	الشهيد سيروس مهديبور	347	11	175 دقيقة بصوت الشهيد، 225 دقيقة مقابلات مع العائلة

ورد في هـذا القسم من مجموع وثائق الفصل، 26 وثيقة خطية، و5 صور:

1 - الشهيد سيروس مهدي بور

1-1 الهوية

صورة رقم 26

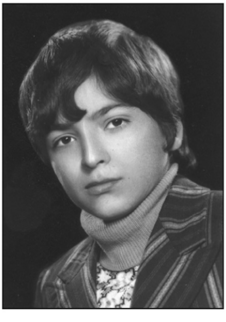

وثيقة رقم 31

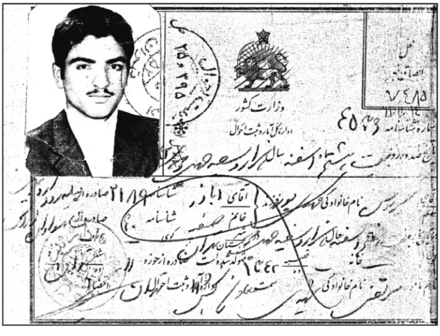

2-1 ذكريات مدونة

1-2-1 دفتر

محمد جواد نصيري بور

/ وثيقة رقم 32 (ورقتان)

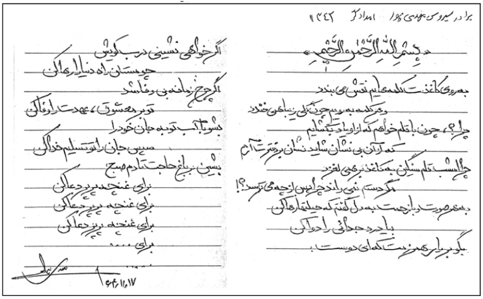

بسم الله الرحمن الرحیم

به روی کاغذ کلمه هایم نقش می بندد
و هر کلمه به رسم چون گلی زیبا می خندد
چرا؟ چون با قلم خواهم که از او یاد بگیرم تسلیم
که از آن بی نشان شاید نشان بر دفترت آرم
چرا امشب قلم سنگین به کاغذ بر همی لغزد
مگر دستم نمی راند چرا این از چه می ترسد؟!
به هر صورت و با زحمت به دل گفتم که حیله‌ها رها کن
بیا درد جدایی را دوا کن
بگو بر یار همرزمت که ای دوست:

اگر خواهی نشینی در بر کویش
چو مستان راه دنیا را رها کن
اگر چرخ زمانه بی وفا شد
تو بر معشوق، عهدت را وفا کن
بشو با آب توبه جان خود را
سپس جان را تو تسلیم خدا کن
بنشین بر باغ حاجت تا دم صبح
برای غنچه پرپر دعا کن
برای غنچه پرپر دعا کن
برای غنچه پرپر دعا کن
برای ....

۶۴/۱۱/۱۷

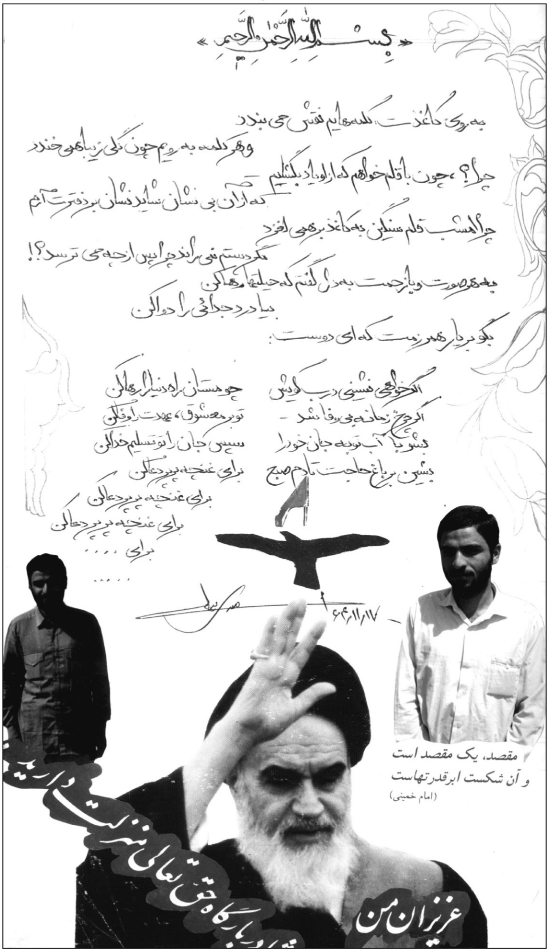

2-2-1 دفتر

أحمد أحمدي زاده

/ وثيقة رقم 33

3-1 ورقة ملاحظات

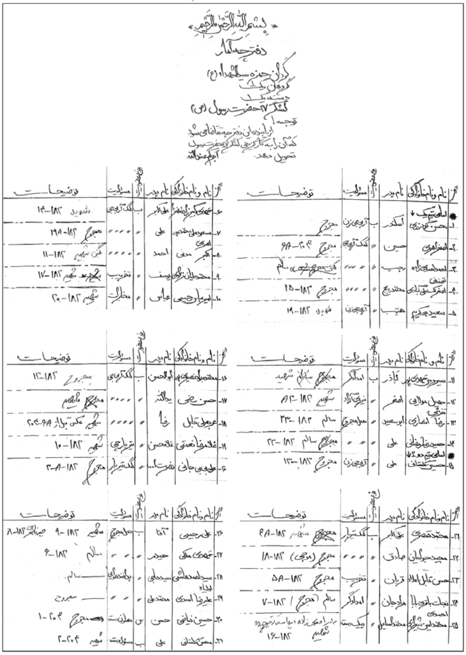
بسم الله الرحمن الرحیم
دفترچه آمار
گردان حمزه سید الشهداء (ع)

وثيقة رقم 34 (18 ورقة)

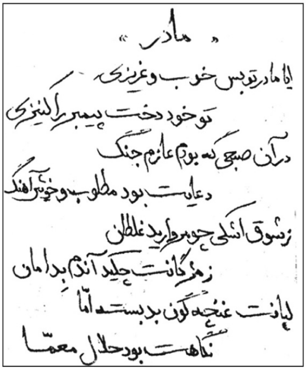
« مادر »
ای مادر تو بس خوب و عزیزی
تو خود دخت پیمبر را کنیزی
در آن صبحی که بودم عازم جنگ
دعایت بود مطلوب و خوشی آهنگ
زشوق اشکی چو مروارید غلطان
زمژگانت چکید آندم بدامان
لبانت غنچه گون بد بسته اما
نگاهت بود حلال معما

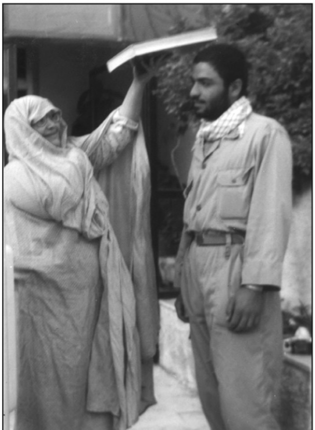

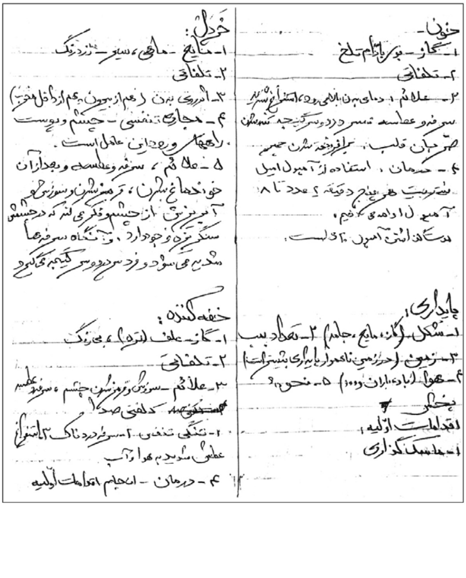

صورة رقم 25

4-1 **الرسائل**

وثيقة رقم 35

بسم الله الرحمن الرحيم

حضور محترم کلیه اعضای خانواده عزیزم سلام عرض کرده و سلامتی یکایک شما را از خداوند متعال خواستارم. می دانم از دستم ناراحت هستید که چرا زودتر از این نامه نفرستاده‌ام و همچنین می دانم مشتاقید که تا می توانم از خودم و از جبهه های نور برایتان بنویسم. پس تعارفات را کنار گذاشته و وقایعی را که از روز اعزام تاکنون برایم روی داده بطور اختصار شرح می دهم. اعزام نیروها با شکوه فراوان و با سخنرانیها و درسهای همبستگی در طی دو روز انجام شد و بالاخره در روز سوم بسوی جبهه های جنوب حرکت کردیم و در پادگان دوکوهه تقسیم شدیم. البته لازم به تذکر است نیروهای اعزامی بسیار کم بودند، خلاف آنچه که در شهر همه فکر می کنند. هم اکنون لشکر ما حدود سه گردان آماده دارد که جا دارد ... گردان به هر حال چشم امید همه ما به اعزام بعدی است. انشاءالله خداوند فرجی بنماید و نیروهای مردمی بسوی جبهه ها حرکت کنند. به هر حال من هم اکنون در گردان حمزه سید الشهداء (ع) مشغول انجام وظیفه هستم که البته بدلیل نبودن نیرو هنوز تکلیف نوع کاری که باید انجام بدهم به کلی صورت مشخص نیست ولی اینطور که اوضاع و احوال نشان می دهد به عنوان مسئول دسته یک گروهان یک جای برادر شهید گلستانی را پر خواهم کرد. به هر صورت وضع اینجانب در اینجا هم از نظر جسمانی و هم روحی بسیار عالی است و جای هیچگونه نگرانی نیست. بیشتر از این دیگر عرضی ندارم. در انتها بار دیگر از خداوند متعال سلامتی و موفقیت همگی شما عزیزان را از خداوند متعال خواستارم. ضمنا از طرف اینجانب به کلیه دوستان و آشنایان سلام برسانید. التماس دعا

(در ضمن در اسرار نظامی کوشا باشید مطالب فقط برای شماست) ۶۵/۷/۱۰

دوستدار شما ... مهدی پور

وثيقة رقم 36 (رسالة أحد التلامذة إلى مهديبور)

۶۳/۱/۲۴

بسم الله الرحمن الرحیم

با سلام و درود به رهبر کبیر انقلاب اسلامی ایران و با درود و سلام به رزمندگان و شهیدان و اسیران جنگ تحمیلی. خدمت معلم عزیزم سلام عرض می کنم پس از عرض سلام سلامتی شما را از درگاه خداوند متعال خواستارم و ... امیدوارم که در زیر پرچم اسلام در حال خدمت به اسلام باشی. اگر از حال اینجانب خواسته باشی بحمدالله خوب هستم و در حال درس خواندن هستم و قبول شده‌ام (ثلث اول) بعد از اینکه شما به جبهه رفتید یک معلم دیگر آمد بنام آقای قاسم شاندرمنی و بچه ها تازه قدر شما را دانستند و فهمیدند که چه معلمی هستی و این عکس از من و حسن شیرین است و جای این عکس یک عکس از خودتان برای من بدهید و اگر از من ناراحتی داری ببخشید دیگر عرضی ندارم جز دوری شما جواب نامه را هرچه زودتر بدهید

رضا ...

5-1 شهادة الإجازة الفخرية

وثيقة رقم 37

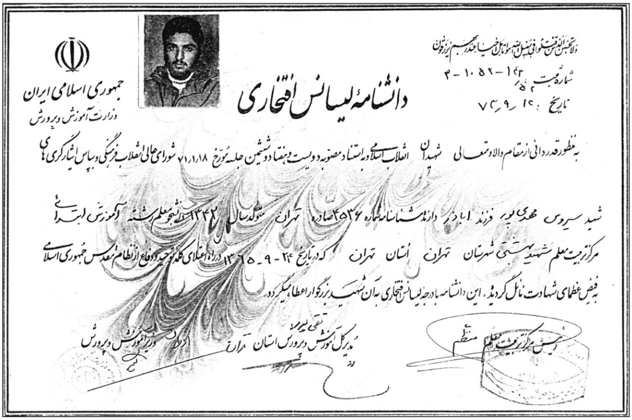
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون

شماره ثبت: ۳-۱۰۵۲-۱۴۲

تاریخ: ۷۲/۹/۱۰

جمهوری اسلامی ایران

وزارت آموزش و پرورش

دانشنامه لیسانس افتخاری

به منظور قدردانی از مقام والا و متعالی شهیدان انقلاب اسلامی و به استناد مصوبه دویست و هفتاد و ششمین جلسه مورخ ۷۱/۱/۱۸ شورای عالی انقلاب فرهنگی و پاس ایثارگری های شهید سیروس مهدی پور فرزند اباذر دارنده شناسنامه شماره ۴۵۳۶ صادره تهران متولد سال ۱۳۴۲ دانشجو معلم رشته آموزش ابتدائی مرکز تربیت معلم شهید بهشتی شهرستان تهران استان تهران که در تاریخ ۲۴-۹-۱۳۶۵ در راه اعتلای کلمه توحید و دفاع از نظام مقدس جمهوری اسلامی به فیض عظمای شهادت نائل گردید، این دانشنامه با درجه لیسانس افتخاری به آن شهید بزرگوار اعطا میگردد.

رئیس مرکز تربیت معلم

مدیر کل آموزش و پرورش استان تهران

از طرف وزیر آموزش و پرورش

صورة رقم 26

1-6 الوصية

وثيقة رقم 38

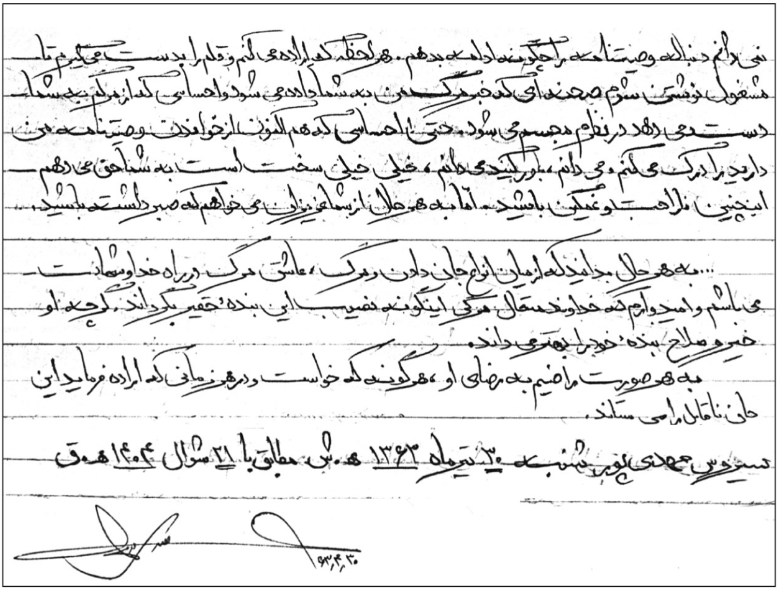

نمی‌دانم دنباله وصیتنامه را چگونه ادامه بدهم. هر لحظه که اراده می‌کنم و قلم را بدست می‌گیرم تا
مشغول نوشتن شوم صحنه‌ای که خبر مرگ من به شما داده می‌شود و احساسی که از مرگ من به شما
دست می‌دهد در نظرم مجسم می‌شود. حتی احساسی که هم اکنون از خواندن وصیتنامه من
دارید را درک می‌کنم و می‌دانم، باور کنید می‌دانم، خیلی خیلی سخت است. به شما حق می‌دهم
اینچنین ناراحت و غمگین باشید. اما به هر حال از شما عزیزان می‌خواهم که صبر داشته باشید.

...به هر حال بدانید که از میان انواع جان دادن و مرگ، عاشق مرگ در راه خدا و شهادت
می‌باشم و امیدوارم که خداوند متعال مرگی اینگونه نصیب این بنده حقیر بگرداند. گرچه او
خیر و صلاح بنده خود را بهتر می‌داند.
به هر صورت راضیم به رضای او، هر گونه که خواست و در هر زمانی که اراده فرماید این
جان ناقابل را می‌ستاند.

سیروس مهدی پور شنبه ۳۰ تیرماه ۱۳۶۳ هـ.ش مطابق با ۲۱ شوال ۱۴۰۴ هـ.ق

1-7 مقابلة مع والد الشهيد

احتلّ الحلفاء الأراضي الإيرانية في الحرب العالمية الثانية. كنت حينها في ريعان الشباب وأعيش في أردبيل. لم تشارك إيران في الحرب بشكل مباشر، لكن، لا أحد ينسى عذابات ومشقّة تلك السنوات.

وُلِد سيروس، أول أبنائي، في 18 آذار 1964م. في ذلك العام، كان الإمام الخميني قد قال:

- أنصاري هم في المهود الآن...

اليوم، أرى في سيروس الناصر الوفي للإمام الخميني. كنت كلّما نظرت إليه منذ طفولته، يتبادر إلى ذهني كلام الإمام.

في 5 حزيـران 1964م، التقطنا أول صورة له، وخلف الصورة كتبت له للذكرى:

«في هـذا اليـوم، كنت تبلغ من العمر فقـط 3 أشهر و15 يومًا. كنت طفـلًا طيّبًـا وهادئًا جـدًّا. لم تنظـر بشكل مباشـر أثنـاء التصوير، وتضايقـتَ كثيرًا من حرارة ضوء الكاميرا، لكن، ما شاء الله، تحمّلت وصبرت، أساسًا لم تكن قد تعلّمت البكاء. لذا، نحبّك كثيرًا أنا وأمك. كـن عاشقًا لوطنك حتى يحبكَ مجتمعك. كن دائمًا صادقًا ومستقيمًا في حياتك كي تكون عاقبتك حسنة في هذه الدنيا وفي الآخرة».

أبوك، أبوذر، 5 حزيران 1964م

في ريعـان شبابه، كان سيروس مندفعًا وخلوقًا ومُـدركًا. أخبرني خبّـاز الحـيّ عن صدقه وأمانتـه التالي: اشترى منـي سيروس الخبز وأرجعت له بقية المال، لكن وكأنّني اشتبهت فيها. عاد هو من منتصف الطريـق وأرجع إليّ ما زاد من مال، بينما بعض الأولاد يختلسون المال بمجرّد أن أغفل قليلًا.

أحبّ سيروس ركـوب الدراجة الهوائية. وعشق الدراسة والرياضة في آن. في السنـة الأخـيرة مـن المرحلـة الثانوية، عـام 1981–1982م حصـل على شهـادة البكالوريـا في الرياضيات والفيزيـاء. شارك في امتحـان الدخـول إلى الكلية العسكريّـة وإلى جامعة إعـداد المعلمين، وقُبِـلَ في الاثنتين معًا. ولأنه كان يحب التدريس، فقد تسجّل في جامعة الشهيد بهشتي لإعداد المعلمين.

عـام 1983م، وبالتزامـن مـع عامـه الدراسي الأول في الجامعة، كان سيروس من ضمـن مجموعة الطلاب التي أُرسلـت إلى الجبهة. ولأنـه كان مـن ذوي الاختصاصـات الجامعية، فقـد أصبحت مهمته

التخصّصية الإسعاف الحربي ليتمكن من الخدمة في الجبهة بنحو أفضل. شارك في عملية خيبر، وعندما علمتُ بعودته سالمًا من العملية ذبحتُ تحت قدميه خروفًا كأضحية عنه.

كان العام 1984 عامًا حافلًا بالإنجازات بالنسبة له. فكان يُدرّس في المدرسة الابتدائية ويتابع تحصيله العلمي في الجامعة. كما شارك في شتاء ذلك العام (85) في عملية «بدر». برغم شجاعته ونشاطه الكبيرين، كان مسعفًا أيضًا، فحمل بيده في ليالي الهجوم، حقيبة الإسعاف بدل السلاح. تردّد محسن كلستاني -مسؤول الفصيل الأول الذي يخدم فيه سيروس- كثيرًا إلى منزلنا. كانا صديقين حميمين.

عام 1985 شارك في المباراة العامة، وقُبل في اختصاص تدريس الرياضيات للمرحلة الثانوية. كان يدرس في جامعة إعداد المعلمين في اختصاص التعليم الابتدائي. ثالث عملية كبيرة شارك فيها سيروس كانت عملية «والفجر8». جُرح مرتين في ساحة المعركة بجراح سطحية، لكنّه لم يعد إلى طهران للاستراحة. لقد أقنع الأطباء أنّه يجب أن يعود إلى منطقة العملية.

عام 1986م أمضى كل أوقاته في الجبهة، أي بقي في الجبهة تسعة أشهر متتالية؛ من أيلول 1985م حتى أيار 1986م. بقي فقط في صيف ذلك العام في طهران لأنني ذهبت لأداء فريضة الحج.

كان يولي اهتمامًا خاصًّا لعملية «والفجر 8» وشهدائها الذين دفنوا في القطعة 53 من «بهشت زهرا» (جنة الزهراء). وقد قال لي مرّات عدّة: «أبي، أنا قلق من أن تمتلئ القطعة 53 ولا يبقى لي مكان فيها».

دفن شهداء الفصيل الأول في القطعة 53، وتحقّقت أمنية ولدي في أواخر الخريف، حيث استشهد في خط الدفاع في مهران إثر إصابته

بشظيـة في قلبه. كانت ثياب إحرامي كفنه، وغسّلتُ رأسه ووجهه بماء زمزم. كان سيروس الناصر والوفيّ للإمام. يشهد قلبي على ذلك منذ أن كان طفـلاً، وفي اللحظـة التي أهالوا عليه الـتراب فيها، كنت أفكر بذلك أيضًا.

كانت حرب الثماني سنوات مع النظام البعثي العراقي حربًا كبيرة. لم نكابـد مـن الصعوبـات والمشقات ما يـوازي حجـم وضخامة تلك الحرب. عندما احتل الحلفاء إيران، كان خبز الناس اليومي وحياتهم بأيـدي الأجانب، لكن في حرب السنـوات الثماني هذه، عانينا كل هذه المشقـات بإرادتنا. كنّا ندفع غرامة استقلالنا. لقد كابد وتحمّل ولدي المشـاقّ 23 شهـرًا في سبيل استقلال إيران وحريـة الفكر والدين، وفي النهاية قدّم روحه في هذا السبيل.

كنـتُ كلّما رجع سيروس من تنفيذ عمليـة، أستمـعُ إلى مذكراته بشوق وأسجلها. بالطبع لم يكن يرغب بذلك، فكنت أضع آلة التسجيل تحت ملاءة أو أيّ قطعة قماش أخرى، وأجرّه إلى الحديث. ما قرأتموه هـو ما تمّ «تفريغه» من شريطي تسجيـل لحديث (ساعة لكل شريط) بعد حذف بعض الموارد. أعددتُ هذين الشريطـين في شباط أو آذار 1986م. آمـل أن نتمكّـن في فرصـة أخرى من الحديـث عن مذكرات سيروس حـول عمليـات «خيبر» و«بـدر». فقـد كان سيروس مسعفًا أيضًـا في تلك العمليات. بالمناسبة، أين هم المجاهدون الذين أنقذهم سيروس من الهلكة بمحبته وشجاعته، كما بضماداته ومقصه و..؟

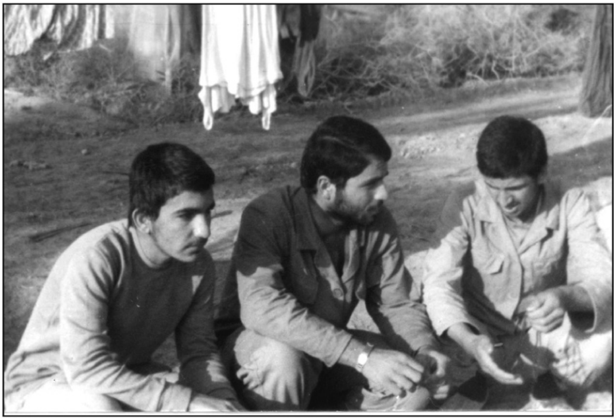

صورة رقم –27 من اليسار: رضا أنصاري، سيروس مهديبور.

1–8 شاهد الضريح

طهران– بهشت زهرا– القطعة –53 الصف 53، الرقم 17.

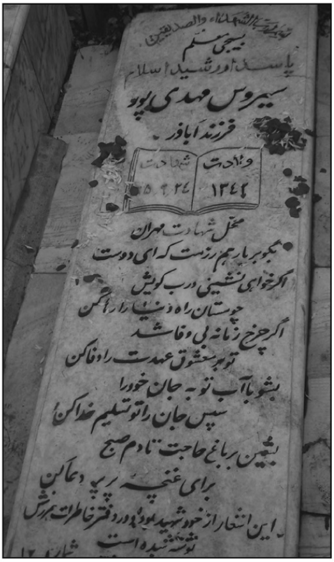

صورة رقم 28

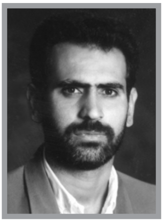

الراوي: حميد رضا رمضاني

التشكيل: مساعد مسعف في المجموعة الأولى

تاريخ ومكان أول مقابلة: 2004 - طهران

الفصل الخامس

العنقاء

عندما أنظر إلى تحليق الطيور، تمرّ في خاطري ذكريات السنوات التي قضيتها في الجبهة والحرب.

في السادسة عشرة أو السابعة عشرة من عمري، كنت أربّي طيورًا مختلفة في باحة منزلنا وعلى سطحه، كما كان عندي ببغاء ناطق أحتفظ به في غرفتي.

وبما أنّي أصغر إخوتي، فقد حظيتُ بمحبة خاصّة من أمي. لقد ذهب أخواي الأكبر مني سنًّا إلى الجبهة وجرح أحدهما؛ فالأوّل أمضى فترة الخدمة العسكرية في الجيش مع القوات الجوية، والثاني التحق بالجبهة تطوّعًا.

لم يعارض والداي ذهابي إلى الجبهة بشكل جديّ، لكنّهما طلبا منّي أن أهتمّ أولًا بمدرستي وواجباتي المدرسية، الأمر الذي لم يكن يستهويني كثيرًا. كنت أرغب بمتابعة دراستي بعد المرحلة المتوسطة في مجال العلوم الإنسانية، وقد تأخرت عن رفاقي دراسيًّا، والسبب

في ذلـك تلك الطيور. إذًا؛ تلك الطيـور وعدم الرغبة بالمدرسة، جعلا والديّ يمانعان التحاقي بالجبهة شيئًا ما.

ذات يـوم، قلبـت الحمامات البيـتَ رأسًا على عقب، وبـدأ ببغائي بالثرثرة فنفد صبر أمي وقالت:

- حميـد، لم أعد أستطيـع التحمّل أكثر من هذا.. ليتك تذهب إلى الجبهة لأرتاح من هذه الطيور.. أيّ حياة هي هذه الحياة؟!

استغللت الفرصة وقلت لها:

- أأذهبُ إلى الجبهة؟!

- اذهب.. لكن خذها معك!

ذهبـت في الأسبوع التالي إلى مقـرّ التعبئة ودوّنت اسمي للالتحاق بدورة عسكرية. وعندمـا أخبرتهم لاحقًا في المنزل بما جرى قالت لي والدتي بمحبة وحنان:

- لقـد جُـرح أخوك، وتريـد أنت الذهـاب إلى الجبهـة أيضًا؟! لا يزال الوقت مبكـرًا لذلك.. عندما يحين الوقـت تذهب لأداء الخدمة العسكرية.

أصـرّ والـدي أيضًـا علـى متابعـة دراستـي والاهتمـام بواجباتي المدرسية. ساندني أخواي، واستطاعا أن يقنعا والدَيَّ بالأمر، فذهبتُ برضاهما إلى ثكنة التدريب. في فترة غيابي عن المنزل، راحت والدتي تقدّم الحبوب والماء للطيور وكأنّها صارت عزيزة أكثر على قلبها.

في خريـف العام 1984م وبعد أن أنهيت فـترة التدريب، خدمتُ في «سقز» و«بوكان» في «كردستان». طوال هذه الفترة اهتمّت والدتي جيّدًا بطيوري وأحبّتها، فقد أحيت ذكراي في المنزل وعوّضت عن غيابي.

في آذار العـام 1985م التحقـتُ بالجبهة مرة أخرى؛ لكن هذه المرّة

ذهبت إلى الجنوب. في طريق «طهران-انديمشك»، تعرّفت في القطار إلى الجالس قربي في المقصورة؛ ويدعى «أمير عباس رحيمي». كان عباس طويل القامة لكنّه صغير السنّ، ولمّا تنبت لحيته بعد.

عندما سألته عن تجربته في الجبهة أخبرني أنّه خدم صيف العام الفائت في الحراسة في جزيرة «مينو»، حيث كان الطقس حارًّا و.. و... وراح يتحدّث عن نفسه. سرعان ما أصبح على علاقة وطيدة ليس معي وحسب، بل مع جميع الركّاب. لاحقًا ازدادت معرفتي به أكثر فأكثر؛ ففي الثكنة عندما فرزوا العناصر الجدد، أُلحقتُ وأمير عباس بالسرية الثانية من كتيبة «حمزة».

في ربيع العام 1985م لم تقع أحداث هامّة. انقضى ربيع الكتيبة في التدرّب على العمليات البرمائية قرب نهر «دز»، وذهب بعض العناصر إلى «بوشهر» للتدرّب على الغوص. مدّدنا مأموريتنا، أنا و«أمير عباس»، ثلاثة أشهر إضافية؛ فترة فصل الصيف. وذهبت الكتيبة في حزيران- تموز إلى خطّ الدفاع في «مهران». ما زلتُ أذكر ثلاثة أمور خلال هذه المرحلة ترتبط بأمير عباس: الخنازير، والفئران والصيد.

الخنازير: وجدنا الكثير من الخنازير البرية في خط الدفاع في مهران؛ حيوان خطير يمكنه إيذاء الناس بخطمه[1]، فهو يستطيع أكل الجلد واللحم والعظم دفعة واحدة. في أحد الأيام، حذّروا الجميع من وجود أنثى خنزير جريحة تجول في المنطقة وقد قُتل اثنان من صغارها. عند المساء، خرج «أمير عباس» من الدشمة بعد تناوله طعام العشاء. كنّا قد تكلّمنا كثيرًا عن الخنزير قبل ذلك، فصار شغله الشاغل. لم تمضِ لحظات على خروجه من الدشمة حتى عاد هلعًا، وصوت

1 - أنف الحيوان.

الخنزيـر -خنزيره- يبلـغ عنان السماء. توجّه مباشـرة إلى سلاحه، أعـدّه للإطلاق وذهب ليقتل الخنزير. لحقنا به مذهولين. أطلق النار علـى الساتر الترابي الواقع في مقابل الدشمة. لم نرَ هناك شيئًا سوى ظلّـه. عكس نور القمـر وضوء الدشمة ظـلّ أمير عباس علـى الساتر الترابـي فراح يطلق عليه النار. جاء الشباب من الدشم المجاورة على أثـر سماعهم صوت الرصاص ليتفرّجوا، لكنّـه لم يُعر اهتمامًا لأحد، وظـلّ يصرخ ما يقارب الدقيقة «خنزير خنزير» ويطلق النار.. إلى أن شعر بالهدوء. لكن لم يكن هناك أيّ خنزير.

الفئـران: كان في «مهـران» الكثـير مـن الفئـران؛ الكبـيرة منهـا والصغـيرة، وكانت هذه تتردّد داخـل الدشم حيث كانت أبواب جحور بعضهـا داخـل الدشم نفسهـا. كان «أمـير عباس» ينزعـج كثيرًا من الفئـران، وما إن يرى واحدة منها حتى يبدأ بالصراخ ويخيف الجميع معه. وكأنّ الفئران فهمت ذلك، فصارت تقصده أكثر من غيره، حتى صـار صياح «أمـير عباس» في نومـه ويقظته أمرًا عاديًّـا بالنسبة إلى شباب دشمتنا والدشم الأخرى.

الصيد: كان الطعام قليلاً في خطّ الدفاع، والطقس الحارّ والمُرهق يـكاد يذيب اللحم علـى أجساد الشبـاب. عانينا الجـوع شهرًا كاملًا حتى انتهت مهمّة الكتيبة. في الأيام الأخيرة حيث أصبحنا على معرفة بالمنطقـة، صرنا نصطاد الحجل والدرّاج لنسـدّ بهما جوعنا. بالطبع نبّهنا عالم الدين الموجود معنا في الكتيبة إلى أنّ لحم ما نصطاده لهوًا هـو حرام، ويحلّ لنا فقط في حال الجـوع. قال له أمير عباس، عندما تقدمـون بطيخـة وزنها 10 كلغ لـ 15 شخصًا، فلـن يكون أمامهم خيارٌ سوى الصيد. كانت أيام الدفاع الأخيرة حافلة بالعمل والتسلية؛ كانت جبهةَ وميدانَ صيدٍ أحببته.

منـذ ذلك الصيف، بـدأت و«أمير عباس» نتزاور فيمـا بيننا. كان منزلنا في «طهران الجديدة» أي شرق «طهران»، ومنزلهم في «صادقية» -وكانت تُدعى حينذاك «آرياشهر»- في غرب «طهران».

عندمـا ذهبـت إلى منزلهـم وجـدت غرفـة «أمير عباس» ملأى بـالأدوات الكهربائيـة: الراديوهـات الكبـيرة المفكّكة، وتلفـاز صغير متلاش. كان يدرس الكهرباء في المهنيّة- السنة الرابعة، وأحد دروسه هو فكّ وإصلاح الأدوات الكهربائية.

عندما أتـى «أمير» إلى منزلنا، سرعان ما أنِس به ببغائي الناطق. كان الببغاء يردّد اسمه بشكل جيد، وهو يضحك من صوته، ويقول له: «إن عضضتني سأعضّك».

فيجيبه الببغاء: «سأعضّك... سأعضّك...».

ويضحـك أمير حتى يغشـى عليه من الضحـك. كان الببغاء يطير حول «أمير» ومن تحت ذراعيه.

تعرّفت من خـلال هذه الزيارات المتبادلـة، إلى روح «أمير عباس» اللطيفة وقلبه المفعم بالمحبة، وكذلك إلى سيرة حياته العجيبة.

في أواسط أيلول، وبعد ستّة أشهر من الخدمة، سوّيت أموري وبقيت في طهـران حتى كانـون الأول لأتوجه مـن جديد إلى الجبهـة وألتحق بكتيبة «حمزة». أما «أمير عباس» فقد بقي في الجبهة طوال هذه المدّة وفي كتيبة «حمزة».

التحقت هذه المرة بالسرية الأولى، لأنّ «أمير عباس» كان في الفصيل الأول فيهـا. التقيـت الأخ «محسن كلستـاني» مسـؤول الفصيل، وبعد السلام والسؤال عن الأحوال، سألني عن تجربتي وخدمتي في الجبهة، وأخبرتـه أنّنـي كنـت حارسًا في مخفـر الشرطة العسكريـة وقناصًا.

اقـترح عليّ أن أكون في عداد المنقذين وقبلت. أمّا «أمير عباس» فبقي عنصـر إشارة بسبب حبّه لـلأدوات الكهربائية والإلكترونية، وبمجرّد انضمامي إلى الفصيل قدّم لي تقريرًا عن الأيام التي غبت فيها:

– أغلـب الشبـاب في الفصيل هم تلامـذة وفي مثل سنّـي. ندرس دروسنا معًا، ونحلّ التمارين الصعبة بالتعاون فيما بيننا و...

بمجـرّد أن رأيت شباب الفصيـل الأول تحمّست للدراسة. كنت في الثالث الثانوي. ذهبت إلى المجمع العلمي في «دوكوهه»، سجّلت اسمي، واستعرت بعض الكتب الدراسية. وعندما طلبتُ من عائلتي في رسالة، إرسال بعض الكتيبات لي فرحوا وتعجبوا كيف أنّ هذا الولد الذي كان يلعب بالطيور صار تلميذًا مجتهدًا عندما ذهب إلى الجبهة.

بما أنّنـي مساعد مسعـف، كان مكاني في الطابـور خلف المسعف؛ «سيروس مهدي بور». يكبرني «سيروس» بسنتين، وهو طالب في جامعة إعداد المعلمين ويدرّس في إحدى المدارس، وبالطبع كان يعطي الدروس لشبـاب الفصيـل أيضًـا. وقد تمكنّـا بفضل وجوده معنـا من معالجة المشـاكل الدراسية التـي تواجهنا بسرعـة. فالأخ المعلـم كان حاضرًا دائمًا معنا وفي كلّ مكان.

كان «سيروس» قويّ البنيـة ورياضيًّا. شارك في عمليات بدر، وكان رامـي «آر بـي جي» ماهرًا، لكن بمـا أنّه شـارك في دورة إسعاف ومن ذوي الاختصاصـات الجامعية، فقد أوكلوا إليـه مهمة مسعف ووافق. كنّـا نميّزه مـن خلال قبعته الزرقـاء التي حاكتها والدتـه له، وكان لا يخلعها أبدًا.

خلفـي في الطابور كان «رضا أنصاري»، زميلي في العمل الذي كنت أتشارك معـه بحمل الحمّالة نفسها. كان «رضا» مستدير الوجه كثيف

الحاجبين قد نبت شارباه للتوّ، أما لهجته فكانت آذرية زنجانية، ويمكن من خلال مقارنتها بلهجة «مهدي بور» ملاحظة الفروقات بين اللهجات الآذرية، مع أنّ الاثنين وُلِدا في «طهران».

كان «رضا» يبلغ من العمر 17 عامًا، وقد شارك قبل سنتين في عمليات «والفجر 4»، أي عندما كان في الخامسة عشرة من عمره. بالطبع، لم يستطع الالتحاق بالجبهة بسهولة آنذاك. كان يتحدّث دائمًا عن قائد يدعى السيد «أبو الفضل كاظمي»[1]، ولا تزال علاقتهما مستمرّة حتى الآن عبر الرسائل بعد أن أنهى خدمته؛ فـ«رضا» يكتب له، و«كاظمي» يجيب على رسائله.

يذكر كلٌّ من «رضا أنصاري» ومسؤول الفصيل، عمليات «والفجر 4» بكلّ عظمة وفخر. وطالما تحدّث «محسن كلستاني» في جمع الشباب عن معركة «كاني مانكا» ومما قاله:

- إنّ مجاهدي «والفجر 4» هم أكثر التعبويين إخلاصًا.

في أواسط العام 1986، غادرت كتيبة «حمزة» الثكنة نحو «كرخه». وهناك واجهتنا مشاكل كثيرة في الأيام الأولى لوصولنا إلى الخيام بسبب الطقس الماطر، فلم تُجرَ أيّ تدريبات، ولا حتى تابعنا واجباتنا المدرسية. أرادت السماء أن تعوّض نقص الأمطار في فصل الخريف. لكنّ الخيام لم تكن معدّة لمثل هذا الطقس. فغطيناها بقطع بلاستيكية كي لا تنفذ المياه إليها من ثقوبها الصغيرة والكبيرة، وحفرنا حولها قنوات لتكون مجرى للمياه حتى لا تتسرب إلى داخل الخيمة فيبتل ترابها، كما صففنا حولها أكياسًا من التراب حتى لا تقتلعها الرياح الشديدة. ولإخفاء الخيام، أخذنا من قسم الدعم والتجهيز أكياسًا

1- راوي كتاب: زقاق نقاشها؛ سادة القافلة 23.

قصصناها لتصبح ذات وجه واحد ووصلنا بعضها ببعض بمكبس الأحذية الكتانية، وفرشناها فوق القطع البلاستيكية التي غطينا بها الخيام، حتى لا يلفت انعكاس الضوء عليها نظر الطيارين في حال قام العدوّ بهجوم جوي.

عانينا في الليالي الثلاث الأولى من البرد والرطوبة الشديدين، لكنّ الحياة هناك صارت أكثر متعة عندما تحسن الجو داخل الخيمة، فأصبح دافئًا شيئًا فشيئًا، وانخفضت الرطوبة بعد أن استخدمنا المدافئ النفطية. كان نصيب كلّ فصيل مدفأتين تبقيان مشتعلتين ليلًا ونهارًا وعلى كليهما إبريق ماء لمنع جفاف الهواء داخل الخيمة. وهكذا، كان الماء المغليّ جاهزًا دومًا لتحضير الشاي.

بعد أن قمنا بتجهيز الخيام على هذا النحو، توقف هطول الأمطار. قال مسؤول الفصيل: «ادعوا أن يهطل المطر لنرى ما إذا كان عملنا جيّدًا ومتينًا، وهل ستنفذ المياه إلى داخل الخيام أم لا».

في تلك الليلة، استجيب دعاء مسؤول الفصيل، لتهطل الأمطار بعد يوم مشمس وجميل؛ وأيّ أمطار! قلت للأخ «كلستاني»: «وكأنّ السماء ألقت كل ما فيها دفعة واحدة! عجيب دعاؤك يا أخ محسن». أجاب: « لقد استجاب الله لهؤلاء الشباب. لأنّهم ما زالوا صغارًا في السنّ ولم يرتكبوا أيّ ذنوب بعد، فقد استجاب الله دعاءهم وأفاض علينا من رحمته».

بقيت أرض الخيام جافّة تمامًا، فعلمنا أننا أنجزنا عملنا بالنحو الصحيح.

بعد أن استقررنا بشكل كامل، بدأت التمارين العسكرية والتدريبات على القتال الليلي؛ في الأسابيع الأولى، كانت التدريبات تشمل الكتيبة

بأكملها، ثم السرية، فالفصيل. كان جميع العناصر يتمتعون بروح قتالية جيّدة، ويرغبون أن يكونوا في طليعة المشاركين في الهجوم الكبير، فشاركوا في هذه التدريبات بكلّ حماسة وشوق. كما استمرّت صفوف «مهدي بور» الدراسية في أوقات الفراغ. وفي معسكر «كرخه» ذاك، قدّمتُ وسائر شباب الفصيل امتحاناتنا ونجحت في المواد كلّها، الخبر الذي أفرح عائلتي.

في أحد الأيام، رأيت أمير عباس مضطربًا وقلقًا. سألته عن السبب فقال:

- أريد أن أذهب إلى طهران لمدّة 48 ساعة.

- هل حصلت مشكلة ما؟ ماذا جرى؟

- ليست مشكلة كبيرة. سأذهب وأعود بسرعة. يجب أن أعطي المال لأحدهم.

ذهب وسرعان ما عاد. لم أكن أسأله شيئًا عن حياته الخاصة ومشاكله. أحيانًا كان هو يبدأ الحديث ويتكلّم بشيء ما. انزعجتُ عندما علمت أنّ والديه منفصلان أحدهما عن الآخر. لقد عاش لسنوات من دون أب ومن دون أم، تزوج كلاهما بعد الانفصال. لديه أخت شقيقة وأخوان غير شقيقين من جهة أبيه، وكانت شقيقته مقبلة على الزواج. لم يتمكن من المشاركة في مراسم عقد قرانها في شهر أيلول، وهو الآن يريد مساعدتها في تحضير جهاز عرسها[1]. لقد قدّم لها راتبه وكلّ ما ادّخره، تمكن بكل ذلك المبلغ من شراء غسالة لها.

كان «أمير عباس» في أيام الإجازات يذهب لرؤية والدته ووالده. لديه من جهة أمه أخ شقيق أيضًا وعدد من الإخوة والأخوات غير الأشقاء،

1- ما تحضّره العروس وأسرتها من أثاث وأدوات مطبخ... ويقال لها: «جهيزيه».

وقد استشهد أخوه الأكبر غير الشقيق. لقد عانى منذ الصغر من ألم انفصال الأم والأب. كان صغير السنّ، لكنّه مفعم بالنشاط والحيوية، اشتدّ عوده قبل الكثيرين من أبناء جيله. لقد أصبح رجلًا بكلّ ما للكلمة من معنى بالرغم من صغر سنّه وصوته الرقيق ووجهه الطفولي.

عند غروب يوم الجمعة، عدت وأمير عباس من إجازتنا إلى المعسكر. وبسبب عدم وجود السيارات، أجبرنا على قطع الطريق الرملي الممتدّ من المعسكر حتى مركز الكتيبة سيرًا على الأقدام. وصلنا إلى مكان يقال إنّه كان مقبرة للعراقيين يقع على مسافة بضعة كيلومترات من نقطة حراسة المعسكر. هناك سمعنا عواء بنات آوى والذئاب. لم نهتمّ للمسألة بادئ الأمر، لكنّ الأصوات بدأت تعلو وتقترب. بدأتُ بالصلوات على محمد وآل محمد لإبعاد شرّها، أما أمير عباس فشرع بقراءة آية الكرسي. لم يكد يصل إلى آخر الآية حتى ظهرت شاحنة صغيرة من منعطف الطريق. ركبنا فيها، ومشينا مسافة مئة متر، ولم نكد نصل إلى المنعطف التالي، حتى لحق بنا قطيع من الحيوانات المتوحشة. إنّه «القيوط»[1]؛ حيوان بين الذئب والثعلب. عندما رآها السائق، ضغط على دواسة البنزين بشدّة وسار بسرعة أكبر لنأمن شرّها. قلت لأمير:

– ليتك قرأت آية الكرسي في وقت أبكر.

– لو أنّنا لعبنا معها، لم يكن ذلك بالأمر السيّئ.. كنّا تسلّينا قليلًا..

أوصلتنا شاحنة التويوتا –التابعة لكتيبة «مالك»– حتى نقطة تبعد 500م عن خيام كتيبة «حمزة». أكملنا بقية الطريق سيرًا على الأقدام. كان صوت القرآن والأذان يتناهى إلى أسماعنا من كلّ مكان، حيث

1 - ويقال له الوعوع أو الذئب البري أو ذئب السهول.. ويعرف بعوائه الغريب المخيف الذي يسمع عادة في فترة المساء والليل والصباح الباكر.

قام إعلام كلّ كتيبة ببثّ قراءة القرآن عبر مكبرات الصوت. كان أمير عباس مسرورًا وبدأ بقراءة العزاء. لم يكن صوته مناسبًا للعزاء، وكان عليه أن يشدّ على حنجرته حين القراءة فيما كان صوته ناعمًا ورقيقًا. قلت له:

- إذا ما بُثَّ صوتك عبر مكبّر الصوت، لخلا المعسكر دفعة واحدة.

- حقًّا... لهذه الدرجة صوتي سيّئ؟

- ألا تعلم؟... سجّله لمرّة واحدة، واستمع بنفسك لتدرك ماذا تفعل![1]

أصبح «رضا أنصاري» «رضا الصبّاغ». كان يصبغ وحده وأحيانًا بمساعدة «مهدي كبيرزاده»، 30 زوجًا من الأحذية العسكرية بكلّ جَلَد. وإذا ما استغرق كلّ زوج دقيقة ونصف دقيقة من الوقت، لاحتاج إلى ساعة ونصف ليعيد هذه الأحذية جديدة.

بعد انتهاء العمل، يصبح شكل «رضا» لافتًا، فيصبح ذلك الوجه الأبيض الزنجاني بلون الفحم، كما وجوه أصحاب البشرة الداكنة.

كان «رضا» خبيرًا في الصباغة. في البداية ينظّف الحذاء بمنديل جاف ليزيل التراب والغبار عنه، ومن ثم يدهن الصباغ عليه بأصابعه أو بفرشاة صغيرة حتى يمتصّه الجلد، وبعد 5 أو 6 دقائق، يمسحه بفرشاة كبيرة ليصبح برّاقًا.

كنت و«رضا» زملاء دراسة تقريبًا. أنا في التاسع الأساسي، فيما هو قد أنهى هذه المرحلة للتوّ لينتقل إلى المرحلة الثانوية. كنت أكبر منه بعامين ومتأخرًا عنه بصف واحد. كنّا عندما نتحدّث عن اختيار

1 - حمل مزاحي هذا على محمل الجدّ وقام بهذا الأمر. في آخر إجازة، سجّل صوته مع مارش وتقليد صوت إطلاق رصاص.

اختصاصنا، نتفق على رأي واحد وهو متابعة الدراسة في مجال العلوم الإنسانية. تميّز «رضا» بطبعه الهادئ ورقّة قلبه. ربّما لهذا السبب عمل مساعد مسعف، فهو لم يكن يتحمّل رؤية أحدهم يتألم. عمل مساعد المسعف عمل مضن، ليس فيه حماسة ولا إطلاق نار. كان «رضا» يفتخر ومن دون أي ادّعاء، بصباغته لأحذية الشباب العسكرية.

في أحد الأيام ذهبت و«رضا أنصاري» إلى «أنديمشك ودزفول». قمنا بجولة في المدينة ثم ذهبنا إلى سوق للفواكه والخضار. عندما وقع نظري على الخضار اشتهيتها بشكل غريب. فمطبخ الفرقة لم يقدّم لنا حتى ذلك الحين شيئًا منها مع الطعام. أحيانًا كانوا يقدّمون التفاح أو البرتقال. سألت عن سعر الخضار التي بقيت منذ الصباح ولم تجد لها مشتريًا، وكان البائع يريد إغلاق المحل والمغادرة. أردت شراء بضع رزم لا أكثر، لكنّه قال لي إن أخذتَها كلّها أحتسبها بنصف قيمتها:

- أعطني 20 تومانًا وخذها كلّها.

20 تومانًا تعني كل ما معي من مال، قلتُ في نفسي: لا أحد يعلم أين سأكون في الأسبوع القادم؛ وعليه؛ ربّما لن يفيدني المال حينها.

عارضني رضا قائلاً:

- كيف سنأخذ كلّ هذه الخضروات معنا؟ إنّها 30 كلغ...

- عزيزي رضا، أنا وأنت سوف ننقل الجرحى ليلة العمليات إلى هذه الناحية وتلك، لا تستدعي الثلاثون كيلوغرامًا كلّ هذا «النقّ»!

أعطانا البائع كيسًا لنضع فيه الخضروات. ملأنا الكيس، وحملناه إلى شارع المدينة الرئيس. لحسن حظّنا، وصلت سيارة كتيبتنا وتوقفت عندما رأت وجوهنا المألوفة. وصلنا إلى خيام الفصيل الأول بعد ساعة. بالطبع قبل أن ننزل، أعطينا السائق أجرته رزمة من البقل

والريحان والفجل، مع أنّه لا حاجة لذلك.

عندما رأى مسؤول الفصيل ذلك الكيس المليء بالخضروات تعجّب في البداية، ثم ضحك وشكرنا. مددنا «شرشف السفرة»، وجلس جميع الشباب لتنظيف الخضار. كان للعشاء ذلك اليوم نكهة أخرى أضفتها هذه الخضروات. تذكر جميع الشباب بيوتهم وموائد أمهاتهم. أعطينا سائر الفصائل بعضًا من الخضروات المغسولة، وبقي لنا منها ما يكفي لغداء اليوم التالي. كم كان لخضروات العشرين تومانًا من بركة، ربّما سبب ذلك أنّ الشباب نظفوها مع ذكر الصلاة على محمد وآل محمد.

تحوّل عملنا هذا إلى سنّة، طبّقتها الفصائل الأخرى في الأيام والأسابيع التالية، وتشهد على ذلك مخلّفات الخضار في نفايات الكتيبة.

في إحدى المرّات، طوينا مسافة 35 كلم من مقر الكتيبة إلى جسر «كرخه» حيث «المحطّة الصلواتية»[1] على طريق «انديمشك-دهلران» ذهابًا وإيابًا، كنّا بكامل تجهيزاتنا وقد استغرق الأمر 15 ساعة. عندما وصلنا إلى خيام الكتيبة ظننّا أنّ الأمر قد انتهى، لكنّ مسؤول السرية أعلن عن اجتماع في حسينية الكتيبة. في تلك الليلة، تدرّبنا على السهر. تناولنا طعام العشاء وصلينا الفريضة، لكنّ أحدًا لم ينم. قال مسؤول السرية فيما يخصّ هذا الأمر:

- إذا لم تتعودوا على السهر في الليل، سوف يأتي العراقيون ويقطعون آذانكم ويقدمونها هدايا لقادتهم!

1 - المحطة الصلواتية هي محطة تُنصب عند مفارق الطرق في أيام محرّم الحرام، تُقدّم فيها العصائر والشاي والماء وأمور أخرى، ويُطلب من المنتفع منها إطلاق الصلوات محمد وآل محمد.

عشنـا في الجبهـة الجوع والعطش والتعـب، وأضف إلى ذلك سهر الليـالي. لقد تحمّلنـا وتقبّلنـا كلّ الصعاب. كان الطعـام عند الظهر والمساء قليـلاً ، أما طعام الفطور، فكان في أغلب الأوقات خبز «لواش» (المرقوق) وقطعـة صغيرة من الجبن. ربّما تناولنـا المربّى مع الزبدة مرّة كلّ عشرة أيام.

في أحـد الأيام، تناولنا على الفطـور الزبدة والمربى. وضعنا المربّى داخـل وعاء ليأكل منه عـدد من الأفراد. ما إن تناولـت اللقمة الأولى حتـى راودني شعـور غريب؛ يختلف هـذا المربى عن غـيره. دققت في نكهـة اللقمة الثانيـة أكثر. أما اللقمـة الثالثة فأكلتها بعـد أن شممت رائحتها... ولم أعـد أحتمل أكثر. تركت السفرة وتوجهت نحو مسؤول الدعم في الفصيـل لأرى مرطبان المربى. كان مرطبانًا زجاجيًّا كبيرًا مـن مربى الجزر وفيـه القليل من اللوز والفستـق المبشور، وتفوح منه رائحة الزعفران وماء الورد: إنّها رائحة مربى منزلنا. ولقد كتب على المرطبان: «تقدمة من مدرسة أنصار الإمام الخميني، منطقة التعليم والتربيـة 13». ذهبـت إلى تجهيـزات السريـة، فوجدت هـذه العبارة مكتوبة أيضًـا على صندوق الكارتون الكبير. لقـد دفعني هذا الفطور الذي كان بنكهة منزلنا، إلى التفكر.

بالقـرب من خيمة الفصيل الأول كانت توجد حفرة شبيهة بالقبر، يتعبّـد فيها بعض الشباب ليلًا. أنـا أيضًا في إحـدى الليالي أمضيت بضـع ساعات فيها. هنـاك تشعر باللذة كما الخـوف؛ لذة القرب من الله والخـوف من المجهـول. لم أكن قد جرّبت هذا الشعور الجميل من قبـل. كنت فقط قـد رأيتهم يضعون الأجسـاد في القبر. وعندما نمت فيه، خفت من أن ينسدّ بابه وأبقى حبيس التراب.

في صبـاح اليـوم التالي، قـرّرت و«أمـير عباس» أن نلتقـط صورة

القبر. نزل هو إلى داخل الحفرة وغطّى جسده بقطعة من المشمّع. كان برفقتنا أيضًا «محمد أمين شيرازي». جلس عند حافّة القبر، والتقط صورة له ولأمير. كان ذلك أغرب شيء نصوّره حتى ذلك الحين[1].

في المعسكر، كان كل فصيل يحلّ ضيفًا على الفصيل الآخر، الأمر الذي وطّد العلاقات بين الفصائل، وجعل الشباب يتعرّفون إلى بعضهم البعض، ويحفظون أصوات بعضهم البعض ووجوههم بنحو أفضل، ما يحول دون الوقوع في مشاكل أمنية ليلة العمليات. كان قادة الكتيبة الكبار يحضرون أيضًا الجلسات، ويروون للشباب تجاربهم في العمليات.

في ذلك اليوم اغتنمت الفرصة لأتحدّث إلى مسؤول الفصيل. فقلت له:

– ليتني التحقت بالجبهة في وقت أبكر. ليتني زوّرت صورة هويتي. أتحسّر على تلك الأيام التي انقضت ولم أشهدها. ليتني شاركت في عمليات «والفجر 4». ليتني...

قال «محسن كلستاني»:

– تكون السمكة طازجة عندما تصطادها من الماء. إذا عرفت أنت قيمة هذه الأيام والليالي واستفدت منها وحفظت ذكراها في عقلك وقلبك، فسوف تنتفع كثيرًا منها ولن تتأسف عليها...

عُرِف الفصيل الأول بـ«روضة الأطفال». كان أفراد الفصائل الأخرى يمزحون معنا دائمًا بهذا الكلام.

1 - بعد شهادة أمير عباس، أخبرت والده وأخته بذلك. لو لم تكن الصورة موجودة ربّما لم يصدّقوا أنّه جرّب النوم في القبر. في آخر إجازة لنا، ذهبنا معًا إلى «بهشت زهرا». نام هناك في أحد القبور، وقام بتلقين نفسه؛ اسمع، افهم يا أمير عباس رحيمي، يا بن عباس...

في إحدى المرّات، عندما كان عدد من القادة مجتمعين في خيمة فصيلنا ودخلتُ أنا، قال لي أحدهم:

– حميد، لماذا رافقت هؤلاء الصغار؟ هل أصبح هؤلاء الأقزام مقاتلين؟ لا يوجد في تجهيزات الفرقة ملابس وأحذية مناسبة لهم...

أجبته قاصدًا المزاح والجدّ في آن:

– على العناصر القدامى في الجبهة أن يتعلّموا الرجولة من هؤلاء الصغار... لقد جئتُ إلى المكان المناسب.

ضحكنا جميعًا.

في أحد الأيام، سرَت في الكتيبة شائعة تقول إنّه لا ينبغي للمجاهدين اليافعين أن يخدموا في كتائب الاقتحام وعليهم أن ينهوا خدمتهم ويلتحقوا بكتائب ووحدات الدعم. تسببت هذه الشائعة بثورة، لكنّها لحسن الحظّ بقيت في إطار الشائعة ولم تُطبّق عمليًّا.

كان أحد الشباب في الفصيل الأول يملك مذياعًا صغيرًا يعمل بواسطة بطاريات AA. بالطبع كان «إعلام الكتيبة» يبثّ يوميًّا أخبار الساعة الثانية في الساحة عبر مكبّرات الصوت، لكن الشباب في بعض الأحيان كانوا يفضّلون الاستماع إلى برامج إذاعية أخرى. تعطّل هذا المذياع مرّات عدّة، وكان «أمير عباس» يعيد إليه الحياة ويصلحه بالأدوات البسيطة التي يملكها. وكلّما كان صوت المذياع يبدأ بالخشخشة، يقول الشباب أعطوه لمهندس الفصيل.

كان في الفصيل الأول أيضًا حلّاق؛ هو «سعيد بوركريم». تعرّفت إليه في العام 1984م وخدم معي في كردستان. كما التقيته في بعثة آذار أو ربّما نيسان من عام 1985م. التحق حينها بالسريّة الأولى وأنا بالسرية الثانية. في «كرخه» اجتمعنا معًا في سرية واحدة وفصيل

واحـد ومجموعـة واحدة. كان رامـي «آر بي جـي» في المجموعة الأولى ومعه ثلاثـة مساعديـن. أحضر قـادة الكتيبة لحـلّاق الكتيبة أدوات الحلاقـة من طهـران: ماكينـة حلاقة يدويـة، مشط، مقصّ، مئزر وفرشاة، فحلّاق الفصيل لم يكن يملك سوى مقصّ، كان لمسعفينا.

كان «سعيـد بوركريم» كالكثير مـن الشباب، مخلصًـا ومتواضعًا. فإضافـة إلى الحلاقـة، كان خـادمَ الفصيـل الأول، ويغسـل الأطباق المتّسخة في أغلب الأوقات. أراد بأيّ طريقة أن يخدم الشباب.

في أحـد الأيام أصررت على مسؤول الفصيـل لأغسل الأطباق بعد طعام الغداء والعشاء. وافق الأخ «كلستاني» وقال لـ«بوركريم»:

– سيساعدك رمضاني اليوم.

قال منزعجًا:

– الأطباق نصيبي دومًا، ولا يستحقّ هذا العمل أن يساعدني فيه أحد.

قلت لـ«بور كريم»:

– أردت أن أقـوم بعمـل ما لمرّة واحـدة بعد أسابيـع وشهور، وأنت لا تسمـح بذلك؟ يجـب أن أحصل اليوم على بعض الأجر والثواب. لا يصحّ أن يكون الأجر كلّه لك.

قَبِـل حلّاق الفصيل وخادمه أن أساعده في ذلك اليوم. بالطبع قام هو بالعمل الصعب؛ نظّف الأواني بالماء والصابون، وأنا غسلتها بالماء.

في أحـد الأيام، عندما ذهبت إلى المدينـة في إجازة، طلب مني أن أشـتري له الشوكولا وأعطاني ثمنها. اشتريتهـا من «دزفول» وسلمتها لـه. بعد بضعة أيام، ألححت عليه ليخبرني كيف وجد مذاقها. عندما ماطـل في الإجابة أدركت أنّ لهذه الشوكولا لغزًا وقصة ما، وعرفت في النهايـة أنّه لم يطلبها لنفسه بل لغيره؛ ربّمـا لـ«أكبر مدني» الذي كان

مساعده وتجمعهما صداقة حميمة.

سألته: «لِمَ لم تشترِ اثنتين واحدة لك والثانية لغيرك».

قال: «أساسًا أنا لا أرغب بالشوكولا. وإذا ما أطلقت العنان لنفسي بأكل الشوكولا فلن أتمكن من وضع حدٍّ لذلك. كانت تلك الواحدة كافية».

- الآن وقد جرى ما جرى، ستكون ضيفي في المرّة القادمة... أنا سأشتري لك الشوكولا.

- إذا أردت أن تشتري فاشترِ ثلاثين قطعة... لا أقبل بواحدة.

- تعني لجميع أفراد الفصيل؟

سألته هذا السؤال، ولم أتابع مسألة الشوكولا لأنّني صرفت أكثر مالي على الخضروات.

في أواسط كانون الثاني، أخذنا إجازة لمدّة أسبوع. وصلنا صباح يوم الجمعة إلى طهران، ذهب البعض مباشرة من محطة القطار لأداء صلاة الجمعة، أما أنا فتوجهت إلى المنزل.

عندما وصلت إلى بيتنا، وجدت مائدة الفطور لا تزال ممدودة. تذكّرت عند رؤيتها مربّى الجزر وأخبرت أمي بما جرى. فكّرتُ قليلًا وتذكرتُ ما حصل:

- لقد فهمتَ الموضوع جيّدًا.. طلب مني شباب المدرسة في المحلّة أن أساعدهم في إعداد مربى الجزر. اشتروا الجزر وقطعوه، وطبخته أنا في القدر.. وعندما قمت بتعبئة المربى، تذكرتكَ كثيرًا وقلت ليت ابني معي يأكل من هذا المربى.

قلت: «أمي العزيزة، لقد استجاب الله دعاءك.. كم كان لذيذًا ذلك المربى!».

قالت: «ولدي العزيز، أنت كل ما أملك في هذه الحياة... هل يمكن أن تقوم أمٌّ بإعداد الطعام ولا تتذكر أبناءها؟».

تحقّقت أمنية والدتي بسهولة، وأنا الذي كنت أتصور أنّني أصنع المفاخر عندما أقرأ بعض الأدعية من مفاتيح الجنان في الجبهة. لقد أدركت خطأي هذا. إنّ أبي وأمي أكثر تديّنًا وأكثر قربًا إلى الله منّي.

عندما انتهت إجازتي، أعطتني أمي صندوقين فيهما ثلاثون أو أربعون «مرطبان كبيس» لأسلّمهم للمجاهدين. لقد جاءت لوداعي عند محطة القطار. أخذ «مسعود أهري» أحد الصندوقين منها ليوصله إلى داخل المحطّة. كان لتناول الكبيس في الشتاء لذّة خاصّة. وزّع الأخ «كلستاني» الكبيس على الفصائل، ووصل لكلّ فصيل حصة. في المرّة السابقة أضفى المربّى الذي أعدّته أمي رونقًا خاصًّا إلى فطورنا، والآن ميّز الكبيس الذي أعدّته لنا طعام الغداء والعشاء.

في أحد الأيام، ذهبت ورضا إلى خيمة الإسعاف نبحث عن حمّالة تكون قبضتها جيّدة. وجدنا 10 أو 15 حمّالة. بحثنا قليلًا، أشار «رضا» إلى واحدة وقال:

- إنّها عراقية...

حملتُها، كانت خفيفة ومريحة. وكان سطحها مصنوعًا من البلاستيك ولا يمتصّ الدم. لو كان من القماش المشمّع، لصارت ثقيلة بسبب الرطوبة.

خرجنا من خيمة الإسعاف. قلت للأخ «كلستاني» إنّنا وجدنا حمّالة جيّدة. طلب منّا إيجاد واحدة مثلها. عدنا إلى الخيمة، بحثنا كثيرًا ولم نجد أيّ واحدة أخرى. أشار إلينا الأخ «كلستاني» أن نعطيها للشيخ «رحيمي». أعطيناه إياها، وأخذنا بدلًا منها حمّالة ثقيلة. قال رضا:

– عندما نذهب لتنفيذ العمليات، سنقترض من العراقيين واحدة! بالقوة سنقترضها!

– أخ رضا، المهم أن يشاء الله، ونذهب لتنفيذ العمليات...

في أحد الأيام ذهبنا إلى ميدان الرماية، وحيث كنت ورضا مسعفين، أخذنا معنا الحمّالة. قال لنا الإخوة ممازحين: «إن هاجمكم العراقيون، اضربوهم بالحمّالة على رؤوسهم». بالطبع قمنا نحن المنقذين بتفريغ مخزن رصاص لنتعلم إطلاق النار، لكن باستخدام بنادق الآخرين.

بعد كلّ هذه المدّة، أدركت بأنّ الأخ الأكبر لـ«رضا أنصاري» شهيد. رأيته يكتب رسالة، وإذ به عندما حدّد عنوان المرسِل والمرسَل إليه يكتب: «زقاق الشهيد علي أنصاري». سألته عن ذلك فأجاب: «لقد استشهد علي في عمليات تحرير خرمشهر».

في الأيام الأخيرة لوجودنا في «كرخه»، قدّموا لنا مرات عدّة، البرتقال مع طعام الغداء. راح «رضا» يقشّر البرتقال بكل صبر وأناة ويقطعه ويستلذّ بتناوله. قال:

– في إحدى المرات أكلت كيلوغرامًا من البرتقال. لو كان هناك أربعة أنواع من الفاكهة لقضيت على البرتقال أولًا ثم أكلتُ باقي الفاكهة.

راج عمل «رضا الصباغ». لقد وجد لنفسه عملًا جيّدًا ملأ به كل وقت فراغه. ولأنّ أحذية الشباب العسكرية كانت دائمًا بحاجة للصباغة، فقد صار يحمل معه عدة الصباغة إلى أيّ معسكر ذهب.

كتب أغلب الإخوة وصاياهم في معسكر «كرخه»، وكذلك أنا، وسلّمنا أغراضنا الشخصية لـ«تعاون» الكتيبة. وكانت قد وصلت إلى مقرّ

الكتيبــة شاحنة لنقل الحقائب، وقد جُهّــزت ببراد لنقل اللحوم تمويهًا حتى لا يرتاب أحد بالأمر. علّقنا مازحين: «شاحنة لحم شباب البلد».

وضعــت وصيتــي في الحقيبة، إضافــة إلى كتابي ودفــتري وأشياء أخرى، واحتفظت معي فقط بخاتم، ومحفظة المال وفيها بعض الأوراق النقديــة الصغـيرة، كما حملت معــي السبحة وسجــادّة الصلاة التي أهدانيها «أمير عباس رحيمي».

في ذلــك اليوم، تحدّثنا مع مسؤول الفصيل وتمازحنا حول موضوع الشهادة. بالطبــع تحقّق بعض المزاح وصار جِدًّا. لقد أخبرنا «محسن كلستــاني» أنّــه سيستشهــد، لكنّنــي قلت له: «أنــا لن أستشهــد... لن أستشهد في الهجوم المرتقب».

– لماذا أنت واثق إلى هذا الحدّ أخ رمضاني؟

– أمــي... أمي تحبني كثيرًا، وكذلك أنا. ودعاء الأمّ مستجاب. إذا دعت لي فسأستشهد حتمًا، وإن لم تفعل فلن يكون ذلك.

عندما قلت ما قلت، علّق مازحًا أو جادًّا:

– لن تستشهد، لكن ستصاب بشظية لن تتمكن معها من القيام!

انتهى حديثنا بالضحك.

في آخر ليلة أربعاء قضيناه في «كرخة»، أقمنا مراسم دعاء التوسل في خيمــة الفصيــل، وقرأ كلّ فقــرة من فقرات الدعــاء الأربع عشرة، أربعــة عشر مجاهــدًا استشهدوا جميعًا: «أمــير عباس رحيمي، سعيد بور كريم، أكبر مدني، محسن كلستاني و...» لم أقرأ دعاء التوسل تلك الليلــة لا أنــا ولا «رضا أنصاري»، لكن بعد سنــة، التحق «رضا» بقافلة أصدقائه الشهداء.

ذهبنــا مــن معسكــر «كرخــه» إلى «كارون». لقــد تمّ إخفــاء خيام

المعسكر الجديد بين بساتين النخيل. وهناك، قمنا بمناورة للتدرّب على مواجهة الهجوم بالسلاح الكيميائي. كانت مناورة على مستوى الكتيبة، وبكامل التجهيزات العسكرية. ارتدينا السترات الواقية من المطر، ووضعنا القناع الواقي على وجوهنا. مشينا على هذه الحالة حوالي 10–15 كلم، وعبرنا ثلاثة سواتر ترابية. عند الساتر الترابي الثالث انقطع نفس الجميع. حتى مسؤول الفصيل انخطف لون وجهه. لقد كان «محسن كلستاني» جريح حرب.

قال «سيروس مهدي بور» الواقف أمامي مباشرة:

- لقد تضخّمت رئاتنا... احبس نفسك تصبح حالك أفضل.

فعلت، لكن لم يتحسن الوضع. لم أستطع حبس نفسي لأكثر من دقيقة، وكدت أموت بسبب ضيق التنفس.

في كارون، أصدر مسؤول الكتيبة أمرًا بوجوب تقصير الجميع شعور رؤوسهم ولحاهم الطويلة. مع هذا الأمر، ازدهر عمل حلاق الفصيل. منذ أن كثرت الحملات العراقية بالسلاح الكيميائي كَثُر عمل الحلاقين أيضًا. توجّب على معظم شباب الفصيل الأول حلاقة شعورهم. الشخص الوحيد في الفصيل الذي كانت لحيته طويلة هو الشيخ رحيمي -وهو منقذ في المجموعة الثانية- وقد عمل بهذا القرار أيضًا.

في هذا المعسكر، إذا ما كتب أيّ شخص رسالة لا تُرسل إلى أهله، لكنّهم كانوا يُسلّمون الرسائل المرسلة منهم إلينا. وصلني وأمير عباس رسالتان. كانت رسالتي من أخي. كنت وأمير عباس نقرأ رسائلنا دائمًا بصوت مرتفع. أعجبت رسالة أخي «أمير عباس» كثيرًا لأنّها كانت مثل مقالات الجرائد. إضافة إلى دعواته لنصر المجاهدين الإيرانيين، فقد ذكر أخي في رسالته الحركات التحرّرية في العالم واحدة واحدة:

فلسطين، أريتريا، فيليبين، كوبا و... أما «أمير عباس» الذي كان متكئًا على نخلة قرب النهر، فقد قرأ رسالته على عجل ومن دون تدقيق ومزّقها ورماها في الماء. على الرغم من صغر سنّه كان لديه الكثير من المشاكل يتحدّث عنها متى شاء، ولم أكن أسأله شيئًا عنها.

في مناورة أخرى حملت اسم «احتلال الجسر»[1]، تبلل الكثير من الشباب بالماء وغطاهم الوحل من رؤوسهم إلى أخمص أقدامهم. نُفذّت المناورة بالزوارق في نهر كارون، وقد ارتدى الجميع سترات النجاة. كان علينا احتلال رأس جسر ساحلي في ضفة العدو المفترض لإنزال القوات. كان ساحل كارون موحلًا بحيث تنزلق عليه الأحذية العسكرية. لقد عانى الشباب من المشاكل عند ركوبهم الزوارق ونزولهم المتكرر منها، وقد ساعدتُ من علق في الوحل بواسطة الحمالة. استمرّت المناورة ساعات عدّة، وأغنت تجاربنا أكثر.

بعد المناورة بدأ عمل الصباغة. فقد تضاعف وزن كل فردة حذاء عسكري لكثرة ما علق عليها من وحول. كان رضا بحاجة إلى عدد من قطع القماش الجافة فأحضرتها له، وقد ساعده «مهدي كبير زاده» في عمله ولم يكن ثمّة حاجة إلي.

نفّذنا عددًا من المناورات أيضًا على مستوى السرية والفصيل. في إحدى مناورات الفصيل، اصطدمنا بين الأعشاب والقصب بخنزير كبير الخطم، هجم فجأة وسط الطابور حيث كنت. بادر «سيروس مهدي بور» إلى العمل قبلي، أخذ مني الحمالة وضرب بها خطم الخنزير الذي أوشك أن يعضّ قدم أحد الشباب. قلت في نفسي يكفي أن نضرب رأس العراقيين بهذه الحمالة. في هذه الأجواء، تذكر أمير

1 - القيام بإنزال برمائي قرب ضفة العدوّ لتأمين نقطة انطلاق آمنة للقوات.

عباس خنزير مهران، فراح يزهو بالشجاعة.

في أحد الأيام جاء إليّ «محمد جواد نصيري بور» -وهو في المجموعة الثانية في الفصيل- وكنت كالعادة جالسًا و«أمير عباس» في الخيمة. كان يحمل بيده دفترًا صغيرًا. قلب عدة أوراق حتى وصل إلى واحدة بيضاء، وطلب منّي ومن أمير أن نكتب له شيئًا للذكرى. انشغلت وأمير عباس بالمجاملة؛ أنت اكتب، بل أنت اكتب. بدأت أنا بالكتابة بعد إصراره على ذلك كوني أكبر منه بسنتين.

«باسمه تعالى. السلام على إمام الزمان عجل الله فرجه وإمام الأمة وأمة الإمام. أرجو من جميع الذين يقرأون ما أخطّ، أن يكونوا أتباعًا للإمام، وأن لا يقصّروا في الجهاد رغم ما فيه من صعاب. لا تدعوا نور الحسين عليه السلام يخمد في وجودكم. مع أمنياتي بنصر مجاهدي الإسلام وطول عمر الإمام. 1986/3/5. حميد رضا رمضاني».

قرأ أمير عباس ما كتبت، وقرأت ما كتبه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. ساعة بعد ساعة، يقترب وقت العمليات، وينقبض قلبي في كل لحظة أكثر فأكثر. لا رجاء لي سوى رحمة الله وفضله. أنا أسعى لأحفظ وجوه الشباب، فهذه الليلة هي الليلة الأخيرة. ربّما لن نراهم ثانية مجتمعين وسعداء وسالمين. إنّ قلبي يتألم. لكن أيّ كلام يعبّر عما يختلج داخل هذا القلب ويبلسم جرحه. العيون، بحر الدموع العاشقة: مولاي حسين، أين أنت؛ المرقد وكربلاء هما حجّة وذريعة. أمير عباس رحيمي. 1956/3/5».

كان «نصير بور» مساعد رامي «آر بي جي»، وشابًّا منظّمًا في الفصيل. عندما أخذ منا الدفتر سألَنا عن تاريخ ميلادنا وسجّله أعلى الصفحة التي كتبنا عليها المذكرات، مع المهمة الموكلة إلينا حينها.

كانت صفحتي في مقابل صفحة «أمير عباس».

في أحد الأيام، كان مسؤول الفصيل جالسًا وحيدًا خارج الخيمة. يحمل التراب بيده ويقبضها، ثم يفتح أصابعه بهدوء وروية ليتساقط التراب الرملي أرضًا. اغتنمت الفرصة وسألته:

– ماذا ترى أخ محسن؟

قال:

– تراب الجبهة هذا مقدس، مبارك.. يجب السجود عليه، تمامًا كما تراب كربلاء[1].

قبل مغادرتنا «كارون»، أخبرني «أمير عباس» بقصة الرسالة التي مزقها. قال إنّ أخته الأكبر منه قد تزوجت قبل فترة، وطلبوا منه الآن أن يتزوج ويبنيَ حياته المستقلّة، ولم يكن قد أنهى بعدُ السنة الرابعة في المعهد الفني. كان يعشق الجبهة والمجاهدين ولا يفكر في شيء سواهم.

وصلنا إلى مرحلة توزيع العتاد والحصص الغذائية. وبما أنّني لم أكن أملك سلاحًا أخذت بضع قنابل فقط، لأنّ حقيبتي يجب أن تبقى خفيفة كي أستطيع حمل الجرحى. كانت الحصة الغذائية عبارة عن الشوكولا الجافة التي تزوّد الجسم بالقوة والطاقة، الفاكهة المعلبة، البسكويت والقليل من الخبز اليابس الذي يشبه الخبز المحلي. وضعت القليل منه في فمي، لا بدّ من ترطيبه في الفم ليمكن مضغه، ولو مضغته بسرعة لجُرح فمي.

كان «أمير عباس» يحمل سلاحًا مع أنّه عنصر إشارة في الفصيل. يُتقن عناصر الإشارة في الفصائل عملهم، ويظلّون مستعدين لتقديم

1 - في تلك الأيام، صنع المجاهدون من تراب الجبهة سجدات لهم، واستمرّ هذا العمل بعد الحرب.

العـون لعناصر الإشارة في السرية في حال تعرّضهم لأيّ حدث. أما في الظروف العادية فيكونون قنّاصين.

كان «أمـير عباسـ» يملـك عُصابة خضـراء اللون مكتـوب عليها: «نحـو الحرم الحسينـي». كما كان يحمل سكينًا صغـيرًا يستخدمه في فتـح علب الفواكه والأغذية المعلّبة وغير ذلك من الأعمال، إضافة إلى قطعـة من الكحول الجامد التي يمكن بواسطتها غليَ إبريق صغير من الميـاه، أو إضـاءة دشمة صغـيرة مظلمة لمدّة معينـة. كان يحمل أيضًا قلم رصاصـ مبريًّا من الطرفين، وهو أداة ضرورية لعناصر الإشارة، فرشاة صغيرة يرتّب بها شعره الكستنائي، وأدوات الإسعاف كاللصاق والضمادة.

أحيانًـا كنت أجلسـ إلى جانبه وأنظر إليه. لا تـزال تلك الخصال والحركات في ذاكرتي رغم مرور الزمن. أنظر إليه وينقبض قلبي حين أفكر ماذا سيحلّ به.

غادرنا المعسكر في يوم غائم. كانوا قد أحضروا شاحنة مغطاة من الخلـف لنقلنا. ركبنـا فيها وتوجهنا في عتمة الليـل نحو «بهمن شير». على ضفة النهر، وفي بساتـين النخيل والبيوتات القروية، وصلنا الليل بالصباح، وأي وصال! كثيرون لم يتمكنوا من النوم. فمنطقة العمليات تبعد 30–40 كلم عنّا، وأصوات إطلاق النار والانفجارات ظلّت تتناهى إلى مسامعنا طوال الليل.

مع حلول النهار، اختلست النظر إلى غرف ذلك البيت القروي. كنت وحيـدًا. كانت الأوامر قد صدرت بمنع تجوالنا في الساحات المكشوفة، لكنّهـم لم يمنعـوا تجوالنا في الغرف. وجدت المنـزل خاليًا تقريبًا من الأثاث. فوق أحد الرفوف رأيت دفترًا مدرسيًّا فتصفّحته. كما وجدت قوسًـا وسهمًا مصنوعـين يدويًّا معلّقين بمسمـار إلى الحائط: القوس

مصنوع من خشبتين وقطعة من الكاوتشوك الداخلي لعجلة السيارة. وضعت حصاة داخل ثنية الكاوتشوك وشددته في مقابل الحائط. أعجبتني متانته. في تلك اللحظة، دخل الغرفة مسؤول الفصيل. أمسك القوس والسهم، دقق فيه جيّدًا وقال: «إنه متقن...».

كان قد شدّ القوس والسهم إلى حده الأقصى حين فتح أخوه «حسين» باب الغرفة، الذي ما إن رأى المشهد حتى أغلق الباب وانسحب فورًا. سألته:

- لماذا حصل هذا أخ كلستاني؟ أين ذهب حسين؟ لم يسلّم حتى وأغلق الباب وذهب...

- كنت وحسين نلعب معًا، وقد جرحته مرّات عدة. في إحدى المرات دخل الغرفة كما الآن فصوّبت على قدمه ببندقية «خردق» فتمزّق جلده ولحمه وبدأ ينزف. منذ ذلك اليوم صار حسين يحمل مزاحي على محمل الجدّ. ولو كنت مكانه لفعلت الأمر ذاته.

في ذلك اليوم قدّموا لنا الدجاج بالأرز على الغداء، وفي الليل، الليلة الثانية للعمليات، تقرّر أن تقتحم فرقة الرسول ﷺ[1] خطّ العدو.

بعد الظهر، وفي الساحة نفسها لذلك البيت القروي، قام القادة الكبار بشرح منطقة العمليات للعناصر. كانت المرّة الأولى التي نسمع فيها باسم «الفاو». اقتضت الخطة أن تنفّذ كتائب الفرقة عملياتها في جادّة «أم القصر-الفاو».

عند الغروب، ركبنا الشاحنات. كانت العمليات قد بدأت ولم يعد ثمّة حاجة للاستتار والعمل السري. استطعنا أن نرى من أين ننطلق وإلى أين نذهب. أثناء الانتقال السابق من منطقة إلى أخرى، لم يكن

1- فرقة: 27 محمد رسول الله ﷺ.

مسموحًا لأحد بالتكلم بصوت مرتفع، لأنهم وضعوا على الشاحنة لافتة مكتوبًا عليها: «هدايا إلى المجاهدين». لم تعد الضوضاء أمرًا هامًّا هذه المرة. ارتفعت الأصوات والنيران من نقطتين حدوديّتين؛ إحداهما جزيرة أم الرصاص القريبة من آبادان حيث كانت العمليات الهائية، والأخرى في الفاو.

من الأمور اللافتة أيضًا هي صداقة «سيروس مهدي بور» و«سهيل مولايي». ربّما كان «سهيل» أصغر فرد في الفصيل الأول وآخر تلميذ التحق به، وكانت مهمته عنصرًا من عناصر التجهيزات. لم يكن قد خضع لتدريبات عسكرية، ولم يشارك في أيّ من العمليات السابقة. لاحظت أنّ «سيروس مهدي بور» يوليه محبّة خاصة. سألته عن السبب فقال:

– في عمليات بدر، كان لديّ صديق عزيز في نفس عمر سهيل ويشبهه أيضًا. طلب مني عدة مرات قبل العمليات إن أنا استشهدت فاسحب جسدي إلى الخلف. كرّر هذا مرارًا حتى وعدته بأن أفعل ذلك مع أنّ العمليات وتوقيتها لم يكونا محسومين بعد. خلاصة الأمر، نُفّذت العمليات، واستشهد هو وبقي جسده قرب دجلة.

– أخ مهدي بور، هذه هي الحرب. أنت لم تقصّر. لو استطعت لسحبت جسده حتمًا.

أخفض رأسه وقال:

– ربما كنت أستطيع... لا يزال وجهه أمام ناظريّ، وعندما رأيت «سهيل» شعرت وكأنّني رأيته هو.

طوال الطريق التي استمرّت لساعات، جلس «سهيل» و«سيروس» جنبًا إلى جنب وراحا يتبادلان الحديث. وصلنا إلى مكان رأينا فيه

زورقًا غارقًا في نهر كبير. كان نصفه في الماء ونصفه خارجه. قال سهيل لسيروس بكلّ محبة:

- انظر يا أخي... جمال هذا الزورق وهو ينام في الماء... وكأنّها لوحة فنية...

- أجل عزيزي سهيل، بستان النخيل والمياه والزورق، كلّ هذا رائع... وكأنّ المرء يحلم...

في الطريق، استأذن «أمير عباس» من مسؤول الفصيل وقرأ دعاء الفرج، وتابعنا معه نحن أيضًا. من جديد، أسعدَ أمير عباس المسافرين على الرغم من رداءة صوته ونفسه القصير. ولقد تلعثم مرّات عدة أيضًا، لكن لم يلحظ أحد ذلك مع صوت الشاحنة والانفجارات. كنت قربه، وبعد الدعاء بدأت المزاح فقلت له:

- لن تكون ضليعًا بكلّ الأمور! عنصر إشارة، مهندس، والآن مدّاح وقارئ دعاء في الفصيل.

أخذ نفسًا عميقًا وقال:

- يا عزيزي المنقذ! ستكون أنت ليلة العمليات عاطلًا من العمل ونحن سنتقدّم إلى الأمام. اجلس حينها والعب بالتراب!

وصلنا إلى عنابر «أروند كنار» أول الليل. كانت مستوعبات حديديّة متينة لكنّها ليست واسعة كفاية. اضطررنا لأن ننام جالسين. اتكأت وأمير أحدنا على الآخر ونمنا حتى الصباح، لكن لم نكن مرتاحين. فقد استقرّ قرابة الـ40-50 شخصًا في مساحة قدرها 30 مترًا مربعًا، واستيقظ الجميع في الصباح وركابهم تؤلمهم، لكنّ أحدًا لم يفكر في ركبته من شدّة حماسته وشوقه للعمليات.

إنّه الحادي عشر من شباط 1986م. كانت البرامج الخاصّة بذكرى

الانتصـار تُبـثّ عبر المذياع، وكذلـك مارش عمليـات «والفجر 8». في تلك الأثنـاء، سقطت مقاتلة عراقيّة أمام أعين الشباب. أمسك «أمير عباس» بكوفيّته وراح يلوّح بها في الهواء، رفـع «رضا أنصاري» صوته بالصلاة علـى محمد وآل محمد، وأخذ «سعيد بوركريم» يكبّر بصوت مرتفع، فيما تابع «أكبر مدني» سقوط الطائرة وطيارها بإصبعه.

تركنـا العنابر بعد الظهر. مشينا قرابـة النصف ساعة بالشاحنة حتى وصلنا المرفأ حيث ترجّلنا، وبقينا ننتظر قرب نهر كبير يصب في «أروند». كان المرفأ يعجّ بالقوات والقصف الجوي لا يتوقف. لم يكن في المرفـأ تجهيزات للركوب والنـزول، وكان عبارة عن منزل قرويٍ خربٍ تقفُ قربه الزوارق ليركب فيها الأفراد وينزلوا منها.

بقينـا هناك حـوالي الساعـة أو الساعتـين. غابـت الشمس خلف بساتـين النخيل، واستمرّ الهجوم الجـوي، لكن بوتيرة أقل. في النهاية وصـل الدور إلينـا وركبنا الـزوارق. ارتدينا سترات النجـاة، وأعطى شبـاب التجهيزات في الكتيبة كلًّا منّا علبة تونة. قال «رضا أنصاري»: «لولا العمليات لما وصل إلينا شيء من التونة».

ركـب في كلّ زورق أقـلّ من عشـرة شباب ليتوجـه السائق مباشرة نحـو الغرب. سقطت بعض القذائف والصواريخ حولنا لكنّنا لم نُصب بأي أذى. كان الساحل الغربي تمامًا كالساحل الشرقي. رست الزوارق قـرب جذع نخلة وضعوه لهذه الغاية، وما إن وصلنا حتى خلعنا سترات النجاة ونزلنا. صدر الأمر بعدم انفصال أحد عن الطابور لأنّ المنطقة لم تُطهّر بعد. على بعد مئات الأمتار تقع جادّة العراق الساحلية، وهي جـادّة معبّدة بشـكل جيد، وتتفرّع منهـا أزقّة متعـدّدة. كنّا في القسم الشرقي لمدينة «الفاو».

مع حلول الليل تموضعنا في بيت مهجور. أول عمل قام به «أمير عباس» هو تجواله في الغرف حيث وجد صاعقًا في إحداها. اختلف «حسن قابل أعلا» و«محمد عليان نجادي» وهما المخرّبان في الفصيل، حول المواد المتفجرة التي أُعِدّ لها هذا الصاعق. أعطى أمير عباس رأيه أيضًا، فأخذته جانبًا وقلت له:

- يا أخي، أنت مهندس كهرباء، ولستَ مهندس تخريب!

كان الجميع فضوليّين، ويريدون معرفة كلّ شيء، وإبداء رأيهم حول كلّ شيء.

تيمّمنا لأداء فريضتي المغرب والعشاء، لأنّ أوامر القيادة قضت بعدم استخدام مياه مطراتنا إلا للشرب. بعد الصلاة تناولنا طعام العشاء، ثم قرأنا دعاء التوسل. كانت ليلة الأربعاء. تلا «محسن كلستاني» في تلك الليلة أنشودة «الدشمة» التي يحبّها الكثير من المجاهدين. ردّدها محسن كثيرًا وفرح بها الشباب: [وترجمتها]:

«أيتها الدشمة، أيتها الدشمة

أيتها الدشمة، أيتها الدشمة، سأبقى هنا

ما لم أصل إلى كربلاء، سأبقى هنا

يا رفيقي، يا رفيقي سأبقى هنا

ما لم أصل إلى كربلاء، سأبقى هنا

لا تحزني يا أمّي على فراقي

لأنّ المهدي سيأتي لزيارتي

المهدي بن فاطمة سيعينني

ولأنّ المولى معي سأبقى هنا

أيتها الدشمة، أيتها الدشمة
إذا ذهبتُ يا أمي، إلى الملكوت يا أمي
إذا ذهبتُ يا أمي، نحو أحبائي
ذهابي يا أمي العزيزة يعني بقائي
أيتها الدشمة، أيتها الدشمة
يا قائد الفرقة، يا حامل راية الفرقة
إذا ذهبتُ يا أمي، أكون قد بقيتُ
أيتها الدشمة، أيتها الدشمة
لقد رحل أحبائي، زهور حديقتي
أصبحت غيمة بلا أمطار،
ذهب الأحبة وأنا أخشى البقاء
أيتها الدشمة، أيتها الدشمة».

كنا نستمع إلى الأنشودة ونكرّرها بالتزامن مع أصوات الرصاص والانفجارات القريبة والبعيدة.

في ليلة العمليات راودني شعور غريب اختلطت فيه مشاعر الخوف والأمل، وأفكار عن الموت والحياة، الله والشيطان. فقبل أن يحترق جسد الإنسان في نار الحرب، تُصقل روحه في النار. وخاصية النار هي أن تزيح الجلد جانبًا وتظهر الماهية. يستطيع الإنسان أن يختبر نفسه بالنار ويرى حقيقة ذاته.

بقينا في «الفاو» وفي ذلك المنزل المهجور حتى منتصف الليل. صادف أن وَجَدَ أحد الشباب بطانية، فجلسنا نحن السبعة أو الثمانية أفراد وغطينا أقدامنا بها.

وصلت الشاحنة، وصدر الأمر بالتحرك. في كل مرّة أكون أنا أول من يركب أو رضا أنصاري، ثم نأخذ الحمّالة ليركب الشخص التالي. ما هي إلّا دقائق، حتى ركب جميع الشباب في الشاحنة وانطلقنا. سارت مدّة ساعة ومصابيحها مطفأة حتى توقفت على بعد 10 كلم من «الفاو» ونزلنا منها. رأينا بوضوح نيران مخازن النفط الضخمة وعرفنا بالضبط موقع المدينة. تقع جادّة «الفاو–أم القصر» إلى الغرب –أو الشمال الغربي– من مدينة الفاو.

استقررنا خلف ساتر ترابي قريب من الجادّة. كان هواء السحر باردًا ينخر العظام. لم يستطع بعض الشباب النوم من الصقيع، وتمكنوا بطريقة وأخرى من اغتنام بطانية من الدشم العراقية.

كنت ورضا أنصاري معًا في دشمة هي عبارة عن حفرة بعمق متر ونصف المتر ومكشوفة السقف، تشبه حفرة الثعلب. جلسنا القرفصاء وبقينا حتى الصباح من دون غطاء نرتجف من البرد.

مع طلوع الصباح اشتدّت غزارة النيران. لم يكن الخطّ الأمامي لجادّة «الفاو–البصرة» الاستراتيجي يبعد عنا كثيرًا. ربما كيلومترًا واحدًا. جاء إلينا مسؤول الفصيل وقال:

– أخ رمضاني وأخ أنصاري أحضِرا الحمالة وتعالا.

مشينا خلف الأخ كلستاني. كان أحد شباب السريّة الثالثة قد أصيب وضمّد المسعف جراحه. لم أفهم لمَ لَمْ ينقله المنقذ في فصيله أو سريته، ولم نسأل الأخ كلستاني عن الأمَر أيضًا. أوصلنا ذلك الجريح الذي أصيب بشظية إلى أول جادّة «أم القصر»، مسافة لا تتعدّى المئتي متر، ثم عدنا إلى دشمتنا.

بعد ظهر الثاني عشر من شباط، نقلنا نقطة تموضعنا من الساتر

الترابي يمين الجادّة إلى الكتف الترابيّة من الجادّة، على مسافة 500م من الخطّ السابق. اشتدّت الاشتباكات في جادّة «البصرة» الاستراتيجية إلى حدها الأقصى، واستبسل الطرفان في القتال، أما جادّة «أم القصر» فكانت أكثر أمنًا وهدوءًا.

كانوا قد وضعوا جثمان شهيد قرب جادّة أم القصر لتنقله سيارة ما إلى الخلف. ذهب «أمير عباس» وقبّل وجهه، وكذلك فعل اثنان آخران[1].

كانت الأرض إلى يمين الجادة أكثر جفافًا من يسارها الذي يتصل بالخليج وبخور عبد الله الذي كان عبارة عن مستنقعات وطوفان للماء. إلى الجهة اليمنى للجادّة، نصبت صورة كبيرة لصدّام يمكن رؤيتها عن بعد مئة متر.

قبل الظهر، ناداني مسؤول الفصيل أنا والأخ مهدي بور. ذهبنا ثلاثتنا إلى مخزن تجهيزات عراقي. وجدنا المخزن مليئًا بالمعاطف والبطانيات الجديدة. نصف البطانيات كانت خضراء اللون، ونصفها الآخر مُخطّطًا باللونين الأخضر والأبيض. كما وجدنا الكثير من صناديق المعلبات، معلبات اللحم الأحمر أو اليخنة.

قام «سيروس مهدي بور» بجولة في قسم الدعم الطبي في المخزن، وفتش الصناديق واحدًا واحدًا، ثم أخذ بعض علب الدواء الخاصة بمنع التقيؤ وأقراص تعقيم المياه. ووجدنا في زاوية من زوايا المخزن بعض الحمالات فقلت:

– هذه غنيمتي أنا ورضا أنصاري.

كما أخذ الأخ «كلستاني» بعض علب الحليب، فخرج كلّ واحد منا من

1 - لم يستمرّ لقاء الشهادة حتى الصباح.

المخــزن يحمل معه غرضًا. بعد فترة، كان كل شباب الفصيل يشربون الحليب. عندمـا رأى أفراد الفصائل الأخرى ذلــك قالوا: «عليكم أن تشربـوا الحليب. فإن لم يكـن في روضة الأطفال حليب لما كانت روضة أطفــال... اشربوا الحليب لتكـبروا... أنتم في سن النمـو... يجب أن تنمو عظامكم...»، وما إلى هنالك من هذا الكلام.

بعـد الظهر، بنــى الأخ «كلستاني» مرحاضًا بواسطــة بعض أكياس الــتراب وقطعة أو قطعتين من الصفيح، وساعدته في آخر عمله. كانت ميـاه الصـرف الصحي تذهـب نحو المستنقــع. لقد أنجــز عمل هام وبسرعة بهمّة مسؤول الفصيل. قلت له:

– من غير المعلوم إلى متى سنبقى هنا. قد تصدر الأوامر بالتحرّك في هذه اللحظة... لماذا بذلت كل هذا الجهد؟؟!

أجاب:

– حتــى لو لم نستفد منه نحــن، فستأتي كتائب أخــرى قد تستفيد منــه. لقد بدأت العمليات للتو، وسيكون هــا هنا عمل إلى ما بعد فترة طويلة.

كان كلامه صحيحًا، ولم أستطع إدراك ذلك بنفسي[1].

عنــد الغروب، اجتمــع «رضا أنصاري» والحــاج «محمد بروازي» في لقاء سريع. كان بروازي في كتيبة «مالك»، وجاء مع عدد من قادة الكتيبة إلى نقطة تمركز كتيبة «حمزة». في تلك الدقائق القليلة، تحدث الاثنان حول السيد «أبي الفضل كاظمي» الذي يكنّ له «رضا» محبّة خاصة، كما تحدثا حول العمليات الجارية. كان صوت الحاج مسموعًا:

1 - استشهـد فـي تلك الليلـة، لكن العمليـات استمـرّت لأسابيع، وربما استفـاد من هذا المرحاض الكثير من العناصر.

– قامت فرقة «الرسول» بعمل جيّد جدًّا، لكن الاشتباكات في جادّة «البصرة» أكثر أهمية. إذا سقطت تلك الجادّة فسيضيق نطاق عمل الفرقة من الخلف. لقد أحضر العراقيون آليات مدرّعة إلى كلّ المحاور، لكن الدبابات ليس لديها قدرة كبيرة على المناورة، وهي تستطيع العمل فقط في الطرق الرئيسية والمعبّدة، لذا يستخدم القادة العراقيون أكثر الآليات المدرعة التي يعادل وزن الواحدة منها وزن نصف دبابة وتستطيع المناورة بشكل أكبر...

قبل الوداع، تحدّث رضا والحاج ببضع كلمات آذرية لم أفهمها. ثم قبّل أحدهما الآخر وذهب الحاج.

تيمّمنا، أقمنا صلاتي المغرب والعشاء في الدشمة من جلوس، ثم انطلقنا سيرًا على الأقدام في طابور. لم يعد ثمّة حاجة للشاحنة فالخطّ الأمامي لم يعد يبعد عنا كثيرًا. كما اشتدّت كثافة نيران العدو، ولم يعد التنقل بالآليات آمنًا. مشينا ساعة أو ساعتين حتى توقف طابور الكتيبة.

وصلنا إلى مقربة من مثلث مصنع الملح حيث مكان استقرار كتيبة «أنصار الرسول». كان عدد من قادة الفرقة الكبار مجتمعين تحت جسر إسمنتي، صغير وآمن. تمرّ المياه السطحية تحته من الجهة اليمنى للجادّة إلى الجهة اليسرى لتصبّ في مياه الأنهار والخليج.

بعد ساعة أبلغونا الخبر الحاسم وقالوا إنّ الكتيبة ستباشر العمل بعد ساعة أو ساعتين وستتقدّم مسافة 5–6 كلم في جادّة أم القصر. كما أوصانا القادة أن نتحرك على الجانب الأيمن للجادّة لأنّه جاف. وحيث كنت وأنصاري غير مسلَّحَين، لم نعتنِ كثيرًا بوضعية الدشم والدبابات العراقية. إذ تبدأ مهمتنا عندما يُصاب أحد رفاقنا، وذلك

بعد أن يقوم المسعف بتضميد جرحه. كما توجّه الأخ كلستاني إلى الجميع وقال:

– قبل الانطلاق، تأكدوا أنكم سحبتم «أقسام» بنادقكم لتكونوا مستعدّين. لا يمكن سحب الأقسام أمام العراقيين. هناك يمكن فقط تحرير عتلة «الأمان»، وبهدوء ومن دون أيّ ضوضاء.

في تلك الليلة، كان القمر هلالاً، وقد سيطر الظلام الحالك على المكان في اللحظة التي استعددنا فيها للاشتباك. كانت ليلة مظلمة كالقطران الأسود. لقد أكد علينا مسؤول الفصيل أن نحافظ على عنصر المباغتة. كان مع «سيروس مهدي بور» الذي يتقدمني مباشرة في الطابور، ساعة غطيناها بقطعة قماش سميكة.

عند التاسعة تقريبًا، قبّل الجميع بعضهم بعضًا. قبّلتُ أولاً «أنصاري» و«مهدي بور» اللذين كانا بقربي ثم البقية. لقد أحنى «أمير عباس» رأسه كثيرًا لأتمكن من تقبيل وجهه. كان هذا آخر لقاء لنا. قلت له: «انتبه لنفسك... لا تنسَ أن تشفع لنا...».

هو أيضًا طلب مني الشفاعة. قبّلت جبينه أيضًا. لم يكن لدينا الكثير من الوقت. كنا نتحدث ونقبّل وجوه بعضنا البعض.

فجأة صدر الأمر بالتحرك. عبرنا من مثلث مصنع الملح. كان الفصيل الأول في مقدمة طابور الكتيبة. وصلنا إلى الساتر الترابي القريب من ساحة المعركة. استعدّت السرية الأولى للانتشار. بقيت سريتان خلف الساتر حتى نقتحم نحن الخطّ الأول ويكملوا هم عملنا. عبرنا الساتر بمشية القرفصاء من الجهة اليمنى للجادّة نحو الجهة اليسرى. ثم أكملنا زحفًا وبمشية البطة. كانت المسافة بين ساترنا الترابي والعدو 150م. قطعنا هذه المسافة القليلة بحذر، وصوت العراقيين يتناهى إلى مسامعنا.

بدأ الهجوم دفعة واحدة ووثب طابور الفصيل. كانت نيران العراقيين غزيرة منذ البداية. كان الطابور يتقدّم مثل الأفعى. المقاتلون في الأمام ونحن المسعفين والمنقذين من خلفهم. أول عمل لي ولـ«رضا» كان حمل شهيد من الفصيل الثالث. كان نفسه مسعفًا وأعرفه جيدًا، إذ تردد كثيرًا إلى فصيلنا. استشهد على الإسفلت. شعرت بالخوف والذهول، لكن، لأنّني كنت قد أوصيت رضا أنّه كلّما رأيتني مذهولًا ومبهوتًا فاصرخ في وجهي، صاح بي:

- لماذا التأخير يا حميد؟ احمل الشهيد... اسحبه من كتفيه...

كانت عيناي على جسد الشهيد وأذناي مع صياح «رضا». غلب صياح «رضا». حملناه أولًا، ثم سحبناه إلى أسفل الجادّة. أنار «سيروس» مباشرة المصباح، تفحّص بؤبؤ عينيه، تفقّد نبضه وقال:

- لقد استشهد... خذوه إلى الخلف.

أصيب برصاصة في رأسه فاستشهد على الفور. وكان قد أصيب في عمليات بدر بالكيميائي فخفّ الشعر على رأسه ووجهه.

سحبنا جسده حتى الساتر الترابي عند نقطة الانتشار. كان المكان مزدحمًا. وضعناه أرضًا وعدنا بالحمالة. اتفقتُ ورضا أن نسحبَ الجرحى أولًا ثم الشهداء.

لقد جرح «حسين كلستاني» لكنه لم يرضَ أن ننقله على الحمالة. كان جرح قدمه عميقًا.

قال: «اذهبوا واهتموا بالبقية».

أصررت عليه فلم يقبل. لكن قبل ذهابنا سَأَلَنا: «ألا تعلمون شيئًا عن محسن؟».

قلت له: «لا. لم نره... بالطبع هو في المقدّمة».

تابعنا طريقنا، وسحب «حسين» نفسه سحبًا إلى الخلف.

ذهبنا مباشرة نحو الجريح التالي. وضعناه على الحمالة التي أمسكها رضا أنصاري من الأمام وأنا من الخلف. لم نكد نخطو عدة خطوات حتى أطلقت رصاصة خطاط بشكل أفقي وعبرت من قربنا، خلف رأسي بالضبط. سقطت الرصاصة في المياه وانطفأت. أراد عراقيٌّ أن يقتلنا برصاصة خطّاط لكنّه لم ينجح في ذلك. كان الجريح الذي نقلناه حلاق الكتيبة. أوصلناه إلى مركز الإسعاف وعدنا إلى ساحة المعركة.

كان مركز الإسعاف عبارة عن كشك حراسة في الساتر الترابي الذي انتشرنا منه والقريب من ساحة المعركة، وقد نصبه «علي شهبازي» المسعف في الفصيل الثالث. في بداية الاشتباك جرح شخص أو شخصان فضمّد «علي» جراحهما هناك قبل أن تأتي سيارة الإسعاف وتنقلهما إلى الخلف.

بعد كلّ هذا الذهاب والإياب فقدنا أثر «سيروس مهدي بور»، فرُحنا نبحث بين المجاهدين عن شخص يعتمر قبّعة زرقاء مُحاكة يدويًّا، القبعة التي كانت دائمًا على رأس «سيروس». في تلك الليلة أضعناه عدة مرّات ومن ثمّ وجدناه. كنّا مرتبطين به لأنّه كان يتوجب عليّ وعلى رضا نقل الجرحى الذين يضمّد جراحهم إلى الخلف، وكنّا نعمل وفق أوامره كي لا يبقى أيّ جريح أرضًا. فالمسعف هو من يحدّد الجريح الذي ينبغي أن يتمّ سحبه أولًا من ساحة المعركة.

في قلب المعركة، رأيت حسن قابل أعلا -متخصّص التخريب في فصيلنا- ممدّدًا إلى جانب عدد من الدبابات وناقلات الجند المدمرة. وكان إلى جانبه منقذان آخران لكنّهما لم يمتلكا الجرأة ليضعاه على الحمالة. لقد جُرح في بطنه، وضُمّد مكان الجرح حتى الصدر. يبدو

أنّ مسعف المجموعة الثانية في فصيلنا هو من ضمد جرحه. كان يتألم كثيرًا، ويصرخ كلّما أرادوا رفعه عن الأرض. لم أهتمّ لصراخه، تعاونّا معًا ووضعناه على الحمالة لينقله منقذان آخران.

ذهبت أنا ورضا ناحية جريح آخر. كان قد استشهد شابّان من فصيلنا. إلى الأمام أكثر وجدنا جريحًا سحبناه إلى الخلف على الحمالة. كان سيّئ الحال مثل «قابل أعلا». وضعناه وهو على الحمالة في مركز الإسعاف أرضًا، لكنّنا لم نجد حمالة أخرى. كان عدد الجرحى والشهداء كبيرًا بحيث لم تعد الحمالات تكفي. انتظرنا قليلًا ثم عدنا إلى مكان الاشتباك من دون حمالة.

أصيب «أصغر لك علي آبادي» برصاصة في حوضه وساقه. حملته على ظهري. كان أصغر أحد مهجّري الحرب في خرمشهر، حيث خسر منزله وحياته وانتقل للعيش في طهران. وبينما أنا أسير به شيئًا فشيئًا، راحت تتساقط قطع بنطاله الممزق حتى بانت كل ساقه. في مركز الإسعاف طُلب منّي أن أجد له بطانية أو قماشًا ليغطي بها قدميه. بحثت في المكان ووجدت له غطاءً.

عدت فورًا، مع حمّالة هذه المرة. كان رضا قد أوصل جريحًا آخر أيضًا، فرجعنا معًا إلى ساحة الاشتباك.

وجدنا جريحًا آخر دفع به عصف الانفجار إلى المياه الراكدة والمالحة يسار الجادّة. كان يصرخ: «احترقت... احترقت يا أخي...». تغلغل الملح إلى جرحه وصار يحرقه. ظلّ يصرخ طوال الطريق ولم نتمكن من فعل شيء لأجله.

تعبت أكتافنا وأصابعنا. كانت قبضات بعض الحمالات خشبية، يسهل العمل بها حيث تلتصق بأيدينا بشكل جيد. أما الحمالات ذات

القبضـات البلاستيكية، فكانت تنزلق في أيدينا عندما تتعرق، ويُتعبنا حملها جدًّا، وهناك حمالات لا قبضة لها أساسًا.

عندمـا نقلنا الجريـح الأوّل، كنّـا في غاية النشـاط. كان الجريح قـادرًا على الـكلام، تحدثت ورضا معـه قليلًا لعلّنا نهـدّئ من روعه. أحيانا كانوا يزوّدوننا بالأخبار التي تهمّنا ويضعوننا في أجواء المعركة. قال لنا أحدهم:

- كان العراقيون اليوم ينتظرون هجومنا. أول قنبلة رميناها تلقاها مغوار عراقي ورماها إلى زاوية ما!

حدّثنا آخر عن أرتال آليات العدوّ وقواته المدرعة وقال:

- لا يمكن إحصاء الدبابات وناقلات الجند...

رأينـا «حسين كلستاني» ثانية وهو يجرّ نفسه جرًّا إلى الخلف. كان شاحـب الوجه، لكنّـه استطاع الوصول إلى نقطـة الانتشار. تمكن من قطع مسافة 150م خلال عشرين دقيقة.

فجـأة وصل عدد مـن المنقذين من كتيبة «حمـزة». تعرّف أحدهم إلى «حسين كلستاني» الـذي قَبلَ أخيرًا أن ينقلوه إلى الخلف على متن حمالة. لكنه قَبْل أن يذهب سأَل مجدّدًا عن أحوال أخيه. قلت له:

- لقد جرح لكنّني لم أره.

سأل بقلق:

- لم تره أنت بنفسك؟

- لا، عزيـزي حسـين... لا تقلق. سأجـده بأي طريقـة وأنقله إلى الخلف.

تابعت أنا ورضا عملنا. كنّا كلّ ربع ساعة نسحب جريحًا إلى الخلف ثـم نعود. أصبح قميصي رطبًـا من شدة التعرّق في تلك الليلة الشتوية

البـاردة. كان عملنا مجهدًا. كنت أحيانًا أمسـك بالحمالة من الأمام وأحيانًـا يمسكها رضا. فهي من الأمام أثقـل، فكنتُ أصرّ على حملها من الأمام ورضا يجيب:

- يا عم، يمكنني رفعها.. لم أتعب بعد.

كانت كلمة «يا عمّ» لازمة في كلامه.

في إحدى المرّات، وبينما نحن عائدان إلى ساحة المعركة، وإذ برضا يلمح حذاءً عسكريًّا لأحد القتلى العراقيين؛ لونه أبيض وبنيّ. قلت له:

- إن أعجبك سأجلبه لك.

- كلا، ولكنّه يلبس حذاءً عجيبًا! كيف يصبغونه؟

وضعت الحمالة الخالية على الأرض وقلت:

- بالطبع لدى العراقيين عنصر متخصّص بصباغة الأحذية، لكن عمله أصعب من عمل رضا الصباغ لأن أحذيتهم ذات لونين.

ضحك «رضا» وتابعنا عملنا من دون أيّ تلكّؤ.

نقلنا من جديد جريحًا آخر. بدأ التعب يغلب علينا، ولم نعد نستطيع -كما في البدايـة- المحافظة على تـوازن الحمالـة. كان رفع حمالات الألمنيوم ذات السطح البلاستيكي، أسهل من حمل تلك الحديدية ذات السطـح المصنوع من القماش المشمّع، والتـي يشقّ رفعها، وخاصة إذا كان الجريح ضخم الجثة. أحيانًا كان رفع مثل هذه الحمالات -خاصةً إذا تبلل سطحها بالدم- يستلزم وجود ثلاثة أو أربعة أشخاص.

مع مرور الوقت وتقدّم المعارك، تضاعفت المسافة الفاصلة بين ساحة المعركة ومركز الإسعاف، فصرنا نتعب من الذهاب والإياب المتكررَين. تعبنا جسديًّا ومعنويًّا أيضًا لكثرة ما رأينا من الجرحى والجراح.

أخـيرًا وصلنا إلى عمق جبهة العدو. هنــاك، رأينا بأمّ العين أرتال الدبابات وناقلات الجند التــي تحدّث عنها الجرحى قبل ذلك. كانت الآليات مصطفّة على جانبي الطريق وذلك لفسح المجال أمام أيّ آلية تريد العبــور وسط الجادّة. نظـرت إلى تجهيزات العـدو، رأيت عشر ناقلات جند ودبابة واحدة. تذكرت كلام الحاج «بروازي» حين قال إنّ العدو يستخدم الآليات الخفيفة بشكل أكبر.

في تلك الليلة التحمنــا مع العراقيين. أخفى بعضهم نفسه وتظاهر آخــرون بالموت. رأيت مجموعة من العراقيــين وقد اختبأوا تحت ناقلة جند ووجدوا لأنفسهم مكانًا جيّدًا هناك بين جنازيرها. دللت مجموعة من شبابنا بينهم رماة رشاش و«آربي جي» عليهم وتابعت عملي[1].

منذ الساعة الأولى لبدء العمليات، نزلت كلّ الفصائل والسرايا في كتيبــة «حمزة» إلى ساحة المعركة، إضافة إلى قوات مساندة من كتيبة «الأنصــار». لكن، ولأنّنا التحمنا مــع العراقيين، لم يعد لقوات التعزيز أي فائــدة. كانــت كلّ مجموعة تدخل ساحة المعركــة يختلّ نظمها منذ الدقيقة الأولى. لم يكن أحد يعلم إن كان العراقيون خلفه أم أمامه أم إلى جانبــه. قاتل الشباب متفرّقــين، وأرادوا التقدم فقط، ولم يلتفتوا إلى جانبهم أو خلفهم.

عندمــا حان وقت نقل الشهداء، توجب علينا إنارة المصباح اليدوي للتأكــد فيمــا إذا كان الجسد جسد شهيد أو قتيــل عراقي، لكن بعض الأجساد كانت قد تلاشت.

فجــأةً، وسط رتــل آليات العدو، رأيت أحدهم وقــد اتكأ على عجلة

1 - فــي مساء اليــوم التالي، رأيت أحد أفراد تلك المجموعة فــي مستشفى الأهواز. قال: «عندمــا تركنــاك، ذهبنا في أثر أولئــك العراقيين، لقد قتلناهم جميعًــا، وأطلق أحدهم ثلاث طلقات على قدمي من رشاشه وأصابني».

ناقلة جند. ظننته جريحًا في البداية وعرفت أنّه من شبابنا بسبب جسمه الصغير ولباسه الزيتي اللون. أنرت المصباح على وجهه، وجدته شابًّا يافعًا لا يتجاوز الـ17 من عمره ولمّا تنبت لحيته بعد. كان يحمل شيئًا في يده. دققت النظر، كانت صورة الإمام، وكأنّه أخرجها في اللحظات الأخيرة وقبّلها. مدّدته على الأرض وأنا في حيرة من أمري، ونقلته إلى الخلف بمساعدة «رضا».

في طريق العودة رأينا في ساحة المعركة رأسًا مقطوعًا. لم يكن واضحًا في ظلمة الليل أهو رأس عراقي أم رأس أحد شبابنا. أنرت المصباح على وجهه، فعرفت أنه عراقي بسبب شاربيه الكثيفين ولأنّه كان حليق الذقن. كان حاجباه كثيفين وعيناه جاحظتين[1].

من بين جرحى الفصيل الذين نقلتهم أنا و«رضا» إلى الخلف، كان معاون مسؤول الفصيل «حسين فياض». كلّ ما كان يعلمه أن الأخ «كلستاني» جُرح، وقد سمع ذلك من الشباب أيضًا. قلت له: «لقد جرح حسين كلستاني. ألم يخبرك الشباب أيّ كلستاني جرح؟».

مع أنه كان يتألم كثيرًا من جرح قدمه، إلا أنه أجاب: «لا، لم يقولوا. ربما كلاهما جرح».

بعد أن أوصلنا «فياض» إلى مركز الإسعاف عدنا مجدّدًا إلى الساحة. وبينما نحن نبحث عن الجرحى والشهداء، وإذ بنا نرى مجموعة من مجاهدي كتيبة «حمزة» متسمّرين في أماكنهم، ومتحلّقين حول قائدهم في زاوية ما. ولأنّ عملي مع الجرحى، كنت أعلم بأنّ المجاهد تنهار معنوياته أحيانًا، وحيث كان صوتي لا يصل إلى تلك المسافة، ناديت ورضا في الوقت نفسه:

1- لا يزال جسدي يرتجف من تلك النظرات المخيفة حتى بعد عشرين عامًا.

- أيها الإخـوة، قوموا... لقد فرّ العراقيـون... لاحقوهم... سوف ننتصر إن شاء اللّه...

أجابني أحدهم بهدوء وكان ممدّدًا على الأرض:

- لقد قُتل الجميع، وارتفعوا شهداء.

قاطعته قائلًا:

- قومـوا... لقـد انتصرنا... لـو كان العراقيون في هـذه النواحي لرموني... وها أنا أقف أمامكم الآن؟

نظـروا في وجـوه بعضهـم البعض وصدقـوا كلامي. بعـد أن وقف أول شخصـ منهم لحقه الجميع، وانطلقوا. انطلقـوا هم، وتابعت أنا و«رضا» عملنا. وبينما انهمكت بعملي فكرت بخوفهم، وأعطيتهم الحقّ في ذلك. إنّهم شباب السريـة الثالثة الذين شاهدوا جرحى السريّتين الأخريـين وشهداءهما فأصابهم الخوف. ربما لو كانت السرية الأولى تعمل مكانهم لأصابتها الحال نفسها.

فجـأةً رأيت جريحًا يحـترق صدره. ربما كان رامـي «الآر بي جي» أو مساعـده. كانت النيران تخرج من قفصه الصدري ومع ذلك يتابع طريقه. كم كان مشهدًا غريبًا وعجيبًا.

في تلك الليلة كنت أنا أيضًا على وشك الاحتراق. أثناء جولاتي تلك التي نسيـت عددها، وبينما كنت أتقدّم إلى الأمـام، وإذ بأحد الإخوة يطلـق قذيفة «آر بي جي» وهو يجلسـ القرفصاء في أعلى الجادّة فيما كنـت مع «رضـا» في أسفلها وأنا متأخرٌ عنه قليـلًا. لم يتأذّ «أنصاري» لكنّنـي كنت على وشك الاحـتراق بالكامل. كنتُ محظوظًـا إذ أصبت بعصـف الانفجار فقـط، وبقيتُ لحظـات مضطربًا وأشعـر بالدوار. سلّمت «رضا» الحمالة وتابعتُ طريقي بمساعدته.

أخـذ مني التعب كلّ مأخذ، وتعـب رضا أكثر مني. راح يكلم نفسه: «يا عمّ، لقد سقط هنا كل هؤلاء الشهداء... نحن أيضًا سنستشهد... الشهـداء في السماء... اللعنة على البعثيـين... يا عمّ، الجادّة لا تتّسع لكلّ هذه الدبابات.. يا عمّ...». كاد الضغط النفسي يقضي عليه. كانت أيدينـا وأرجلنا معفّرة بالدمـاء، وقد مسحنا رأسينـا ووجهينا مرّات ومـرّات بهذه الأيدي المدماة، كمـا تعفّرت ملابسنا بالدم. آذت رائحة الـدم نفوسنـا وأتعبتها. شحب وجـه «رضا» وصار لونـه بلون الجصّ وعليـه بقع من الدماء الجافـة. رقّ قلبي له، فصرت أرفع الحمالة من الأمـام لأخفف عنـه قليلًا. في النهايـة طلبت منـه أن يستريح فقبل، وصرت أذهب وحدي إلى الأمام.

كان الساتر الترابي في ساحة المعركة مكانًا آمنًا بنظري. كنت كلّما ذهبـت إلى ساحة المعركـة تغيّرت أحوالي. لم تكـن الدشم والدبابات وناقلات الجند قد طُهّرت بعد، وكان من المحتمل في كل لحظة أن يطلق العراقيون النار علينا من الأمام، أو الخلف، أو الميمنة أو الميسرة. كنت أرى جسـدي علـى الحمالة في كلّ مـرة أنقل جريحًـا أو شهيدًا عليها، وأفكـر للحظة: رمضاني، ربّمـا بعد لحظة أو دقيقة أخـرى تكون أنت ممدّدًا على هذه الحمالة... ومن ثم أنسى.

كنـت كلّما تقدّمت إلى الأمام تسارعت دقّات قلبي وتيبّست شفتاي أكـثر، وللتغلـب على هذه الحـال، صرت أقـرأ القـرآن وأردّد الأذكار المختلفة. وفي طريق العودة يهدأ قلبي ولا أعود أشعر بالعطش مع أنّني أرفع حمالة ثقيلة جدًّا.

وأخيرًا لم يبق أيّ جريح أرضًا، شعرت بالراحة لأنّ رضا أيضًا كان في مكان آمن. قرّرت التقدم إلى الأمام لأرى عن قرب مكان الاشتباك مـع العراقيين. بين أرتال آليات العـدو، وجدت شباب التجهيزات على

يمـين الجـادّة يخوضون اشتبـاكات عنيفة مـع العـدو. عندما وصلت إليهـم، انزعجوا وغضبـوا كثيرًا لمّا رأوا أنني لا أحمـل سلاحًا وقالوا: «أين بندقيتك؟».

حـين رجعت إلى الخلف لأحضر السلاح، التقيت بـ«سيروس مهدي بور» وقد جرح. كان قد أصيب بشظية في قدمه فصلت قطعة من جلده ولحمـه، ورغم ذلـك كان يسير علـى قدميه. عندمـا رآني طلب مني المصبـاح اليدوي. وحيـث كنت قرّرت أن أرتاح وأصبـح رامي رشاش، أعطيته مصباحي اليدوي الصغير وتابعت طريقي بحثًا عن بندقية.

علـى يمـين الجـادّة وقـرب تجمّـع الميـاه، وجـدت عـدة قطع من الكلاشينكـوف لم يُسحـب أقسـام أيٍّ منهـا. ووجدت علـى الإسفلت كلاشنكوفًا بقبضة خشبية، سحبت الأقسام فدخلت الطلقة إلى حجرة النار، أخـذت بعض مماشط الرصاص من قتيل عراقي. كانت مدماة لكنهـا غـير موحلة. عندما رأيـت عناصر الدعم في كتيبـة «الأنصار» قادمـين لإخلاء الشهداء، ومعهم الحمالات، ارتاح بالي، وتوجهت إلى الخطّ الأمامي حاملًا بندقيتي حتى وصلت إلى رتل الآليات.

في الخـط الأمامي للاشتبـاك تفاجأت بجيب قيـادة يتوجه نحونا ومصابيحـه مضاءة. كان في الجيب عسكـري واحد غير السائق يقف في الخلـف ويطلق النـار عشوائيًّا مـن مسدس يحملـه. عندما أصبح علـى مسافة 100م من الشباب، راحوا جميعهم يطلقون عليه النار من اليمين واليسار. سقط ذلك الشخص وانحرفت السيارة نحو المستنقع وارتفع صوت بوقها، وكأنّ جسد السائق قد وقع على المقود.

كان الطرفـان مضطربَين ويطلقـان النار عشوائيًّـا. لم يتبقَّ أمام كتيبة «حمزة» سوى بضعة كيلومترات للوصول إلى هدفها النهائي جادّة «أم القصر»، لكنّ عناصرها لم يعودوا متماسكين. ربّما ظنّ قائد

الجيب السيّئ الحظ أيضًا أنه يتحرك في جبهته فتقدّم بكلّ جرأة وهو يضيء المصابيح.

قليلًا إلى الأمام، وجدت الإخوة يخوضون اشتباكات عنيفة، على مسافة خمسين مترًا من دشم العدوّ. أطلق أحد الإخوة قذيفة «آر بي جي» ناحيتها، وما إن فعل حتى ارتفع صوت من خلفه: «احترقت... احترقت...». لم يكن هناك من مسعف. تقدّمت قليلًا، رأيت أحد الإخوة وقد احترق وجهه وشعره وجفونه. ضمدت جراح وجهه باستخدام حقيبة الإسعاف الفردية التي يحملها الشباب. أصيب بعصف الانفجار أيضًا. لم يعر اهتمامًا لكلامي. ظلّ يردد: «يجب أن يُقتل العراقيون... سنستشهد جميعنا...».

صحت في وجهه: «يا أخي، ارجع إلى الخلف... ليس لديك هنا أي عمل تقوم به».

كان يحدّق في وجهي. تابعت قائلًا:

- هل فهمت؟ إن بقيت هنا لتوجّب علينا نقلك إلى الخلف بالحمالة. وهذا يعني المزيد من المتاعب للإخوة. اذهب بنفسك إلى الخلف... أنا سأبعد العراقيين وأطردهم من هنا. اذهب أنت... يا أخي، اذهب إلى الخلف... اذهب...

أخيرًا فهم كلامي. أخذت منه المزيد من الذخائر وذهب في طريقه.

كنت عنصرًا حرًّا، أذهب أينما أشاء. ألقيت بنظري مرّات عدّة إلى هذه الجهة من الجادّة وتلك، وجدتُ أنّ جبهة العدو تصبح أكثر تماسكًا. كان رامي دوشكا عراقي، وربما كانت دوشكا دبابات، يرمي بعنف: يمنة ويسرة وبغزارة. فجأة رأيت عنصر إشارة وعدة أجهزة

لاسلكية. ربما كان قائد السرية الثانية أو الثالثة. تذكرت مباشرة «أمير عباس رحيمي»، عنصر الإشارة في الفصيل، عنصر إشارة من دون لاسلكي! لم أكن أعرف عنه شيئًا. دعوت الله أن يكون بخير. ما إن رآني ذاك المسؤول حتى أنّبني بشدّة قائلًا: «لا يفيد هنا الكلاشنكوف... لماذا لا تحمل الآر بي جي؟». ربّما ظنّني من قوات «الأنصار» الذين قدمت مجموعة منهم من رماة «الآر بي جي» والرشاش لمساندة كتيبة «حمزة». كان منزعجًا وغاضبًا لكن لم ينته الأمر هنا، وكأنّه لم يجد أحدًا ليصبّ جام غضبه عليه فصاح بي قائلًا:

- اذهب وأسكت الدوشكا... تجلس هنا؟ اذهب إلى الأمام...

أطعتُ الأمر، وتقدّمتُ إلى الأمام. لم يكن الإخوة هناك يحملون «آر بي جي». سألت أحدهم من أين يمكن لي أن أحضر قذيفة فأجابني منزعجًا:

- من المقبرة...

لم يكن لبقائي هناك أيّ فائدة. فنيران العراقيين تشتدّ أكثر في كلّ لحظة، والجميع ينتظر الذخائر، إذ لا يمكن تحقيق أي إنجاز بالكلاشنكوف. ذهبت إلى الخلف لأحضر الذخائر، عند رتل الآليات المتروكة والمبعثرة، مع أنّ الأوامر تمنع ذلك لأنّ المنطقة كانت خطرة ولم تطهّر بعد. هناك، وقع نظري على عجوز ملقًى على ظهره وسط الجادّة. كان الشيخ «رحيمي» صاحبنا، المنقذ في المجموعة الثانية في الفصيل الأول، والذي كان أحيانًا يؤمّ الصلاة فينا. تذكرت أيام «كارون» حين قالوا إنّ على الجميع تقصير لحاهم وقد فعل هو أيضًا. نظرت إلى وجهه، كان شارباه كثيفين، ووجهه سليمًا. وكأنّه أصيب برصاصة أو شظية في رأسه من الخلف. كان جسده لا يزال دافئًا، ربّما لم يمضِ خمس أو ست دقائق على تلك الحادثة. تبيّن لي من

القذائف التي يحملها، أنّه مثلي، جاء لإحضار الذخائر. أخذتها منه وعدت أدراجي، وشريط حياته وشهادته يمرّ أمام عينيّ: عجوز في الستين أو السبعين من العمر، وإمام الجمعة الذي كان يحترمنا دائمًا نحن الأصغر منه سنًّا، وينادي الواحد منّا بالسيد فلان.

أوصلت الذخائر. فرح الشباب كثيرًا، لكنّ العدو أصبح أكثر قوة من ذي قبل. بدأ الإخوة يتهامسون حول ضرورة الانسحاب. كان بعض العراقيين قد تقدموا أكثر. دخلت إلى إحدى الدشم، وكان أحد الشباب قد اشتبك مع جندي عراقي. لم تكن المسافة الفاصلة بيننا وبينهم تتجاوز السبعة أمتار. حضّرت القنبلة، كانت حلقتها في إصبعي حين أخذ العراقي زمام المبادرة. سمعت صوت سقوط القنبلة، لكنّني لم أجد فرصة للقيام بردّ فعل. انفجرت القنبلة بينما كنت أجلس القرفصاء في الدشمة التي يبلغ عمقها نصف المتر. بقيت يداي وقدماي سالمة لكنّ شظية أصابت رأسي، فأصبتُ بالدوار والذهول وكأنّ أحدهم ضرب رأسي بمطرقة من حديد. لا أعلم كم مرّ من الوقت حتى استعدت تركيزي وعرفت أنّني جرحت.

لم أعلم متى رفعت يدي ووضعتها على جرح رأسي، لكن لما نظرت إليها رأيت كفي وأصابعي مخضّبة بالدم الساخن والبخار يتصاعد منه. نظرت حولي، كان قد ذهب الشاب الذي كان بجانبي في الدشمة. لم يكن هناك أحد ليقدم لي المساعدة. كانت قطرات الدماء تتساقط من وجهي، مسحت من جديد بيدي على الجرح، لم يكن جرحًا عميقًا، وكأنّ جلدي خدش فقط. لما ارتحت قليلًا رجعت إلى الخلف.

على جانب الطريق رأيت الشباب ومعهم أسير عراقي يفوق حجمه حجمي مرتين، كانوا يمسكون بياقته ويجرّونه معهم. بدأت أشعر بالضعف، كنت قد لففتُ ضمادة على رأسي ومع ذلك لا يزال جرحي

ينزف. لم يكن للتوقف أيّ فائدة، تابعت طريقي حتى وصلت إلى مركز الإسعاف. وجدت «علي شهبازي» لا يزال هناك. أنار المصباح على رأسي ليعاين جرحي. كنت أشعر بالوهن والاضطراب. تكلم معي رغم التعب الذي يشعر به. «رمضاني... العراقيون... كلستاني...». كنت أسمع كلمة من كلماته ولا أسمع الأخرى. كنت بين النوم واليقظة، وحسين فياض لا يزال هناك، وكأنّ سيارات الإسعاف كانت قليلة فكان هناك الكثير من الجرحى ينتظرون نقلهم إلى الخلف.

أخيرًا وصلت سيارة جيب. قيل إنها سيارة «رضا دستفاره»، وتقوم مقام سيارة الإسعاف، وقد وضعوا الجرحى في كلّ مكان فيها، في القسم الأمامي وفي الخلف، على الصندوق الأمامي وحتى على سطح الصندوق الخلفي. ولأنّ حالي كانت أحسن من حال الآخرين جلست على المقعد الأمامي كي لا أحتلّ حيّزًا كبيرًا من المكان. بعد أن امتلأت السيارة بالجرحى انطلقت في طريقها.

لم تكن المسافة بعيدة من ساحة المعركة حتى مثلث مصنع الملح. توقف الجيب في المثلث لإنزال الجرحى هناك حيث نقطة التجمع. كان عناصر كتيبة «الأنصار» موجودين هناك أيضًا. وضعوا الشهداء والجرحى بالقرب من بعض الغرف الصغيرة المصنوعة من الخشب والحصير. كان في المثلث أيضًا كشك للشرطة العسكرية العراقية لونه أحمر فاقع.

رأيت «سيروس مهدي بور» و«رضا أنصاريان». سأل «سيروس»:

- أنصاري، أنت أيضًا جرحت؟

أجبت: «أوليس المنقذ إنسانًا؟!».

قلت لرضا: «إذا عُدنا، سيكون لدينا الكثير من العمل».

قال: «ماذا تقول يا حميد؟ لقد استشهد الجميع!.. لم يعد هناك من فصيل...».

– هذه هي العادة. تخلو خيمة الفصيل ليلة العمليات ثم تمتلئ من جديد.

– لا. يا حسرتاه على أولئك الشباب... أنا لن أصبغ حتى حذائي بعد اليوم.

شدّ أصابع يديه لا إراديًّا وقبض كفّه، ربما كان لا يزال يتألم. لقد خلّفنا وراءنا معركة قاسية.

لم يجلس «سيروس» بلا عمل. كان حقًّا ذا طاقة لا تنضب؛ فعلى الرغم من كونه جريحًا، راح ينير المصباح اليدوي على الأجساد؛ لعلّ أحدهم كان فاقدًا للوعي وظنّه الشباب في ظلمة الليل شهيدًا. ساعدته في عمله. كنّا نتفحّص العيون، فإن تحرك البؤبؤ عرفنا أنّه لا يزال فيه عِرق ينبض، وإلا انتقلنا إلى التالي.

كانت إصابات بعض الأجساد بليغة إلى درجة لم نكن مضطرين إلى التأكد من وضعها. فبعضها قطع نصفين وبقي موصولاً بالقليل من اللحم والجلد. وبعضها طار الجزء الأكبر من الرأس وبقي منه الأذن والعين فقط.

رأينا بين الجرحى «حسين دستفاره» أخا السيد «رضا» نائب قائد الفرقة. كان «حسين» يتردّد كثيرًا إلى فصيلنا. وقد أصيب برصاصة في وسط صدره وخرجت من الجهة الأخرى، ولو كان تعرض صدره للهواء لاستشهد فورًا.

بقينا في المثلث نصف ساعة. امتلأت إحدى سيارات الإسعاف وذهبت، وملأ الجرحى أيضًا شاحنة تويوتا صغيرة وانطلقت بهم.

ركبت و«رضا» و«حسين دستفاره» و«سيروس» الآلية السادسة أو السابعة، كانت شاحنة جلسنا في قسمها الخلفي ملتصقين ببعضنا البعض. تركنا ساحة المعركة قبل أذان الصبح بساعة أو ساعتين. كان معنا جريحان هما أب وابنه، وقد تمدّد الابن في الشاحنة بسبب سوء وضعه، ووضع الأب رأس ابنه في حجره وراح يهدّئ من روعه:

– تحمّل يا بني... كدنا نصل... لم يبقَ أمامنا الكثير... أمك تنتظرك... سوف نذهب معًا إلى المنزل.

كل هذا والابن يسأل رغم الألم الذي يقاسيه:

– أبي، قل الحقيقة.. هل جرحك عميق؟

كانت حال العشق بين الأب وابنه لافتة ومؤثّرة. الأب يداعب شعر ابنه ويمسح دماء جرحه بكوفيته، والابن يردد «بابا، بابا» يريد الاطمئنان إلى صحة والده. ومع أنّهما كانا منشغلين ببعضهما البعض، لكنّ معنوياتنا ارتفعت كثيرًا لرؤيتهما.

كان عنبر الإسعاف الطبّي الخاص بالفرقة قرب «أروند» شرق «الفاو». توقفت الشاحنة هناك. تعاونّا جميعًا لإنزال الابن الجريح بسرعة، وظلّ الوالد قرب حمّالته. قاموا بمعاينته في العنبر، ثم قاموا بمعاينة الجرحى الآخرين.

كان الكثير من الجرحى داخل عنبر الإسعاف وخارجه ينتظرون وصول الزوارق للعودة إلى الأراضي الإيرانية، ومن بينهم «حسن قابل أعلا» الذي كان يعاني من نزف في جرح بطنه ويشعر بالنعاس في ذلك الطقس البارد، لكن لو غفا لاستشهد حتمًا. جلست قربه ورحت أحدثه، إلا أنّه لم يكن يسمعني. رفعت صوتي، فسمع وراح يتمتم. عرفت أنه لم ينم بعد. كذلك كانت حال «حسين فياض»، فرحت أتحدّث إليه أيضًا.

لم يكـن «سيروس مهدي بـور» يجلس عاطلًا من العمـل. قال لي: «أنا أساعد الطبيب في العنبر. هل هناك أي مشكلة؟».

قلت: «عزيزي سيروس، يكاد النوم يغلب على الشباب».

– تكلم معهم. إن لم يجيبوك اصفعهم على وجوههم.

– أصفعهم؟!

– أجل. يجب أن تكون صفعة قوية حتى يفتحوا أعينهم.

أجـبرت على فعل ذلك مع كليهما حتى لا يغلـب عليهما النوم. لقد أضعفهما الطقس البارد. أخيرًا وصل شباب الوحدة البحرية في زورق «لاندكرافـت» كبـير. ما إن توقـف حتى ركبنا فيـه بعـد أن نقلنا إليه الشبـاب وانطلقنـا. في الطريق، ظلّ «سيروسـ» يتحدث إلى الجرحى وأحيانًا كان يصفعهم كي لا يغلبهم النوم.

عندمـا وصلنا نزلنا من الزورق ثمّ ركبنا في سيارات الإسعاف إلى مستشفـى «فاطمة الزهـراء» الميـداني، الاسم الـذي كان كلمة السرّ لعمليات «والفجر 8».

في المستشفـى سجلـوا أسماءنـا وعناويننا وأسمـاء الوحدات التي نعمـل فيهـا وتفاصيـل الإصابـات. كنـا هناك نحمـل القنـاع الواقي والسترات الواقيـة من المطر لأنّ الهجوم بالسـلاح الكيميائي محتمل أكـثر من الخطّ الأمامي. قـام بمعاينتي طبيب يرتدي ثوبًا أخضر كما في غرف العمليات، ثم علّق لي مصلًا كان أثره سريعًا كمن يصب الماء علـى النار. شعرت بالانتعاش وأنّنـي استعدت قواي بعد أن كدت أنهار جسديًّا. آخر وجبة جيّدة تناولتِها كانت ذاك الدجاج بالأرز، وبعد نقل كلّ هـؤلاء الجرحى والشهداء أرهقـت تمامًا، وها هو المصل الآن يعيد لي طاقتي التي فقدتها.

كان «سيروس» أحد الذين حافظوا على نشاطهم من بين رفاقي، أما «رضا أنصاري» فقد ضعف قليلًا مع أنه لم يصب بأي جرح وساء وضعه النفسي، فوضعوا له مصلًا وعاد إلى منطقة العمليات. فجأة رأيت ذلك الجريح الذي سقط في المياه المالحة. المسكين مع أنّه لم يكن ينزف إلا أنه كان يردّد باستمرار: احترقت. عاينه الطبيب وذهب. ظلّ يتألم وكان يشعر بالوهن. قلت للممرض:

- أخي العزيز، هذا الجريح يتألم... يحتاج إلى مسكّن.

أجاب تعبًا وممتعضًا:

- كلّ الجرحى يتألّمون.

- لكن هذا الأخ سقط في المياه المالحة. اغسلوا جرحه وأعطوه مسكّنًا...

تعجّب من الأمر، وقبِل بأن يحقنه بإبرة مسكّن إذا وجد فرصة لذلك.

قلت: «أخي، سأحضّره الآن، وأنت حضّر الحقنة. ظلّ هذا المسكين يئنّ لست ساعات متواصلة».

هدأ الجريح المسكين عندما حُقن بمسكّن قوي. كان الممرّض المسكين على حق؛ إذ لم يكن قد جلس أو هدأ لحظة واحدة حتى الرابعة صباحًا.

في صباح الثالث عشر من شباط، انتقلتُ أنا وسيروس بحافلة نقل الجرحى إلى مستشفى في الأهواز. كانت حالي جيدة جدًّا حتى ذلك الوقت. وأخيرًا أصبحنا في المدينة بعيدًا عن الخطوط الخلفية، ولم نعد نحمل القناع الواقي ومعطف المطر. كان مستشفًى كبيرًا، أعمدته كبيرة كأعمدة الملاعب. هناك، جاءنا أحد الأطباء وهو من معارف

«سيروس». بعد السلام والسؤال عن الأحوال تابَعَنا هو. أحضروا لي ولـ«سيروس» ولبعض المرضى الذين كانوا يرقدون إلى جانبنا العصير والبسكويت والفواكه المعلبة. كنّا جائعين، أكلنا بشهية كبيرة كلّ ما قدّموه لنا؛ تمامًا كالعائدين من الحرب!

تحّسنت حالي، ورحت أتمشّى في ممرّ المستشفى. استطاع «سيروس» المشي أيضًا مع أنه كان مصابًا في قدمه. غسل الممرّضون جرحينا وضمّدوهما من جديد بضمادات معقمة. عندما نزع الممرض ضمادة جرحي، مسحت بيدي على رأسي وتلمست الشظايا الصغيرة تحت أصابعي.

عندما جاء الطبيب، طلب إجراء صور لي ولـ«سيروس» ليتبيّن إلى أيّ درجة غاصت الشظايا في رأسي وفي قدم «سيروس». كان إلى جانبنا في الغرفة أيضًا معاون قائد الكتيبة. مع أنّ حاله كحالنا، فقد سمح له الطبيب بمغادرة المستشفى. قال لنا قبل أن يغادر: «أنتما اذهبا إلى طهران للاستراحة. يجب أن تستريحا قليلًا».

لم نعلم إن كان يمزح أو يتكلم جادًّا، لكنّني أجبته: «سيد، اذهب أنت إلى الخطوط الأمامية، وسنكون في أثرك».

عندما ذهب السيد لم يعد «سيروس» يحتمل، فقال لصديقه الطبيب:

– عزيزي، لا تستحقّ شظية صغيرة كلّ هذا. لقد قُطِعتْ يد أحد المجاهدين فصار يقاتل بيده الأخرى. دعنا نذهب إلى الجِبهة...

أيّدت كلام «سيروس» قائلًا:

– لو كان جرح رأسي عميقًا أيضًا لكنتُ تقيأت. لم أتعرض لارتجاج دماغي، إنه جرح سطحي. ليتني عدت إلى الجبهة عندما كنت في ذلك المستشفى الميداني...

سمع الأطباء الذين ينبغي أن يمضوا إذن خروجي وسيروس من المستشفى كلامنا، بعد أن راح «سيروس» يمشي على قدم واحدة وهو يحرّك الأخرى إلى الأمام والخلف ليؤكد كلامه للأطباء، ورحت أنا أحرك رقبتي بشكل دائري لأؤكد لهم أنني لا أشعر بالدوار.

في النهاية حصلنا على إذن بالخروج. عندما نظرنا إلى أنفسنا في المرآة أدركنا بأنّ الأطباء كانوا على حقّ عندما اعتبرونا من الجرحى السيّئي الحال! قبل الانطلاق غسلنا رأسينا ووجهينا ونزعنا بقع الدم المتيبسة عن ملابسنا. كان حذائي معفرًا بالدم والتراب. تذكّرت «رضا أنصاري»، صبّاغ الفصيل الذي كان حتمًا قد وصل إلى الكتيبة وكانت حاله أفضل من حالي أنا و«سيروس».

كنّا مضطرين لعبور أحياء وشوارع الأهواز للوصول إلى جادّة خرمشهر، حيث راحت النساء والأولاد في المدينة يرمقوننا بنظرات خاصة، فقد بدا شكلنا لافتًا جدًّا؛ ثياب معفّرة بالدم والتراب ورأس مضمّد، وهيئة الحرب واضحة علينا.

ركبنا في أول شاحنة صغيرة خاصة بالحرس. قال السائق: «أنا ذاهب إلى خرمشهر».

قال «سيروس»: «يجب أن لا نتأخر، سنذهب إلى خرمشهر. المسافة من هناك إلى آبادان ليست طويلة».

التقيت في الشاحنة بأحدِ الأصدقاء من «كيلان»، وكنت قد تعرفت إليه في المستشفى، حيث أُحضر إلى هناك بعد إصابته بالسلاح الكيميائي. كان قد استحمّ وغيّر ملابسه، وكان ذاهبًا إلى مقرّ وحدته.

في «خرمشهر» ترجّلنا نحن الثلاثة من الشاحنة. كان المجاهد الكيلاني يحمل آلة تصوير فالتقط صورة لي ولـ«سيروس» على جادة

«خرمشهر»، ثم سجّل عناوين منازلنا ليرسل لنا هذه الصورة[1]. تابعنا طريقنــا إلى «آبادان» ومن هناك إلى «أروندكنــار». في الطريق عبرنا من المكان الذي كنّا قد قطعناه سابقًا بعد ظهر العاشر من شباط؛ إنّها البحـيرة التي غرق فيها زورق. تذكّـر «سيروس» «سهيل مولايي» الذي أخبرونا بشهادته ليلة الهجوم وما قاله حينها:

– أخي سيروســ، انظر إلى جمال هذا الزورق وهو ينام في الماء... وكأنّها لوحة فنان...

وصلنا إلى «أروندكنــار». قبل أن ننزل من الشاحنة، شممنا رائحة ثــوم فاســد. نسينا حين خرجنا من المستشفــى أن نأخذ القناع الواقي والسترات الواقية من المطر، وها نحن الآن بدأنا نشعر بألم في الرأس. مــن المؤكّد أنها مخلفــات الهجوم الكيميائي الذي شُــنّ في الصباح أو قبــل ساعات مــن الآن، لكنّ هذا المقـدار القليل من الغــاز كان كفيلًا بــترك أثــره علينا فبدأنــا مباشــرة بالتقيــؤ. غطّينا أنوفنــا وأفواهنا بالكوفيات لنقلّل قدر الإمكان من استنشاق كميات أكبر من الغاز، أما السائــق وبعض الــركاب فكانوا يضعون الأقنعة منــذ البداية. وعندما عــرف السائق بأننا لا نحمل أقنعة واقيــة، انطلق مسرعًا للابتعاد عن منطقــة الخطر بأسرع ما يمكن. أشــارت الساعة إلى الثانية عشرة، كان خوفنا من سرعة السيارة أكثر من آثار الكيميائي، لكن، نجونا في النهاية بأرواحنا.

في الخــطّ الخلفي للفرقة عرفنا أنّ كتيبة حمزة لا تزال في «الفاو». ركبنــا القــارب وتوجهنا إلى هناك. هــذه المرة رأينــا المدينة مضاءة؛ مدينة كبيرة، بيوتها بيضاء اللون ويقع فيها ميناء «تشلتشراغ».

1 - استلمت الصورة في عيد النوروز عام 1986م.

تقدمنا حتى وصلنا إلى الصورة الكبيرة لصدام التي كانت علامة جيدة بالنسبة إلينا. عند الظهر التقينا بشباب «حمزة»، في النقطة نفسها التي كانوا فيها بالأمس. وجدنا السيد «مجتهدي» يتحدث إلى عناصر الكتيبة الذين بلغ عددهم 40 أو 50 عنصرًا.

بعد أن أنهى كلامه سلّم علينا بحرارة وسألنا متعجّبًا:

– كيف نجوتم من هناك؟ يجب أن تكونوا في طهران الآن وليس هنا! الأمان من زهور الفصيل الأول!

«زهور الفصيل الأول»، هذه الجملة كانت محطّ كلام السيد مجتهدي عندما يتحدث عن شباب فصيلنا.

ثم ربّت على كتفي ووضع اليد الأخرى على رأس «مهدي بور» وقال:

– أخ سيروس، أريد منك إحصاءً تفصيليًّا لشباب الفصيل الأول.

أنجز «سيروس» الإحصاء حول الشهداء والجرحى والأحياء في اليوم ذاته. ومع أنّ المعلومات كانت متضاربة، إلا أنّه جمعها كلّها وسجّلها، وأكثر من ساعده في ذلك هو «علي شهبازي» مسعف الفصيل الأول، الذي كانت تقع على عاتقه مهمة الاهتمام بالجرحى في غرفة صغيرة عند نقطة الانتشار. كانت حسنته أنه يعرف كل شباب فصيلنا، لأنه خدم معنا في الصيف والخريف الماضيين.

بعد ظهر اليوم نفسه، تمّ تسليم إحصاء الفصيل الأول إلى قائد الكتيبة. الشهداء هم: «أمير عباس رحيمي» الذي أصيب بشظية في مؤخرة رأسه فاستشهد على الفور، «سعيد بوركريم» و«أكبر مدني» وكانا خادمَي الفصيل، وتربط بينهما علاقة خاصة واستشهدا معًا، «بوركريم» حلّاق الفصيل و«مدني» الذي كان يملأ سرًّا أباريق المياه. كما استشهد «محسن كلستاني» لكنّنا لم نعرف هذا يومذاك لأنّ أخاه

«حسين» قد جرح أيضًا، فاختلط الأمر على الشباب.

اجتمع كلّ عناصر الكتيبة ليلة 14 شباط في عنبر كبير، وأصدر السيد مجتهدي أمرًا بعدم خروج أحد منه بسبب نيران العدو الشديدة، وخاصة أنّ العدو كان قد حدّد زوايا الدشم بالدقة وراح يقصفها بشدة.

في تلك الليلة وصلت التعزيزات من كتيبة «سلمان». قال أحدهم لي ولـ«سيروس» على مدخل العنبر:

- سمعت أنّ الكثير من شباب حمزة استشهدوا... سوف نذهب وننتقم لهم.

أمسك «سيروس» بقرآن صغير بيده وراح عناصر كتيبة «سلمان» يعبرون من تحته.

في الليلة التالية هاجمت كتيبة «سلمان» خط العدو. كانت مهمّتها استكمال مهمّتنا والوصول إلى جسر جادّة «الفاو-أم القصر».

عند غروب اليوم الخامس عشر، انتقلنا نحن عناصر كتيبة «حمزة» الخمسين أو الستين فردًا، بشاحنات تويوتا إلى القاعدة الصاروخية في خور «عبد الله» التي كانت خطّ الفرقة الساحلي، وتقدّمنا مسافة 6 كيلومترات إلى الأمام. في تلك الليلة وقعت معركة طاحنة في الجادّة شاهدناها من بُعد، ووصلتنا أخبارها بالتفصيل. وَسَعَتْ الفرقة بكل ما تملك من قوة للتقدم بضعة كيلومترات، لكنها لم تصل إلى ذلك الجسر الكبير، وبقي أمامها 1500م.

بعد هذا التقدم لكتيبة «سلمان»، أخذتُ و«سيروس» و«رضا أنصاري» الإذن من مسؤولي الكتيبة للذهاب إلى المنطقة التي نفذنا فيها العمليات لنراها في وضح النهار، تلك المنطقة التي دخلناها أول

الليل، ومن ثمّ خرجنا منها في الليلة نفسها بعد كل تلك الأحداث.

في منطقة مثلث مصنع الملح التي يطلقون عليها اسم «مثلث محتشم»، نُصبت لوحة كُتب عليها: نحو الخطّ الأمامي لفرقة (27) محمد رسول الله ﷺ/إعلام الفرقة»، كما وُضع على اللوحة سهمٌ يُظهر طول جادّة أم القصر. بقيت كتيبة «الأنصار» في هذه المنطقة تدافع أسبوعًا كاملًا بقيادة الحاج «جعفر محتشم»، كما كانت إلى جانب كتيبة «مسلم» ليلة الهجوم.

تقدمنا أكثر من جهة يمين الجادّة إلى حيث تقدّمنا في ليلة هجوم الكتيبة. كان ذلك مع بزوغ الفجر، ومع ذلك شاهدنا كلّ المنطقة بوضوح. وصلنا إلى الساتر الذي انتشرنا منه وساحة المعركة في تلك الليلة، لكنّنا لم نجد أثرًا للساتر ولا للشق في الجادّة ولا لغرفة إسعاف «علي شهبازي». وعرفنا من الآثار المتبقّية بأنّ قذيفة أو صاروخًا أطاحت بالمكان.

تابعنا تقدّمنا ووصلنا إلى النقطة التي كان العدوّ يكمن فيها تلك الليلة أي شقّ الجادّة الثاني. في تلك الليلة، سقط جرحى وشهداء الفصيل الأول في هذه المئتي متر الأولى. إلى الأمام أكثر، كان موقف تلك الدبابات وناقلات الجند. قلت لسيروس:

- ألم يكن من الأفضل لو تقدم الشباب من يمين الجادّة؟

- هذا ما حصل. فقد كانت المياه تغمر المنطقة في يسار الجادّة ولم يستطع الشباب العمل جيدًا.

- كان يجب علينا أن نبدأ من يمين الجادّة وتطهّر مجموعة من الشباب المنطقة في يسارها...

أيّد «سيروس» كلامي، أما رضا فلم ينطق بكلمة، واكتفى بالتأمّل

في أماكن الاشتباك والأماكن التي استشهد فيها الشباب. تركناه وشأنه، لكن تمنّينا أن يبكي لعلّ قلبه يهدأ قليلًا!

على يمين الجادّة وحيث استشهد شباب الفصيل الأول تمامًا، وجدنا غرفة صغيرة مليئة بالطيور. فتحت باب الغرفة الإسمنتية الذي كان مغلقًا بسلك معدني وأنا في غاية الدهشة. كان سقف الغرفة مصنوعًا من الصفيح المضلّع وشبابيكه عبارة عن شبك من الأسلاك المعدنية. لم نصدق أنّ هذه الغرفة الصغيرة لم تتضرّر في تلك الليالي الحامية.

وجدنا العديد من الحمام الأبيض والبني والملون يطير في القفص هنا وهناك. دخل «سيروس» و«رضا» خلفي إلى القفص. تذكرت كباب الطيور في مهران فقلت لسيروس مازحًا: «شباب، سيكون لدينا الليلة كباب». لم ينطق «سيروس» بحرف، وراح «أنصاري» يلاعب الطيور. فجأة سقطت قذيفة في المنطقة فانطلق الحمام خارج القفص.

تقدمنا أكثر، فوصلنا إلى المكان الذي جُرحنا فيه، حيث الجيب المنقلب رأسًا على عقب والذي لا يزال صوت بوقه في أذنيّ.

لم نكمل طريقنا إلى الأمام أكثر. فقد تقدّمنا إلى مسافة كيلومتر أو كيلومترين عن ساحة المعركة. ولمّا أردنا الرجوع، ركبنا شاحنة صغيرة متوجهة إلى مقصدنا ووصلنا بسرعة إلى القاعدة الصاروخية.

تُعرف القاعدة الصاروخية بقاعدة «ذوزونقه»[شبه المنحرف] أيضًا. وهذه شكّلت مكانًا آمنًا. لم يكن الدفاع في تلك المنطقة صعبًا كثيرًا، حيث إنّ الساحل كان عبارة عن مستنقع ولم يكن العدو يستطيع إنزال قواته هناك.

كان قسم التموين والتجهيزات في الكتيبة ضعيفًا، فقد كانت

غالونـات المـاء قليلـة، وكانـوا يوزّعـون القواريـر علينا، أمـا الطعام فاقتصر على المعلبات. لذا، دخلنا الدشم العراقية وغنمنا منها بعض الحصصـ الغذائية. كما وجدنا أيضًا فرشاة وصِباغًا فبدأ عمل رضا الصبّـاغ؛ تنظيـف الأحذية العسكرية وتلميعهـا في وقت ومكان لا أحد يفكر فيهما بهذا الموضـوع أساسًا. فكان أول ما يصبغ أحذية الشباب ومن ثمّ حذاءه.

لم تكن حال رضا جيدة. تحدّث «سيروس» إليه واستنتج أنّه أصيب بالكيميائي، فأوصاه بالذهاب إلى الطوارئ لكنّه لم يقبل. كما خلصت أنا وسيروس إلى نتيجة مفادها أنه بعد العودة من المستشفى دخل إلى منطقة ملوثة.

تحـدّث السيـد «مجتهدي» مـع رضا وأقنعـه بالذهـاب إلى مركز إسعـاف الفرقة وأن ينتظرنا بعد ذلك في معسكر «كارون». كان يحتاج لاستراحة وكانت هذه حاجة الجميع بالطبع[1].

لكن، جـرت الأمور بطريقــة أخرى. فبعد أن غـادر رضا، تطوعتُ و«سيروس» و«علي شهبازي» لمساعدة كتيبة «حبيب» التي كان من المقرر أن تنفـذ العمليات والتحقنا بها مساءً. لم تعد مهمتي مساعد مسعف، وحملـت السلاح بدلًا عـن الحمّالة، وحقيبة ذخائـر «آربي جي» حيث صرت مساعد «سيروس» الذي كان رامي آر بي جي. عشية 18 شباط، أصبح من كانـا المسعف والمنقذ في المجموعة الأولى من الفصيل الأول لعدة ليال، رامي «آربي جي» ومساعده؛ هكذا اقتضت الظروف.

نُقـل المتطوعـون إلى الأمام بشاحنــة «تويوتا» من تلـك الشاحنات الجديدة التي كان الشباب يسمّونها بانكي. في الخط الأمامي في جادّة

1 - قبل نهاية الأسبوع ذهبنا جميعنا إلى كارون.

أم القصر، ترجلنا من الشاحنة. كنّا حوالي 15 شابًّا ومن دون مسؤول. التجأنـا إلى خلف الساتر الترابي. كان مـن المقرر في تلك الليلة إنهاء المهمة التي لم تتحقق بعد وهي الوصول إلى ذلك الجسر، لكنّنا عرفنا منذ وصولنا أن أمامنا ليلة حامية. قلت «لسيروس»:

– نسأل الله ما فيه خير. لا أظنّ أنّنا سنشهد شروق الشمس.

لم نجـد أي دشمة خالية. حتى لو وجدنا مكانًا لنا في بعض الدشم، لم يكونوا ليفسحوا لنا نحن الذين بَدَوْنا غرباء بنظرهم كي نأوي إليها. لكن «سيروس»، ومن دون أيّ تأخير أو امتعاض، بحث عن مجرفة وبدأ بحفر ساتر ترابي، وساعده رفاقنا في ذلك. لم ننتظر الأوامر من أحد. بعد إنهاء العمل بالحفرة داخل الساتر الترابي لجأنا إليها.

كنّـا بانتظـار بـدء الهجـوم.. وطـال الانتظـار. وصل طابـور من المجاهديـن وتقدم إلى الأمام إلى قلب العـدو. أعتقد أنهم استشهدوا جميعًا أو جرحـوا. ثم سمعنا هدير دبابة. ظنّناها في البداية عراقية. كنا نتحدث حول الدبابة وكونها عراقية، وإذ بشيء ينفجر قربنا. إنها دبابتنا تطلق النار من فوق رؤوسنا. كنّا مشوّشين. لم نعد نشعر بآذاننا أو عيوننـا. لقد عطّل الضوء الخارج من فوهـة الدبابة وصوت إطلاق القذيفة أسماعنا وأبصارنا. كل ما كنت أعرفه أنني قرب «سيروس».

بعـد أن هـدأ «مهدي بور» قليـلًا، أنّب طاقم الدبابـة لأنهم أطلقوا النار من على هذه المسافـة القريبة ولم يحتاطوا، فقال رامي المدفعية إن الأوامر اقتضت ذلك.

طالـت تلك الليلة كثيرًا. كانت ليلـة غريبة ومربكة. استشهد بعض شبابنـا وجرح آخرون وعادوا إلى الخلف. كما جُرح «سيروس» لكنّه لم يرجع. فقد كان الشباب يسمعون كلامه، ويكفي دليلًا على الإرباك في

تلك الليلة أن أصبحتُ معاون القائد أي «سيروس».

في فجر الثامن عشر من شباط سقط خطنا الأمامي وتقدم العراقيون كيلومترًا أو كيلومترين. وبفضل قيادة «سيروس» وتدبيره، خرج شباب «حمزة» من ساحة المعركة قبل تقدّم العراقيين. وصل عددنا نحن الخمسة عشر إلى عشرة. جمع «سيروس» هؤلاء العشرة وعدنا. تقدم هو الطابور وكنت أنا الفرد الأخير. عدنا سيرًا على الأقدام حتى وصلنا إلى القاعدة الصاروخية. ظنّ «سيروس» أنهم سيوبّخونه على فعلته هذه، لكن السيد مجتهدي أثنى عليه.

ظهر اليوم الثامن عشر هطلت الأمطار بغزارة. استرحنا يومها، فقد أمضينا يومًا وليلة قاسيين. أثناء الاستراحة، روى لي «سيروس» ذكرياته عن عمليات بدر، وكيف غلب عليه النوم قرب القتلى العراقيين لشدة التعب، حتى غطى التراب الناجم عن انفجار القذائف كامل جسمه، فظنه الشباب في «تعاون» الفرقة شهيدًا، وحين سحبوه من تحت التراب نهض فخافوا وفرّوا من بين يديه.

ألف سلام على فئران «مهران»، فقد كانت فئران «الفاو» قططًا بالنسبة إليها، وإذا ما تعرّضت لأحد آذته بشدة.

كان الطعام قليلًا في هذه الناحية من «أروند»، كذلك الماء والذخائر، وتحمّل الشباب هذه الظروف لأكثر من أسبوع. أما الطقس فكان في الليل باردًا جدًّا. كنّا نرتدي المعاطف العراقية ونذهب إلى ساحل خور عبد الله للحراسة تحسّبًا لأي هجوم من قبل مغاوير العدو. كانت نيران العراقيين تزداد شدّة ليلة بعد ليلة طوال الفترة التي قضيناها في القاعدة الصاروخية، ومن بين الصواريخ التي استخدموها كانت الصواريخ الفرنسية أو النمساوية التي يعرف مسارها بسبب لهيبها الخلفي، وقد انفجر بعضها بالقرب من عنبرنا لكنّ أحدًا لم يصب بأذى.

في اليوم التالي، استهدفت قواتنا طائرة مقاتلة عراقية كانت تغير فوق رؤوسنا فقفز طياراها مباشرة. فُتحت مظلة أحدهما ولم تفتح مظلة الآخر، ولا يزال صياحه وصراخه المرعب يرنّ في أذني، حتى وقع أرضًا وتمزق إربًا. صدرت الأوامر بعدم إطلاق النار على الطيار الآخر وبإحضاره أسيرًا. فذهبت مجموعة في أثره حتى سحبوه من بين الوحل وأحضروه.

في اليوم نفسه انفجرت بعض القذائف الزمنية[1] في الهواء، ما تسبب بمقتل بجعة كانت تطير في المنطقة. احتضنتها، فوجدتها مصابة بشظية في بطنها وكانت أجنحتها البيضاء ملطخة بالدماء؛ كان هذا نصيبها في تلك المعركة.

في أواسط آذار، أصدر السيد «مجتهدي» أمرًا يقضي بأن نجمع عدّتنا وعتادنا ونتهيّأ للتحرك، ليس إلى الخطّ الأمامي، بل إلى الخلف هذه المرة، للاستراحة وإعادة هيكلة الفرقة. قبل أن نغادر القاعدة الصاروخية، تحوّل الطقس إلى غائم، وتساقطت الأمطار لساعات طويلة. أصبحت كل مستنقعات خور عبد الله الجافة موحلة ووصلت المياه إلى مشارف الدشم وعنابر المقر. فرح السيد لأن العراقيين لن يتمكنوا من التقدم والقيام بهجوم معاكس حتى بعد عدة أيام.

لم يكن انتقال كتيبة «حمزة» عملًا شاقًّا، لأنّ عدد أفرادها لم يكن يتجاوز عدد أفراد السرية الواحدة. عَبَرنا «أروند» وعدنا إلى العنابر في «أروندكنار». ما إن دخلنا العنابر حتى هاجت أحزاننا وتجدّدت أشواقنا لرفاقنا الشهداء. هنا، نمت أنا و«أمير عباس رحيمي» جالسَين قرب بعضنا البعض. مرّت في خاطرنا ذكريات كلّ أصدقائنا، ولم نجد غير الدعاء وزيارة عاشوراء وسيلة للتخفيف من حزننا وغمّنا.

1- لها صاعق وقتي.

بقينا في العنابر ليلة واحدة. في صباح اليوم التالي وقبل أن نغادر «أروندكنار» ذهبت مع «سيروس» إلى عنبر «معراج الشهداء» القريب من عنبرنا. يعمل هناك شابٌّ يافع يبلغ من العمر 15 عامًا، وهو في السنّ نفسها لـ«سهيل مولايي» ويشبهه أيضًا، كانت مهمته لفّ أجساد الشهداء، وعلى حدّ قول أحدهم، لفّ الشوكولا. كان جريئًا. أما أنا عندما كنت في مثل سنّه وأنا في طهران كنت أخاف من الأموات ولا أنام الليل، أما هو بالرغم من صغر سنه كان يربط عشرات الأجساد مع أن بعضها كان مقطّعًا إربًا، أو تطايرت بعض أعضائه.

كانت الدماء المتخثرة والمتيبسة تغطي أرض المكان. شاب تعبوي يرتب الأجساد المقطعة، فيضع اليد والقدم المقطوعتين مكانهما، ويغلق كيس البلاستيك من الجهتين كما يلفون قطع الشوكولا. كانت تؤذينا رائحة المواد المعقّمة التي يرشونها من حين لآخر بمضخة يدوية.

عدنا إلى العنبر فوجدنا حافلة ملطخة بالطين متوقفة هناك، وكانت مساحة الرؤية أمام السائق صغيرة أيضًا بما يكفي ليرى طريقه فقط. وهكذا، غادرنا «أروندكنار» ومنطقة عمليات «والفجر 8» تاركين خلفنا مئات الذكريات. وصلنا إلى الخيام. عشنا لحظات عجيبة حين دخولنا إليها. لقد تجدّدت أحزاننا على غربة رفاقنا. لم يكن تعاون الكتيبة قد أرسل بعد أغراض الشهداء والجرحى الشخصية إلى منازل ذويهم. قمت أنا و«سيروس»، وبناءً لأمر القيادة، بمساعدتهم في تنظيم عمليات التسليم هذه وفقًا للائحة التي أعدها «سيروس» من قبل. كان مسؤول الفصيل «محسن كلستاني» قد جمع أغراضه في كيس بلاستيكي قديم؛ كتاب القرآن والدعاء، سجّادة الصلاة والقميص الأخضر الذي كانت أخته قد أهدته إياه ولا تزال تفوح منه تلك الرائحة الطيبة.

ألقينــا نظرة على أغراض الجميع للتأكد من خلوّها من أي ذخيرة أو أداة عسكريــة، ثم أحكمنا إغلاقهــا وسجلنا اسم صاحبها وعنوانه عليها بدقة لتُسلّم إلى ذويه.

عندمــا وصلنا إلى أغراضـ «أمير عباسـ» الشخصية، لم أتمالك دموعــي. وببكائي، غصّ كلّ من «رضــا أنصاري» و«سيروسـ» أيضًا بالبــكاء. مع أنّ صوت «سيروس» لم يكن شجيًّا، إلا أنّه بدأ ينشد: «أين أنتــم أيها الشهــداء الربانيون/ يا من تبحثون عــن البلاء في صحراء كربلاء/ أين أنتِ أيتها الأرواح اللطيفة العاشقة/ الأكثر تحليقًا وسموًّا من طيور السماء...».

في تلك الأثنـاء، سررتُ عندما بدأ «رضا أنصاري» بالبكاء، ولم أكن قد رأيته يبكي من قبل لشدة تماسكه. عندما بكى هو شعرت أنا أيضًا بالخفــة. رحنا نبكي نحن الثلاثة حتى هدأت قلوبنا. بعد أن بكى رضا راح يتكلــم كثيرًا، تحدثنا وتحدثنــا حتى بدأنا بالمزاح. توجب علينا أن نفــرغ الغمّ المــودع في قلوبنا بأيّ طريقة كانــت وإلا متنا كمدًا. يصعب التصديق أنّه لم يبقَ من خيمة تحوي ثلاثين نفرًا، سوى ثلاثة سالمين. وأيّ سلامة تلك، كنا ثلاثتنا مصابين في أجسادنا وقلوبنا.

كانــت هذه حال أكثر الخيــام، وأكثر من قــدّم الشهداء والجرحى كانت السرية الأولى بحيث صرنا نجتمع، نحن من تبقى من الفصائل الثلاثــة، في مــكان واحد. وبينما كنّا في الخيمة، وقــع نظري أنا ورضا علــى قدم مــع جوارب موضوعــة في كيس جانبًا. ذهلنــا، وفكرنا ماذا تفعــل هذه القــدم المبتورة هنا. تقدمت منها بحــذر ولمستها. من شدّة ذهــولي وتعجّبــي لم ألتفت إلى قساوتهــا وصلابتها. عندمــا سحبتها خــارج الكيس اتضــح الأمر لنا، فبدأنــا بالضحك. عرفنــا لاحقًا بأنّ الجريح الذي يكون أحد أطرافه مبتورًا؛ عندما يأتي إلى الجبهة ينزع

الطرف الصناعي، [للمحافظة عليه]، لئلّا يحرم من العمليات إذا ما أصاب الطرف سوء.

في اليوم التالي، أثناء المراسم الصباحية، أعلن السيد مجتهدي أمام القلّة ممن بقوا من كتيبة «حمزة» أنّه يمكن للإخوة الذين انتهت مأموريتهم، تسوية أمورهم والانصراف إلى منازلهم، وأنّ عمليات «والفجر 8» مستمرة بالطبع، وأنّ أمن الفاو يتهدّده خطر جدي بسبب احتمال هجوم عراقي معاكس.

عمد بعض التعبويين إلى تصفية أمورهم. وجاء في الوقت نفسه عدد من ذوي الجراح السطحية إلى «كارون»، من بينهم «حسين دستفاره» الذي جاء بلباس المستشفى. كما جاء إلى هناك أيضًا بعض الشباب من الكتائب المنحلّة في الفرقة -سلمان ومسلم- لإعادة هيكلة كتيبة «حمزة». وعُدّت كتيبة حبيب من الكتائب التي هي في طور إعادة الهيكلة أيضًا. وهكذا، أعيد تشكيل كتيبة «حمزة» بفصائل مؤلفة من عشرين عنصرًا. فلم يكن لرامي «الآر بي جي» ورامي الرشاش أكثر من مساعدين في الهيكلية الجديدة.

بعد التنظيم، أُعطيَ لعناصر الكتيبة إجازة قصيرة داخل المدينة، فحضرت عدة حافلات صغيرة صباح أحد الأيام، وأقلّت الشباب إلى الأهواز. قمنا بجولة في المدينة وأجرينا اتصالات هاتفية، تناولنا طعام الغداء واستحممنا... كان الحمام بالمياه الدافئة غنيمة بالنسبة إلى أجسادنا المدماة والمعفرة بالتراب والتّعبة وخاصة أن الاستحمام في المعسكر، وبمياه باردة أيضًا، كان يتطلّب منّا الانتظار لنصف ساعة للحصول على دور. في الحمام رأيت قدم «سيروس» المجروحة، تعجبت من شدّة تحمله؛ كان جزءٌ من عضلة ساقه بحجم كفّ اليد مزرقًّا.

في طريق العودة إلى المخيم، ركبنا شاحنة تويوتا «لاندكروز» في

طريق «دارخوين» الرملية. كانت الدماء تملأ أرض الشاحنة، أخبرَنا السائق أنه نقل شهيدًا للتوّ. انطلقنا عند الغروب. كانت أصوات بنات آوى تتناهى إلى مسامعنا مع غروب شمس ذلك النهار. لقد شدّت رائحة الدم الرطب الحيوانات المتوحشة فلحقت بالشاحنة. زاد السائق من السرعة فلم تتمكن من اللحاق بنا. فكرت في نفسي أن لا قدّر الله أن أعتاد أنا أيضًا هذه الدماء ورائحتها ولونها وأصبح متوحشًا مثل هذه الحيوانات!

في المعسكر رأيت «أصغر أهري». كان يمضي فترة نقاهة بعد جرح أصيب به في ذراعه اليمنى. وقد رجع مع أنّ حاله لم تكن جيدة، لكن ليس لمرافقتنا، إنّما للاستعلام عن حال ابن عمه «مسعود أهري» الذي دُفنت قدم وردت بإسمه، فساوره الشك حول الأمر. أطلعته أنا ورضا وسيروس وآخرون على ما عندنا من معلومات، واتفقنا نحن الثلاثة على أنه لم يُصب بإصابة بليغة، وكان «سيروس» على يقين بأنه لم يضمّد جرحه، وكذلك أكدتُ أنا ورضا أننا لم ننقله إلى الخلف. لم يمكث أصغر فترة طويلة هناك، فبعد أن حصل على هذه المعلومات تابع جولته ليأتي بالخبر اليقين.

من جديد، ذهبت الكتيبة في مأمورية دفاعية إلى جادّة «أم القصر» لمدة 5 أيام، إلا أنّها استغرقت بين الذهاب والإياب والتوقف والانتظار خمسة عشر يومًا. كانت نيران العدو كثيفة في هذه الفترة. وقد تغيّر خطّ الدفاع حينها عمّا كان في 18 شباط. لم يقم العراقيون بهجوم معاكس أثناء وجودنا هناك، وسمعنا أنهم قاموا بهجوم معاكس واسع قبل ذلك في الفترة التي كانت كتيبة «الأنصار» تؤدي مأموريتها الدفاعية.

في ليلة رأس السنة الهجريّة الشمسيّة الجديدة كنا في «أروندكنار» نقرأ دعاء تحويل السنة. وقد أقامت وحدتا المدفعية والميني كاتيوشا

احتفالًا كبيرًا للعراقيين مساء ذلك اليوم!

عندما عدنا من خط الدفاع، سوّيت أموري، فقد شملتني الخدمة الإلزامية، وكان عليّ التقدّم بأوراقي الخاصة للالتحاق بالخدمة. كنت أريد تأدية خدمتي في «كميته انقلاب إسلامي» (لجنة الثورة الإسلاميّة)[1].

وصلت إلى طهران قبل انتهاء عطلة الأيام الخمسة الأولى من بداية العام. كان والديّ وإخوتي قلقين عليّ، ذلك أنّ أخبار الإذاعة والتلفزيون كلّها كانت حول أحداث «الفاو»، ومع أنني تواصلت هاتفيًّا مع والدتي قبل عدة أسابيع، إلا أنها لم تكن لتشعر بالاطمئنان قبل أن تراني.

قام جميع أفراد العائلة برعاية طيوري خلال تلك الفترة الطويلة. وجدت قفص الحمائم والكنارات مليئًا بالدُّخن[2] والقمح. في قفص الكنارات بذور الكتان وفي قفص الببغاء بذور دوار الشمس. لقد اعترتني سعادة عارمة عندما سمعت صوت الببغاء. كان يقلّد صوتي:

– أمير، شهيد... أمير، شهيد...

كل من في البيت كان يعرف «أمير عباس»، وحزنوا كثيرًا لشهادته. بين صوري، رأت أمي صورة «مسعود أهري» الذي كان قد أخذ صندوق الكبيس منها في آخر إجازة. قلت لها: «أمي، لقد استشهد هذا الشاب أيضًا». اغرورقت عيناها بالدموع عندما سمعت هذا الخبر وراحت تردد: «إنّ لوعة فقد الشباب صعبة. أسأل الله أن يربط على قلب والدته».

1 - هي لجنة أنشئت قبيل انتصار الثورة وقبل تشكيل الشرطة، كانت مهمتها الحفاظ على الأمن في المدن، إلى جانب مهامّ أخرى.

2 - millet/ نبات عشبي له حبٌّ كالسمسم.

عـاد «سيروس» و«رضا» أيضًا إلى طهران. كانت الكتيبة قد أعطت إجـازة للجميـع. ذهبتُ في أحـد الأيـام إلى محلة «صادقيـة»، شارع الشهيـد «سعيد كلاب»، مجمع «كلستان» لزيـارة عائلة «أمير عباس». وكنـت قد ذهبت في الصيف الماضي مرّات عدة إلى هذا العنوان. كان والـد أمير عباس وأخته يعرفاني جيّدًا. أخبرتهم بعض الذكريات عن أمير عباس، وقد لفتتهما قصة نومه في القبر.

وذهبتُ في أحد الأيـام إلى مقبرة «بهشت زهرا» (جنة الزهراء). تذكـرت العـام الماضي عندما نـام أمير عباس في أحـد القبور. كانت القطعـة المدفـون فيهـا يومـذاك مزدحمة. قصـدت قـبره. أذكر أنه حينـذاك نام في قبر قرب الإسفلت. ومع أنّ معالم هذه القطعة تغيرت كثيرًا إلا أنني عرفت الناحية التي نام فيها.

أحيانًا كنت أقوم لوحدي وأحيانًا برفقة «سيروس» و«رضا» بزيارات لعوائـل شهـداء الفصيـل الأول ومن بين هـؤلاء الشهـداء «بوركريم» و«مـدني» اللذين يقـع منزلاهما شرق طهـران بالقرب مـن بعضهما البعض. كان ذلك في العيد الأول بعد شهادتهم، وكانت زيارتهم واجبة.

قدّمـت أوراقي الخاصة وصرت مستعـدًّا للالتحاق بالخدمة، ومن حسـن الحظّ تبيّن أنّه كان أمامـي متّسعٌ من الوقت قبل الموعد، فعدت مجـدّدًا إلى الجبهـة وكان ذلـك في 1986/4/9م. وهـذه المـرة أيضا التحقـت بكتيبة «حمزة»، لكن، في السرية الثانيـة، لأن السرية الأولى كانت قد تركت ثكنة «دوكوهه» متوجهة نحو منطقة عمليات «والفجر8». رافقنـي في هذه الرحلة أخي الأكبر، فعدنا في عداد السرية الأولى إلى منطقة العمليـات وإلى مدينة «الفاو» بتاريخ (1986/4/16م). كنّا في القاعـدة الصاروخية في «خـور عبد الله» في احتيـاط السرية الأولى. مسـاء العشرين من نيسـان أرسلونا جميعًا إلى الخـطّ الأمامي. كان

العراقيـون قد بدأوا هجومًا معاكسًا واسعًـا في جادّة أم القصر وكافة المحـاور الأساسيـة في المنطقـة. قبـل مغـادرة المنطقة، نلـت بالطبع نصيبي، القليل من غاز الأعصاب. لم أكترث بذلك حينها؛ لكنّني بعد 24 ساعة بدأت أشعر بألم في الرأس.

تلاحقـت هجمـات الجيـش العراقـي تلك الليلـة واستمـرّت حتى السحر. هاجموا وقُتلوا، ثم عاودوا هجومهم من كافّة الجهات وبشكل متواصل. قبل بزوغ شمس الصباح لاحظنا أنّ بعض الجنود العراقيين يتظاهرون بالموت أمام الساتر الترابي. كانوا لا يستطيعون التقدم، ولو تراجعوا لقتلوا بنيران أصدقائهم، لذا تظاهروا بالموت بانتظار انتهاء المعارك وعودة الهدوء. في ذلك اليوم أسرنا أحدهم ومع أنّنا كنّا نعاني نقصًا في الطعام، قدّمنا له الماء والبسكويت.

فجأة سقط أحد الشباب بنيران القناصة، فضحك الأسير العراقي. قبل ذلك أصيب كتف أحـد الشباب برصاصة أيضًا. وبينما أنا ذاهب إليـه، انفجـرت قذيفة علـى مقربة منـي. طرت في الهـواء وارتطمت بالأرض بشدّة. نظرت حولي مشوّشًـا ومضطربًا، كان التراب والغبار يمـلآن المـكان. أحسست بأنّ رجلـي أصيبت، حرّكتهـا وحددت مكان الإصابة. خـلال لحظات تورّمت رجلي وصـارت كبالون. أردت ربطها بحزام ليتوقف النزف، فإذا بها صارت نصفين. بالإضافة إليّ، أصيب أحدهـم بعصف الانفجار وجرح. ناديـت المسعف كي يأتي لمساعدتنا. لقد جرح عدة أفراد في تلك اللحظة: بين المُصاب برصاص القنص في دشمة محفورة على سفح الساتر الترابي في جبينه وكانت حاله سيّئة، والمُصاب بكتفه، وأنا من انكسر عظم ساقي، وذلك الذي أصيب معي. جـاء المسعف. عندما جلس قربي قلت له: «يا أخي، اذهب وعاين ذلك الشاب أولًا».

ذهب فما لبث أن عاد: «انتهى أمره. لقد أصيب بشظية في رأسه».

لكنّ الجريح كان ينظر إليّ وإلى المسعف بعينين نصف مفتوحتين، ويسمع كلامنا حتمًا، فهو لم يكن يبتعد عنا كثيرًا. أنا على الأرض وهو في عمق الساتر الترابي. لم يكن يقوى حتى على تحريك رأسه. كان فقط يتأملني ويتأمل المسعف وهو يضمد جرحي. أما أنا فركزت كلّ حواسي على عينيه نصف المفتوحتين. ظلّ يسرح فيّ وأنا أحدق في عينيه حتى رأيت الدمع يجتمع في زاوية عينه وجفونه تهتز قليلًا. كان شابًّا يافعًا مستدير الوجه. انحدرت دمعته على وجنته، فعرفت أنّ به رمقًا. تفطّر قلبي لأجله حتى إنّي نسيت كسر قدمي.

على بعد عدة أمتار، تسلل الأسير العراقي إلى زاوية وكان يضحك ضحكة استهزاء. قال المسعف: «لا تنزعج يا أخي... أعرف ماذا سأفعل بهذا اللقيط... سآخذه إلى «أروند» زحفًا.

حتى تلك اللحظة، لم يكن أخي قد انتبه إلى إصابتي. جاء المنقذون ووضعوني على الحمالة. أخيرًا، سقط الخياط في إبريق الماء؛ وحكاية ذلك الخياط مشهورة، حيث كان يجلس على باب دكانه الذي كان قريبًا من المقبرة، فكان كلّما رأى جنازة تُنقل إلى المقبرة يرمي حجرًا في إبريق الماء، ومن ثم حين يأتي آخر الشهر يفرغ هذه الحصوات من الإبريق ويعدّها. ذات يوم، لم يُرَ الخياط عند باب الدكان، وحين سألوا عنه، أجاب أحدهم: لقد سقط الخياط أيضًا في إبريق الماء. وها أنا الآن المنقذ أتسبّب بالمتاعب للمنقذين. كان نصيبي أن أحمل ذكرى من جادّة «أم القصر» طيلة حياتي. وبينما أنا في الشاحنة، كانت قدمي تؤلمني بشدة مع كل اهتزاز. قلت للجريح الذي يجاورني:

- يا أخي، إذا نزعت الحذاء من قدمي سأدعو لك. إنّه ثقيل جدًّا.

عندما نزعه من قدمي ارتحت من وزن 5 كلغ.

سرنـا وسرنا حتى وصلنا إلى مستشفى في الأهواز حيث أُجريت لي عمليـة جراحية في رجلي المكسورة. عندما استعدتُ وعيي رحت أصرخ مـن الألم حتى علم بالأمر كل من في الغرف المجاورة. أمر لي الطبيب بحقنـة مسكن قـوي هدأت ألمي، لكن الألم تكرر مـن جديد، وأصابني بشـدّة في سائـر أنحاء جسدي ولم يفارقني. أخـيرًا نطقت وأخبرتهم بأنني تنشّقت المواد الكيميائية قبل أن أجرح.

سألني الطبيب: «ما كانت رائحتها».

- ثوم وبصل.

عندما سمع بذلك بدأ بعلاج تلك الإصابة.

نُقلت من الأهواز إلى مشهد وأدخلت إلى قسم الولادة! فكنت أسمع صـراخ النسـاء اللاتي يلدن، وأشمّ من الطابـق السفلي حيث المطبخ، رائحة الثوم والبصل التي زادت حالي سوءًا. طلبت من ممثل مؤسسة الشهيـد الذي كانوا ينادونـه بالسيد، عدة مرّات قائـلًا: أقسم عليك بجدك إلّا أخرجتني من هنا وتركتني أعود إلى طهران، وإلا جُننت.

في أحـد الأيـام دخـل أحد المرضـين غرفتي حاملًا بيـده قطاعة أسـلاك. في البداية ظننت أنـه جاء لإنجاز عمل ما في الكهرباء، لكنه أقبل إلي، أزاح الملاءة عني وراح يقطع الأسلاك التي في قدمي ففهمت القضيـة متأخـرًا. عديم الإنصـاف راح يقطعها مـن دون تغييبي عن الوعي أو تخدير. رحت أصرخ... لكن، وكأنّ أحدًا لم يكن يسمع صوتي الذي ضاع بين أصوات النساء الولّادات.

في صبـاح اليوم التالي نُقلـتُ إلى مستشفى «بهارلـو» في مستديرة «راه آهن» في طهران. أعلمت عائلتي بذلك عند أول فرصة سنحت لي. بالطبع كانوا يعلمون بإصابتي ولكنهم لا يعلمون أين أنا. كانوا يبحثون عني منذ يومين حين أخبرهم أخي بإصابتي.

في مستشفى «بهارلو» عُرض ملفي على لجنة طبية. لقد أصبت بجراح مختلفة، ووصل الالتهاب في فخذي إلى القسم الأسفل من ساقي أي القدم. الالتهاب الأخضر، أي أسوأ أنواع الالتهاب. قيل إنهم سيقطعون ساقي، لكن لم أعلم من أين بالضبط. قال الأطباء لو تصدّوا للأمر كما ينبغي في مستشفى مشهد لما ساء الوضع إلى هذه الدرجة. صرت أصارع بين الموت والحياة على سرير المستشفى، وأنتظر في كل لحظة خبرًا جديدًا. تذكرت تلك الرجل التي رأيتها في كيس أحد الأفراد وخفت منها في البداية؛ أن ماذا تفعل هذه هناك ثم علمت أنها صناعية، وضحكت. لقد أعادتني لعبة الدهر إلى ذكرى تلك الرجل الصناعية.

في الأسبوع الأول في مستشفى «بهارلو»، علّقت إلى رجلي أثقال فلم أعد أستطيع حتى أن أنام على جنبي، وبقيت على هذه الحال لأسابيع عدّة. لقد قصرت عظمة رجلي، وكان الهدف من هذه الأثقال أن لا تبقى قصيرة عند معالجة العظم.

لقد بذلت الممرضة في المستشفى جهودًا كبيرة من أجلي، فقد أمل الأطباء بأن أنجو من قطع رجلي في حال تناول أدوية الالتهاب القوية وتنظيف الجرح بشكل دائم، فكانت في كلّ مرّة تغسل جرحي بدقة بالغة، وأحيانًا تقطع اللحم الميت وتخرج القيح من بين الأنسجة، كانت الممرضة تعمل برغبة وصبر. وأحيانًا كانت تخدّرني كليًّا أو جزئيًّا عندما تغسل الجرح وتنزع اللحم الإضافي. استمرّت بهذا العمل حتى بدأ الالتهاب في ساقي يقلّ شيئًا فشيئًا.

في أحد الأيام جاء «سيروس» و«رضا» لعيادتي. كانا لا يزالان في الفصيل الأول من السرية الأولى في كتيبة «حمزة». سألتهما: «من هو مسؤول الفصيل؟».

أجاب «سيروس»: «محسن كودرزي».

أصبح قائد المجموعة –وهو بمنزلة نائب مسؤول الفصيل ومعاونه– مسؤولَ الفصيل.

علمت بعد فترة أنهم أقاموا جلسة قرآن ودعاء في خيمة الفصيل على نية شفائي. لقد خدمت في كتيبة حمزة لسنة كاملة، وصرت أُعدّ من قدامى الكتيبة. للأسف قد أُصبتُ الآن. عاهدت نفسي على أن أعود إلى الجبهة.

في أيار أو ربّما حزيران من العام 1986م تحسن وضعي النفسي والجسدي، لكنّ الأثقال كانت لا تزال معلقة إلى ساقي. عندما لاحت إشارات خروجي من المستشفى قلت لأمي: «بمجرّد أن تتحسّن حالي، سأذهب إلى الجبهة».

أجابت فورًا: «أنت تخطئ في ذلك... أخوك في الجبهة، هذا يكفي، لقد تعطلّت إحدى رجليك، تريد أن تتعطّل رجلك الأخرى أيضًا؟».

في طريق العودة إلى المنزل عبرت من مستديرة «راه آهن». فلاحت أمام ناظري هناك الكثير من الذكريات. كانت كل رجلي مجصصة إلى أعلى الفخذ، ولم يكن معلومًا متى أستطيع العودة إلى الجبهة ثانية.

بقيت رجلي مجصصة طوال الصيف. في أواسط حزيران أُخبِرتُ بأن رضا أنصاري أصيب بشظية في رأسه، وهو في مهران، ما أدّى إلى إصابته بشلل نصفي. لم أستطع زيارته، لكنّني اتصلت به في مستشفى الإمام الخميني للاطمئنان إلى أحواله. كان ذلك الحياء لا يزال يغلب على صوته. تذكرت قلة كلامه وانزواءه، على عكس «أمير عباس رحيمي» الذي كان يضجّ حيوية ونشاطًا. قلت في نفسي إنّ اجتماع أنواع مختلفة من البشر بطباع وأعمار مختلفة أيضًا في خيمة فصيل واحد تربطهم كلّ هذه المحبة والعاطفة والمواساة لهو من معجزات الجبهة.

في آخر اتصال مع رضا أنصاري قلت له:

- لا تعمل بعد الآن منقذًا... إنّه لعمل صعب. احمل رشاشك بيدك وتقدّم.

لم يكن يحب السلاح. أجابني:

- سأكون مسعفًا هذه المرة. لا أستطيع المرور قرب الجرحى مرور الكرام. إن لم أستطع رفع الحمالة فبإمكاني تضميد الجراح.

لم يكن يحبّ الرصاص. في تلك الليلة حين أفرغ كلّ واحد من العناصر عدة مخازن رصاص وأطلق عدة قذائف «آر بي جي»، لم يطلق هو حتى رصاصة واحدة، وعوض ذلك، بذل كل جهده للاهتمام بالجرحى.

منذ أيلول 1986 وحتى آذار 1987، كان كل من «رضا» و«سيروس» في الجبهة. استشهد «سيروس» قبل «رضا»، في المكان نفسه الذي جرح فيه رضا قبل عدة أشهر؛ أي مرتفعات «قلاويزان» في «مهران».

في آخر أيام الخريف حيث الطقس بارد والسماء صافية، وقد غطت الثلوج الأرض، وارينا «سيروس» في الثرى في الليلة التي تعرف بـ «شب يلدا»[1].

في كانون الثاني أو شباط من العام 1987م وصلنا خبر شهادة رضا أنصاري. لقد أصابت الرصاصة صدره هذه المرة، وجعلت ذلك القلب الآمن أكثر أمانًا. رأسه في الصيف وقلبه في الخريف، كانا هدفًا لحقد الأعداء وشظاياهم. أصبح رضا الشهيد الثاني في العائلة. كان قد التحق بالجبهة تطوّعًا بكامل وعيه وإرادته، ونال هناك أقصى درجات السعادة.

1 - هي أطول ليلة في السنة وهي ليلة الانقلاب الشتوي. [أوّل ليلة في فصل الشتاء = 21 كانون الأوّل].

في السنة الأخيرة للحرب، وُفّقت في الذهاب إلى الجبهة، لكنني لم أتعرض لأحداث كثيرة، إلى أن انتهت حرب الثماني سنوات في صيف 1988م.

بعد 12 سنة، أي في العام 2000م، ولد ابني البكر. تذكرت الشهداء وأصدقائي الذين رحلوا خاصة أمير عباس الذي لم أنسه يومًا طوال هذه السنوات بعد الحرب، وقد سميت ابني على اسمه. فزوجتي وأمي وغيرهما ممّن سمعوا مني ذكريات الفصيل الأول، لم يعارضوا اختياري لهذا الاسم الجميل.

اليوم، عندما يقف الببغاء على كتف ابني أمير ويردّد اسمه، أتذكر أمير عباس رحيمي. لا أزال أقتني الطيور وأحبها وهي تطير في السماء بخفة. أنا أيضًا رغبت في أيام الدفاع المقدس أن أحلّق في السماء وأصبح من أهلها، لكن لم يحصل ذلك. الحقيقة أنني لم أطلب الشهادة من كلّ قلبي، أما «أمير عباس رحيمي» فأرادها وكانت قدره. كلّ من أراد حلّق عاليًا، لكنّني بقيت.

أنا على يقين بأنّ باب السماء في متناول يد كلٍّ منّا. يجب أن نكون متيقّظين. يجب أن نموت قبل أن نموت. يجب أن نحاسب أنفسنا، فإنّ باب السعادة قريب منا، على مسافة خطوة واحدة. علينا أن ندوس على نفسنا الأمارة بقوّة فنصل إلى الشهادة.. إلى الشهود. إذا ما قمنا بهذه الخطوة ستُفتح أبواب السماء مباشرة.

وثائق الفصل الخامس

تسلسل	الاسم	الوثائق الخطية	الصور	الوثائق غير الخطية
1	حميد رضا رمضاني	2	22	295 دقيقة من مقابلة
2	الشهيد أمير عباس رحيمي	79	39	45 دقيقة بصوت الشهيد و145 دقيقة مقابلات مع العائلة
3	الشهيد رضا أنصاري	57	17	115 دقيقة مقابلة مع العائلة

ورد في هذا القسم من مجموع وثائق الفصل، 17 وثيقة خطية، و14 صورة:

1- حميد رضا رمضاني

1-1 المواصفات

– شهادة الثانوية العامة في العلوم الإنسانية، متأهل وله ولدان، موظف في مكتب البريد في طهران.

– تاريخ ومحلّ الولادة: طهران، 1965م.

– مدة الحضور في الجبهة ونوع العضوية: 32 شهرًا في صفوف التعبئة.

– العمليات التي شارك فيها والمهام الموكلة إليه: بوكان، 1984م (قناص)، خطوط الدفاع في مهران، 1985م (قناص)، عمليات «والفجر 8 (منقذ)، الدفاع في الفاو، 1986م (مساعد رامي آر بي

جي)، عمليات مرصاد (قناص).

- الجـراح التي أصيب بها: في الرأس والوجه (1985م)، كسر في عظـم الفخـذ وجرح في ساق القـدم اليسرى وإصابة بغـاز الأعصاب (1986م).

- درجة الجراح: 30%.

1-2 آخر الكلام

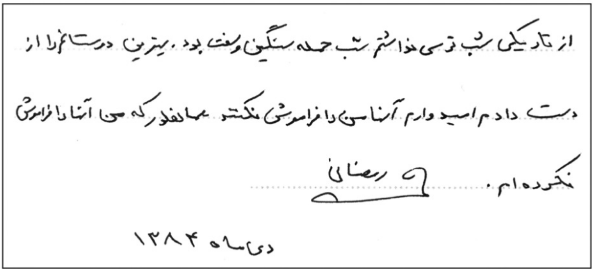
از تاریکی شب ترسی نداشتم شب حمله سنگین وقت بود. بهترین دوستانم را از دست دادم امیدوارم آشنایان را فراموش نکنند همانطور که من آشنا را فراموش نکرده‌ام.
رمضانی
دی ماه ۱۳۸۴

وثيقة رقم 39

2- الشهيد أمير عباس رحيمي

1-2 بطاقة الهوية

وثيقة رقم 40

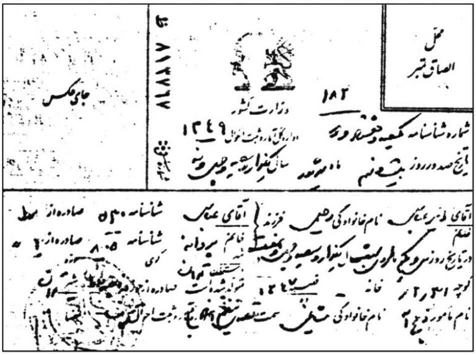
محل الصاق تمبر
وزارت کشور
جای عکس

صورة رقم 29

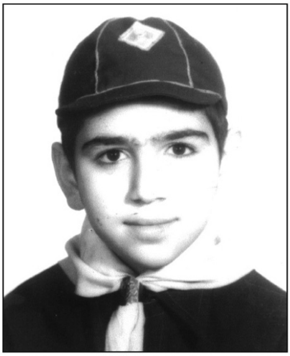

2-2 بطاقة تعريف

شماره پلاك AK-٦٧١-٩٧٩ تاریخ اعزام ٦٤/١/٢٤

اعزامی ازمنطقه

کارت شناسائی AK-٦٧١-٩٧٩

نام ونام خانوادگی امیر عباس رحیمی نام پدر عباس

تاریخ تولد ١٣٤٧ شماره شناسنامه ١٨٣ اعزامی از تهران

عضو سپاه بسیج پاسدار وظیفه آدرس تهران

تلفن

لشگر ٢٧ تیپ — گردان حمزه گروهان

به این تذکرات حتماً توجه فرمائید

١ - خواهشمنداست درحفظ پلاك خود کوشا باشید

٢ - پلاك خودرا بهیچوجه باسایر رزمندگان عوض نکنید

٣ - نام وفامیل وشماره پلاك ومحل اعزام خودرا روی ساك ولباس خود بنویسید

٤ - ازاطلاع دادن به خانواده‌های شهدا ومجروحین حین عملیات خودداری نمائید

٥ - ازبردن وسائل شهدا ومجروحین بعداز عملیات خودداری نمائید تاازطریق تعاون انجام شود

این کارت فقط برای شناسائی در منطقه جنگی است وهیچگونه ارزش دیگری ندارد

وثيقة رقم 41

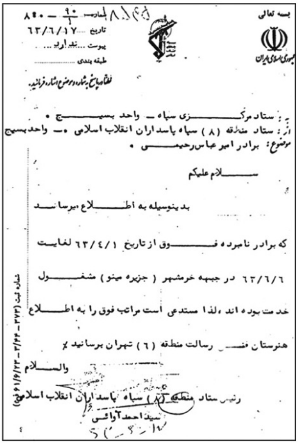

بسمه تعالی

جمهوری اسلامی ایران

شماره ٨٤٠ - ٩٠/١

تاریخ ٦٣/٦/١٧

پیوست ندارد

طبقه بندی

لطفاً درپاسخ بشماره وموضوع اشاره فرمائید.

به: ستاد مرکزی سپاه - واحد بسیج.

از: ستاد منطقه (٨) سپاه پاسداران انقلاب اسلامی - واحد بسیج

موضوع: برادر امیر عباس رحیمی.

سلام علیکم

بدینوسیله به اطلاع میرساند

که برادر نامبرده فوق از تاریخ ٦٣/٤/١ لغایت

٦٣/٦/٦ در جبهه خرمشهر (جزیره مینو) مشغول

خدمت بوده اند، لذا مستدعی است مراتب فوق را به اطلاع

هنرستان رسالت منطقه (٦) تهران برسانید.

والسلام

رئیس ستاد منطقه (٨) سپاه پاسداران انقلاب اسلامی

سید احمد آواتی

3-2 شهادة خدمة

وثيقة رقم 42

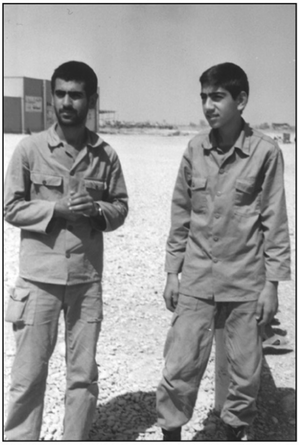

صورة رقم 30، من اليمين:

أمير عباس رحيمي، رمضاني.

2 – 4 الرسائل

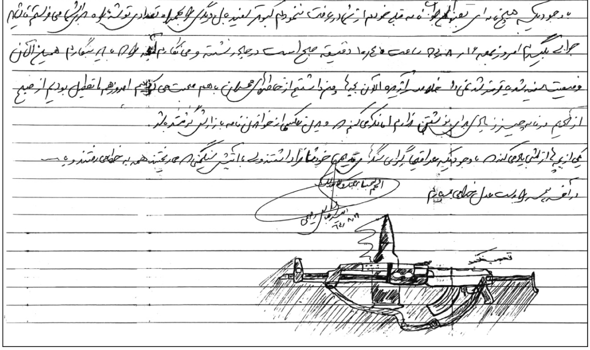

بسم الله الرحمن الرحیم

وثيقة رقم 43

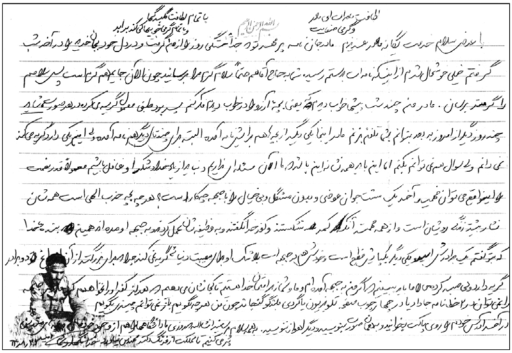

وثيقة رقم 44

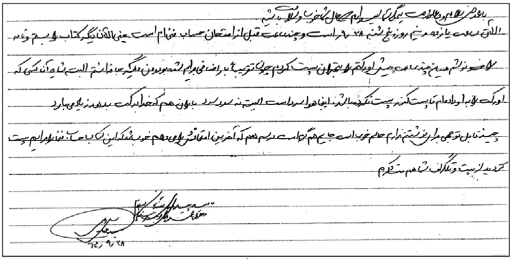

وثيقة رقم 45

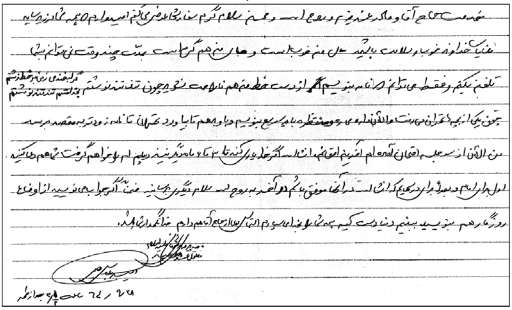

وثيقة رقم 46

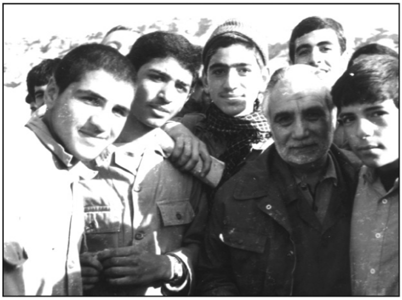

صورة رقم 31/ من اليسار، الشخص الثالث: أمير عباس رحيمي.

صورة رقم 32

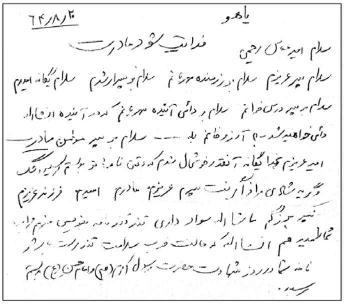

وثيقة رقم 47

5–2 **برقية**

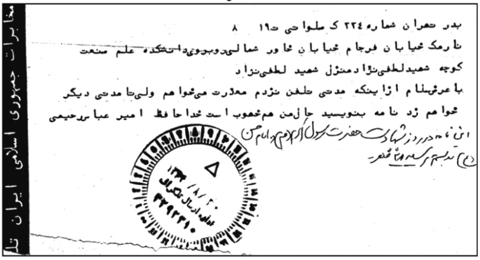

مخابرات جمهوری اسلامی ایران

بدر تهران شماره ۲۲۴ ک ملواتی ت۱۹ ۸

نارمک خیابان فرجام خیابان خاور شمالی روبروی دانشکده علم صنعت

کوچه شهیدلطفی‌نژاد منزل شهید لطفی‌نژاد

باعرض‌سلام ازاینکه مدتی تلفن نزدم معذرت می‌خواهم ولی تا مدتی دیگر

خواهم زد نامه بنویسید حال من هم خوب است خدا حافظ امیر عباس رحیمی

وثيقة رقم 48

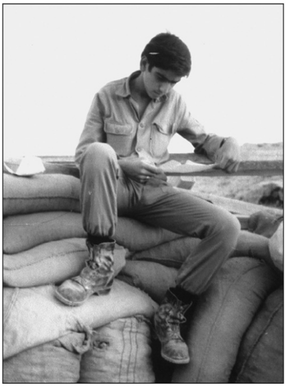

صورة رقم 33

6–2 **مذكرات مكتوبة**

1–6–2 **دفتر حسن اعلايي نيا**

وثيقة رقم 49 (ثلاث أوراق)

2-6-2 دفتر محمد جواد نصيري بور

صورة رقم 34، من اليسار:
أمير عباس رحيمي، نصيري بور.

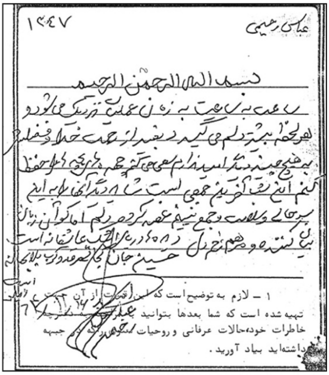

عباس رحیمی ۱۳۴۷

بسم الله الرحمن الرحیم

[illegible]

هر لحظه بیشتر دلم می‌گیرد [illegible]

[illegible]

۱ – لازم به توضیح است که این [illegible] از آن [illegible]
تهیه شده است که شما بعدها بتوانید [illegible]
خاطرات خود، حالات عرفانی و روحیات [illegible] که در جبهه
داشته‌اید بیاد آورید.

وثيقة رقم 50

2-7 المذكرات

النسخة المكتوبة بخطّ اليد غير موجودة لدينا.

ربما كانت هذه الليلة الأخيرة في معسكر «كرخة»، حيث تلحظ لدى الشباب حالات مختلفة، يعجز القلم عن وصفها. كان لدى الشباب اليوم مسير وإطلاق نار وأعمال عسكرية منذ 6.30 صباحًا وحتى 2.30 بعد الظهر. لم يكن هناك طعام فطور، أما طعام الغداء فكان عبارة عن الخبز، الماء، حلاوة الطحينة والقليل من الزبيب. الجميع كانوا متعبين ومرهقين جسديًّا. عند أذان المغرب، لم تكن تجد موطئ قدم في الحسينية. كان هناك كلمة مقتضبة بين الصلاتين، فتساقطت أولى قطرات الدموع على الأرض. وبعد صلاة العشاء، شعر الجميع بأنّ هذا المجلس هو الأخير الذي يجمعهم جنبًا إلى جنب.

الأشعار التي دُوّن اسمي تحتها هي أشعاري. قال لي البعض إنه لا يمكن قراءتها أمام الملأ لأنها من دون وزن وقافية. يجب الالتفات

إلى أنني لم أنشدها لتقرأ في أيّ مكان، لقد أردت أن أخرِج مكنونات قلبي، وفي هذا المجال قال لي أحدهم من الجيد لو أنك تناجي اللّه بما يختلج في صدرك. قلت له: يا عبد اللّه، أنت مثل ذلك الطفل الصغير الذي ما إن يصيبه قليل من الأذى حتى يشكو الأمر إلى أمه فتضمّه إلى صدرها فورًا. أنت قريب من اللّه لدرجة أنك تخبره بما يهمّك بكل سهولة، أما أنا، وبسبب الحجب التي تملأ قلبي، فمجبر على التعبير بهذه الطريقة.

8-2 **الوصية**

النسخة المكتوبة بخط اليد غير موجودة لدينا.

لا أعلم كيف أخبر عوائل الشهداء العظام وغيرهم بشهادة ابن لهم أو زوج، أو أخ، لكنّني هنا أشير إلى موضوع واحد وهو أنّ هذا امتحان كبير. نحن نُمتحن في كل خطوة نخطوها. من جديد، أنا أدعو في محضر الربّ الرحمن، بحق مظلومية هؤلاء الشباب في الجبهة، وقطرات دموع المجاهدين المتناثرة في جوف الليل على تراب الجبهة المقدس أو على أسلحتهم، وبحق آخر كلمة نطقت بها أجسادهم المزيّنة بالدماء: السلام عليك يا حسين، أن يمنّ بالصبر والمعرفة على كافة العوائل التي قدّمت القرابين للّه. في النهاية أشير إلى مسألتين وأنهي وصيتي، الأولى هي يا عوائل الشهداء، عندما تقتلعون جزءًا من أرواحكم وعمركم بكل إيثار وتقدمونه قربانًا إلى اللّه، لا تظنوا أن هذه الهدية سوف تبقى بلا جواب. أول جواب للّه هو أنه سيختم دعوته لكم بختم الدم على أجساد أبنائكم. أنا لا أعلم ماذا يمكن أن يحصل لي بعد العمليات: هل أؤسر، أو أستشهد أو أجرح أو أصاب بعاهة، لكنني أطلب من اللّه إذا أمهلني مرة أخرى أن يعلم أنني لن أستمرّ في هذه الدنيا إلا بحبال الصبر.

2-9 مقابلة مع أخت الشهيد

أنـا البنت البكر في العائلة واسمي آرزو. ولـد أخي عام 1968م في طهـران. كان والديّ علـى علاقة خاصة بالإمـام علي عليه السلام وأهل بيته وخاصـة بأبي الفضل، لذا أسموا أخي «أمير عباس». كان والدي يعمل في دائـرة تسجيـل الوثائق الرسمية، وكانت أمـي ربة منزل من أهالي يـزد. عشت وأخي طفولة جميلة. كنّا نذهب معًـا إلى الدكان ونشتري بمصروفنا الحليب والكيك ونأكلهما. كان أمير عباس يحب هذا النوع من الطعـام. أمضينا مرحلة جميلة، لكنّ والديّ انفصلا عن بعضهما البعض، وأسَّسَ كل منهما حياته المستقلة. بقيت ذكرى الحليب والكيك عالقـة في ذاكرتي منذ تلك الأيام. كنت في العاشرة من عمري تقريبًا وأمير في الخامسة.

في العاشـرة مـن عمـره، تلقى أمير هديـة من أمه هـي عبارة عن بندقية خردق. ذات مرة، ذهبنا معًا إلى الصيد واصطدنا طير حمام. عندما رأى دماءه شرع بالبكاء وندم على عمله، ثم قمنا بدفنه معًا.

عندمـا كان في المدرسـة، إنتسـب إلى الكشافـة، وكـم كانت ربطة الفولار الخاصة بثياب الكشافـة ذات اللون الأبيض لائقة به. كما كان يحـب كثيرًا الأعمال التقنية والكهربائية، كنا نناديه: السيد المهندس. في أحـد الأيام فكّك مذياعًا قديمًا وخربًـا ليتعرّف إلى نظامه. بسبب هذه الرغبة، اختار في المرحلـة الثانوية تخصص الكهرباء الفنية. في تلك السنوات، صنع ساعة تقرأ الأذان لم يكن لها مثيل في تلك الفترة. كان والدي يشجعه أيضًا ويؤمّن له الكثير من الأدوات.

في بدايـات شبابـه كان يحب الملابـس ذات اللـون الأخضر وبلون الكريم، لكن عندما كبر أكـثر وخاصة عندما ذهب إلى الجبهة، صار يحب اللون الرمادي.

كان في السادسة عشرة من عمره عندما التحق بالجبهة لأول مرة. ذهب في بداية الصيف وعاد عند بدء العام الدراسي خريف 1984م. أحدثت الجبهة وأجواؤها وشباب التعبئة تغييرات أساسية في شخصيته. لم يصبر حتى انتهاء العام الدراسي ليلتحق مجدّدًا بالجبهة، فالتحق بها بعد عطلة عيد النيروز عام 1985م وبقي حتى آذار العام 1986م ميقات شهادته.

عندما كان يأتي في إجازة، كان يحدثنا عن الجبهة ويذكر شباب التعبئة بكثير من الثناء والإكبار. وكان يجيد تقليد أصوات الرصاص والانفجارات التي يسمعها في الجبهة. وبقي شريط مسجّل له يقلد فيه صوت المارش العسكري وتقارير العمليات، وكذلك صوت إطلاق النار وانفجار الصواريخ والقذائف.

عام 1985م انتقلت إلى بيت الزوجية لكنّ «أمير عباس» لم يتمكن من المشاركة في حفل زفافي لأنه كان في الجبهة. وعندما عاد، قدّم لي هدية عبارة عن غسالة، طقم صحون ملامين وعلبة أشرطة. كان من الواضح أنه أصبح رجلًا. فقد وضع كل ما حصل عليه من حقوق في عام كامل لشراء هذه الهدية. عندما قدّمت له حلوى العرس، طلب الحليب أيضًا. فتناولنا معًا الحليب والكيك كما في أيام الطفولة.

وأما بالنسبة لذكرى «شير يكدست»: كان أمير عباس يعشق قادة الجبهة، ويختزن في ذاكرته الكثير من الذكريات عن قائد يدعى «شير يكدست» [الأسد ذو اليد الواحدة] يذكرها بالتفصيل الممل. البطل الذي واجه العدو بصلابة ولم يكن له نظير في الرجولة والمروءة. بعد شهادة أمير عباس سمعت أن اسمه هو بازوكي، قائدٌ بيد واحدة، حيث قطعت يده الأخرى في الجبهة، واسمه الصغير أسد الله، وتعني

بالفارسية «شير خدا». استشهد «شير يكدست» في شتاء العام 1986م في معركة الفاو.

في آخر إجازة له، ذهب أمير عباس لزيارة والدي ووالدتي التي أحضرت البقلاوة له من يزد. كنا في شهر كانون الثاني أو شباط وقد أعدت له أمي حساء الرمان الذي يحب. تناولت معه طعام الغداء يومها، وكنت معه حين ودّع والدي. لقد كان شخصًا آخر، رأيت هذا التغيير في وجهه بوضوح. في الفترة نفسها التي كان فيها في الجبهة، رأيت في المنام أنه استشهد، المنام الذي تحقق بعد مدة.

كان لديه ألبوم يحوي مجموعة من الطوابع احتفظ به منذ المرحلة المتوسطة، وقبل الذهاب قال لي: «هذا الألبوم لك يا أختي. مضافًا إلى لوحة وبعض الكتب الدراسية. فلتكن ذكرى منّي لك».

قلت: «إن شاء الله سوف تعود... نريد أن نأكل مجدّدًا الكيك مع الحليب».

عندما كان يرتدي ثياب الجبهة والحذاء العسكري استعدادًا للذهاب إلى الجبهة قال: «انظري إلي جيّدًا... لن تريني ثانية يا أختي. سأذكرك دائمًا».

لم أتفاجأ حين سمعت خبر شهادة أمير عباس. وكأنني كنت أعلم من قبل بأنه سيستشهد. كنت ذلك اليوم في الشهر الأخير من حملي، ولم أستطع المشاركة بمراسم تشييعه ودفنه. لكن، عند الغروب، وحين خَلَتْ قطعة الشهداء من الناس، ذهبت إلى قبره، جلست عنده وأفرغت آلامي وأشواقي دموعًا تناثرت على تراب قبره. لم يكن أخي وحسب، بل صديقي ومودع أسراري ومسكّن آلامي، لقد أحسست بوحدة عجيبة بعد رحيله. لا أزال أفتقده إلى الآن، ولن يملأ أحد الفراغ الذي خلّفه.

لقـد مضى عشرون عامًا علـى ذلك الفراق، ولا أزال في كلّ عام في الثالـث عشر من شبـاط أوزّع عن روحه الكيـك والحليب ذوي الطعم نفسه الذي أحببناه في طفولتنا أنا وأمير عباس.

10-2 **عنوان القبر**

طهران- بهشت زهرا- القطعة -53 الصف 47، الرقم 1.

صورة رقم 36

3- الشهيد رضا أنصاري

3-1 **بطاقة الهوية**

صورة رقم 37

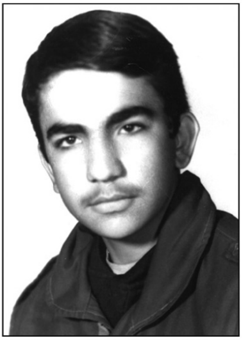

وثيقة رقم 51

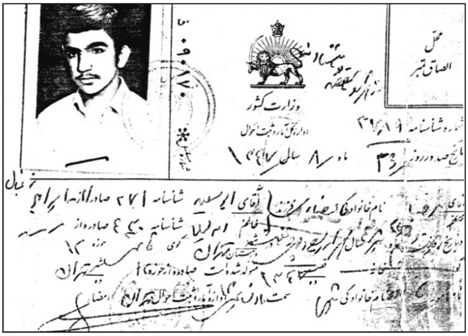
وزارت کشور
اداره کل آمار و ثبت احوال

3 -2 **الوصية**

وثيقة رقم 52

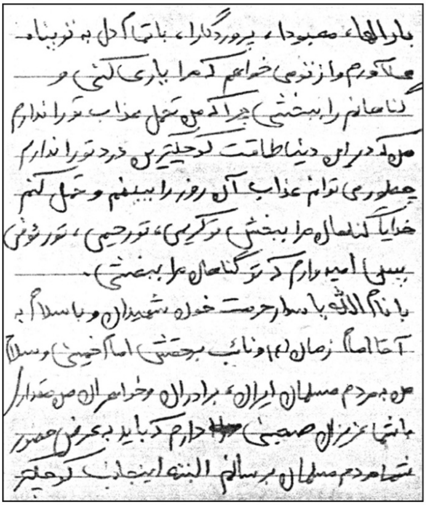
بارالهاء معبودا، پروردگارا، با تمام دل به تو پناه
می‌آورم و از تو می‌خواهم که مرا یاری کنی و
گناهانم را ببخشی چرا که من تحمل عذاب تو را ندارم
من که در این دنیا طاقت کوچکترین درد تو را ندارم
چطور می‌توانم عذاب آن روز را ببینم و تحمل کنم
خدایا گناهان مرا ببخش، تو کریمی، تو رحیمی، تو رئوفی
هستی امیدوارم که تو گناهان مرا ببخشی.
با نام الله با سلام حرمت خون شهیدان و با سلام به
آقا امام زمان (عج) و نائب برحقش امام خمینی و سلام
من به مردم مسلمان ایران، برادران و خواهران من تقاضا
از شما عزیزان صمیمی دارم که باید به عرض حضور
شما مردم مسلمان برسانم البته اینجانب کوچکتر

صورة رقم 38

3-3 مذكرات مكتوبة

3-3-1 دفتر أحمد أحمدي زاده

وثيقة رقم 53

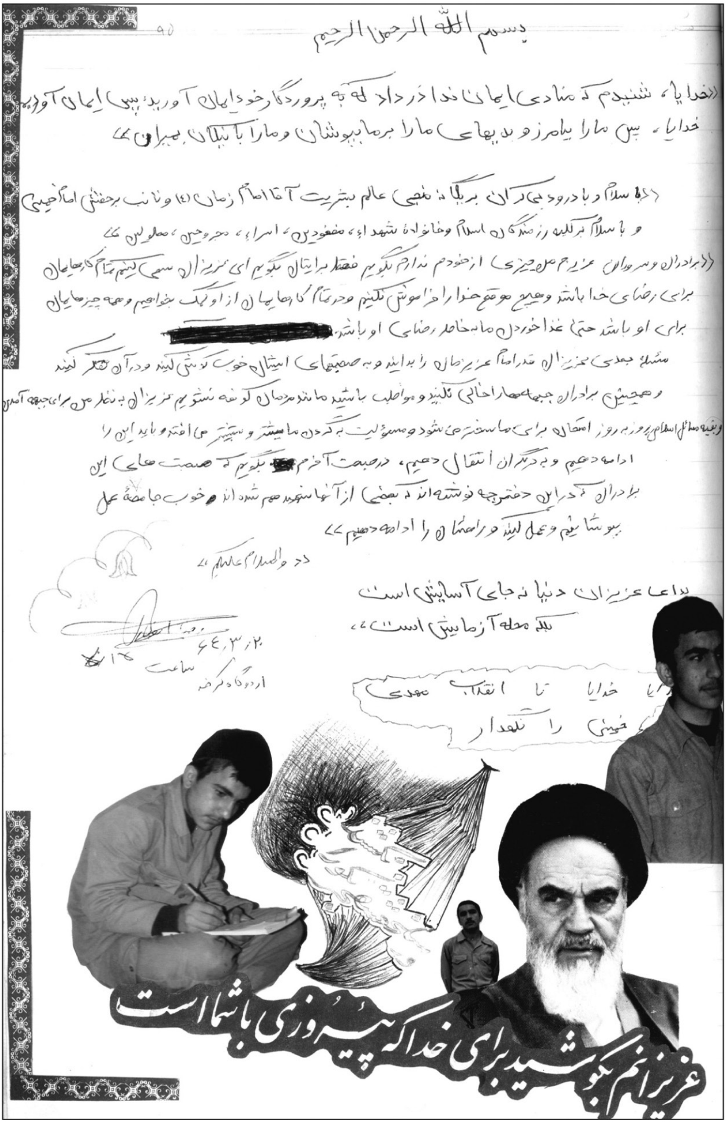

3-4 مقابلة مع والدة الشهيد

في الحرب العراقية - الإيرانية ذهب ولداي إلى الجبهة تطوعًا واستشهدا. استشهد الأول في عمليات تحرير خرّمشهر سنة 1982م. وبعد سنة على شهادته، أراد رضا الالتحاق بالجبهة! لكن عارضتُ ووالده الأمر. كان حينها في الخامسة عشرة من عمره. أراني بيانًا للإمام الخميني حول الفتاوى الخاصة بالحرب لا أزال أحتفظ به، وقرأ واحدة منها على مسامعي:

سؤال: «هل يجب في الظروف الحالية تحصيل رضا الوالدين للذهاب إلى الجبهة؟».

الإمام: «الذهاب إلى الجبهة هو أمر واجب ما دامت الجبهة بحاجة إلى العناصر، ولا يشترط إذن الوالدين في ذلك».

كان رضا عطوفًا ورقيق القلب، ولم يكن يرغب بالالتحاق بالجبهة من دون موافقتنا أو في حال انزعاجنا من ذلك. ظلّ يحوم حولي وحول والده كفراشة حتى وقّعنا رسالة الموافقة على ذلك، ليلتحق بالجبهة في صيف 1984م، وبقي هناك حتى انتهاء عمليات «والفجر 4».

قبل ذلك، كانت شهادة علي-الأخ الأكبر لرضا- الحدث الوحيد الهام والمصيري في حياتنا الهادئة، الحادثة التي تركت أثرًا كبيرًا على أخلاق رضا وسلوكه.

كان مستوى رضا في المدرسة عاديًّا إلى متوسط، علاماته ليست مرتفعة ولا منخفضة. كان يتابع واجباته المدرسية، لكن عندما ذهب إلى الجبهة، بدا أنه لن يتمكن من الاهتمام بدروسه كما في السابق.

المرة الثانية التي التحق فيها بالجبهة كانت في العام 1985م، وظلّ يتابع دروسه هناك. شارك حينها في عمليات «والفجر 8» وحصل على

علامات مرتفعة في امتحاناته أيضًا.

في تمـوز من العام 1986م أصيب بشظية في رأسه خلفت في جسمه آثارًا وخيمة. بعد أسبوع من إصابته حين علمنا بالخبر، ذهبنا لزيارته في المستشفـى. كان كلّ رأسه مضمّدًا، ولم يكن يرى شيئًا. لقد أصابت الشظيـة الجانب الأيسر من رأســه فأصيب الجانب الأيمن من جسمه بالشلل الكامل. كان يعاني ألمًا شديدًا يصعب وصفه، ولا طاقة لي على تحمّله. عندما أخرجوه من غرفة العمليات، قطّع الملاءة الموضوعة على السرير إربًا إربًا لشدّة ألمه الذي لم تؤثر فيه حتى المسكنات القوية.

بقيت معه في المستشفى ليلًا ونهارًا. بعد أسابيع عدّة تحسنت حاله قليــلًا، لكنّه ظلّ فاقدًا للبصر. بالطبع خفّ ألمــه وصار يستطيع النوم لساعــات في الليل والنهار. ذات يوم، جلست قربه بعد أن استيقظ من النوم، لم أهمس بكلمة، لكنه عرف أنني بجانبه فقال: «سلام ماما».

- يا روح أمّك، هل نمت جيّدًا.

- أجل.

لم أتحمـل أكثر وسألته: «عزيزي رضا، كيـف علمت أنني بقربك؟ فأنا لم أنطق بكلمة. كما إنّني سألت الممرضين؛ ألم يحدث أن اشتبهت يومًا بيني وبينهم؟».

- وهل الأمهات فقط يعرفن رائحة أبنائهنّ؟ الأولاد أيضًا يشعرون بوجود أمهاتهم من رائحتهن، وتشهد قلوبهم أنّ أمهاتهم إلى جانبهم.

حضنته، وقبّلـت رأسه ووجهه وجبينه المضمّد. ورحت أبكي وأبكي حتى شعرت بالراحة. في تلك الأثناء قال لي:

- أمـي العزيـزة، إنّ النظـر إلى وجه الوالدين له ثـواب عند الله. للأسف صرت محرومًا من هذا الثواب.

واسيته وقلت: «إن الله يستجيب حتمًا دعاء الأم بحقّ ولدها».

أعلـم أن أصدقـاءه في الجبهـة قد دعوا لـه، وأنا ووالـده دعونا له أيضًا. كنت أدعو له وأذكره عندما كان يصلي صلاة الليل.

أخيرًا تحسنت حاله وعاد إليه بصره، لكنّه صار يجلس على كرسي متحـرّك. أحضرنـاه إلى المنزل في أواخر الصيـف. كان على قدر من الحيـاء بحيث إنّـه لم يكن يذهب إلى المرحاض في حـال غياب والده. عرفت ذلك بعد مدة. كنت متعجّبة كيف أنه ذهب إلى الجبهة والخط الأمامـي. فقد كان قلبه ينفطر لو رأى جرحًا صغيرًا. أنا على يقين أنه لم يسكن قلبه شيء سوى المحبة.

في خريف العـام 1986م تحسنت حاله أكثر، لكنّ يده ظلت مشلولة وصار جريح حرب. عندما تمكن من الوقوف على قدميه عاد ثانية إلى الجبهة. في آخر إجازة أعددت له «دندونك»[1]، الطعام الذي أحبّه منذ الطفولة. تناوله بشهيّة.

عندمـا أراد العودة وكان ينتعل حذاءه، رأيت أنه لم يتعافَ بالكامل بعد، فقد استغرق وقتًا في ربط شريط حذائه.

ذهـب، وعاد جسده. دُفِن ولـدي في «بهشت زهرا». لقد أعدتُ تلك الأمانتين إلى الله وأفتخر بقصصهما واسميهما وذكراهما.

1 - نـوع مـن الحساء الرائـج في إيران يطبـخ عندما ينبـت السنّ الأول للطفـل، ويعتقد الإيرانيون بأنه يساعد في نمو أسنان الطفل.

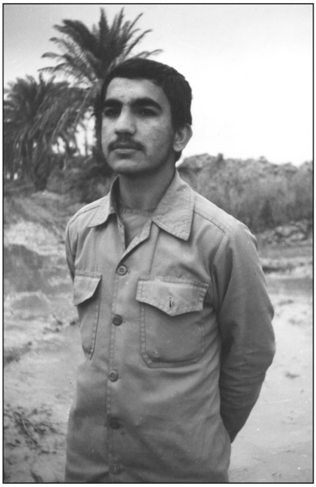

صورة رقم 39

رضا أنصاري، مهدي كبير زاده

5-3 عنوان القبر

طهران- بهشت زهرا- القطعة 26- الصف 84، الرقم 21.

صورة رقم 41

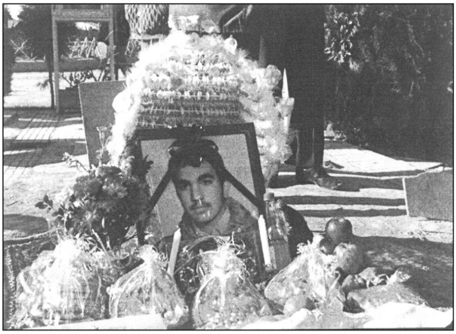

صورة رقم 42

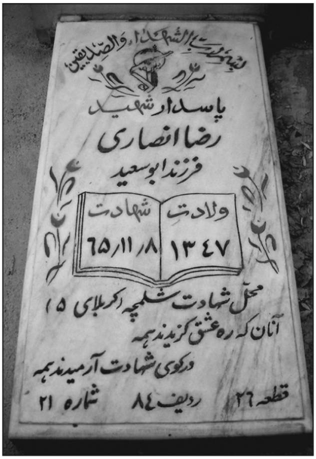

الراوي: حسين كلستاني

التشكيل: رامي «آر بي جي»؛ قائد المجموعة الثانية

تاريخ ومكان أول مقابلة: 1990م، دوكوهه

الفصل السادس

حدائق جنّتية

أنهيت دورة الخدمة الإلزاميّة في الجيش عام 1985م. في الأيام الأخيرة، كان كلّ زملائي يتحدثون عن مشاريعهم المستقبلية: أحدهم يريد البحث عن عمل، وآخر سيسعى للزواج وتشكيل عائلة، وشابٌّ يفكر في متابعة تحصيله الدراسي. أنا أيضًا توجّب عليّ اختيار الطريق الذي أريد.

كان أخي «محسن» يكبرني بسنتين، وقد أنهى خدمته أيضًا قبلي بسنتين والتحق بالجبهة تطوّعًا. اخترت مساري أنا أيضًا، وقررت أن أرافق أخي «محسن» وأكون إلى جانبه. لذا، التحقت بالجبهة عبر مقرّ التعبئة في العاشر من تشرين الثاني عام 1985م.

ذهبت إلى ثكنة «دوكوهه» -التي تبعد قليلًا عن «انديمشك»- والتحقت بكتيبة حمزة التابعة لفرقة «محمد رسول الله ﷺ» التي يخدم فيها «محسن». بالطبع لم يكن في مبنى الكتيبة يومذاك أحدٌ سوى «علي ميركياني» معاون الكتيبة. عندما قدّمت له نفسي قال:

– لقد أنهت الكتيبة للتوّ دورة تدريبية برمائية، وسيعود الشباب إلى دوكوهه في الغد أو بعد الغد.

وبناءً عليه، بقيت أنتظر عودة الكتيبة.

أدركت من تعامل معاون الكتيبة الذي يعرف «محسن» ويكنّ له مودة خاصة، أنّه ظنّ بأنني من قدامى المحاربين في الجبهة كـ«محسن»، وجئتُ لتولّي مسؤولية فيها، لكنني أنا نفسي كنت أعلم أنني شاركت فقط في عمليات «بدر»، ولم أكن مقاتلًا حينها، بل في الوحدة العقائدية-السياسية في اللواء المجوقل 55 في «شيراز». لم أجعل «ميركياني» حينها يغيّر تلك الصورة التي يحملها عني.

وصلت الكتيبة، والتحقتُ بالفصيل الأول في السرية الأولى الذي كان أخي مسؤوله، وقد تحدّث عنه سابقًا أثناء إجازاته. صرت الآن أرى أمام عينيّ ما سمعته من قبل، والوحيد الذي كنت أعرفه من بين عناصر الفصيل هو «محمد أمين شيرازي» الذي تعرّفت إليه عن طريق «محسن».

كان مبنى كتيبة «حمزة» مثل مباني الكتائب الأخرى مؤلفًا من خمس طبقات، وقد استقرّت السريّة الأولى في الطابق الخامس، وتقع غرفة الفصيل الأوّل على يمين السلالم.

لم تبقَ الكتيبة في ثكنة «دوكوهه» لأكثر من بضع ليالٍ، وذهب العناصر في إجازة لمدّة أسبوع إلى «طهران». أمّا أنا حيث كنت قد وصلت للتوّ، فقد بقيت في الثكنة مع شابين آخرين كانا قد بقيا فيها لأسباب خاصة، وهما «سعيد بور كريم» و«محمد عليان نجادي».

كان هذان الاثنان وغيرهما من شباب الفصيل يمضون أكثر أوقاتهم في الدرس والمذاكرة. ربما لهذا السبب لم يأخذا إجازة، فقد

كنّا في أواخر شهر تشرين الثاني والامتحانات على الأبواب.

بعد أسبوع عاد الشباب، وازدحمت جميع الغرف. لم تكن مهمتي قد تحدّدت حتى ذلك الوقت. وبحسب ما كان يراه «محسن» من المصلحة، صرت رامي «آر بي جي» وقائدًا للمجموعة الثانية، أي الشخص الرابع في الفصيل من حيث المسؤولية؛ مسؤول الفصيل، معاون الفصيل، قائد المجموعة الأولى وقائد المجموعة الثانية. كان أغلب عناصر الفصيل أحداثًا، وكنت الوحيد من بينهم ممّن سبق لي المشاركة في عمليات «بدر». أما «محسن كودرزي» قائد المجموعة الأولى في الفصيل فقد شارك في الكثير من العمليات، ودمّر العديد من الدبابات العراقية حتى ذلك الوقت.

اخترت مساعِديَّ بعد مشورة «محسن»، وهم على الترتيب: «محمد جواد نصيري بور»، «السيد حسن رضي» و«عرب علي قابل». ولازمني هؤلاء الثلاثة دومًا ليكونوا ليلة العمليات إلى جانبي ويساندوني.

في تشرين الثاني أو ربما كانون الأول، أقام إعلام الفرقة بمناسبة أسبوع التعبئة معرضًا في المكان الذي تقام فيه المراسم الصباحية في الثكنة، لاقى استحسان شباب الفصيل الذين شاهدوا في المعرض الأدوات العسكرية عن قرب وتلمّسوها، ولم يكونوا قبل ذلك قد رأوا غير صورها في مسجد المحلّة. كان ذلك رائعًا بالنسبة إليهم.

كان في غرفة الفصيل الأول خزانة كما في سائر الغرف، لكنها مختلفة من الداخل. لقد صنع الشباب من صناديق الذخائر مكتبة صغيرة خاصة، وكان عدد الكتب كبيرًا إلى درجة أنّهم صفّوا ما تبقّى منها في صندوق آخر وضعوه في كوة أعلى الخزانة.

لم تكن الثكنة مكانًا مناسبًا لتنفيذ مناورات أو تدريبات قاسية، لذا

غالبًا ما استفاد الشباب من وقتهم في الدراسة. عندما كانوا يجتمعون للدراسة، كانت البطانيات الموضوعة على أرض الغرفة تمتلئ بالكتب والدفاتر وأقلام الحبر والرصاص... بحيث يصعب عليك الانتقال داخل الغرفة من جهة إلى أخرى. صرنا في هذه الحالات نذهب من الشرفة إلى غرفة الفصيل الثاني، ومن هناك إلى الممرّ لنصل إلى الجهة الأخرى من غرفتنا.

يقع مبنى المجمع العلمي للمجاهدين شمال المكان المخصص للمراسم الصباحية، ومن هناك كان يحصل الشباب على كتبهم الدراسية. كما كان يوجد في المجمع العديد من المعلمين الذين يعملون على حلّ إشكالاتهم العلمية. بالطبع كان لنا في الفصيل أستاذنا الخاص بنا، وهو «سيروس مهدي بور»، مسعف الفصيل، والطالب في جامعة إعداد المعلمين، فكان يعالج إشكالات الشباب قدر استطاعته.

في أواسط كانون الثاني (1986) اقترب وقت الامتحانات، فبقي عدد من الشباب في الثكنة لتقديم امتحاناتهم. أما نحن فكنّا قد ذهبنا سابقًا إلى معسكر «كرخه» للمشاركة بالتمرينات العسكرية استعدادًا للعمليات القادمة. وهناك استقررنا في الخيام ولم يعد ثمّة أبنية وغرف.

كان «محمد أمين شيرازي» في السابعة عشرة من عمره، وهو فتًى أسمر البشرة، التحق للمرّة الأولى بالجبهة بعد أن زوّر صورة هويته، وشارك في عمليات «بدر» إلى جانب أخي «محسن». أصيبت يده اليسرى بجراح بليغة في هذه العملية، فأُعفي من الخدمة الإلزامية في الجيش بسبب هذه الإصابة. وبسبب حيويته ونشاطه وضعف يده اليسرى، أوكل إليه «محسن» مهمة البريد في الفصيل. عرفت بعد فترة أنّ أخاه «مهران» قد فُقد أثره في هذه العمليات أيضًا. كان منزلهم في محلّة «نازي آباد» في طهران.

في معسكر «كرخه»، تابعنا التمرينات العسكرية بجديّة تامة. كان لدينا يوميًّا ساعات من الأنشطة العسكرية. في هذه المرحلة، أدركت الفروقات بين الجيش والحرس في موضوع التدريب. فغالبًا ما يركزون في الجيش على جانب المراسم والتشريفات الشكلية كتنكيب السلاح وتقديمه وغير ذلك... أما في الحرس والتعبئة، فكان هناك جانب عملي وقتالي.

قضى أخي «محسن» خدمته الإلزامية في الجيش، في فرقة «سنندج 28». لقد ذكر في كلامه مرّات عدّة قائدًا يدعى العقيد «شيرازي»[1] قلّما يعرفه شباب التعبئة، لكن بما أنّني أنهيتُ خدمتي الإلزامية أيضًا، فقد سمعت باسمه مرّات عدة، وهناك عرفت أنّه قدّم خدمة كبيرة في «كردستان». وبعد أن تعرّف إلى «محسن»، صار يكنّ له محبة خاصة، وأوكل إليه مهمة في الوحدة العقائدية- السياسية. انتهت خدمة «محسن» في شتاء 1983م، لكنه بقي في الجبهة عنصر تعبئة، وشارك خلال هذه المدّة بعدة عمليات منها: «والفجر التمهيدية»، «والفجر1»، «والفجر 4»، «خيبر» و«بدر».

قبل الخدمة الإلزامية، عمل «محسن» في أعمال كثيرة. لقد وقف على قدميه مذ كان في الثانية عشرة من عمره، وإضافة إلى متابعة دراسته، فقد ساعد العائلة في تأمين أمور المعيشة. عمل لمدّة في شركة لنسج الصوف إلى جانب والدي، وفي فترة أخرى عمل في حدادة وبويا السيارات، وبرع في هذه المهنة بحيث أنه صار يصلح السيارة المتهالكة لتعود جديدة.

كان يعشق الدرس أيضًا، وكثيرًا ما تحدّث المعلمون عن ذكائه

1- الفريق أوّل الشهيد علي صيّاد شيرازي.

وجِدّه، لكنّ القدر خبّأ له مصيرًا آخر، ولم يتمكن من متابعة تحصيله الدراسي.

اشتهر مسؤول الفصيل الأول في السّرية الأولى من كتيبة حمزة بـ«الأخ صباحنا». كان يكرّر في المراسم الصباحية التي تقيمها الفرقة دعاءً اختاره بنفسه، رغم أنه باللغة العربية، لكنّه سهل الفهم. بالطبع لم يدّعِ أخي في أيّ وقت أنّه من ألّف هذا الدعاء، رغم أنه لم يُذكر في أيّ كتابَ. ذات يوم، بعد الانتهاء من قراءة آيات من القرآن الكريم في المراسم الصباحية، قرأ «محسن» هذا الدعاء بصوته الجميل، وكرّر الجميع معه جمله؛ واحدة تلو الأخرى:

«اللهم اجعل صباحنا صباح الأبرار

ولا تجعل صباحنا صباح الأشرار

اللهم اجعل صباحنا صباح المقبولين

ولا تجعل صباحنا صباح المطرودين

اللهم اجعل صباحنا صباح الصالحين

ولا تجعل صباحنا صباح الطالحين

اللهم اجعل صباحنا صباح الخير والسعادة

ولا تجعل صباحنا صباح الشر والشقاوة

يا عزيز يا غفار، اغفر ذنوبي كلها وذنوب جميع المؤمنين والمؤمنات بحرمة محمد وآله».

إضافة لقراءة القرآن والدعاء في المراسم الصباحية، كان «محسن» مدّاحًا أيضًا، يعاون «محسن كربلائي» الذي اشتهر بـ«عمو حسن»[1]؛

1- شهيد. عمو حسن الستيني هذا هو غير عمو حسن -مسؤول السرية الأولى- الذي كان تزوج حديثًا، وَوُلِدَ ابنه في شتاء ذلك العام.

ذلـك العجوز الستيني الـذي كان يكنّ له محبة خاصة ويتبارى معه في إلقـاء الشعر. أحيانًا كانـا يجلسان معًا لساعـات ويتبادلان الأحاديث ويضحـكان، وأحيانًا أخرى كان أحدهما يقـرأ العزاء للآخر ويبكيان. أما نحن فكنّا نكتفي بمشاهدة لحظاتهما الجميلة من البعيد.

خرجنـا ذات ليلة من الخيمة إذ كان لـدى الفصيل مناورة. أصدر «محسن» أمر الاصطفاف:

- تأهّب...

كنت الوحيد الذي أجاب بصوت مرتفع:

- اللّه...

قلتها، وعرفت أنني أخطأت إذ أجبت في الليل، لكن فات الأوان. لقد عاقبنـي «محسن» بالزحف مسافة 30-40 مـترًا، عقوبة لها صعوبتها الخاصـة، إضافة إلى أنها كانت على مرأى الجميع. برأيي لو أنّ أحدًا آخر ارتكب هذا الخطأ، لعاقبه بالوقوف والقعود عشر مرّات أو خمس عشرة مرة.

كان طقس المعسكر بـاردًا حتى داخل الخيام. كنّـا في آخر الشهر الأول مـن فصل الشتاء، فكان أغلب الشباب يرتدون السترات الواقية للمطر، إذ لم يؤمّن الدعم المعاطف الكافية للجميع.

تابـع الشبـاب دراستهم هنـا أيضًا كمـا في «دوكوهـه»، لكن ليس بالقـدر نفسـه، وذلك بسبب عـدم توافر الإضـاءة المناسبـة، كما إنّ ضغط الأعمال العسكرية كان أكبر، ومع ذلك لم يتخلوا عن دراستهم. وقد اهتم معلّم الفصيل كثيرًا بمساعدتهم تعليميًّا.

ذات يـوم، غادر خمسة أو ستـة شباب خيمة الفصيـل إلى المجمّع العلمـي لتقديم الامتحانـات حاملين أقلامهم ودفاترهـم. بعد دقائق

على خروجهم تحول الطقس إلى غائم، وراحت الأمطار تتساقط بغزارة حتى ملأت السيول كلّ مكان. قَلِقْنا نحن الذين بقينا في الخيمة عليهم؛ أن كيف سيقطعون مسافة عدة كيلومترات من المجمّع إلى خيام الكتيبة. وقف «سعيد بوركريم» وقال:

- كل من لديه معطف أو سترة واقية من المطر، فليعطني إياه لأوصله إلى الشباب.

حضّرنا كيسًا من الملابس الدافئة، وانطلق سعيد بعد أن حصّن نفسه بالملابس جيّدًا. عاد الجميع بعد ربع ساعة ولم يمرض أحد بسبب تلك الأمطار.

عندما وصل الشباب، جفّفوا ملابسهم مستعينين بالمدفأة النفطية. كان «محمد أمين شيرازي» ضمن تلك المجموعة. مع أنه متأخر قليلًا عن أقرانه، كان يدرس بشكل جيّد مع الشباب. كان من المفترض أن يكون في الصف الثاني أو الثالث الثانوي، لكنه في الثامن الأساسي. وأكثر ما كان يحب مادة الأدب الفارسي. كنت أعلم أنّ كلا والديه معلمان.

في كانون الأول، طلب إعلام الفرقة من كل كتيبة أن تُعرّف عن عدد من التعبويين القدامى وذوي التفكير الحسن فيها ليتمّ تكريمهم في مراسم اختيار التعبوي النموذجي. كان «أحمدي زاده» أحد الذين اختيروا من كتيبتنا، لكنه لم يكن يقبل باستلام جائزته.

ذات يوم، أُعلنت في المراسم الصباحية أسماء التعبويّين النموذجيّين في الكتائب، وتسلّموا جوائزهم من قائد الفرقة الأخ «كوثري». مساء ذلك اليوم، ناداني أحدهم من خارج الخيمة. خرجت، لكن لم أعرف المنادي. عرّفت عن نفسي، فقال:

– طلب منّي أحد الأخوة أن أسلّمك هذا.

أخذت الأمانة وتعجبت من الأمر. كانت جائزة التعبوي النموذجي. أدركت أنها لـ«أحمدي زاده». ذهبت إليه، إذ كنت أعلم أين يختلي بنفسه؛ في منحدر قرب الخيمة. وجدته هناك. ربتُّ بيدي على كتفه وقلت له:

– ما هذا الذي قمت به؟

كما العادة أجاب وهو مطأطئ رأسه خجلًا:

– أخ «كلستاني»، أنت الذي تستحق هذه الهدية وليس أنا. هذه الجائزة من حقك.

كانت طباعه اللطيفة أرقّ من ورق الأزهار. لم أؤذه [بالكلام]، لكنّني بقيت أتحدث إليه حتى جعلته يوافق على استلام الجائزة التي كانت من حقه.

استمرّت التدريبات والتمارين العسكرية طوال اليوم؛ خاصة في الليل حيث كنا ننفّذ أغلب المناورات ليلًا. صرنا نشرب القهوة في خيمة الفصيل عند منتصف الليل لكي يتمكّن الشباب من مقاومة النعاس. كان مسؤول الفصيل يشتريها مع السكر بماله الخاص ويعدّها فيشرب منها مع من يرغب. لقد اشتهر شباب الفصيل الأول بشرب القهوة حتى صار مسؤولو السّرية الأولى، ومعاون الكتيبة، وأحيانًا قائد الكتيبة، يأتون إلى خيمتنا لارتشافها معنا. بالطبع كان فتيان الفصيل يلتحقون أحيانًا بجمع شاربي القهوة كي يتمكنوا من الدرس ليلًا.

كنّا نتناول القهوة على باب خيمة الفصيل بينما معظم الشباب نائمون، حيث صناديق التجهيز والمكان الذي ينام فيه مسؤول الفصيل ومعاونه. ولأنّنا كنّا نجلس على باب الخيمة، لم نكن نتسبب بأيّ إزعاج

للآخريـن. كان عنصـر البريـد أكثر مـن يشاركنا شـرب القهوة لأنّ مكان نومه قرب مسؤول الفصيل، وكان يشربها مع الكثير من السكر. بالطبـع كنّا نقتصد في تناول السكر حتى لا نعاني نقصًا في حصصنا التموينية. أما الضيوف، فكان كلٌّ منهم يحضر معه حصته منه.

كان معاوني «جواد» من مواليد طهران، إلا أن لهجته الكيلانية ظلّت واضحـة. أما «حسن»، فكان قصير القامة لكنّه عريض المنكبين. تميّز «علي» أيضًا بلهجته اليزدية، وكان عندما نشعر بالجوع أحيانًا، يحدّثنا عـن الكيك اليزدي والبقلاوة والـ«قطاب»[1] لنهدأ قليلًا. كان أحيانًا في الصبـاح والمساء يفتح دفترًا ويكتب فيه بعض السطور، وعندما ينتهي مـن عمله هذا، يغلق قلم الحـبر الأزرق خاصته، ويضعه مع الدفتر في المحفظة إلى المرّة القادمة. كان علي أيضًا مصارعًا ماهرًا ويحبّ هذه الرياضـة. أحيانًا كان يتصارع مع رامي الـB.K.C في الفصيل «غلام رضـا نعمتي». لقد أتقن فنون المصارعة؛ زيـر يك خم وفتيله پيچ و... سألته ذات يوم:

- علي، أين تعلمت هذا الفن؟

- أنا أمارس هذه الرياضة في المنزل، مع أبي وأخي.

- تتصارع مع أبيك أيضًا؟

- أجل، يتقن أبي هذا الفن... وقد تعلّمته منه.

كان المساعـدون الثلاثة لي تلامذة مدرسة، كنـت و«أصغر أهري» -فيلسـوف الفصيل- فقط من نحمـل شهادة الثانوية العامة بين رماة «الآر بـي جـي» ومساعديهم. فجميعهـم لم يبلغوا الثامنـة عشرة من العمر بعد. فكانوا يدرسون وفي الوقت عينه لم يتخلّوا عن شغبهم.

1- نوع من الخبز الذي يعد من صفار البيض واللبن وماء الزهر والهيل.

لقد قاموا بتمديد الكهرباء إلى خيام الكتيبة، فكانت تضاء المصابيح فيها من السابعة حتى العاشرة مساءً. صار الشباب يستغلون هذه الفترة في ليالي الشتاء الطويلة ويجدّون في دراستهم. لقد ملّ الجميع من نور الفانوس الأصفر والخفيف، لكن بعد أسبوع احترق المحرك الكهربائي الخاص بالكتيبة، وعادت الفوانيس لتستحوذ على اهتمامهم.

كان «محسن» يستخدم عطرًا اسمه «شيبر» معبّأً في قارورة خضراء اللون، وتختلف رائحته عن رائحة العطور المعروفة، واعتاد أن يلفّ حول رقبته شالاً طويلًا أسود اللون، مزركشة أطرافه باللون الأخضر، وقد اشتراه من أمام مقام «سبزقبا»[1] في «دزفول»، وابتاع منه أيضًا لعدد من الشباب.

كان «محسن» يكنّ محبّة خاصة لكلّ أفراد الفصيل فتية وكهولًا، وكانوا يبادلونه هذه المحبة ويعملون بأوامره بكل طيب خاطر. ذات ليلة كنّا ننفّذ مناورة في الفصيل، عندما أصدر مسؤول الفصيل أمرًا يقضي بعدم الاستفادة من مياه المطرات. صدر هذا الأمر والشباب في قمة التعب، بعد أن صعدوا الجبال ونزلوا الوديان وتعرقوا كثيًرا. فجأة أمسك أحد الشباب في طابور الفصيل مطرته إذ لم يعد يقوى على احتمال العطش، فقال له الواقف خلفه:

- يا أخ لا تخالف الأوامر!

في تلك الليلة، ساد الصمت وخيّم على الأجواء، فتناهى قوله إلى مسامعي وانتبهت له. نظرت إليه، وفي النهاية، عدل ذلك الشاب عن رغبته بشرب الماء وأرجع المطرة إلى مكانها.

1- نسبة لمحمد بن موسى الكاظم عليه السلام.

ذات ليلة، كنت قد غفوت لتوّي وغرقت في سبات عميق، وإذ بصوت ينادينــي، وبعد أن استعدت تركيزي عرفت أنه صوت «مسعود أهري». خرجت من الخيمـة فوجدت «محمد قمصري» معه أيضًا. بعد التحية والسـلام، شعرت بأنهمـا يرغبان بأن أرافقهمـا. تبعتهما من دون أن أنطـق بكلمـة، وبعد مئة مـتر توقفنا عنـد منحدر واد. في تلـك الليلة المظلمـة بدا ذلك الوادي المليء بالأخاديد مرعبًا. دققت النظر فرأيت حفـرة تشبـه القبر. ذهلت، وظننـت أنني أحلم عندمـا رأيت «محمد قمصـري» يضـع قدمه في الحفـرة وينام فيهـا باتجاه القبلـة. جلس «مسعود أهري» قربي وراح يتمتم بخشوع:

«...وأسألـك الأمان يوم لا ينفـع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم...».

لم أكـن قد رأيت مثل هذا المشهد قبل تلك الليلة. لقد اشتبه هذان الاثنـان بيني وبين أخـي، وربما ظنوا أنني مثله تعلّمـت قراءة الأدعية والعزاء، وأستطيع مساعدتهم في هذه الأمسية. لقد أخطأوا الظنّ فقد كنت أنا المحتاج إليهما. كان «محمد» يذرف الدموع وهو ممدّد في تلك الحفرة و«مسعود» يذرفها وهو إلى جانبي.

بـات الهلال يظهر حينًا ويختفي حينًا آخـر خلف الغيوم. بعد مدة خـرج «محمد» مـن الحفرة وأخـذ «مسعود» مكانه، وجـاء دوري بعده وتمـدّدت داخل القـبر. كان بصيص النور المتأتي مـن الهلال كفيلًا بمنحي القـوة، فقد كانت ظلمة القبر مرعبة بكل ما للكلمة من معنى. هذه المرة، كنت أنا في الأسفل وذانك الملاكان السماويان جالسان عند حافة الحفرة يبكيان.

صبـاح اليوم التالي، انتشر خـبر مفاده أن قائد الكتيبـة قرر إعفاء الشبـاب دون السابعـة عشـرة من الخدمـة. قلبت هـذه الشائعة خيمة

الفصيل رأسًا على عقب. شائعة ربما سرت من كتيبة أخرى، أو أنّ أحدهم أراد المزاح فتسبب بفوضى عارمة إلى حين معرفة الحقيقة. توجه الفتية بالشكاوى إلى كل من «محسن» ومعاون الفصيل حسين فياض:

– ليس من الإنصاف أنّنا تدربنا كل هذا التدريب وسهرنا الليالي ولا نكون معكم ليلة الهجوم...

– صحيح أن لحاننا لما تنبت بعد، لكن متى تخلفنا عن شباب الكتيبة؟..

– لو لم ننشغل بالدراسة إلى هذه الدرجة لما حصل ما حصل.. القادة على حق.. في أي فصيل تجد كل هذه الكتب والدفاتر والأقلام؟

– لنذهب جميعًا ونشتكي عند الحاج كوثري. إن قائد الفرقة سيقبل حتمًا وسيعيدنا إلى الكتيبة...

– أفكر أن نذهب مباشرة من هنا إلى مطبخ الفرقة. لأننا قصار القامة، فيضعون كلّ واحد منّا في قِدْر ويعطوننا الإسفنج ومسحوق التنظيف لنغسله. في منزلنا لا نتعرّف على شيء ولا نقوم بأي عمل، والآن علينا أن نغسل قدور الفرقة...

سيطرت هذه الشائعة على أجواء الفصيل إلى أن عاد قادة الفرقة عند غروب ذلك اليوم من جلسة مطولة وكذّبوا تلك الأخبار، فاستعادت خيمة الفصيل هدوءها من جديد.

عانينا من نقص في التموين على مستوى الفصيل، وظهر هذا النقص واضحًا على مستوى كل الفرقة، وفي الكتائب أكثر منه في الوحدات. في البداية عندما جئنا إلى «كرخه»، كنّا ندّخر الخبز اليابس ولا نرميه، وبعد عدة أسابيع، عندما كان الجوع يغلبنا بشدّة، كنّا نأكل أحيانًا من ذلك الخبز.

بالطبـع أنا اعتـدت على قلة الطعـام. كان قائـد المجموعة الأولى «محسن كودرزي» يمازحني أحيانًا ويقول:

– حسين، إن لم تأكل جيّدًا ستفقد القدرة على القتال ليلة الهجوم.. كُل القليل من الطعام لتقتات وتتمكن من القتال بشكل أفضل.

ثمّة ليلة من ليالي «كرخه» لن أنساها أبدًا، هي تلك التي حفر فيها فتيـة الفصيل حفرة قـرب الخيمة تشبه القبر، ونام فيها كلّ منا بضع دقائق.

في تلـك الليلـة سادت حـال معنوية عجيبـة على مسـؤول الفصيل والشبـاب، فقرأوا زيارة عاشوراء داخـل الخيمة ثم خرجوا منها. كنّا نسمـع أصواتهم بوضـوح داخل الخيمة حيث بقيت أنـا وتسعة آخرون فقط. أحدهم ظلّ ساجدًا على الأرض لساعة كاملة، وآخر جلس مثلي ثانيًا ركبتيه إلى صدره، واثنان آخران تمدّدا وغطّيا وجهيهما ببطانية. أظن أن أحدًا لم يغفُ تلك الليلة.

روى لهـم «محسـن» في الخـارج قصصًا عن عمليّـات «والفجر 4» وحدّثهـم عـن معنويّـات المجاهدين حينها، وقـرأ لهم أيضًـا مناجاة الإمام علي عليه السلام.

نحـن الذين كنّا داخـل الخيمة سمعنا صوت المناجـاة، وفي الوقت نفسه كنّا نسمع طرقات المعول والمجرفة، فاستطعنا أن نخمّن ما الذي يحصـل خارجًا. استمرّ الشباب في مناجاتهم حتى قبيل السحر، حين خرجـت من الخيمة لأتوضّـأ، رأيت تلك الحفرة، كانت أكبر بكثير من حفرة «محمد» و«مسعود».

«محمود أستاذ نظري»[1] تلميـذٌ تعبوي في السرية الثانية، ويقال إنّ

1- استشهد في عمليات «والفجر 8».

وضع والده المالي جيّد. كان يكنّ محبة خاصّة لمحسن وللفصيل الأول، وصار يأتي إلى خيمتنا من حين لآخر ويجلس معه، فكانا أحيانًا يقرآن القـرآن والدعاء معًا، ويتناوبان على قراءته آية آيـةً أو سطرًا سطرًا، وأحيانًا يتباريان في إنشاد الشعر.

ذات يوم جاء إليّ «أحمد أحمدي زاده» الذي اختير تعبويًّا نموذجيًّا حامـلًا معه دفترًا وطلـب مني أن أكتب له على دفتر المذكرات، فكتبت له بعض العبـارات في معسكر «كرخه» يوم الثلاثـاء 1986/1/7، عند الثامنة وخمس وأربعين دقيقة.

في أواسـط كانون الثـاني أعطت الكتيبـة إجازة للشبـاب. عندما وصلنـا إلى طهران، ذهبت و«محسـن» وعددًا آخر من شباب الفصيل إلى مشهـد بعد أن قضينـا يومين في المنزل. استغرقـت الرحلة ليلتين ذهابًـا وإيابًـا بالقطار. عندمـا نظرت إلى الزخـارف في صحن حرم الإمام الثامن قلت لـ«محسن»:

- لقد أنجزوا عملًا رائعًا...

- روعتـه في أنّ أحـدًا لا يستطيع رؤية نفسه من خلال هذا الزجاج المتكسّـر. عندمـا يدخـل الزائر إلى الحـرم يجب أن يكـون متواضعًا وكسير القلب حتى يتمكن من رؤية الحبيب.

لقـد رأيـت أنا ظاهر ذلك العمـل لكنّ «محسن» انتبـه إلى أسراره الخفية. ولأنّه كان علينا العودة بسرعة، سألت:

- كيف كانت الزيارة؟ ألم يكن وقتها ضيّقًا؟ ليتنا بقينا أكثر!

- كانـت جيدة. لقد قلـت كلامًا للإمام الرضا هـذه المرّة، وسوف يستجيب الله لطلبي إن شاء الله!

لم أتمالك نفسي فسألت: «ماذا قلت للإمام الرضا؟».

هزّ رأسه وتهرّب من الإجابة بنظرة منه[1].

عندما أردنا العودة إلى الجبهة، أكثَر والداي من التوصية لي ولـ«محسن» بأن ننتبه إلى أنفسنا. في ذلك الشتاء، كنّا في الجبهة ثلاثة إخوة، وقد عاشت أمي أوقاتًا عصيبة حينها.

في «كرخه»، أكّد القادة على وجوب أن تكون الكتيبة على جهوزية تامّة لتتمكّن من تسلّم مهمة هامّة في العمليات القادمة. لهذا قمنا بالكثير من التمارين في الأيام التالية، وتألّقنا في آخر مناورة للكتيبة في «كرخه» وهي عبور كتيبة مؤلفة من 300 عنصر في ممرات ومنحدرات مليئة بالحصى مع أقلّ ضوضاء ممكنة. كان العناصر مدربين بالكامل وجاهزين للعمليات.

في النهاية أُبلغنا بلزوم إجراء آخر اتصال وكتابة آخر رسالة لأنه عندما نغادر هذا المعسكر لن يكون هناك إمكانية للتواصل مع الأهل. كتب الشباب وصاياهم الأخيرة في معسكر «كرخه»، طلب مني مساعد رامي «الآر بي جي» في الفصيل أن أكتب له في بداية وصيته آية «ولا تحسبنّ الذين قتلوا...» من دون خطأ. وأمضى شابٌّ آخر ساعات على مدى يومين في كتابة وصيته، لربّما محاها مرات عدّة وأعاد كتابتها. كان في كل فرصة يختلي بنفسه ويكتب[2].

في آخر ثلاثاء، قرأنا دعاء التوسل في الفصيل. كان هذا الدعاء مختلفًا عن غيره، وقرأه أربعة عشر شابًّا، كل واحد مقطعًا[3].

ذات يوم سلّم الشباب أغراضهم الشخصية لـ«تعاون» الفرقة. رأيت

1- لم يمض شهر حتى حصلت على الجواب؛ كان قد طلب من الإمام الشهادة.

2- بعد شهادته، قرأت وصيته في طهران. كانت مؤلفة من 8 أو 9 صفحات مكتوبة بخط صغير.

3- استشهد من فصيلنا في عمليات «والفجر 8» هؤلاء الأربعة عشر أنفسهم فقط.

«محسن» عند غروب ذلك اليوم غارقًا في التفكير. جلست قربه وقلت:

- ليتنا بقينا أكثر في كرخه!

- إن شاء الله نذهب، ونعود مجدّدًا إلى هذا المعسكر.

وقتها، طلب مني أن أخطب الفتاة التي يحبها في حال استشهد. أساسًا كنّا قد اتفقنا أنّ من يرجع سالمًا يتزوجها. كان قلبه لا يزال متعلقًا بها. فكرت بها، إنها فتاة طاهرة ومؤمنة وأصيلة. استغربت اقتراحه، لكن قبلت به ليرتاح باله.

قبل مغادرة «كرخه» ذهبنا إلى ميدان الرماية، فقام «محمد أمين شيرازي» بإطلاق النار من رشاشه، وكان من حين لآخر يدلّك مرفقه. لقد كان وأخوه التوأم -مهران- جريحين؛ أصيب هو في مرفق يده، أما أخوه فقد بترت قدمه. كما فُقد أثر أخيه الأكبر مجيد في عمليات «بدر». كانت حماسته ونشاطه للمشاركة في العمليات القادمة يرفعان من معنوياتنا.

أخيرًا غادرنا «كرخه» بالحافلة بعد أن أقمنا صلاة الظهرين وتناولنا طعام الغداء، ووصلنا ليلًا إلى المخيم التالي. عندما انعطفت الحافلة شرقًا، عرفنا من خلال تجربتنا في العمليات السابقة ورؤيتنا لمنطقة الجفير، أنّنا لن نذهب إلى هناك. تقدّمت الحافلات حتى بساتين النخيل على ضفاف «كارون». توزّعنا في عتمة الليل على خيام المعسكر الجديد الذي حمل اسم معسكر «كارون».

في اليوم التالي، جاء إليّ مخرّب الفصيل «حسن قابل أعلا» وكان صغيرًا في السنّ، طالبًا مني كتابة مذكرات له. قلت له:

- أين الدفتر؟

أعطاني دفترًا صغيرًا كرزي اللون، حمدت الله أنّه كان صغيرًا على

عكس دفتر «أحمدي زاده». قلت:

– أخ حسن، وكأنني أول من يكتب... ألا يمكن أن تعطي دفترك لصديق مؤمن طاهر القلب يفتتحه؟

أجاب بسرعة بديهته: «ومن أجد أفضل منك ليكتب لي شيئًا من المضامين العرفانية؟ ابدأ أنت، وسيمتلئ الدفتر بسرعة إن شاء الله».

«مهدي كبير زاده» هو مساعد رامي «الآر بي جي» في الفصيل، ولهجته يزدية مثل «علي قابل». ذات يوم، وبينما كنّا جالسين في الخيمة، أريته قميصي القديم والبالي، الموصول بعضه ببعض وقلت له:

– هل نبدّل قمصاننا؟

– لا مشكلة أخ كلستاني.

كان قميصه أفضل من قميصي. ارتديته، فوجدته ضيّقًا بعض الشيء، كما وجد قميصي واسعًا عليه بعض الشيء. ابتسمنا، وكانت تلك علامة الرضى بهذه المبادلة، عندها سلّمت «مهدي» ما في جيب قميصه، ووجدت بين أغراضه مصباح جيب وخيطًا وإبرة. قلت له: «هذان الإبرة والخيط يفيدانك كثيرًا وأنت ترتدي ذاك القميص».

قال مهدي: «أنا أيضًا خياط ماهر. أخيط القميص وأصلحه فيصبح أفضل مما كان عليه من قبل».

هكذا تبادلت ومهدي التذكارات.

ذات يوم نفذنا مناورة في بساتين النخيل للتدرّب على مواجهة الهجوم الكيميائي. وكنّا قد نفّذنا سابقًا مناورة أخرى في «كرخه» للغاية نفسها، لكن استخدام القناع الواقي هنا كان أصعب بسبب الطقس الحار والرطب. كانت المناورة عبارة عن المسير لساعات بتجهيزات كاملة واضعين القناع الواقي. لقد شاركت الكتيبة كلّها في

هذه المناورة وانقطع نفس الجميع فيها.

لم تكن صداقتي العميقة بـ«شيرازي» خافية على أحد. في ذلك اليوم، الرابع من كانون الثاني، كتبت مذكرات لمساعدي «جواد نصيري بور». وعندما طلب منّا كتابة مذكرات له بدأت المجاملات:

- اُكتب أخ محمد، أنت ابدأ بالكتابة.

- أخ كلستاني، الأكبر سنًّا أولًا. ابدأ أنت بالكتابة.

في النهاية أخذ «شيرازي» الدفتر وكتبت أنا من بعده. بالطبع بعد أن أخذ منّي عهدًا أن لا أقرأ ما كتب، وكتبنا نحن الاثنان مذكراتنا في أول صفحتين متقابلتين، تمامًا كما كنّا دائمًا في صداقتنا أحدنا إلى جانب الآخر.

في ذلك اليوم نفسه، تحدثتُ مع «محمد أمين» حول أخيه التوأم الذي جاء إلى «دوكوهه» بقدمه المبتورة. سألته:

- من وُلد قبل الآخر.

- أولا ترى أنّني دائمًا على عجلة من أمري ولا أثبت في مكان واحد؟ من الواضح أنني ولدت قبله!

ثم سألني:

- أخ كلستاني، هل حدث أن تشاجرت مع الأخ محسن وتضاربتما؟

- ضرب، لا. لكن جَرَحَ أحدنا الآخر بالقوس والنشاب أو ببندقية الخردق.

- إن شاء الله يسامحني مهران. لقد تضاربنا كثيرًا. لأنني أكبر منه ببضع ثوان، كنت أظلمه دائمًا، وهو لا ينطق بكلمة لكي يضع حدًّا للشرّ.

– أن يكون لك أخ توأم له نكهة خاصة أيضًا!

– كنّا دائمًا معًا في المدرسة والصف، وأحيانًا كنّا نرتدي الملابس نفسها. في طفولتنا، كان يصعب تمييز أحدنا عن الآخر، لكن عندما كبرنا، صارت الاختلافات واضحة بيننا.

– الآن من السهل تمييزكما. أنت يدك معلقة إلى رقبتك، وهو يحمل العصا. بالمناسبة، أين دفنت قدمَه المبتورة؟

– في مستشفى شيراز. أحيانًا يذهب ويقرأ الفاتحة لها.

بقينا في «كارون» أسبوعين نفذنا فيهما عدة مناورات برمائية، كما ذهبنا إلى ميدان الرماية مرة واحدة. كان لدينا نوبات حراسة ليلًا. ذات ليلة وقعت نوبة حراستي من الثانية بعد منتصف الليل حتى الرابعة فجرًا. أيقظني مسؤول الحراسة في الوقت المحدّد. وكان من عادتنا أن نتوضأ بعد الاستيقاظ. أثناء الحراسة، دخلت إلى الخيمة مرّات عدة، فوجدت الشباب يغطون في نوم عميق. في إحدى المرات، وقد بقيت ساعة واحدة لصلاة الليل، وجدت البعض مستيقظين. سمعت صوت ذكر. دققت جيّدًا، إنّه ليس صوت أولئك المستيقظين، بل النائمين؛ يردّدون أثناء نومهم ذكر «يا فاطمة، يا فاطمة»، «يا حسين، يا حسين» و... كان ذلك عجيبًا ودفعني إلى التأمل؛ فمن كثرة ذكرهم لله وأوليائه نهارًا وبسبب نومهم على وضوء، صار ذكر الله يجري على ألسنتهم ليلًا وهم نائمون. كان أولئك الفتية يعدّونني زاهدًا وعارفًا لأنني آكل أقلّ منهم ببضع لقيمات، لكن العارف الحقيقي كان هم. كانت قلوبهم وأرواحهم نورانية. ولو لم يكونوا كذلك، لما استطاعوا تحمّل كل تلك الصعوبات والمشقات.

قبل مغادرة معسكر «كارون»، سجل شباب الإعلام رسالة لكل

مجاهـد. كنـت قرب «محسن» عندمـا وصل الدور إليـه. ولقد سمعت ذلك الصوت مرات عدة:

«أنـا، محسـن كلستـاني، التحقت بالجبهة عـبر مقرّ سيـد الشهداء عليه السلام، وأخـدم في فرقـة «محمـد رسـول اللهﷺ، كتيبـة حمـزة سيد الشهداء عليه السلام، السرية الأولى، الفصيل الأول. الآن، في بساتين النخيل هذه، وفي هذه الليلة المظلمـة، ينهمك الشباب بجمع عدّتهم وعتادهم للعمليـات. من الممكن أن يصدر الأمـر بالتحرك في أيّ لحظة. لا أحد منّـا يعلم شيئًا عن مستقبل هـذه المعركة، ولا أحد يعلم كم سيستشهد من مجموع الثلاثين شابًّا ونيّفًا من هذه المجموعة. يعيش الشباب الآن مشاعر مختلفة عن الأيام العادية، ولا شكّ في ذلك. إن شاء اللّه نحن جميعنا ذاهبون إلى النصر وبكل شوق».

بعـد ظهر أحد الأيام، غادرنـا معسكر «كارون» في شاحنات مغطاة من الخلف. كان المخيم التالي عبارة عن بيوتات قروية على ضفاف نهر «بهمنشـير». اجتمع فصيلنا في أحد المنـازل وبقينا فيه حتى الصباح. بـدأت عمليات «والفجر 8» في تلك الليلة نفسها. في اليوم التالي قدّموا لنـا على الغـداء الدجاج بـالأرز؛ كيسًا لكل شخص. وكمـا هي العادة أعطيـت طعامـي للآخريـن. أكل «محسن كودرزي» بضـع ملاعق من الأرز وقطعـة صغـيرة من الدجاج مـن حصتي. قلت لـه: «أخ محسن تناول المزيد منه».

لم يقبـل وقـال: «إن لم تتناول طعامك، فلن تقـوى على القتال ليلة الهجوم».

أشرتُ إلى سبابته وقلت: «إذا ضربتَ العراقيين بإصبعك الحديدي هذا، سأترك «الآر بي جي» جانبًا وأصبح مساعد مسعف».

كان «كودرزي» قرويًّا قويّ البنية رغم صغر حجمه. فقد أجزاءً من إصبعيه في عمليات «والفجر4»، لكنّ سبّابة تلك اليد المصابة بقيت سالمة وقوية إلى درجة سمّاه الشباب صاحب «الإصبع الحديدي».

غادرنا البيوت القرويّة وتوجّهنا بالشاحنات إلى عنابر «أروند كنار». كانت العمليات قد بدأت ولم يعد هناك من حاجة للعمل السري. لقد استطعنا ونحن في الشاحنة رؤية بساتين النخيل الموجودة في المنطقة.

كانت العنابر قليلة، لكنّ مهندسي الفرقة قاموا بعمل جيّد إذ أحكموا بناءها، وغمروا سطحها بالتراب. نمنا داخل العنابر جلوسًا أما بعض الشباب فأمضوا الليل خارجها في أكياس النوم مستيقظين حتى الصباح.

عند الصباح، رأيت «سهيل مولايي» قد أحضر معه كتاب الرياضيات إلى هناك، وانشغل بحلّ المسائل الرياضية. لقد جلس على باب العنبر ليتمكن من الرؤية بشكل جيد فلم أزاحمه في ظل معمعة العمليات التي كنا نعيشها.

في الحادي عشر من شباط اشتدت حدّة الغارات الجوية العراقية، وأبلت مضادّاتنا الجويّة بلاءً حسنًا في صدّها. أقمنا صلاة الظهر جماعة في العنبر، ولأنّ المكان ضيّق، بالكاد اتّسع لصفوف المصلين. جلت بنظري على الأصدقاء، بدا «محمد عليان نجادي» و«سعيد بور كريم» سعيدين. كانا متبسّمين في الصلاة أيضًا، ولا يمكن وصف سعادتهما وحماستهما. وكأنّ السعادة كانت جزءًا من مهامّهما. بدا القادة أيضًا سعداء كالتعبويين. لم يخفِ السّيد «مجتهدي» -معاون الكتيبة- سعادته هذه أيضًا. كان يمازح الشباب بأسلوبه اللطيف. ذات مرّة عندما رآني و«محسن» معًا قال:

- بعد الشهادة سأراكما أنتما الاثنين.

أجاب «محسن»:

- إن لم يأخذ السادة بأيدينا سنبقى في مكاننا إلى الأبد.

غادرنا العنابر بعد ظهر ذلك اليوم نحو رصيف المَرسى الذي يبعد عنّا كيلومترات عدّة، يقع هذا المرسى قرب نهر يصل عرضه إلى عشرة أمتار وإلى جانبه بيت خربٍ إلى حدٍّ ما. انتشر شباب الكتيبة حول ذلك البيت، قرب النهر وعلى الجادة الرملية، وراحوا يركبون الزوارق مجموعة تلو الأخرى. فكان كلّ زورق ينقل مجموعة.

عند غروب الحادي عشر من شباط، انتظم فصيلنا في طابور في الجادة الساحلية المعبدة في «الفاو». انطلقنا سيرًا على الأقدام. مشينا مئات الأمتار حتى وصلنا إلى سكن حكومي غرفه خالية واستقررنا فيه. تناولنا هناك طعام العشاء وهو عبارة عن الهمبرغر وكبيس الخيار مع خبز الـ«لواش». قال «محسن» للشباب بناءً على خبرته:

- من الأفضل أن تتناولوا الخبز وحده.

لا أحد يعلم متى تمّ طهي هذا الطعام، من أين أتى وكم بقي في الطريق وما جرى عليه حتى وصل إلى أيدينا. فكان العقل يحكم بأن نعمل وفق ما قاله أخي.

في تلك الليلة، رأيت «حسن قابل أعلا» يتلوّى من ألم في معدته وقد شحب وجهه. عندما قال له «محسن» إنّ باستطاعته عدم المشاركة في الهجوم ساء وضعه أكثر، قلقًا من أن لا يتمكن من مرافقة الشباب.

أقبلت ليلة الأربعاء ودعاء التوسل. قرأ الشباب الدعاء بتجهيزاتهم العسكرية الكاملة، حتى إنّهم ظلّوا يرتدون الأحذية العسكرية. كان لذلك الدعاء في تلك المنطقة صفاء من نوع آخر.

عنـد الواحـدة بعد منتصف الليـل، انتقلت كلّ الكتيبـة إلى الأمام بشاحنات كانت قد غنمتها سابقًا. في اليوم التالي أي الثاني عشر من شبـاط، كنّا قرب جـادة «الفاو-أم القصر»، على بعـد مسافة 10-12 كلم من مدينة «الفاو». لقد جرح اثنان من الشباب ذلك اليوم، إذ كنّا في خطّ المعركـة الثاني، وعرضة لهجمات العدو الجوية والبرية. بقينا هنـاك طوال النهار، حيث تقدمت الكتيبـة مباشرة بعد أداء فريضتي المغرب والعشاء سيرًا على الأقدام، تحت جنح الظلام.

توقّفنـا قرابة الساعة في نقطة عرفنا فيما بعـد أنّها مثلث مصنع الملح، وذلك ليقوم قـادة الكتيبة بالتنسيق مع قادة الفرقة، وقد حضر «محسـن» مع سائـر المسؤولـين الكبار جلسـة التنسيق هـذه. في تلك الجلسة حُسم أمر عمليات كتيبة «حمزة» وتمّ توجيه قادتها وإعطاؤهم التفاصيل عن منطقة العدوّ.

كان هدف الهجوم هو احتلال كيلومترات عدة من جادة «الفاو-أم القصر» والوصول إلى جسر الجادة الكبير المستحدث فوق قناة كبيرة، والـذي يصل طرفي الجـادة بعضهما ببعض. فإذا مـا تمّ تفجير ذلك الجسر تمكنّا من تأمين خطّ دفاع «الفرقة 27» بالكامل، وكذلك تأمين الجناح الأيسر لعمليات «الفجر 8» بتمامه.

لم يستغرق توجيه العناصر حول منطقة العمليات أكثر من عشرين دقيقـة. قالوا لنا إنه يوجد على الجادة بعض الدبابات المحترقة وعدد سليم منها، فحاذروا من أن تشتبهوا بالهدف وترموا الدبابات المحترقة فتذهب ذخيرتكم هدرًا. كما قيل لنا إنّ الكتائب التي عملت في الليلتين السابقتـين لم تواجه الكثير من المشـاكل، وإنّ منطقة العمليات هي في عمـق الأراضي العراقية وعلـى الحدود مع الكويت، لذا فلا يوجد فيها حقول ألغام، كما لم يجد العراقيون فرصة لتفخيخها وتحصينها...

قبّل الشباب وجوه بعضهم البعض وطلبوا المسامحة من بعضهم بعضًا. كما تحدّث السيد «مجتهدي» معاون الكتيبة ببضع كلمات إلى شباب السرايا التي دخلت العمل بالترتيب وفقًا لرقمها، وقال:

- لا تنسَ ذكر الله. لا تنسَ «يا زهراء». لا تنسَ تجربة العمليات السابقة. لا يجب أن تغترّ باقتحام خطّ العدو الأول. يجب أن تهيّئ نفسك لهجوم معاكس عنيف. يجب أن تذكر الله دائمًا وتطلب العون منه... وإلّا لن يتحقّق أيّ تقدّم...

أكملنا طريقنا وأصبح مثلث مصنع الملح خلفنا. وصلنا إلى خطنا الأمامي من جهة اليمين بعد أن قطعنا مسافة كيلومتر واحد. كان عدد العناصر المستقرّين هناك قليلاً. لتجنب الخسائر الناجمة عن نيران صديقة، نقلوا العناصر إلى مثلث مصنع الملح لكي لا يجرح أحد عبثًا أثناء هجوم كتيبة حمزة. نسّق القادة معًا، وتابعوا بدقة آخر أخبار الجبهة. حينذاك شكّل مسؤول السرية الأولى مجموعة خاصة مؤلفة من سبعة أشخاص من بينهم أنا و«محسن كودرزي»، مهمتها اقتحام خط العدو. تقدّم الأخ «مهدي» عناصر هذه المجموعة، وهو من عناصر معلومات عمليات الفرقة، ومهمته توجيه وقيادة عناصرها. قلت لـ«محمد جواد نصيري بور» وهو مساعدي الأول:

- جواد، راقبني، وأينما ذهبت اتبعني...

اقتضت مهمتنا تجاوز خط كمين العدو وتدمير تلك الدبابات السليمة كي لا يتأذى العناصر الآخرون ويقوموا بتنفيذ مهمتهم الأساسية.

كانت السرية الأولى تغادر نقطة الانتشار عندما اختفى الهلال قبل ساعة من منتصف الليل. لا تتجاوز المسافة الفاصلة بين خطّنا

وخـط العدو أكثر من مئة وبضعة أمتـار. والعلامتان المميّزتان لهذين الخطين هما حفرتان كبيرتـان وعميقتان وسط الجادة المعبّدة. تقدم عناصر الطابور منحنـي الظهور من يمين الجادة، مشوا عليها ونزلوا إلى يسارهـا. هنـاك، صرنا نسمع أصوات العراقيـين بوضوح. أكملنا طريقنا بمشيـة البطة وزحفًا حتى وصلنا إلى الشق الكبير من الجادّة الـذي كان علـى ميمنتنا. فجـأة توقف عنصر المعلومـات الذي يتقدم الطابـور زحفًـا عن الحركة، فقد وصـل إلى حقل ألغـام. قام عنصر التخريـب بفتح طريق بين الأسـلاك الشائكة والألغـام. كانت الألغام متناثرة على الأرض وواضحة للعيان.

تابعنـا طريقنا من جديـد زحفًا حتى وصلنـا إلى مقربة من دشم العراقيين. همس الأخ «مهدي» في أذني:

– عندمـا أرمي القنبلة، إذا أُطلقت النار مـن دشمة العدو فارمها مباشرة وحطّمها. إن تأخرتَ في العمل سيأخذ العراقيون زمام المبادرة ويسيطرون على الميدان...

كانـت المسافة الفاصلة بيننا وبين الدشمة تتراوح بين الـ20 و30 م. تحت ضـوء القنابل التي أنـارت سماء المنطقة البعيـدة، حدّدتُ بدقة مكان الدشمة والدشم التي بقربها. فجأة كبّر أحدهم ورمى قنبلة تلك الناحية. أعلم أنّ الأخ «مهدي» لم يقم بالأمر. لقد بدأت العمليات قبل لحظات من الموعد المقرر.

كان العراقيون في الجهة المقابلة حاضرين لمواجهتنا، وذلك إلى درجة التقـط فيها أحدهم القنبلة بيـده –وكان يضع على وجهه قناعًا واقيًا– ورماهـا ناحيـة المستنقع، ثـم راح يطلق النار من رشاشـه بغزارة على طابورنا. استشهد عنصر المعلومات على الفور. لقد مزقت الرصاصات صـدره وأصابت اثنتان منها قدمي. كنت قد وقفت لأرمي قذيفة «آر بي

جـي» لكنّه سبقني بالمبـادرة. لم أستسلم. يجب أن تُفجّرَ تلك الدشمة، وإلا فقد الشباب روحية الهجوم. لم أهتمّ بجرحي وضغطت على الزناد، لتستقـرّ القذيفة في قلب الدشمـة وتدمرها. مع هـذه الضربة القوية، ارتفعت معنويات عناصر الطابور من خلفي وانطلقوا.

انقضـت الدقيقة الأولى لمصلحتنـا: شهيد وجريـح، مقابل دشمة وعـدد من القتلـى العراقيين. شكـرت الله إذ لم يقع الشبـاب فريسة للخـوف في بدايـة العمليـات. تابعـت طريقـي على الرغـم من نزيف قدمـي. كان جسمي لا يزال دافئًا وأستطيـع العمل. ما إن مشيت حتى نهض «جواد نصيري بور» خلفي وتقدّمنا معًا. عندما تجاوزنا الدشمة المدمّرة شاهدنا أشلاء العراقيين. قليلًا إلى الأمام، فقدتُ أثر «جواد». كان نظم (صفّ) الشباب قد اختلّ، وقد جلس عمو حسن قائد السرية الأولى علـى الجادة وراح يوجّـه الشباب ويقودهم. فجـأة رأيت «علي قابل». لقد استطاع بذكائه الوصول إليّ في كل تلك المعمعة. سألته عن «حسـن رضي» الذي لم نكـن نعلم أين هو. تابعـت طريقي مع «قابل». قررت الذهاب إلى الجادة المعبدة لأستطيع رؤية الهدف بشكل أفضل. صعـدت من كتف الجادّة الرملي ووضعت قدمي على الإسفلت ولم أكد أخطـو بضع خطوات حتى سمعت آهات مـن خلفي. لقد أصيب «قابل» برصاصـة عندما كان يصعد من جانب الجـادة الرملي نحو الطريق، ولمّـا تطأ قدمه الإسفلت بعد، فانزلق ووقـع على جانب الجادّة الرملي واستشهـد. لقد مزقت رصاصات عدة بطنه وصـدره. لم أتأخر عنده كثـيرًا، وبقيت من دون مساعـد، فإذا ما انتهـت الذخائر من عندي، توجّـب علـيّ الحصول على غيرهـا. بـدأت قدمي تؤلمنـي. كان رامي B.K.C يرمـي بغزارة من داخل دشمة وسـط مستنقع خور «عبد الله» وتشـرف بشكل كامـل على الجادة. ولربما كان هـذا الرامي هو نفسه

مـن قتل «قابـل». وضعت القذيفة الثانية في القبضـة وسحبت الأمّان. كنـت أجلس القرفصـاء، فإذا بي أقف منتصـب القامة على الجادة. صوّبـت ورميت. وتزامنًـا مع رميتـي أُطلقت قذيفة أخـرى على نفس الجهة. احتملت من ظلّ الرامي أن يكون «بوركريم». ومع انفجار هاتين القذيفتين توقفت نيران الرشاش لمدة.

عندما انخفضـت حدّة نيران العدو تقدّم الشبـاب أكثر، لكنّ هذا الهدوء لم يستمرّ طويـلًا. من الواضح أنهم كانوا يطلقون النار برعب واضطراب كي لا يقترب حملةُ القنابل من دشمتهم.

إلى الأمـام أكـثر وجدنـا عـددًا مـن الدبابـات وناقـلات الجنـد المحترقة، والكثير من العراقيين يحومون حول حطامها كالصراصير. هيّأت القبضة للقذيفة التالية. كنت أبتعد عن الهدف 30 مترًا. صوبت وأطلقـت النار. لم ترتطم القذيفـة بالدبابة لكنهـا أصابت عددًا من العراقيين فعلا صراخهم وعويلهم في المكان.

نفـدت القذائف لديّ. فجـأة رأيت معاون الفصيـل الأخ «فياض». سألته من دون تفكير: «هل معك قذائف؟».

جلـس على الفـور بقربي وأخرج من جعبته ثـلاث قذائف، جهّزها وأعطاني إياها. ثم قال لي:

– لقد أرهقتِ الدوشكا الواقعة إلى اليسار منّا الإخوة.

– أجل، إنها تضرب بعنف، ولم تسكت لحظة واحدة حتى الساعة.

– يجب أن تُسكَت بأيّ طريقة.

– لن أسمح لهم بأن ينجوا بحياتهم...

ذهب فياض ليتفقد أحوال سائر الإخوة.

ركـزت كل حواسي على دشمة الدوشكا الواقعـة إلى يسار الجادّة

خلف دشمة رامي الـB.K.C. كان من الصعب استهدافها، ورصاصها ينهمر كحبات سكر النبات في الهواء. حددتُ مكان الهدف بدقة، يجب أن أرمي بشكل مقوّس لأصيبه. كانت المسافة حتى تلك النقطة 100 م. هيأت القبضة ووقفت. لم أكن أملك سوى تلك القذيفة التي أعطانيها فياض، ولا ينبغي أن تذهب هدرًا. لو التقيت بأحد مساعديّ لارتاح بالي. وبينما أنا أدقق النظر ثانية بدشمة الدوشكا للوصول إلى أفضل حال للإطلاق، وإذ بي أشعر برعشة في بدني وأطير في الهواء. كانت قوة الرصاصة التي أصابت ركبتي اليمنى قوية بحيث جعلتني أدور مرات عدّة في الهواء. قبل ثانية كنت واقفًا على الأرض وبعد ثانية انقلبت رأسًا على عقب، ووجدتني مرميًّا على ظهري. أما قبضة «الآر بي جي» فأفلتت من يدي منذ البداية. شعرت بدوار شديد ولم أعد أرى ما حولي بوضوح. كنت مشتّت الحواس. لم أعلم ما الذي جرى لي وأين أنا. استجمعت أفكاري واسترجعت الأحداث في ذهني: أنا، حسين كلستاني.. رامي «آر بي جي» في المجموعة الثانية من الفصيل الأول... أردت إطلاق قذيفة «آر بي جي» في جادة «أم القصر»... أجل، كنت أريد إطلاق قذيفة «آر بي جي» فأصبت برصاصة.. أجل، لقد جرحت...

رفعت جسمي قليلًا متكئًا على مرفقي، وصوت القصف يتناهى خفيفًا إلى مسامعي. شعرت بطنين في أذني ولم أعد أرى سوى الظّلمة. رصاصة واحدة قلبت أحوالي، تذكّرت من أزيز الرصاصات العابرة قرب رأسي وأذني أنّه كان من المقرر أن أدمّر دشمة الدوشكا. بعدها، وقع نظري على جرح ساقي، رأيت الدّم يتدفّق من بنطالي الممزّق. شعرت بالخوف. قلت في نفسي: حسين، ستقطع قدمك. حرّكت إصبع قدمي لأرى إن كان العصب سالمًا أم لا. وجدته سليمًا. تناولت الشال

الـذي أهدتنيه أختـي وربطت به رجلي أعلى الجـرح، كان يتمدّد عند الشدّ لأنه محاك. خفّ النزيف لكنّه لم ينقطع.

جـاء أحدهم نحوي، وهـو «جلايري» من شبـاب التجهيز. عرفني في تلـك المعركـة المظلمة مـن نظرة واحـدة. جفف عـرق جبينه وراح يواسيني: «أخ كلستاني، لا شيء مهمًّا، سوف تتحسن...».

قلت: «أنا بخير. لا تنشغل بي.. اذهب إلى الأمام».

- ألا تريد مساعدة؟

- اهتمّ أنت بعملك.. الآن يأتي المسعف...

وقف ليذهب، لكـن، لم يكد يخطو بضع خطوات حتى سقط فجأة. ناديته، لم أسمع جوابًا. يبدو أنه أصيب برأسه وصدره فلم يتمكن حتى من إجابتي، وسقط على الإسفلت على مسافة عشرة أمتار مني.

رأيت «عبدالله قابل» الذي يخدم في الفصيل الثالث. لقد استشهد أخوه «علي» في اللحظات الأولى من المواجهة ولم يعلم بذلك، ولم يسأل هو شيئًا أيضًا. سألني فقط: «أخ كلستاني أين الآر بي جي خاصتك؟».

أشرت بيدي وقلت له: «هناك...خذها».

كان علـى عجلة مـن أمره ولم يكن ينبغي علـيّ أن أؤخره أنا أيضًا. أخذ «الآر بي جي» وذهب[1].

في تلـك الليلـة جرحتُ مرّتين وكنـت حاضرًا للشهـادة، إذ لم يكن ثمـة مسافة بيني وبين الموت. من بين كل ذلك الرصاص الذي عبر من قربـي، كان يكفي أن تصيب رصاصة واحـدة، وواحدة فقط، رأسي أو قلبـي، لكن هيهات. كان الرصاص يأتي ويذهب، وكان نصيبي من كل ذلك الرصاص ثلاثة جراح.

1- استشهد في تلك الليلة أيضًا.

رأيت أخي «محسن» للحظات. كان يضع حول رأسه كوفيته السّوداء وأطرافها تتطاير في الهواء. لم يكن يبعد عني أكثر من عدة أمتار، لكنه لم يـرني. كانت تقع على عاتقـه مسؤولية ثقيلة ولم أرد مزاحمته. كان يكفينـي أن أراه سالمًا معافى. كانت دشمـة الدوشكا إلى يسار الجادة لا تـزال نشطة، الأمر الذي أقلقه بشـدة. وكأنه لم يعد يحتمل كل تلك الوقاحة. عبر من قربي وتوجـه ناحية الدّبابات المحترقة حيث لم يعد هناك عراقيّون. رأيت «محسن» للمرة الأخيرة يبدل مخزن الرصاص ثم اختفى عن ناظريّ بعد ذلك بين الدبابات.

جلس «حميد رمضاني» -مساعد المسعف في الفصيل- قربي. أراد مساعدتـي لكني لم أقبل، فقد كنت أستطيع أن أضمّد جرحي بنفسـي. أرسلته في أثر الجرحى السيّئي الحال وقلت له:

- اذهـب واهتمّ بالجرحـى الآخرين. أنا أستطيـع أن أنسحب إلى الخلف بنفسي. إن لم أستطع تعال لمساعدتي.

ذهـب. كنت قد استعـدتُ تركيزي، فتخلصت مـن عتادي وشعرت بالراحـة. وضعت حقيبـة الظهر والقنابـل والمطـرة و... على الأرض لأتمكن من سحب نفسي بسهولة على الجادة. لكن عند أول حركة عاد النزف للجرح.

بينمـا أنا على هذه الحـال، عبرتْ قرب الجادة قـوات جديدة من السّريـة الثانيـة وتقدمت إلى الأمام. كان مسـؤول السرية مطلعًا على الأوضـاع من خـلال اللاسلكي. لقـد دخلت سريتنا العمـل بمعلومات ناقصة، أما هم فقد نزلوا إلى ساحة المعركة بعد دراسة معلوماتنا.

عندمـا عبر الطابـور المؤلّف من مئـة عنصر جـاء أحدهم نحوي وكان في آخـر الطابور، كان المسعف. أخرج المقص من الحقيبة ونظّف

الجــرح، ثم ضمّده بلفافات معقّمة، وحين اطمأننت بأنّه ضمّد جرحي جيّدًا نزعت الشال عن قدمي.

عندما ذهب المسعـف انسحبت إلى الخلف بالاعتماد على مرفقيّ. زحفـت إلى طرف الجـادة وأكملـت متدحرجًا على المنحـدر. لم يكن للبقاء في تلك المعركة أيّ فائدة، فلم أعد أستطيع القيام بأيّ عمل، ولو أنني غبت عن الوعي فسوف أشغل المسعفين بنقلي إلى الخلف.

بعد أن تقدمت 20 مترًا، رأيت جريحًا يلفظ أنفاسه الأخيرة. فهمت من الكلمات القليلة التي نطق بها أنه أصيب برصاص متفجر. يبدو أنه مزّق بطنه. كان ينظـر إلى جرحه حين قال: «حبيبي حسين... حبيبي حسين» واستشهد[1].

كانـت الطريـق تعجّ بالشهـداء والجرحـى. رآني رمضـاني للمرّة الثانية وقال لي:

– أخ كلستـاني، دعنـي أنقلك إلى الخلف. لا تقسُ على نفسك إلى هذه الدرجة.

– رمضـاني، اذهب إلى الأمام... فهناك في الأمام القيامة قائمة. اذهب وساعد ذوي الإصابات البليغة... اذهب...

– أنـت نفسك حالك سيّئة. لو كان هناك مـرآة لرأيت كيف أصبح لون وجهك بلون الجصّ.

– حسنًـا، ريثمـا تذهب وتنقـل جريحًا آخر إلى الخلـف، أكون قد تهيّأت لأنام على الحمّالة.

ذهـب رمضاني من جديـد، وبقيت أنـا ومصيبتـي... لقد خدّرت بـرودة الليل قدمـي، ونخرت عظامي بسبب رطوبـة التربة من تحتي.

1- الشّهيد شادلو.

كان الهـواء الـلاذع يهب من الخليج، وعليّ التحـرك، لكن، لم أستطع حتى الوقوف.

مجـدّدًا رحـتُ أسحـب نفسي سحبًـا إلى الخلف. وصلـت إلى تلك الدشمـة التي دمرتُها في بداية الاشتباك بالـ«آر بي جي». رأيت هناك قتيلين عراقيين. وصل طابور آخر، إنها السرية الثالثة من كتيبة «حمزة».

حكـت الأخبـار عن وجود عشـرات الدبابات وناقـلات الجند على الجـادة، وليس بضع دبابات فقط. وقـد دخلت كتيبة «حمزة» لوحدها ساحـة المواجهة قبال عدد من الكتائب العراقية الآلية والمدرعة، فكان الطرفان يقاتلان بكل ما يملكان من قوة.

على أثر السرية الثالثة وصلت قوات دعم من كتيبة «أنصار الرسول». فعمـد مساعدو المسعفين لديهم إلى مساعدتي وسائر الجرحى ونقلونا إلى نقطة الانتشـار. وجدت «علي شهبـازي» منشغلًا بخدمة الجرحى في مركـز الإسعاف، والمركز عبارة عـن غرفة صغيرة من الإسمنت، لا تتجاوز مساحتها بضعة أمتار، توزع الجرحى داخلها وخارجها.

انهـارت قواي ولم أعـد قادرًا على الرؤية من جديـد. بالطبع رآني «شهبـازي» من تلـك الغرفة الإسمنتية وعالج جُرحـي، ولكني لم أنتبه لذلك، ربما كنت نائمًا أو فاقدًا للوعي.

استيقظـتُ عندمـا رفعوني عن الأرض، ووضعـوني على الصندوق الأمامي لسيّـارة الجيب. كان صندوق السيـارة ساخنًا فراقَني ذلك. لقد غطّـوا الجرحى الآخرين ببطانية لكننـي لم أكن بحاجة لواحدة. في ذلك الصقيع، كان للجلوس على الصندوق الأمامي لجيب عسكريّ في أرض العدو متعة خاصة، كما في الأفلام. لقد وضعوا جريحًا أيضًا علـى القماش المشمّـع الذي يغطون به سقف الجيـب. كان مكانه أكثر

أمنًــا، فقــد تقعّر القماش المشمّع تحته على سقــف الجيب بحيث صار محميًّــا، أما أنا فكانت دعســة فرامل واحدة أو الوقــوع في حفرة على الطريــق كفيلــة بإسقاطي عن الصنــدوق وتحطيمي. لكــن كان علينا الخروج من تلك المعركة بأي طريقة، وقد خرجنا.

انطلــق سائق الجيــب في طريقــه فارتفعت حرارة المحــرك. كانت ارتجاجاتــه الكثيرة تزيد من آلام ركبتي، وشعــرت بتلك الآلام تنتشر في كل أنحــاء جسدي. وصلنا إلى مثلــث طرق أنزلونا فيه، وأركبونا في سيارة إسعاف. انطلقنا من جديــد وعادت الارتجاجات ومعها الآلام. لقــد غبت عن الوعي غير مــرّة. في إحدى المــرّات استعدت وعيي بعد أن رشــوا وجهــي بالمــاء. فتحت عينيّ فلاحــت أمامي السمــاء المزينة بالنجــوم. كنــتُ أسمع صــوت محــرك زورق فعرفت أننــي لم أعد في سيــارة الإسعاف. رغبت بالنــوم مجدّدًا، لكنّ قطرات المــاء المستقرّة علــى وجهي منعتني من ذلــك. في تلك الأثناء التفــتّ إلى شجار دائر على مــتن الزورق، وأدركــت أنّ أسيرًا عراقيًّا موجــود معنا. كان أحد الجرحــى غاضبًا وربما أصيب بعصف انفجار، وأراد أن يرمي الأسير في الماء، لكنّ ربّان الزورق منعه من ذلك.

عندما وصلنا إلى المرفأ، أخرجوني من الزورق ونقلوني إلى سيارة إسعاف. غبت عن الوعي مجدّدًا ولم أستيقظ إلا في مستشفى «فاطمة الزهراء عليها السلام» الميداني. سألني الممرضون أسئلة عدة لكي يتمكنوا من تشخيص حالي. لم أجد شالي، ربما رموه بعيدًا.

عايــن الطبيب رجلي ووصــف لي حُقنًا عدّة. حُقنتُ بها. فهمت من كلامه أنّ «صابونة ركبتي» قد تأذّت كثيرًا ويجب إجراء عملية جراحية لهــا. إلا أنّــه وبسبب دقة العملية لم يكن من الممكــن إجراؤها في ذلك المكان، كما قاموا بتضميد جراحاتي الأخرى.

نُقلنا من مطار «الأهواز» إلى «شيراز» في طائرة عسكرية حرّكت ارتجاجاتها آلامي من جديد، ولم تخفّف من حدتها حتى المسكنات القوية.

في «شيراز» وضعوني في ممر المستشفى إذ لم يكن ثمّة غرفة شاغرة. بقيتُ ليلتين ونهارًا واحدًا على سرير متحرك في ذلك الممر. لم تدعني أنوار المصابيح الفضيّة [الفلوريسون] أنام خلال كل تلك الفترة. لقد فتحوا ضمّادات جرحي مرتين أو ثلاثًا، نظّفوه، ولفّوه من جديد بضمّادات معقمة. كما جبّروا ركبتي أيضًا لكي تثبت ويخفّ الألم. لم يأخذوني إلى غرفة العمليات في «شيراز».

ذات مرّة تذكرت كلام «محمد أمين شيرازي» حول أخيه «مهران» الذي أجروا له عملية جراحية في «شيراز» وبتروا قدمه. أحيانًا كنت عندما أتصور ما حلّ به أتصبب عرقًا.

نُقلت من ذاك الممر إلى المطار، ومن هناك إلى «طهران» ومستشفى «الشهيد شمران» في مستديرة «نوبنياد». هناك، تابعوا علاجي بشكل جدي. لم أكن حتى ذلك الحين قد أخبرتُ عائلتي بإصابتي، ولا حتى عندما حضّروني لإجراء العملية الجراحية. قلت للمرضة التي رافقتني إلى غرفة العمليات:

– ما حاجة هذا الجرح الصغير إلى غرفة عمليات؟ أيام قليلة ويتحسن...

أزاحت الممرضة قطعة القماش عن جرحي، وخدشت الجلد قليلًا بشفرة فتدفّق القيح والدم منه، ما يعني أنّ جرحي قديم وقد التهب، ولا خيار أمامنا سوى الجراحة.

كانت المرة الأولى التي أذهب فيها إلى غرفة العمليات وأتعرّض

للتخدير. لم يكن معي أحد. استعدتُ وعيي في غرفة الإنعاش. بين النوم واليقظة، رأيت حلمًا حلوًا ومرًّا: أخي محسن يقف قرب سريري من جهة، وعمو حسن مسؤول السرية الثانية يقف من الجهة الأخرى[1]. اصطحبني هذان الاثنان وهما يرتديان الزي العسكري، من غرفة الإنعاش إلى الغرف العادية. وجدت إلى جانب سريري باقة من الزهور الحمراء والبيضاء ملأ أريجها كلّ كياني. كنت أشعر براحة وخفّة كبيرتين، ولم أعد أشعر بألم ركبتي...

لكنّ الواقع كان مختلفًا. عندما استعدت وعيي، تجمّع الممرضون حولي على أثر صراخي من شدة الألم. وظلّوا يتردّدون إلى غرفتي ويحقنوني بالمسكنات، لكنّ ألمي لم يهدأ إلا بعد ساعات. في هذه العملية أزالوا التقيحات من جرحي ونظفوه لكي يتجنبوا بتر قدمي.

في الأسبوع الثالث من شهر شباط، أبلغتُ عائلتي بأمر إصابتي. تظاهرت أمي وأختي بأنهما لا تعلمان شيئًا عن أخي «محسن»: «لقد جرح مثلك حتمًا ولا يريد أن يعلم أحد بذلك».

حاولا عبثًا إخفاء السرّ عني لكنني جاريتهما وقلت:

- أجل لقد جرح حتمًا. يجب أن نبحث عنه لنجده[2].

في الليلة السابعة من استشهاده أعلموني بالخبر، فطلبت إذنًا للخروج من المستشفى وشاركت في مراسم تأبينه وأنا على كرسيّ متحرك. ولقد جُرح أيضًا أخونا الأصغر «حسن». وهكذا، قدمت عائلتنا في عمليات «والفجر 8» شهيدًا وجريحين.

عندما زرت «محسن»، خطر في بالي تلقائيًّا دعاء الصباح، ذلك

1- لم أكن أعلم حتى تلك اللحظة أن هذين الاثنين قد استشهدا.

2- دفن محسن في التاسع عشر من شباط في «تشهاردانكه».

الدعاء الـذي كان يحبه ويردده، كما رحت أردّد أشعاره أيضًا. أخيرًا، أصبـح بمقدوره النوم براحة. طوال تلك الشهور التي قضيناها معًا في الفصيـل الأول، كنت أرى عينيه تعبتـين وحمراوين من قلّة النوم، وها هـو الآن ينـام بهدوء واطمئنـان في قلب الـتراب، وكان علينا نحن أن نتحمل ألم البقاء إلى وقت غير معلوم، وربما يطول.

فيمـا يخص شهادة «محسن» سمعـت أنّه كان متوجهًا مع مجموعة ناحيـة دشمة الدوشـكا إلى يسار الجـادة، تلك التـي أردتُ تدميرها فأصبتُ وأنا أسدّد القاذف نحوهـا. فجأة صاح لتحفيز الشباب: «أبو عبـدالله ينتظر... شباب إلى الأمـام». مع صيحته هذه هاجم الجميع الدشمة، ولكنّه أصيب برصاصة. يقول الشباب الذين كانوا إلى جانبه إنّه في اللحظات الأخيرة ردّد «يا زهراء» مرات عدّة ثم استشهد.

بقيـت في المستشفى حتى تموز 1986م. كان الشباب يأتون لعيادتي: «أحمدي زاده، مهـدي بور، رمضاني، شهبازي، نصيري بور، كودرزي وأهري»، وآخـرون غيرهم. أظهر الأصدقاء الذيـن خسروا «محسن» محبةً خاصة لي وكأنّهم وجدوا ضالّتهم بي.

لقد استشهد «محمد أمين شيرازي» أيضًا مباشرةً بعد إصابته بشظية في صدره. كانت آلام ركبتي تذكرني به وبطاقته التي دفعته للمجيء إلى الجبهة بمرفقه المصاب. كنت أظن أن ألم المرفق بسيط، وفي تلك الأيام والليالي الكثيرة التي قضيتها في فترة نقاهة علمت أنّ تفكيري كان سطحيًّا، وأنه وآخرين مثله تميزوا برقيّ في التفكير ورحابة صدر وقابلية لعطاء غير محدود. قررت وأنا في المستشفى أن تكون عائلة «شيرازي» هي الأولى التي أزورها بين عوائل الشهداء. لقد تحمّلَتْ خلال عامٍ واحد ألم فراق اثنين من أبنائها، كما بُترت قدم «مهرانها».

«الدكتور صولتي» اسم لن أنساه أبدًا. إنّه الطبيب الذي أدين لجهوده الكبيرة في سلامتي، ولولم يكن موجودًا لربما بُترت رجلي من فوق الركبة. لقد أجرى سبع عمليات جراحية في ركبتي؛ واحدة كلّ ثلاثة أسابيع. علمت في تلك الأيام أنّ جراحة الركبة هي من أعقد العمليات في جراحة العظم، وشاهدت خلال سنوات الحرب أنّ العديد من المجاهدين خسروا أرجلهم بسبب مشاكل مشابهة لمشكلتي أو حتى أسهل منها. لكنّ الطبيب «صولتي» بمهارته وصبره حافظ على رجلي لسنوات طويلة.

في العملية الجراحية الثانية، وضعوا الأسلاك المعدنية في صابونة ركبتي. في الثالثة، نزعوا اللحم والجلد من نواحٍ أخرى في جسدي وزرعوهما مكان الجرح. في الرابعة والخامسة، قصوا اللحم الزائد لتأخذ الساق شكلها المقوّس، وفي الأخيرة أخرجوا الأسلاك من ركبتي. وهكذا، فقد صنع لي الدكتور «صولتي» ركبة جديدة من لحمي وجلدي، وأعاد ترميم نسبة الـ90% المتلاشي فيها.

في أواخر العام 1986م بدأت المشي مستخدمًا العصا، وذهبت لزيارة عوائل الشهداء. في شتاء العام 1987 ولد ابن «حسن أميري فر» -عمو حسن نفسه- لكنّ الوالد لم يرَ ولده ابن الشهرين سوى أسبوع واحد. لقد استشهد أيضًا كل من «أكبر مدني»، «محمد عليان نجادي» و«سعيد بور كريم» معًا، وهم من أصدقائي الحميمين.

ذات ليلة في «دوكوهه»، كنّا على سطح مبنى الكتيبة حين قال لي «عليان نجادي»:

- أخ كلستاني، أريد أن أترك هذه الكتيبة.

- لماذا يا محمد؟ وإلى أين تريد الذهاب؟ هل حصل شيء؟

– لم أعد أستطيع البقاء هنا. لقد تعلق قلبي كثيرًا بشباب الفصيل. لا أستطيع أن أراهم يستشهدون أو حتى يجرحون وأبقى واقفًا على قدمي. ماذا أفعل إن استشهد بور كريم؟ ماذا أفعل إن استشهد مدني؟ إذا...

– ستبقون جميعًا سالمين إن شاء الله ولن يحدث شيء. وإذا ما حصل، سنستشهد معًا إن شاء الله.

كان شباب الفصيل الأول نموذجًا في التضحية والإيثار. كانت أرواحهم شامخة، لكنّ أعمارهم الصغيرة لم تُظهر ذلك. لقد حلّق أولئك الفتية الأربعة عشر الذين قرأوا فقرات دعاء التوسل تلك الليلة إلى السماوات، ولم يتذوّقوا مرارة فراق الأحبة والرفاق. كانت قلوب هؤلاء التعبويين الذين قاتلوا العدوّ بالصواريخ والقنابل، أرقّ من أوراق الزهور. كان هؤلاء الفتية الغيارى، الذين اشتبكوا مع مغاوير العدو وذابَ لحمُهم عن عظمهم كي لا ينتصر العدو، بواسلَ، لكنّ صفةَ «صبورين» تليق بهم أكثر.

قال لي «جواد نصيري بور» الذي فقدته ليلة الهجوم: «كنت أقتفي أثرك تمامًا، إلى أن ناداني مسؤول السرية وكان جالسًا على الجادة، وطلب مني التوجه إليه بإشارة من يده. لقد أرسلني إلى مكان آخر. أردت العودة إليك مباشرة لكن لم يتسنّ لي ذلك وأصبت».

لقد جرح أخي «محسن» مرتين من قبل: في عمليات «والفجر 4»، برصاصات كلاشينكوف أصابت كتفه وصدره، وفي عمليات «بدر» بشظايا صغيرة أصابت وجهه وعينه وأذنه، بقي أشهرًا قيد العلاج.

ذهبت في شتاء العام 1987م إلى الجبهة مجددًا، وبقيت هناك حتى نهاية الحرب. أصبت في قدمي اليسرى عام 1986م وفي بطني

وقدمــي اليمنــى عــام 1987م، لكنّ أيًّا مــن هاتــين الإصابتين لم تكن مشابهة لإصابتي في عملية «والفجر 8».

عندمــا انتهت الحرب أصبتُ بالحــيرة والضياع. لم أكن قد فكرت حتى ذلك الحين أبدًا بهذا اليوم، وماذا سأفعل إذا ما انتهت الحرب، لكنهــا انتهــت فجأة. وبعد عــام التحق إمام الشهــداء بالرفيق الأعلى فاكتملت حيرتنا.

كانــت الشهــادة قــدر «محسن»، وقــدري أنــا البقاء. توجّــب عليّ الوفــاء بالعهد الذي قطعتــه له. ذهبت إلى الفتاة التــي حدّثني عنها، حدّدنــا موعدًا وبدأنا حياتنا المشتركة. قررنا أن نذهب في أول يوم من حياتنا المشتركة لزيارة ضريحه. ذهبنا، حاملين معنا باقة من الورود الحمــراء التي كان يحبها كثيرًا وكان قد حملها معه حين ذهب لخطبة الفتاة التي يحب.

عندمــا ولــد ابني البكر أسميتــه «محسن». أحيانًــا نذهب معًا إلى ضريح عمّه «محسن»، وهو راضٍ لكونه يحمل اسمه.

وثائق الفصل السادس

تسلسل	الاسم	الوثائق الخطية	الصور	الوثائق غير الخطية
1	حسين كلستاني	5	3	175 دقيقة مقابلة
2	الشهيد محسن كلستاني	139	9	75 دقيقة بصوت الشهيد و85 دقيقة مقابلة مع العائلة
3	الشهيد محمد أمين شيرازي	141	28	195 دقيقة مقابلة مع العائلة

ورد في هذا القسم من مجموع وثائق الفصل، 30 وثيقة خطية، و10 صور:

1- حسين كلستاني

1-1 المعلومات الشخصية:

- شهادة الثانوية العامة في العلوم الطبيعية، متأهل وله ولدان، موظف في وزارة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات.

- تاريخ ومحلّ الولادة: 1963م، طهران.

- مدة الحضور في الجبهة ونوع العضوية: 24 شهرًا خدمة علم، و36 شهرًا في صفوف التعبئة.

- العمليات التي شارك فيها والمهام الموكلة إليه: عمليات بدر (مسؤول ثقافي)، المشاركة في مهمة دفاعية في مهران، 1985 (رامي آر بي جي)، عمليات «والفجر 8» (رامي آر بي جي)، عمليات «كربلاء 5»

(مسؤول فصيل)، عمليات «كربلاء 8» (مسؤول فصيل)، عمليات «بيت المقدس 2» (مسؤول فصيل)، عمليات «بيت المقدس 4» (معاون سرية)، المشاركة في مهمة دفاعية في شاخ شميران (معاون سرية)، عمليات مرصاد (معاون سرية).

- الإصابات: الإصابة في صابونة الركبة في القدم اليمنى (1986)، إصابة في القدم اليسرى (1986)، إصابة في البطن (1987)، إصابة في القدم اليمنى (1987)، إصابة في الظهر (1987)، إصابة في القدم اليسرى (1987).

- درجة الإصابة: 35%.

صورة رقم 43، من اليسار: حسين كلستاني، أمير عباس رحيمي.

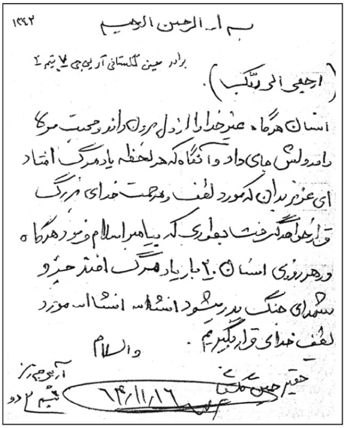

۱۴۹۲ بسم الله الرحمن الرحیم

برادر حسین گلستانی آر پی جی ۷ تیم ۲

(ارجعی الی ربک).

انسان هرگاه عشق خدا را در دل داشت و محبت مرگ را در دلش جای داد و آنگاه که هر لحظه یاد مرگ افتاد ای عزیزان که مورد لطف و رحمت خدای بزرگ قرار خواهد گرفت بطوری که پیامبر اسلام فرمود هر کس در هر روزی ۲۰ بار یاد مرگ افتد جزو شهدای جنگ بدر میشود انشاالله انشاالله مورد لطف خدای قرار بگیریم.

والسلام

حقیر حسین گلستانی

آر پی جی زن

تیم ۲ دو

۶۴/۱۱/۱۶

2-1 مذكّرات مدوّنة

1-2-1

دفتر محمد جواد نصيري بور

(وثيقة رقم 54)

1–2 –2 دفتر حسن أعلايي نيا

وثيقة رقم 54

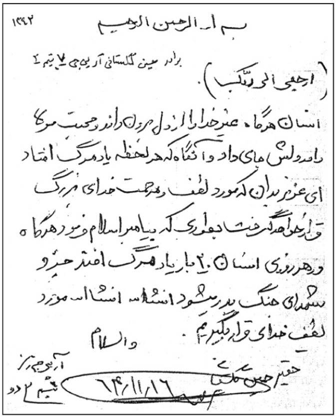
بسم الله الرحمن الرحیم ۱۳۶۲

برادر حسین گلستانی آر.پی.جی ۷ تیم ۲

(ارجعی الی ربک)

انسان هرگاه عشق خدا را از دل [illegible] دارد و محبت مولا
را در دلش جای داد و آنگاه که هر لحظه یاد مرگ افتاد
ای عزیز بدان که مورد لطف و رحمت خدای بزرگ
قرار خواهد گرفت شاید طوری که پیامبر اسلام فرمود هرگاه
و هر روزی انسان ۲۰ بار یاد مرگ افتد جزو
شهدای جنگ بدر می‌شود ان‌شاءالله ان‌شاءالله مورد
لطف خدای قرار بگیریم.

والسلام

حقیر حسین گلستانی
آر.پی.جی زن تیم ۲ دو
۶۴/۱۱/۱۶

وثيقة رقم 55

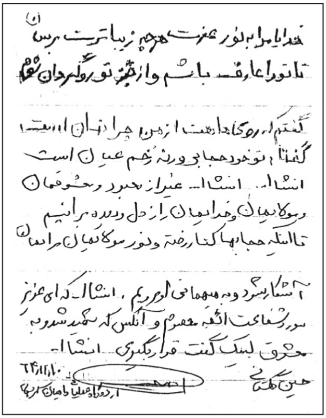
(۱)

خدایا مرا به نور عظمت هر چه زیباتر برسان
تا تو را عارف باشم و از غیر تو روگردان شوم

گفتم [illegible] از من چرا نهان است
گفتا که تو خود حجابی ورنه رخم عیان است
ان‌شاءالله ان‌شاءالله غیر از معبود و معشوقمان
و مولایمان و خدایمان را از دل و دیده برانیم
تا اینکه حجابها کنار رفته و نور مولایمان را [illegible]

آتش بار شود و به مهمانی او برویم. ان‌شاءالله که ای عزیز
مورد شفاعت ائمه معصوم و آنکس که شهید شده و به
معشوق لبیک گفت قرار بگیری ان‌شاءالله

۶۴/۱۱/۱۰
حسین گلستانی
[illegible]

1–2 –3 دفتر أحمد أحمدي زاده

وثيقة رقم 56

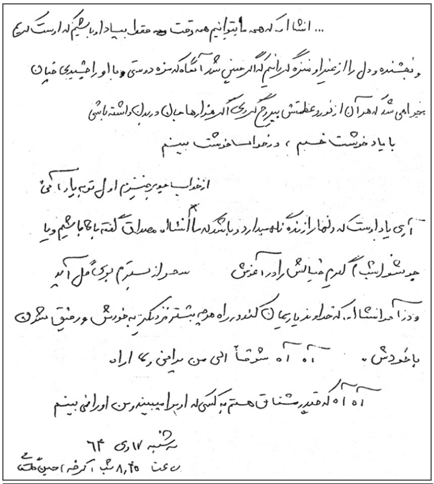
... ان‌شاءالله که همه ما بتوانیم همه وقت و به همه عقل بیدار او باشیم که او است که
ببخشنده و دل را از غیر او منزه گردانیم که اگر عشق شد آنگاه که منزه دوستی و با او [illegible]
پیدا می‌شود که هر آن از نور عظمتش بی‌بهره گردی اگر هزارها جان در بدن داشته باشی
با یاد خوشت خسبم، در خواب خوشت بینم

از خواب چو برخیزم اول تو به یاد آیی

آری یاد او است که دلها را زنده نگه می‌دارد و باشد که ان‌شاءالله مصداق گفته‌ها باشیم و با
چو شد شب [illegible] خیالش را در آغوش   سحر از بسترم بوی گل آید
و در آخر ان‌شاءالله که خداوند یاریمان کند در راه هر چه بیشتر نزدیکتر به خودش و رفیق شدن
با خودش. آه آه شوقاً الی من یرانی و لا اراه
آه آه که چقدر مشتاق هستم به کسی که او مرا می‌بیند و من او را نمی‌بینم

سه‌شنبه ۱۷ دی ۶۴
ساعت ۸،۴۵ شب [illegible] حسین گلستانی

3–1 آخر الكلام

وثيقة رقم 57

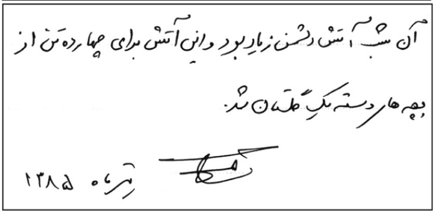
آن شب آتش دشمن زیاد بود و این آتش برای چهارده تن از
بچه‌ها دسته‌ی گل گلستان شد.

تیرماه ۱۳۸۵

صورة رقم 44، من اليمين: أعلايي نيا، حسين كلستاني، شهبازي

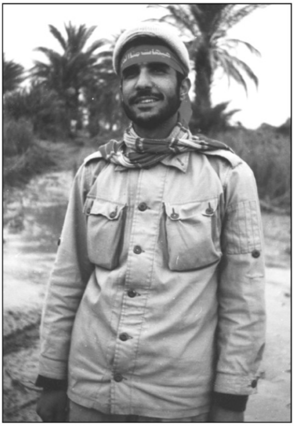

صورة رقم 45

2- الشهيد محسن كلستاني

2-1 الهوية

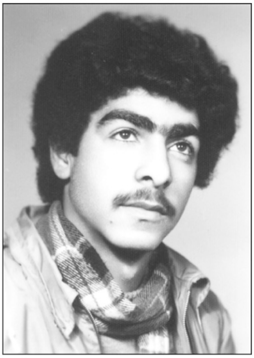

صورة رقم 46

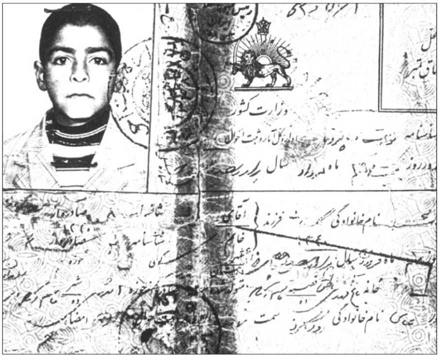

وثيقة رقم 58

2-2 بناء مدرسة

وثيقة رقم 59 (ورقتان)

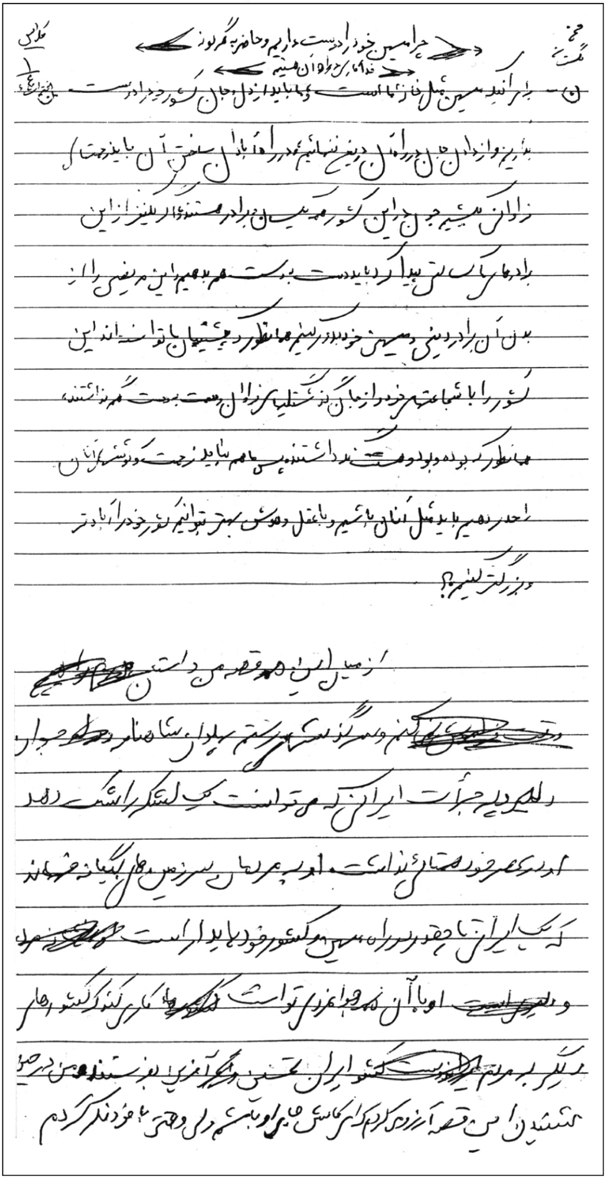

چرا میهن خود را دوست داریم و حاضریم [illegible]

فدای [illegible] هستیم

زیرا که میهن مثل خانه ما است و ما باید از دل و جان کشور خود را دوست

بداریم و از دادن جان در راه آن دریغ ننمائیم در راه آبادی ساختن آن باید زحمات

زیادی کشید چون در این کشور همه ایرانیان برادر [illegible] از این

برادرها [illegible] باید دست به دست هم بدهیم این میهن را از

بدن آن برادر دینی و میهن خود [illegible] همانطور که پیشینیان ما توانسته‌اند این

کشور را با شجاعت خود از [illegible] به دست ما برسانند

همانطور که بوده [illegible] نگه داشته‌اند پس ما هم باید زحمت بکشیم تا آن

را حفظ نمائیم باید مثل آنان باشیم و با عقل و هوش بهتر بتوانیم کشور خود را آبادتر

و بزرگتر کنیم؟

از میان این [illegible] داستان [illegible]

[illegible] کنم [illegible] پهلوان [illegible]

[illegible] ایران که می‌توانست [illegible] لشکر [illegible]

[illegible] سرزمین‌های [illegible]

که [illegible] ایران [illegible] کشور خود [illegible] است [illegible]

[illegible] او با آن [illegible] توانست [illegible] کشور [illegible]

[illegible] کشور ایران [illegible]

[illegible] این قصه [illegible] کردم [illegible]

3-2 مذكّرات مدوّنة

1-3-2 دفتر أحمد أحمدي زاده. وثيقة رقم 60

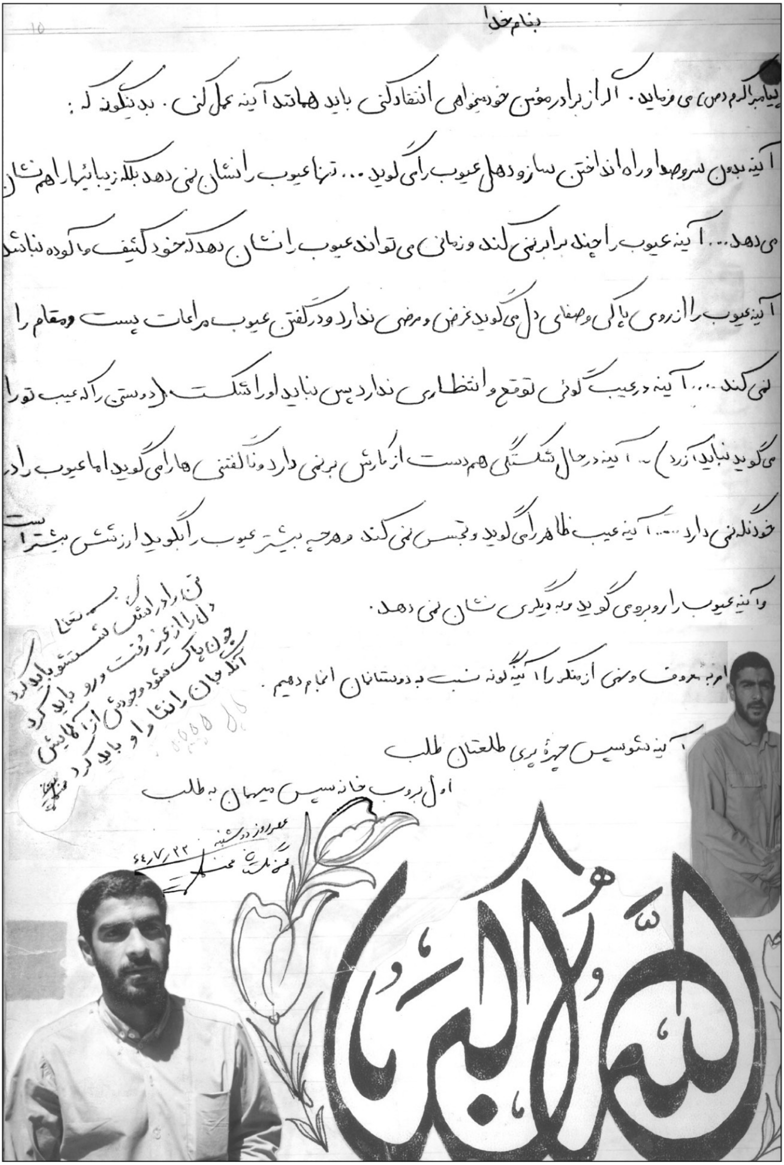
بنام خدا

پیامبر اکرم (ص) می فرمایند: اگر از برادر مؤمن خود میخواهی انتقاد کنی باید همانند آئینه عمل کنی. بدینگونه که:

آئینه بدون سروصدا و راه انداختن ساز و دهل عیوب را می گوید... تنها عیوب را نشان نمی دهد بلکه زیبائیها را هم نشان می دهد... آئینه عیوب را چند برابر نمی کند و زمانی می تواند عیوب را نشان دهد که خود کثیف و آلوده نباشد آئینه عیوب را از روی پاکی و صفای دل می گوید غرض و مرضی ندارد و در گفتن عیوب مراعات پست و مقام را نمی کند... آئینه در عیب گوئی توقع و انتظاری ندارد پس نباید او را شکست (دوستی را که عیب تو را می گوید نباید آزرد)... آئینه در حال شکستگی هم دست از مأموریتش برنمی دارد و ناگفتنی ها را می گوید اما عیوب را در خود نگه نمی دارد... آئینه عیب ظاهر را می گوید و تجسس نمی کند و هرچه بیشتر عیوب را بگوید ارزشش بیشتر است و آئینه عیوب را رو برو می گوید و به دیگری نشان نمی دهد.

امر به معروف و نهی از منکر را آئینه گونه نسبت به دوستانمان انجام دهیم.

آئینه شو وصل چهره پری طلعتان طلب
اول بروب خانه پس میهمان به طلب

عصر روز دوشنبه ۶۴/۷/۲۲

بسمه تعالی
تن را از آلایش شستشو باید کرد
دل را از غیر رفت و رو باید کرد
چون پاک شود وجودش از آلایش
آنگاه جان را نثار او باید کرد

2-3-2 **دفتر سعيد بور كريم .** وثيقة رقم 61

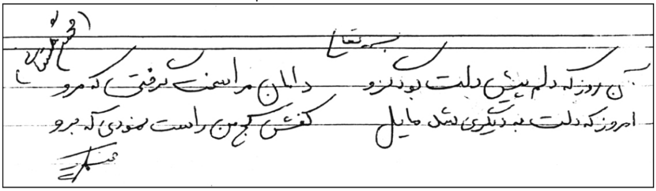

بسمه تعالی

آن روز که دلم پیش دلت بود نبود دامان مرا سفت گرفتی که مرو

امروز که دلت به دیگری شد مایل کفش کج من راست نمودی که برو

3-3-2 **دفتر محمد جواد نصيري بور.** وثيقة رقم 62

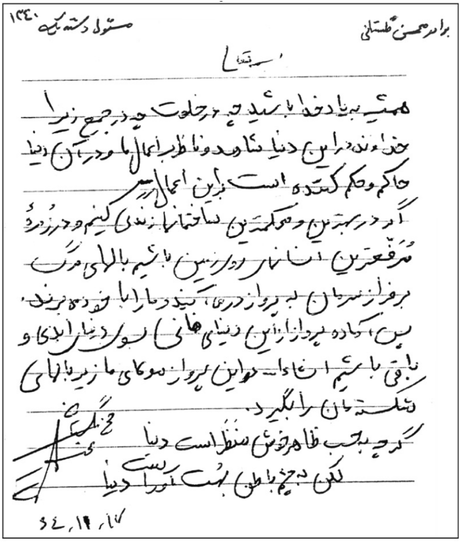

برادر محسن گلستانی مسئول دسته یک ١٣٤٠

بسمه تعالی

همیشه به یاد خدا باشید چه در خلوت چه در جمع زیرا
خداوند در این دنیا شاهد و ناظر اعمال ما و در آن دنیا
حاکم و حکم کننده است بر این اعمال ما
اگر در بهترین و محکم‌ترین ساختمانها زندگی کنیم و در برج
مرتفع‌ترین ساختمانهای روی زمین باشیم بالهای مرگ
بر فراز سرمان به پرواز در می‌آیند و ما را با خود می‌برند.
پس آماده پرواز از این دنیای فانی بسوی دنیای ابدی و
باقی باشیم انشاءالله و این پرواز موقعی ما را زیر بالهای
شکسته‌مان را بگیرد.

گرچه به حسب ظاهر خوش منظر است دنیا
لکن به چشم باطن [illegible] دنیا

١٧/١٢/٦٤

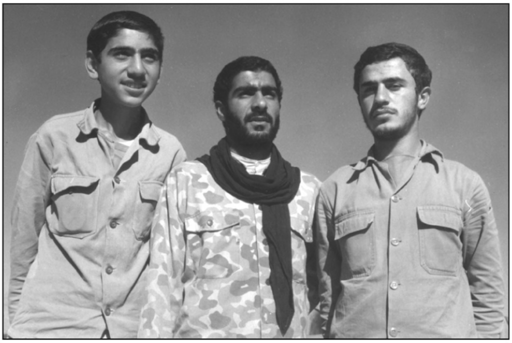

صورة رقم 47

من اليمين: نصيري بور، محسن كلستاني، أمير عباس رحيمي

2–4 **الرسائل**. وثيقة رقم 63 (رسالة إلى سيروس مهدي بور)

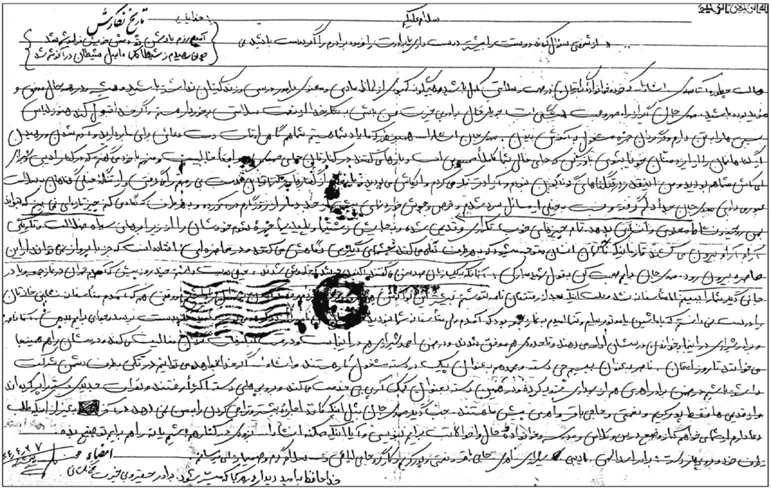

وثيقة رقم 64

2–5 **بطاقة منطقة حرب**

(وثيقة رقم 65)

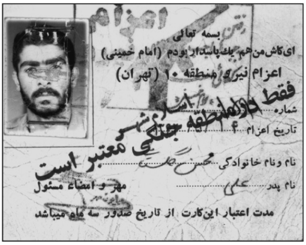

2–6 **بطاقة تعريف**

(وثيقة رقم 66)

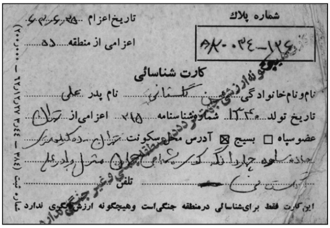

7-2 الوصية

لا ينبغـي لأحد أن يتحسّر علـى فقد الشهيد في هذه الدنيا، لأنه قد وصـل إلى المعشوق الأزلي الذي رعـاه مذ خرج من بطن أمه. إنّ اليوم الذي استشهدتُ فيه لهو يوم عرسي، والدشمة التي عرجتْ فيها روحي إلى السماء لهي حجرة عرسي، وتلك الملابس التي تعفرتْ بدمائي لهي بدلة عرسي.

أطلب منكم أن تقيموا لي مجلسًا بسيطًا يليق بشأننا، وأن لا تكثروا مـن المصاريف الإضافيـة، وتساعدوا الفقراء بدلًا مـن ذلك، وإذا ما ذرفتم دمعة من أعينكم فلتكن على مصيبة أبي عبد الله عليه السلام ولتبكوا للسيـدة زينـب عليها السلام والأيتام وضلـع الزهراء المكسـور عليها السلام، وإن لم تذرفـوا الدموع لهذه الأسرة وما حلّ بها، فابكوا لأنفسكم لأنّكم لا قدر الله قـد تكونـون بعيدين عن أهـل البيت عليهم السلام، وغير ملتفتـين إلى أنّ مصائبهم هي أعظم من كلّ المصائب الأخرى.

أخـيرًا، أقـول لكم، أنـا خادمكـم الصغير وأخوكـم الحقير، هذه الكلمات، وأطلب منكم أنا العاجز بعض الأمور:

1 – أن تدعوا لإمامكم العزيز في كلّ زمان وفي كلّ عبادة.

2 – أن تبذلوا ما باستطاعتكم في سبيل استمرارية الثورة الإسلامية وتصدير هذه الثورة.

3 – أن تسعـوا للمشاركة في كل جبهات الحق ضدّ الباطل، سواء في الخطوط الأمامية أو خلف الجبهة، بمالكم أو حتى أرواحكم.

8–2 مقابلة مع أخت الشهيد

أنـا الابنة البكـر للعائلة، ومحسن الابـن البكر لهـا. أكبرُ محسن بسنتـين، وهو أول فتى. ولأنّني الفتاة الوحيـدة في العائلة، كان إخوتي يكنّون لي احترامًا خاصًّـا، وجعلوني موضع أسرارهم، خاصة محسن الذي كنت رفيقته، وأعلم تفاصيل حياته بحلوها ومرّها.

كانـت الفـترة التي قضاهـا محسـن في المرحلة الابتدائيـة حافلة بالذكريـات الحلوة. تميّز محسن بالذكاء الحـادّ والحيوية والنشاط، وكان يفهم دروسه من أدنى إشارة من المعلم. كان المعلمون راضين عن أخلاقه ودروسه. أحبّ «محسـن» أيضًا أصدقاءه كثيرًا، وكان يشارك في مباريات كرة القدم في المحلّة والمدرسة وغيرها من الأماكن، ويعود إلى المنزل محمّلًا بالهدايا.

درسـ «محسن» المرحلة المتوسطة ليلًا؛ الأمـر الذي أثّر كثيرًا على تحصيله العلمي. لقد عمل في شركة «جهان» لنسج الصوف إلى جانب الوالـد لمساعدتـه في تأمين شـؤون المعيشة، وذلك مـن الصباح حتى الغروب، وتابع دروسه ليلًا.

عُـرف منذ مطلـع شبابه بالجـدّ والاجتهاد. وكان وقتـه موزّعًا بين العمل وممارسة الرياضة، وما زلت أحتفظ بقفازات الملاكمة خاصته. في أحد الأيام ظلّ يضرب كيس الملاكمة حتى مزّقه. هذا الإنسان نفسه الذي يمتلئ حيوية ونشاطًا، تراه يجلس لساعات خلف السنطور ويعزف عليه أجمل الألحان بالمضـراب. ذلك السنطور الذي صنعه بنفسه من لـوح من الخشب ومسامير وأوتار. ومن ثم يستغرق في العمل في حدادة وبويا السيارات. يقول رب عمله: «كنتُ في المحل أم لم أكن يعمل محسن بنَفَـس واحد. إنه يختلف عـن سائر التلاميذ [الذيـن يتعلمون المهنة]. وعندما أكون في المحل أستريح أكثر مما لو كنت خارجه».

بسبب استغراقه في العمل لم يستطع إكمال المرحلة المتوسطة.

كان أخواي الآخران كمحسن، يمتلئان حماسةً وحيوية. في أحد أيام الشتاء، طردهم والدي ثلاثتهم من المنزل بسبب شغبهم. كان شَعر «محسن» حينها كثيفًا ومجعدًا. أخذ تشادور من ابن جارنا وقرع جرس المنزل. ظنّ أبي أنّ جارتنا قد أتت لزيارتنا، فطأطأ رأسه. قال محسن بصوت ناعم: «ألن تستقبل ضيوفًا يا حاج؟»، لم يلتفت أبي للمسألة بادئ الأمر، وتكلم معه ببضع كلمات، لكن في النهاية، أضحك محسن بلسانه العذب الوالد، ثم عفا عنهم بعد تدخلي أنا وأمي. باشر محسن نشاطاته في المسجد تزامنًا مع اندلاع الثورة، وعندما اندلعت الحرب التحق بخدمة العلم وخدم في كردستان عامين كاملين. وقد نقل عن هذه المرحلة قصصًا كثيرة حول شجاعة العقيد «شيرازي» وهو الشهيد «علي صياد شيرازي» نفسه.

انتهت خدمة محسن لكنّه بقي في الجبهة. وقد أثرت فيه أخلاق العقيد «شيرازي» وسلوكه كثيرًا. في العام 1983م عاد إلى المنزل بعد تنفيذ عملية كبيرة وقد عقد كوفية سوداء على رأسه. كان على غير حال. أراد الذهاب إلى الحمام، رأيت قميصه الداخلي مدمّى. سألته عن ما جرى، فأراني شظية كبيرة بحجم عملة نقديّة أصابته.

في العام 1984م جرح في عمليات بدر أيضًا. وفي العام 1985 قلت له:

- أخي، ألم يكن من المقرر أن تتزوج بعد إنهائك الخدمة الإلزامية في الجيش، وأن تنصرف إلى حياتك الخاصة؟

- لكن من التي ستعيش معي؟ فأنا دائم الحضور في الجبهة، وضيف مؤقت هنا.

- أنت قل من التي تريدها وإن قُدّر لك فستكون زوجتك. يجب أن

تبـدأ من مكان مـا. لقد مضت سنتان على إنهائـك الخدمة الإلزامية ولم تتقدّم حتى لخطبة إحداهن.

في صيـف ذلـك العام، ذهبنـا لنطلب يـد إحداهـنّ لمحسن، لكن الجـواب أتى بالنفـي. أراد والدا الفتاة أن يتعرفـوا أكثر إلى محسن، لكنــه لم يتسنّ له البقاء أكـثر. استشهد محسن في شتاء العام 1986م وشارك في مراسم دفنه الكثير من المدّاحين، إضافة إلى هيئات اللطم في المحلّة. وأقيمت له مراسم عظيمة. بعد الانتهاء من مراسم العزاء، قال بعض الجـيران إنّ «محسن» كان يساعدهم في تأمين تكلفة إيجار المنزل أو مصاريفهم اليومية.

طيّب الله روحه لقد عرفناه أكثر بعد رحيله.

9-2 عنوان القبر

طهران، تشهار دانكه، مقبرة الشهداء في إمام زاده [حفيد الإمام] عبّاس.

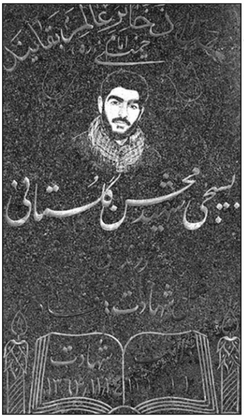

صورة رقم 48

3- الشهيد محمد أمين شيرازي

3-1 بطاقة الهوية

صورة رقم 49

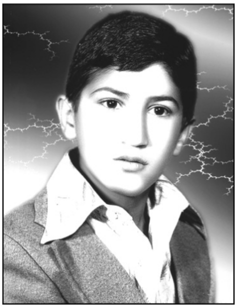

وثيقة رقم 67

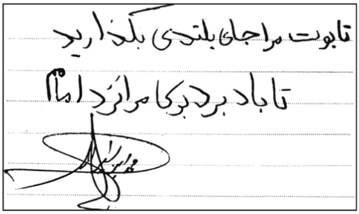

تابوت مرا جای بلندی بگذارید
تا باد برد بوی مرا نزد امام

3-2 دفتر الملاحظات

وثيقة رقم 68 (7 أوراق)

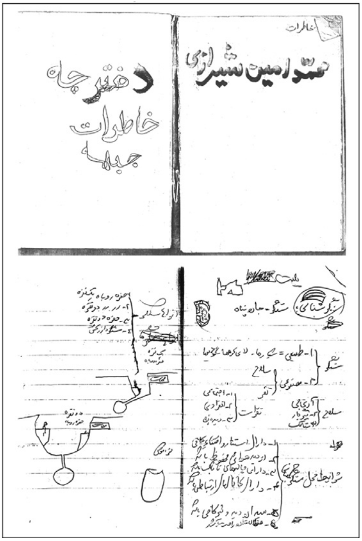

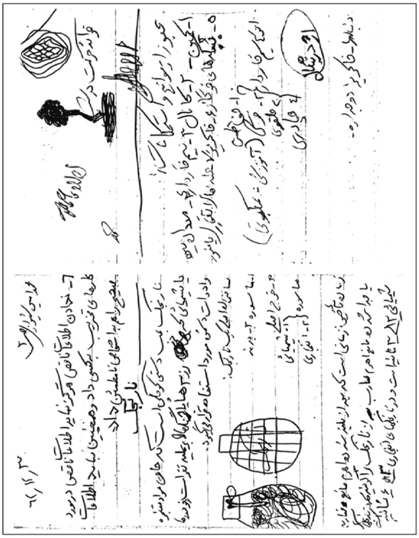

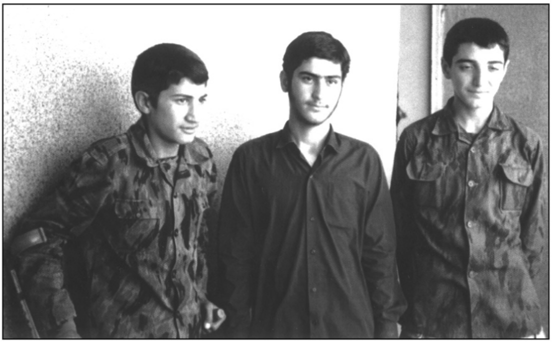

- الصورة رقم 50:

من اليسار محمد أمين شيرازي، مهران أمين شيرازي، ومسعود أهري.

3-3 كتاب تعريف

بسمه تعالی

جمهوری اسلامی ایران

((فرم شماره یک))

معرفی نامه رزمندگان

به : اداره آموزش و پرورش منطقه ۱۶

از : سپاه پاسداران انقلاب اسلامی پایگاه ابوذر (کارگزینی)

موضوع : معرفی برادر محمد امین شیرازی

سلام علیکم

گواهی میشود برادر : محمد امین شیرازی دانش آموز سال : دوم راهنمائی

مدرسه : متفرقه از تاریخ : ۶۳/۵/۴ تا تاریخ : ۶۳/۵/۲۰ از طرف

سپاه پاسداران انقلاب اسلامی در جبهه های جنگ حق علیه باطل مشغول نبرد بوده است.

ومشمول بخشنامه شماره ۲۲۹۰ ر د ش آموزش و پرورش درباره نحوه ادامه ۶۱/۹/۱۳

تحصیل رزمندگان ایثارگر در جبهه های نبرد حق علیه باطل می باشند.

والسلام

اجرکم عند الله

فرمانده سپاه پاسداران انقلاب اسلامی پایگاه ابوذر

ازطرف حسین ...

3-4 شهادة متابعة الدراسة والتحصيل العلمي

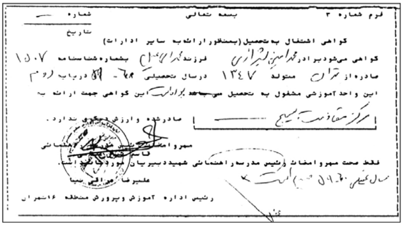

فرم شماره ۳ بسمه تعالی شماره

تاریخ

گواهی اشتغال به تحصیل (بمنظور ارائه به سایر ادارات)

گواهی میشود برادر محمد امین شیرازی فرزند محمد اسماعیل بشماره شناسنامه ۱۵۰۷

صادره از تهران متولد ۱۳۴۷ در سال تحصیلی ۶۴-۶۳ در پایه دوم

این واحد آموزشی مشغول به تحصیل میباشد براداران این گواهی جهت ارائه به

مرکز مقاومت بسیج صادر شده وارزش دیگری ندارد.

مهر و امضای رئیس مدرسه راهنمائی

فقط صحت مهر و امضای رئیس مدرسه راهنمائی شهید دبیریان مورد تائید است.

علیرضا عراقی نیا

رئیس اداره آموزش و پرورش منطقه ۱۶ تهران

5-3 مذكّرات مدوّنة

1-5-3 دفتر أحمد أحمدي زاده. وثيقة رقم 71 (ورقتان)

با سلام و با درود بی کران بر یگانه منجی عالم بشریت آقا امام زمان (عج) و نایب برحقش امام خمینی مدظله العالی و با سلام بر شهدای اسلام
بخصوص جنگ تحمیلی و با سلام بر جانبازان انقلاب اسلامی
سخنم را با حدیثی از پیامبر اکرم آغاز می کنم. أفضل الأعمال أحمزها. بهترین کارها مشکل ترین آنهاست
جنگ جنگ است و شرف و عزت ما در گرو همین جنگها و مبارزات است «امام خمینی»
ما تا اینجا آمده ایم و الان تقریباً در اوایل کار هستیم ولی خیلی مشکل ها را ملت ما تحمل کردند و مخصوصاً رزمندگان عزیزمان
متحمل شدند و خونهای بسیاری ریخته شده و معلولین و جانبازان هستند که انسان از تماشای آنها خجل زده می شود و در پیش آنها
احساس حقیری می کند و اسرای زیادی هم داده ایم و اگر تا آخر نایستیم ضربه مهلکی خواهیم خورد که جبران ناپذیر است
ما رزمندگان می دانیم که برای چه هدف مقدسی به جبهه ها آمده ایم و در حال دفاع از اسلام و مسلمین هستیم (البته ما که خودمان را مثل

این پاکها جای دادیم) و خود می دانیم که این رنجهائی را که کشیده ایم و تمام این مشکلاتی را که متحمل شده ایم نباید بگذاریم
حرکتمان متوقف شود و خون پاک رزمندگان عزیز (جانبازان و مجروحین) و شهدای گرامی پایمال شود و همانطور که اسوه
مقاومت و تقوی رهبر کبیر انقلاب اسلامی می فرمایند: ما مثل حسین (ع) وارد جنگ شده ایم و باید مثل حسین (ع)
به شهادت برسیم و ما هم سعی می کنیم تا جائی که می توانیم به فرمایشات امام عزیزمان عمل کنیم و تا آخرین نفر و تا آخرین فشنگ
و تا آخرین قطرات خونمان دست از اسلام و اماممان برنخواهیم داشت و سعی می کنیم نگذاریم جبهه ها را
خالی کنند و صدام را از صحنه بیرون ببرند.
در خاتمه از رزمندگان اسلام تقاضای عاجزانه می کنم که جبهه ها را خالی نکنند (مثل بعضی ها که به عناوین مختلف دید و بازدید و ...
و این جنگ را با پیروزی از آن خود کنیم و توکل به خداوند متعال بنفع اسلام ادامه داده و انشاء الله پیروزی را برای مسلمین به ارمغان بیاوریم
اللهم ارزقنی شفاعة الحسین. اللهم ارزقنی زیارة الحسین فی الدنیا والآخرة. اللهم ارزقنا شهادة
فی سبیلک برحمتک یا ارحم الراحمین
و السلام علی من اتبع الهدی
۶۴/۱۰/۲۲ کرخه
محمد امین شیرازی
اردوگاه راهیان کربلا
برای سلامتی و پیروزی رزمندگان اسلام و برای طول عمر امام امت صلوات

3-5-2 دفتر محمد جواد نصيري بور

(وثيقة رقم 72)

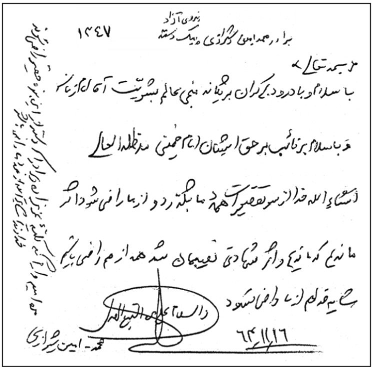

باسمه تعالی

با سلام و با درود بیکران بر یگانه منجی عالم بشریت آقا امام زمان

و با سلام بر نائب برحق ایشان امام خمینی مد ظله العالی

انشاء الله خدا از سر تقصیر همه ما بگذرد و از ما راضی شود

64/11/16

محمد امین شیرازی

3-5-3 دفتر حسن أعلايي نيا

(وثيقة رقم 73)

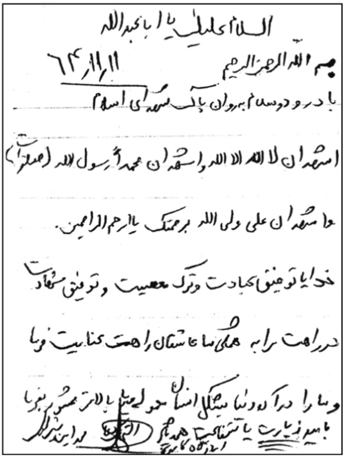

السلام علیک یا اباعبدالله

بسم الله الرحمن الرحیم 64/11/11

با درود و سلام بر روان پاک شهدای اسلام

اشهد ان لا اله الا الله و اشهد ان محمداً رسول الله (صلعم)

و اشهد ان علی ولی الله برحمتک یا ارحم الراحمین.

خدایا توفیق عبادت و ترک معصیت و توفیق شهادت

3-6 رسالة

وثيقة رقم 74

(رسالة والدة محمد أمين شيرازي إليه)

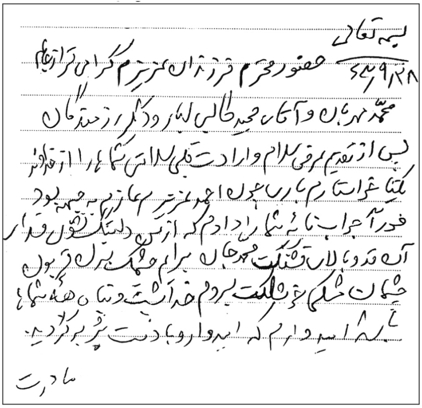

بسمه تعالی

64/9/28

3-7 **الوصية**:

النسخة المكتوبة بخط اليد غير مقروءة

يا شعب إيران المسلـم، الإسلام يحتاج إليكم، القرآن اليوم يحتاج إليكـم وشيـخ القرآن والإسـلام والجمهورية الإسلاميـة الحقيقي أي الإمـام الخميني يحتـاج إليكم. فلننهض ولندافع بمـلء جوارحنا عن إمامنا وننصره ونقول له لبيك.

أيها الإمـام، لقد عشقتك، وسلكت بناءً لأمـرك سبيل الثورة فداءً للإسـلام والقرآن العزيزيـن على قلبك، وما أجمـل ذلك اليوم الذي نلتُ فيه الشهادة في سبيل الإسلام والثورة. أنصحكم يا إخوتي يا أبناء الشعب الإيراني نصيحة أخوية، وأطلب منكم أنا العاجز أن تكونوا مع الإمام ولا تنحرفوا عنه، وأن لا تصغوا إلى كلام أعداء الثورة.

أما لأبي العزيز والعطوف فأقول:

أبـي، لقد بذلت الكثير من أجلي. أبـي العظيم، مع أنني لم أردّ لك جميـل ما بذلـت، لكن افتخر يـا أبي بأنـك كنت إبراهيميًـا، وقدمت إسماعيلـك قربة إلى الله. وافخـر واعلم بأنّ ابنك سلك السبيل الذي أردت، وسـار في الطريق الذي سار فيه إسماعيل. أبي سامحني لأنني لم أكن ابنًا جيدًا لك.

وأمـا أنت يا أمي، يـا عظيمـة في الصلابة والتضحيـة! أعلم أنك ستحزنـين لشهادتي، لكنك لن تكوني منزعجـة. لأنك مدركة وواعية؛ ولأنّ الزهراء وزينب عليهما السلام ستفرحان لشهادتي في سبيل الله والإسـلام. أمي لطالما كانـت أمنيتي أن أرضيـك دائمًا. كوني راضية وارضي عني فأنا بحاجة ماسة إلى دعائك.

وثيقة رقم 75

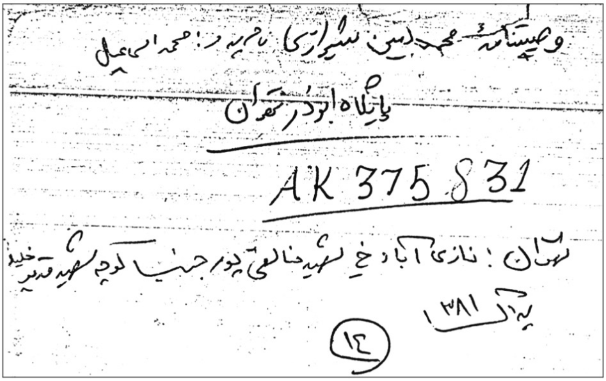
AK 375 831

١٤

3-8 **مقابلة مع والدة الشهيد**

محمـد ومهران توأمـان. في آخر شهر من حملـي أخبرني الأطباء أن احتمـال بقاء التوأم حيًّا، وحتى احتمـال بقائي أنا حيّة هو احتمال ضعيـف. نذرتُ حينها أن أقـدّم أضحية. كانت أوضاعنا المادية ضيقة قليـلًا ذلك الوقـت ولا أستطيع أن أذهـب إلى مستشفى مجهّز [بآلات حديثـة] حين ولادتي. كنـتُ وزوجي معلّمَين ونعمل معًـا لنؤمن تكاليف حياتنا المشتركة. بفضل الله ولد ابناي بخير وعافية ووفيت أنا بنذري، ووزّعنا لحم الأضحية على الفقراء والمساكين.

كان محمـد هو المولود الأول، وكذلك كان على عجلة من أمره دائمًا في الحيـاة، ويمتلـئ نشاطًا وحيوية وفعاليـة. في إحدى المرات وقع عن سقف المنزل لكنه لم يصب بسوء والحمد لله. وبرغم كلّ ذلك الشغب كان يخاف من الظلمة، فكنت دومًا أضيء الأنوار ليلًا لأجله. وظلّ على هذه الحال حتى مطلع شبابه. عندما بدأت الثورة واندلعت الحرب وما تبعها من أحداث التحق بصفوف التعبئة في المحلة، ثم بالجبهة.

في العـام 1984م، كان مجيد الأخ الأكبر لمحمد ومهران في الجبهة.

لقد سعى هذان الاثنان أيضًا للحصول على موافقتي وموافقة والدهما للذهاب إلى الجبهة لكنّ جهودهما لم تجد نفعًا. في النهاية تمكّنا من الذهاب إلى الجبهة بعد أن زوّرا نسخة عن الهوية. في ذلك العام تعرفت إلى «محسن كلستاني» رفيق ابني في الجهاد، وقد حلّ ضيفًا علينا مرات عدة.

في عمليات بدر فُقِدَ أثر مجيد كما بترت قدم مهران.

في العام 1985م عانيت الكثير بسبب غياب محمد عني حيث كان في الجبهة. كان يعشق السَّلَطَة الشيرازية، وفي آخر إجازة له أعددت له «سرگنجشكي» مع الأرز بالملفوف[1] التي يحبها كثيرًا. لقد أكل كل الطعام الذي سكبته له حتى إنّه شرب ماء الحصرم الموجود في السلطة. لم أره يأكل بهذه الشهية منذ فترة طويلة.

في تلك الإجازة ذاتها أعطى محمد أخته سبّحة وقارورة عطر وقال:

- هاتان الاثنتان أمانة لديك لتضعيهما في قبري.

عندما عاد جسد محمد أعطانا الطبيب الشرعي الأغراض التي كان يحملها، وجدت بينها صورة مجيد ومهران. كان محمد ومهران شديدي التعلق ببعضهما البعض وكثيري المزاح. حتى عندما فقد مهران قدمه ظلّا يتصارعان معًا، ويشاكس أحدهما الآخر.

دفن محمد في 1986/2/16م ووضعنا إلى جانبه تلك السبحة وقارورة العطر. ما بين شهري شباط من العام 1985م وشباط 1986م، فقدت ولدًا، واستشهد آخر وجرح ثالث. كانت من أقسى سنوات عمري، ولن أنساها ما حييت.

ما زلت إلى الآن أنتظر عودة جسد مجيد.

1- الكفتة المعدّة على شكل كرات صغيرة بحجم رأس العصفور، وتطبخ مع الأرز وبعض أنواع الخضار.

3-9 عنوان القبر

طهران، بهشت زهرا، القطعة 53، الصف 61، رقم 7

صورة رقم 52.

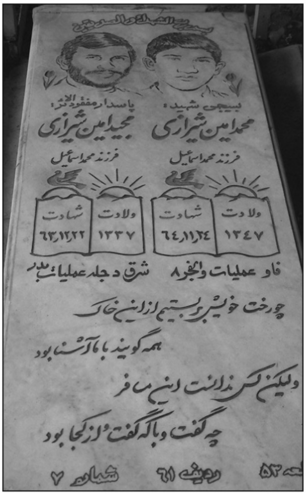

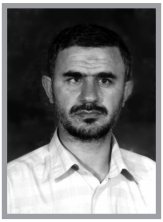

الراوي: محمد جواد نصيري بور

التشكيل: مساعد أول آر. بي. جي، المجموعة الثانية

تاريخ ومكان المقابلة الأولى: 1381هـ ش (2002م)، طهران

الفصل السابع*

ساعة يد

عندما كنت فتًى، لطالما سمعت أبي يتحدّث عن ذكرياته بشغف وتأثّر؛ ذكرياتٌ تعود لزمن الكفاح في الغابات، رواها لنا مرّات ومرّات، راغبًا من صميم قلبه، بأن نصغي لها، نحن الصبيان، بتفاصيلها وبكل شوق ولهفة.

تتلخّص ذكريات أبي بأنّ والده -جدّي- وهو من «ماسولة» في «كيلان» كان من مقاتلي الغابات، يعيش في الغابة بشكل سرّي، فكان أبي -وهو فتى في مقتبل العمر- يزوّده بالأخبار والطعام:

خلال اضطرابات آذربيجان، يضطر والدنا للهجرة من الغابة إلى «رشت». وهناك يفتح دكانًا في بازار المدينة.

كانت ظروف الحرب العالمية الكبرى تلقي بظلالها الثقيلة على إيران، أوضاعٌ صعبة قاسية، عانى الناس فيها من فقدان الأمن

* الفصول: 7 إلى 12 ترجمة د. محمد عليق.

والأمــان ومــن القحــط والفقــر الشديد. في تلــك السنــوات، خضعت تبريــز ومناطق شمال غرب البلاد لاحتلال الروس، فيما كان الإنكليز والأميركيــون يسرحــون ويمرحون في خوزستان والجنــوب. لقد نهض أبــي وبذل جهــودًا كبيرة في مواجهة الظلم والتسلــط، ما جعل أسرتنا تتهجّر لفترات طويلة من مدينة إلى أخرى.

على الرغم من أنّ المعيشة في «رشت» لم تكن بشكل مخفي، إلا أنها لم تستمر طويلًا، ليتوجّه بعدها إلى طهران؛ لكن الأوضاع في العاصمة أيضًــا لم تكن مستقرّة. فقد كانت أسرتنا وفي أثناء انقلاب 28 مرداد 1332هـ.شــ (19 آب 1953م) تسكن بالقرب من ميدان الإعدام؛ هذا المــكان الذي كان يشهد بين فــترة وأخرى، تجمعات وتظاهرات لمؤيدي مصدق وكذلك لمعارضيه.

استمــرت الصعوبات والمشقات لدى أبــي والعائلة من ذلك الزمان وحتى قيام الثورة، لتبدأ بعد انتصار الثورة تحركات العناصر المعادية للجمهوريــة الإسلاميّة وبعدهــا الحرب المفروضة، فلــم يحقّق والدي أمنيته القديمة بشيء من الراحة والهدوء والاستقرار!

وكأنّ هذه الأمنية كانت لكل الشعب الإيراني وليست له فقط، تشبه السمكــة الزلقة التي يصعــب الإمساك بها طوال تلــك السنوات؛ كأنّ الأمر لا يزال كذلك الآن أيضًا!

كان أبــي يُعيــل أسرة مؤلفة من أحد عشر فــردًا؛ وأنا فيها الصبي الأوســط بين خمسة صبيان، إضافــة إلى أربع بنات. عندما بلغت سن السادســة عشــرة، أردت أن أذهب إلى الجبهة؛ لكن أبي رفض إمضاء ورقة الموافقة. كان مقر التعبئة يرفض استقبال أحد للالتحاق بالقتال مــن دون هــذه الموافقة. صار العمل التطوعــي في التعبئة أهمّ شيء في حياتــي. رسبت في عدة مــواد دراسية في تلك السنــة، فكانت النتيجة

الرسـوب في العـام الدراسـي. انتسبـت بعدهـا إلى مدرسـة مسائية والتحقت بمعهد مهني كي أنهي فيه المرحلة المتوسطة. كان والدي قلقًا علـيّ ومنزعجًا من تـدنّي مستواي الدراسي. ولهـذا لم يكن يسمح لي بالالتحاق بجبهات القتال. أما أنا فكنت أصرّ وأصرّ على قراري. حين حلّ صيف العام 1982م، استطاعت أمّي أن تقنعه بالأمر، ليوقّع أخيرًا ورقة الموافقة. قالت له:

- يـا رجل! أنت نفسك في شبابـك كنت مثل جواد؛ بل أكثر حماسةً ولهفة منه أيضًا! حين كنتَ تذهب إلى الغابة لوحدك، كم كان عمرك؟ من الذي كان يخالفك ويمنعك؟ والآن في هذه الأوضاع، لماذا تريد من ابنك أن يبقى هادئًا وقاعدًا في المنزل؟

تمكّنـتْ أمـي بكلامها الجميل هـذا، أن تحيي الذكريـات الكامنة لدى أبـي، وأن تنفض الغبار المتراكم على روحيّته ومشاعره الشبابية؛ وهكذا حققت لي أمنيتي التي كنت أنتظرها منذ وقت طويل.

ذهبـتُ إلى الجبهـة للمرة الأولى عـن طريق «هيئـة دعم الجبهة والحـرب» وجهـاد البنـاء. كان عملي هنـاك في بناء الدشـم وتلحيم الحديد. استمرت المرابطة أربعين يومًا وعدت بعدها إلى المنزل.

المـرة الثانية، كانت بعد عـام، حيث التحقت فـورًا بالمدرسة كي لا يزيد غضب أبي وينزعج من تأخري الدراسي.

في صيف العام 1984م كانت مرابطتي الثالثة، ولأنّ ملفّي العسكري في مقر التعبئة يشمل مشاركتين سابقتين في الجبهة، فقد حصلتُ على بطاقة «لبيك يـا خميني»؛ أي إنني بعد هذا، لن أحتاج إلى إذن والديّ للذهاب إلى الجبهة.

في يوم الـوداع، أهدتني والدتي كوفيتها العربيـة، وكان والدايَّ قد

ذهبا لحج بيت الله الحرام في العام 1979م، وقد اشترت أمي من هناك خمس كوفيات عربية وباركتها بالأماكن المقدسة. كانت تلك الكوفيات أكبر من الكوفيات الإيرانية وأنعم ملمسًا وأغلى ثمنًا. في المرابطة الماضية وعند توديعي للأصدقاء، أهديت كوفيتي لأحدهم، حيث لاحظت أنه معجب بها ويتمنى الحصول عليها، هذه المرة، أهدتني أمّي كوفيتها التي كانت تستعملها أحيانًا كسجادة صلاة.

في ذلك الصيف، قضيت عدّة أشهر في مركز اتصالات فرقة سيد الشهداء العاشرة وفي خوزستان. صار الذهاب للجبهة عاديًّا بالنسبة لي، وكنت مسرورًا لهذا الأمر.

حلّ صيف العام 1985م، وعدت مجددًا للجبهة.

أخذت معي هذه المرة أيضًا كوفيّة والدتي، ولكني قلّما استخدمتها كي لا تنكشف كالكوفية السابقة. تمّ فرزي هذه المرة إلى فرقة محمد رسول الله ﷺ حيث كانت المأمورية في الفصيل الثالث للسرية الأولى في كتيبة حمزة.

أمضت كتيبة حمزة كل شهر مرداد (تموز-آب) بطقسه الحار ورياحه المحرقة في الخط الدفاعي لمنطقة «مهران». في أيام المأذونيات، كنت أكثر ما أقضي وقتي مع إحدى أخواتي، والتي عمرها قريب من عمري وهي تحب كثيرًا التعرف إلى أحداث الجبهة؛ كنت أجالسها وأروي لها ما كان يدور معي هناك، أما هي فلم تكن ترتوي ولا تملّ من الاستماع لهذه الذكريات.

عندما انتهت مأذونيتي وأردت الرجوع للجبهة، قال لي والدي بكل حزم: «جواد، ارجع قبل أواخر «شهريور» (أيلول)، فإن درسك أهم وأوجب حاليًا من وجودك في الجبهة».

ولكن.. انتهى «شهريور» وكنت لا أزال في الجبهة، إنها أيام

عاشوراء حيث مجالس العزاء واللطم في الجبهة لها طعم آخر ولذة مميزة، لم أكن أستطيع تركها والرجوع إلى طهران. وروحية ومعنويات شباب كتيبة المشاة والهجوم عالية وتختلف عن كتائب الدعم اللوجستي والإسناد.

بعد الأسبوع الأول من «مهر» (تشرين الأول) رجعنا من المعسكر الصيفي إلى ثكنة «دوكوهه». في منتصف الشهر، تم تبديل قادة الكتائب والسرايا. فعملت أنا خلال هذه التغييرات على الانتقال من الفصيل الثالث إلى الفصيل الأول في السرية نفسها، حيث كنتُ على معرفة وتواصل مع شباب الفصيل الأول من قبل. كل شباب السرية كانوا يعرفون «محسن كلستاني» الذي أصبح مسؤول الفصيل الأول. كان يقرأ القرآن ودعاء الصباح خلال المراسم الصباحية، وبالحدّ الأدنى كانت الفرقة كلها قد تعرّفت إلى صوته.

أعلن قائد الكتيبة الجديد في أول خطاب له: إن على قوات التعبئة أن تقوم بتسوية أمورها والرحيل أو تمديد مدة مرابطتها لثلاثة أشهر أخرى؛ فالكتيبة في طور إعادة البناء، ولديها برامج تعليمية وتدريبية واسعة، وعليه لا يمكن لأحد أن يطلب تسوية حسابه والرحيل خلال المراحل الآتية..

اتصلت بالمنزل وأخبرتهم بأني سأبقى طوال فصل الخريف في الجبهة؛ تكلّمت أوّلًا مع أختي ثمّ مع أمّي. وهما تكلّمتا كثيرًا مع أبي حتى وافق على بقائي؛ لكنه أخذ مني تعهّدًا بأن أعوّض ما تأخر عليّ من دروس عندما أرجع.

كنت في الفصيل الأول مساعد رامي (آر بي جي) أيضًا؛ ولكن مساعدًا ثانيًا هذه المرة. في الفصيل السابق كنت مساعدًا ثالثًا. أغلب التعبويين كانوا رماة (آر بي جي) أو مساعدي رماة (BKC) وما شابه.

كان عـدد الدبابات والملالات المجهّزة في الجيش العراقي، لا يترك لنا مجالًا سوى قبول هذه المهمة.

توجهنـا في الأسبوع الأخير لشهر «آبـان» (تشرين الأول) من ثكنة «دوكوهه» إلى شاطئ بحيرة سد «دز» للتدرب على القتال البرمائي.

كان المقاتلـون الإيرانيـون، خـلال العمليـات السابقـة؛ أي «بـدر» و«خيـبر» في «هـور العظيـم»، قـد تمكنوا مـن الدخـول إلى الأراضي العراقية بالعبور من هذه المستنقعات. لم أكن قد رأيت منطقة «الهور» قبـل ذلك؛ لكني كنت أتصوّرها شبيهـة بمستنقع «انزلي» في منطقتنا الشمالية؛ في الواقع لم يكن في «الهور» تلك الخضرة والبرودة الموجودة في مستنقعنا. وكوني على معرفة جيدة بأنواع السباحة وقيادة المراكب، فقد كانت أيام الدورة الأولى سهلة جدًا بالنسبة لي.

في الأسبـوع الأوّل لشهر تشرين الثـاني، بدأ التدريب التخصّصي، تمارين الهجوم من اليابسة إلى الماء الحار ومن الماء إلى اليابسة. كان المـاء الصافي والبارد للبحيرة يمنـح أجسامنا انتعاشًا وحيوية لذيذة. وبالتأكيد فـإن التدريب فيه ما فيه من متاعب ومشاق؛ لكن كان لدينا الفرصة للتسلية والترفيه؛ صنعتُ صنارة صيد بواسطة دبوس صغير، وصـرت أصطـاد الأسماك بواسطته مـن البحـيرة، استخدمنا سلك جهاز اللاسلكي الهوائي بدل خشبـة الصيد والدبوس كصنارة، نضع فيهـا ما تيسر كطعم، وكانـت النتيجة: سمكة طازجـة في كل عشرين دقيقة تقريبًا!

كانت لهجتي ذات الأصول «الكيلانية» ومهاراتي في الصيد والسباحة، وبدون ادعاء وتفاخر، أسبابًا أثبتت للشباب بأني رفيق ومساعد مناسب لهم. كانوا يأتون إليّ ليسألوني عن مشكلاتهم في الصيد وأنواع الأسماك والصنارات، فكنت أحلّها لهم وأعلّمهم ممّا أعرف.

أتقـن «حسن قابل أعلا»، الذي كان خبير الهندسة (التخريب) في الفصيل، صيد السمك بسرعة. استطاع في يوم واحد، وبدل ذهابه في مأذونيته، أن يتصيّد حوالي خمسين سمكة صغيرة!

بعـد تعليم صيد السمك، وصلنـا إلى دروس إعداد وجبات السمك المتنوعة؛ السمك المشوي، المقلي، المحشي..

كان الشباب يشكّـون الأسماك بحربة الكلاشنكوف ويشوونها على موقد الحطب. وبهذه الطريقة لم يعانِ أحد من الجوع طوال هذه المدة التدريبية.

كانـت تمارين الخطابة، من برامـج وأعمال الفصيل الأخرى؛ كان علـى كل واحد من الشبـاب أن يختـار الموضوع الذي يحبّـه ويحضّره ويخطب فينا لمـدة نصف ساعة. قام «علي بي بي جاني» وكان مساعد رامـي رشاش فكانت محاضرته حول رشاش الـ«BKC»، أغلب الشباب كانـوا يخطبون حول مواضيع دينية ومعنويـة، ولهذا فإن خطبة «علي» بقيت حاضرة في ذهني أكثر من غيرها.

يـوم تركنا شاطئ بحيرة سد «دز» كان لدينا جميعنا، سلّة ذكريات جميلة من التعليم والترفيه والأحداث التي مرّت علينا هناك.

قطعنـا في ذلـك اليـوم، مسير ساعـة، مـن البحيرة وحتـى ثكنة «دوكوهـه» راكبين في القسـم الخلفي من شاحنة عـبرت تلك الطريق الترابيـة المليئة بالحفر والمنعطفات الحـادة، لنصل إلى مركز الكتيبة بذكـرى طيبـة. رجعتُ بعدهـا في مأذونية إلى المنزل، فـرح أبي كثيرًا حـين علم بأني أتابـع دراستي وواجباتي المدرسيـة في الجبهة. وكانت «زوادتـي» عند رجوعي إلى الجبهة عدة كتب ودفاتر مقررات دراسية. كان شهـر «آذر» (تشريـن الثاني-كانـون الأول) علـى الأبـواب ومعه امتحانات الثلث الأول من العام الدراسي.

في المرابطات السابقة لم أكن على معرفة وثيقة بالمجمع التعليمي للمقاتلين؛ كنت قد سمعت باسمه فقط. لكن هذه المرة وبسبب تشكيلي في الفصيل الأول، وهو فصيل طلّابي بامتياز، زادت محبتي ورغبتي بالدرس، وكذلك تواصلي المستمر مع «مجمع الشهيد همت التعليمي». كان شباب الفصيل الأول مميزين باهتمامهم بدروسهم ومتألقين كذلك في التدريب العسكري.

قبل أن أودّع الأهل وأغادر المنزل، ألقيتُ نظرة على صورتي في المرآة! كلا، لم أكن أنا جواد السابق. لم يختلف طولي وجسمي كثيرًا، بدا الظاهر كما هو؛ لكنّي أنا نفسي قد تغيّرت. أعادت الحرب تشكيلي وبناء روحي من جديد. صرت أشعر في داخلي بقوة رجولية. تلك الأيام وفي سنّ التاسعة عشرة صرتُ أستطيع تحمّل أيام من الجوع والعطش وساعات من صعود الجبال والمرتفعات الشاهقة.

عندما رجعنا من المأذونية، كانت قوات جديدة قد أُرسلت من طهران أيضًا، من الشباب الجدد: «حسين كلستاني» -شقيق مسؤول الفصيل- الذي كان رامي آر بي جي، ويتولّى مسؤولية المجموعة الثانية، وصرت أنا مساعده الأول. المساعدان الآخران هما «السيد حسن رضي» و«علي قابلي»، وقد بقينا على هذا التشكيل والمسؤوليات حتى ليلة الهجوم؛ كنا نحافظ على هذا الترتيب حتى عند النوم! فقد كنت أنام بين حسين وحسن!

في تلك الأيام تعمّقت صداقتي كثيرًا مع «محمد قمصري» الذي كان مساعد رامي رشاش. لا أدري كيف وقعت محبته بقلبي. كانت لحيته خفيفة وشاربه رفيعًا، يصغرني بثلاث سنوات؛ كان حينها في السادسة عشرة. نحن الاثنان كنا مرسلين من ثكنة «مالك الأشتر». وكانت قصة حصوله على موافقة أهله شبيهة لما حدث معي، سألته:

- متى أتيت إلى الجبهة للمرة الأولى؟

- السنة الماضية؛ (83 - 1984م).

- وأين كانت خدمتك؟

- جنوب الأهواز «جاده آبادان» في مركز الطاقة النووية.

- الطاقة النووية؟

- نعم، في مبنى كبير وعجيب؛ مهجور وغير مكتمل البناء. وقد حوّله الشباب إلى ثكنة عسكرية. كانت جدرانه المتينة من الإسمنت المسلح.

- أنا كذلك قد خدمت عدة أشهر في «الأهواز» في العام 1983م، كنت حارسًا لمقر.

- من أي منطقة في طهران؟

- أنا من ميدان «خراسان»، شارع «عارف».

- وأنا من شارع القوة الجوية الخامسة في «بيروزي».

كان يريد الالتحاق بالصف الأول مهني من اختصاص الكهرباء وأنا كنت في الثالث مهني، ما جعل صداقتنا أقوى وتواصلنا أكبر. صرنا نراجع دروسنا معًا، كان لدينا فرصة عشرة أيام للامتحانات، ولأن الكتيبة كانت تنتظر الأوامر بالانتقال إلى مكان آخر، فلم يكن لدينا أعمال عسكرية تشغلنا عن الدرس.

في أحد الامتحانات، وَسْوَسَ لي الشيطان -كما في طهران- بأن أغشّ! مجرد أن غلبني الشيطان وحاولت أن أنقل إجابة أسئلة المسابقة، وقع نظري على «محمد قمصري» الذي كان جالسًا خارج القاعة ينتظرني لنعود معًا إلى مبنى الكتيبة، انتبه لنيتي السيئة وقطّب حاجبيه انزعاجًا، ندمتُ فورًا في تلك اللحظة وخشيت أن تؤثر

هـذه المسألة على صداقتنا وعلاقتنـا. حين انتهى وقت الامتحان، قال لي محمد: «يا أخ جواد، أنت مقاتل تمرّغ أنف العدو بالتراب، هل تظن أنك عاجز عن النجاح في هذه الدروس؟ أنت قادر حتمًا!».

لم أفكّر بعدها بالفشل والنقل أبدًا، مع أن «محمد» كان أصغر سنًا مني، إلا أنني استمعت لنصيحته. نجحت في تلك الدورة بثلاث مواد، وكانـت لدي علامـة متدنية في مادة واحدة؛ كنـت راضيًا عن المجهود الذي بذلته، أخبرت أهلي بنجاحي فورًا.

في طهـران وفي بيتنـا بالتحديـد، كان هنـاك أخبار أجمـل أيضًا، مراسم خطوبة وأفراح وحلويات. في يوم 24 آذر 1364 هـ. ش. (كانون الأول 1985م) وصلتنـي برقية هذا نصها: «السريـة الأولى، الفصيل الأول، التعبـوي «محمـد جـواد نصيري بـور»، السلام عليـك يا سيد جواد. ليلة الجمعة مراسم خطوبة «بروين»، يجب أن تكون عندنا نهار الأربعاء، بتاريخ 1985/9/27. نصيري».

لكن الثكنة، كانت تضجّ بالحديث عن الانتقال إلى المعسكر الجديد والعمليات القريبة. تم تكليف قسم التجهيزات بتفقد الأسلحة والعتاد، ورفع النواقص والمعدّات اللازمة للشباب.

كنت أرغـب ومن صميم قلبي بأن أكـون قربهم في مراسم خطوبة أختـي؛ تلك الغاليـة التي كنت كلما ذهبِت إلى طهـران، تجالسني كي أروي لها كل ذكرياتي على الجبهة من ألِفها إلى يائها.

تردّدتُ واحترت بين رغبة قلبي وواجبي، فاخترت الجبهة. اتصلت هاتفيـًا بالمنزل وأخبرتهم بأني لن آتي، فلا ينتظروني. وعدتهم أيضًا بأني سأشارك في مراسم عقد القران والعرس إن شاء الله.

في يوم من أيام الخريف، انتقلنا من «دوكوهه». تحركنا حتى وصلنا إلى معسكـر «كرخه» في جو عاصف ماطـر، والتجأنا إلى الخيام. كان

الماء قد بلّل أرض الخيام، وكانت نقاط الماء تتساقط من عدة نقاط مشققة من أعلى الخيمة.

كانت الخيمة تحتاج إلى الكثير من العمل والصيانة لتناسِبَ بقاءنا فيها ليلًا نهارًا، وكان فصل الشتاء على الأبواب.

في يوم مشمس، قمنا بترتيب الخيمة وصيانتها جيدًا، عندما ارتاح بال المسؤولين من وضع سكن الشباب وظروفهم بدأت التمرينات بشكل جدي. كان لدينا صفوف تعليميّة وتدريبيّة يوميّة على استخدام مختلف أنواع الأسلحة.

في «كرخه» تذوقتُ لذّة الصلاة وصرت أبتهج بها أكثر فأكثر. قبلها، كنت أصلي المستحبات وصلاة الليل، ولكن كان لهذه العبادة لذة من نوع آخر هناك، حيث كان أغلب الشباب يقومون لصلاة الليل. كنت في بعض الليالي أصلي ثلاث ركعات، وعندما تكون همّتي أعلى ولا أكون متعبًا، أصلي إحدى عشرة ركعة. استيقاظ عدد كبير من الشباب قبل ساعات من أذان وصلاة الصبح، أثّر على حالي المعنوية كثيرًا. كان محمد قمصري، ومن بين جميع شباب الفصيل، أعسر اليد. كان معي ومعه بندقيتا كلاشنكوف خشبيًّا الأخمص.

أجريت معه مرة مسابقة في فك وتركيب الكلاشنكوف.

كان عقرب الثواني في ساعته أدق من ساعتي، كما إنّ زجاجها أنظف. اتفقنا أن نحدّد الوقت على ساعته. بدأتُ أنا أولًا واستغرقتُ مئة ثانية. ثم قام محمد فكّ السلاح وركّبه.. استغرق مئة وثلاثين ثانية. كنت أعرف أن أهل الخبرة يمكنهم القيام بهذا في أقل من تسعين ثانية.

جاءنا في أحد الأيام شابّ لا نعرفه، ألقى نظرة داخل الخيمة

وسأل:

- أيها الشباب، هل رأيتم قمصري؟

- إنه مع الشباب يتمشون قرب المنخفض المحاذي.

عندما عاد محمد بعد حوالي ساعة، سألته عن ذلك الغريب إن كان وجده أو لا، قال:

- لم يكن غريبًا، إنه أخي الأكبر.

- قلت في نفسي كم يشبهك حتى إنّ صوته يشبه صوتك، هو في أي كتيبة؟ يبدو من هيئته بأنه قائد!

- في وحدة الهندسة العسكرية. هم الذين شقّوا طرقات هذا المعسكر وعبّدوها.

- كم أخ وأخت لديك؟

- نحن تسعة أبناء وبنات.

- بطاقة تموينكم مثل بطاقتنا: أحد عشر شخصًا.

كان محمد الصبي الرابع والابن السادس في أسرته.

حدّثته ذلك اليوم عن خطوبة أختي وما حدث حينها. أحضر أخو محمد له عدة قوارير من عطر الورد المحمّدي وورود «مريم» من بلدة قمصري في «كاشان»، وقام محمد برش العطر على كل الشباب.

مضى أسبوعان على قدومنا إلي معسكر «كرخه»، جهّز شباب فصلينا بالقرب من الخيمة أمكنة الدعاء والمناجاة والخلوة مع الله. كان قمصري أيضًا يذهب أحيانًا بعد منتصف الليل إلى مكان بالقرب من المنخفض، بين فصيلنا وخيمة الفصيل الثاني، في عمق المنخفض كان يوجد حفرة تشبه القبر وتشكّل مكانًا نموذجيًا للدعاء والبكاء

والأنس بالله. لأني كنت أعرف ماذا يفعل هناك، لم أكن أسأله أو أتطفّل عليه كي لا أزاحم هدوء خياله وراحة باله.

في إحدى الليالي، قام مسؤول الفصيل، وبمساعدة بعض الشباب، بحفر حفرة مشابهة لتلك الموجودة في المنخفض. كان حينها يقرأ للشباب مناجاة الإمام علي عليه السلام في مسجد الكوفة. ثم صار يروي للشباب أحوال شهداء الحرب، حدّثهم بشكل خاص عن شهداء عمليات «والفجر4»؛ كانوا يستمعون إليه بتأثّر وهم يعمّقون الحفرة بمعاولهم ورفوشهم.

بعد انتهائهم من عملهم في تلك الليلة، نمت أنا أيضًا في ذلك القبر عدة دقائق.

ما أجملها من حال معنوية! في حفرة كهذه، وسط التراب ينسى الإنسان غروره، ولا يفكر أبدًا بالماديات. يصبح كل همّه وأمانيه أن يضع رِجله على التراب مرة أخرى ويتحرّر من تلك الحفرة. حيث يكون عاهد الله: إن حرّره منها، فإنه سيفعل هذه الأمور وتلك الأعمال. وهكذا، فقد كان الشباب وفي كل مرة يعودون من ذلك الموت الاختياري إلى الدنيا، يبذلون كل جهودهم للوفاء بما عاهدوا الله عليه. هذا العمل كان يوصلهم لله بشكل سريع. وهل هناك شيء لقهر نفس الإنسان أفضل من الموت حقًّا؟!

تركت الأحوال المعنوية والروحانية لشباب الفصيل الأول أثرًا كبيرًا عليّ، كان أكثر من تأثري بجهود الشباب للدرس والنجاح أو التمرينات التي كانوا يقومون بها للانتصار في العمليات العسكرية.

في النصف الثاني لشهر «دي» (كانون الثاني) وصلتني رسالة من أختي، تحدّد فيها تاريخ عقد القران ومراسم العرس؛ تاريخ لا أنساه

وهو 26 دي 1364هـ ش (16 ك2 1986). كان لدي أسبوع واحد للعودة إلى طهران. كنت أحب كثيرًا أن أحضر في ذلك العرس؛ لكن كان عندي امتحان حساب (رياضيات فنية)؛ تلك المادة التي كنت قد رسبت فيها في شهر «ك 1». إلى أن حلّ الامتحان كنتُ قد درست كثيرًا دروس تلك المادة وكذلك «قمصري» و«عليان نجادي» قد بذلا جهودًا مضنية لمساعدتي في النجاح. كنتُ أنا أحلّ التمرينات وهما يقومان بتصحيح الإشكالات الواردة.

في اليوم الموعود، ذهبتُ إلى المجمّع التعليمي؛ وصلت فلم أجد أحدًا، سألت الأخ الموجود هناك:

- هل تم تغيير ساعة الامتحان؟

- كلا يا أخي.

- لماذا لا يوجد أحد للامتحان؟

- أي امتحان؟

- الحساب، للسنة الدراسية الثالثة.

- لقد تأخرت كثيرًا يا أخي؛ لقد انتهى..

ثم أشار إلى ورقة تاريخ الامتحانات وأوقاتها. كنت قد اشتبهت في التاريخ والوقت!

عندما رجعت إلى الخيمة سألني «عليان نجادي»:

- كيف كان الامتحان؟

حدّثته بما حصل معي.

بعد يأسي من الامتحان، ذهبت إلى مسؤول الفصيل والسرية وقسم الاستقطاب في الكتيبة لأحصل على مأذونية أشارك فيها على

الأقل في مراسم عرس أختي؛ لكن حتى هذا لم يعد ممكنًا أيضًا!

كانت الكتيبة في وضعية «نصف جهوزية» ولا يمكن إعطاء مأذونيات حتى لمدّة 48 ساعة! مضت الأيام ثقيلة محمولة بالهموم والغصّات وأنا لا أزال في الجبهة. وكان جواب قائد الكتيبة مشابهًا لمن سبقه: لا يمكن؛ إلا بالتنسيق مع أركان الفرقة.

وأخيرًا حلّ اليوم الموعود في 26 دي (16 ك2) وأنا في معسكر «كرخه». لم تثمر جهودي لأخذ المأذونية. ومن جهة أخرى كنت أستحي من الاتصال بأختي للاعتذار منها وإخبارها أين أنا. قلت في نفسي: ما دُمّتُ هنا، فهي لا شك ستفكّر في كل الذكريات التي رويتها لها، وستدرك لوحدها وضعي، وتعرف لماذا لم أرجع إلى طهران للمشاركة في عرسها.

كان القليل من الخبز يصل للفصيل. كنا نذهب أحيانًا إلى مراكز تجهيز كتيبتنا والكتائب الأخرى ونأخذ منها بقايا الخبز اليابس، ونحضرها إلى المخيم ثم نفرزها، فيأكل الشباب البقايا السليمة منها. في أوضاع القحط تلك، قامت الكتيبة في أحد الأيام بتنفيذ تمرين على التخشّن وتحمّل الجوع والعطش، فلم نتناول الفطور ولا الغداء، أمضينا النهار كله حتى المساء على قطع خبز صغيرة وأكواب قليلة من الماء.

تعوّدنا أن نبقى على وضوء وطهارة. في المناورات الليلية كان مسؤول «الفصيل الأول» يسمح لمن يرغب في أداء صلاة الليل. فيأخذ زاوية ويقف للصلاة. وأنا كذلك كنت أفرش كوفية أمي المباركة وأصلي عليها.

بعد أيامٍ من تاريخ 26 «دي» وبعدما فشلت كل جهودي في أخذ

مأذونيـة، وقُضـي الأمر وحصل مـا حصل، إذا بالكتيبـة تمنح جميع العناصـر مأذونيـات! أنـا استحييـت مـن مواجهـة أختي، فلـم آخذ مأذونيتـي ولم أذهـب إلى طهـران! لكن «محمد» ذهـب وحضر حفل عرس أخيه.

في تلـك الأيام الخمسـة أو الستـة، كانت خيمة الفصيـل وباحتها خاليـة، لم يكن هناك أحد، ومع ذلـك كانوا يرسلون كميات كبيرة من الطعـام. كنت أملأ النهار والليـل بالدرس والدعاء. لم يكن هناك من يُنافسـ على القبر المحاذي لخيمـة الفصيل، فكنت أحـلّ ضيفًا عليه في كل ليلـة للدعاء والمناجاة؛ أجلس في القـبر وأدعو، أنام فيه وأدعو. أمضي ساعة في تلك الحفرة.

الأنـس بالـتراب جعلنـي أتخفّف مـن كل الأثقـال وأكسـر القيود والأغلال.

يـوم عـاد الأصحـاب والأحباب، حـين أردت في الليـل أن أقوم بما تعـودت عليه من الدعـاء في القبر، لم أتمكّـن، فالضيوف كُثر، وكلهم عـادوا من ظلمات المدينة بشوق ولهفة أكثر منّي. تركت لهم لذّة القبر حيث كنت أعلم بحاجتهم إليها أكثر من حاجتي حينها. استمرت هذه الزحمـة الليليّـة على القبر طوال الأيـام العشرة، حيـث تركنا بعدها معسكـر «كرخـه» مع تلك الذكريـات التي لا يمكـن أن تتكرر ويصعب وصفها. في تلك الليالي العشر لم أوفّق حتى لمرة واحدة للخلوة مع اللّٰه في ذلك القبر.

ذهبنـا في أحـد الأيام إلى حقـل الرماية. وهذا يـدلّ على اقتراب موعـد العمليات. أطلـق كل واحد مـن الرماة ومساعديهـم قذيفة آر بـي جـي. هناك قـام حسـين كلستـاني، وكان لديه خـبرة وتجربة في عمليـات بدر، فأوضح لنا عـدّة أمور هامة؛ وروى لنا مجريات عمليات

بدر ومواجهة الدبابات باللحم الحي، وكيف انتهت بالانتصار على الدبابات العراقية.

كذلك فإنّ «قمصري» الذي كان مساعدَ رامي رشاش، قام بإطلاق الكثير من الرصاص وهو في وضعيات الجلوس والانبطاح. كان على جميع المساعدين التدرب على الرماية بسلاح الرامي، كي يتابعوا المعركة إذا جُرح هو أو استشهد -لا سمح الله- فلا يبقى سلاحه على الأرض.

جاء وقت كتابة الوصية. كتبت وصيتي ووضعتها في حقيبتي، تلك الحقيبة الثقيلة المليئة بالكتب والدفاتر. أخذت منها دفتر مذكراتٍ وقلّمًا وسلّمت الباقي لمركز تعاون الفرقة (الأمانات).

في صيف ذلك العام، وخاصة في خط «مهران» الدفاعي، حيث كانت أول تجربة لي على خطوط التماس ومناطق العمليات، تعوّدت أن أكتب مذكراتي يوميًا. دوّنت في تلك الدورة ذكريات واحد وثلاثين يومًا. وكنت أنوي أن أتابع هذه العادة، ولكن.. لم أتمكّن! فمن جهة كان ضغط العمل العسكري، ومن جهة أخرى الواجبات المدرسية فلم تسمح لي الفرصة والوقت الكافي. عندما رحلنا عن معسكر «كرخة» قررت أن أعود للكتابة، ولهذا أخذت معي دفتر مذكراتي، الذي كان هدية من الحرس الثوري.

عندما غادرنا المعسكر، أخذنا الأغطية وأوعية الطعام كذلك، فلم يبق سوى الخيمة، لا شيء سواها. وضعنا ما استطعنا من الأغراض في الباص وما بقي حملناه في شاحنة الدعم وانطلقنا. كان يوجد لافتة على إحدى الشاحنات كُتب عليها: «هدية أهالي.. إلى جبهات النور ضد الظلام»، وكان نصيب شباب فصيلنا، وأغلبهم صغار السن، هذه اللافتة من شركة «مينو» لتتحلّى قلوبهم بذكرى طعم ذلك البسكويت اللذيذ!

غادرنا معسكر كرخه بعد الظهر لنصل عند الغروب إلى «الأهواز»، رؤية لوحات الجادة المرحبة والمعلنة وصولنا للأهواز، أعادتني بالذكرى إلى ما قبل سنتين، حين جئنا مع وفد التعبئة الطلابية إلى الجبهة، وأمضينا الصيف الحارق في صحارى الأهواز. فكّرت في نفسي: مضت سنتان، ولكني كبرت أكثر من سنتين، وها أنا أنطلق بخبرتي وتجاربي الجديدة نحو العمليات العسكرية الكبرى.

وصلنا في ظلام الليل إلى شاطئ «كارون»، يوجد مسافة حوالي المئة متر بين مكان توقّف الباص والخيام. وكانت الأرض رطبة ولزجة تحت أقدامنا، فكنّا نسير وتتزلق أحذيتنا العسكرية ونتعثّر مرة بعد أخرى. قطعنا هذه المسافة عدة مرات لتفريغ حمولة الباص. كانت أشجار النخل تحيط بخيمتنا من كل الجوانب، كان اسم النخيل ومنظره يحييان في أذهاننا قصصًا وذكريات عميقة. كم يحلو الدعاء في تلك الأجواء الجميلة.

منتصف ليل اليوم الثاني لوصولنا، طلب مني «محمد قمصري» أن أرافقه لخارج الخيمة كي ندعو معًا. كذلك جاء السيد حسن رضي معنا فصرنا ثلاثة. جلسنا بالقرب من نخلة على شاطئ النهر وتلونا الدعاء باتجاه القبلة. وكان مصباح «قمصري» يساعدنا على قراءة خط الكتاب. كانت مياه «كارون» تجري هادئة بانسياب، ولكنّ صمتها كان يخفي تلاطمًا عميقًا في داخلها؛ تمامًا كالتعبويين الذين أتوا من أماكن بعيدة، وحلّوا ضيوفًا في دعوة لا يُعلم آخرها ولا يدرك مصيرهم فيها؛ على الرغم من ظاهرها الهادئ الساكن. في قلوبهم أفكار ومشاعر تشتعل شوقًا وحبًا، قد يظهر القليل من تجلياتها عند الصلاة والدعاء.

دعونا بعضنا البعض لقراءة زيارة عاشوراء، فكانت من نصيب

«محمد» وبدأ..

- السـلام عليك يـا أبا عبد اللّه. السلام عليك يـا بن رسول اللّه. السلام عليك يا ابن أمير المؤمنين..

لم يكن قد أكمل عدة أسطر حتى اجتاحته أمواج الدموع فلم يستطع أن يكمل. كان بكاؤه الحارق يمنع الكلمات من الخروج من فمه..

أكملـتُ الزيارة وطلبت من السيد حسن بعد أسطر قليلة أن يتابع.. وهو كذلك لم يستطع أن يقرأ إلا القليل. فعُدت لأكمل:

«السلام عليك وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك، عليكم مني جميعًا سلام اللّه أبدًا ما بقيت وبقي الليل والنهار..»

في الختـام، سجدنا نحـن الثلاثة وشكرنا اللّه علـى توفيق الزيارة ولو عن بعد:

- اللهـم لك الحمد حمد الشاكريـن لك على مصابهم. الحمد للّه على عظيم رزيتي..

لم أكن أعرف اللطم وقراءة العزاء، ولكني وبشكل لا إرادي أنشدت عدة أبيات شعرية وصرنا نلطم معًا.

انتهينا فكانت وجوهنا مبللة بالدموع. توضأنا بماء «كارون» ورجعنا إلى خيمتنا.

قـررت هذه المـرة، وبدل أن أملأ دفتر مذكراتـي بذكرياتي أنا، أن أطلـب من أصدقائي أن يكتبوا لي كلمـات للذكرى. وعليه صرتُ أكتب مذكراتـي علـى الصفحـات اليمنى وتركـت الصفحـات اليسرى من الدفتر لكتابة الأصدقاء.

كان «حسن قابل أعلا» أول من كتب لي؛ ولكنه طلب مني أن أكتب له حكمة أو موعظة ليتذكرني كلما قرأها. تبادلنا الدفاتر، وجلس

كل واحد منا في زاوية للكتابة. بعد قليل من التفكير والتأمل، كتبت له ما يلي:

«أنا أحقر من أن أنصحك؛ لأني أستمدّ منك ومن أمثالك المعنويات وأتّخذكم نموذجًا وقدوة لي في الكثير من الأبعاد. عندما أنظر إليك بدقّة، فإنني أتعالى روحيًا، ولكني سأذكر لك حكمة تنفعك في دنياك وآخرتك. وهي أن تسعى بأن تتخذ من الأشخاص الأفضل منك قدوة وتنتفع منهم في جميع الأعمال؛ وخاصة في تلك الأعمال التي تقربك من اللّه، والنصيحة الثانية أن تصلي صلاة الليل، فهي تقرب الإنسان من اللّه. اطلب من اللّه كل ما تريد، وإن شاء اللّه سيحقق دعاءك. إن شاء اللّه أن يشفع بعضنا لبعض في ذلك العالم. معسكر «قاصدي كربلاء» 1364/11/11 هـ. ش. (1986/1/31م) «محمد جواد نصيري بور».

في ذلك اليوم كتب لي ثلاثة من الشباب، «محمد قمصري» كان الثالث. عندما أعاد لي الدفتر، كتب في أعلى الصفحة «المساعد الثاني لرامي الرشاش، محمد قمصري» كان يومًا مثمرًا وكنت مسرورًا لهذه الفكرة.

في اليوم الثاني عشر من شهر بهمن، كتب لي اثنان؛ في الثالث عشر كتب شاب واحد فقط.

في الرابع عشر والخامس عشر قمنا بمناورات للتدرّب على مواجهة الهجوم الكيميائي، كنّا جميعًا متعبين جدًّا. فلم يفكّر أحد بالكتابة. أمطرت السماء في اليوم السادس عشر من بهمن فعوّضتُ عما فاتني من الأيام الماضية؛ قَبَعَ أغلب الشباب داخل الخيمة، ولم يخرجوا إلّا لمراسم الدعاء عند الصباح والغروب، استطعت يومها أن أدفع عشرة من الشباب ليكتبوا لي كلمات للذكرى على دفتري الذي كنت آخذه من أحدهم وأعطيه للآخر. كلٌّ منهم كان يقضي نصف ساعة في التفكير

ليكتب عدة أسطر. أمطار الله باركت في عملي هذا!

وحتى انتهاء يوم السابع عشر من بهمن كان سبعة عشر شابًا قد كتبوا لي. «محمد قمصري» كتب أولًا في الحادي عشر وثانيًا في السادس عشر من «بهمن».. حين وصل دور «سعيد بوركريم» للكتابة، أخذ الدفتر، كتب «بسم الله» في أعلى الصفحة، ثم قال لي:

– جواد، سأكتب لك؛ ولكن ليس الآن، يجب أن أفكّر أولًا. دع الشباب يكتبون، سأكتب أنا بعدهم.

– حسنًا، إن كان الأمر هكذا، سأترك لك صفحتين فارغتين.

كتبتُ في ذلك اليوم، في أعلى الصفحة التي كتب عليها «بسم الله» «الأخ سعيد بوركريم» وقلت لنفسي، عندما نملأ صفحته سأكتب «رامي (آر بي جي) المجموعة الأولى في الفصيل الأول»، وسأسأله عن تاريخ ولادته وأكتبه؛ لكن هذا لم يحصل. بقيت الصفحتان خاليتين حتى الآن.

ذهبنا في معسكر «كارون» أيضًا إلى حقل الرماية. حيث أدركنا يومها أن بعض القذائف معطّلة ويجب أن تُفرَز وتَتمّ صيانتها.

وكذلك قامت الكتيبة بمناورة معارك برمائية؛ هجوم بالزوارق من هذا الشاطئ إلى الشاطئ الآخر واحتلال الجسر ومواجهة العدو الافتراضي، وكلّها مراجعة لما تعلّمناه في الدورة قرب سدّ «دز».

كان الهجوم قد تقرّر وصار حتميًا. غادرت عدّة كتائب معسكر كارون. كانت «وكالة أنباء التعبئة» تنقل الأخبار ساعة بساعة. مغادرة الكتائب للمعسكر، كانت تدل بوضوح على أن العمليات المنتظرة ستبدأ خلال ليالٍ قليلة. بدأ العدّ العكسي للانفجار الجديد.

في أحد الأيام لاحظت أن «محمد قمصري» صامت بشكل لافت،

رأيتـه عدة مـرات وقد جلس لوحـده وغرق في التفكـير. لم أعكّر عليه خلوتـه، لكـن نفد صبري بعد الظهـر، فجلست إلى جانبـه. كان هادئًا جدًّا. لم أقل له شيئًا وانتظرت أن يبادرني بالكلام، قلت في نفسي إن لم يتكلّم خلال دقائق، سأتركه ولن أخرّب عليه خلوته. أخيرًا نطق وقال:

– أخـي جواد، هل تظن أنني سأستشهـد في هذه العمليات؟ هل أنا لائق بالشهادة؟

– إن شـاء اللّه أنت لائـق بها؛ ولكن الحرب طويلة ولا تزال الفرص كثيرة للشهادة، علينا أن نخدم ونقاتل ولنستشهد آخر الحرب!

– جواد، لا أعتقد بأني سأكون معكم في العمليات الأخرى!

– إن شاء اللّه لن يحدث لك شيء، ستذهب وتعود سالمًا معافى.

– جـواد، منذ سنـة بالضبط وقبل أن آتي للجبهـة، رأيت في المنام سيـدًا يرتدي ثيابًا خضراء اللون. كان وجهه نورانيًا لدرجة لم أستطع النظر إليه، قال لأخي الأكبر: هيا بنا نذهب معًا؛ لكن أخي تردد قليلًا وقال ما معناه «لديّ الكثير من الأعمال المتبقية ويجب أن أنهيها أولًا»[1].

– برأيك من هو هذا السيد؟ إمام الزمان أو الإمام الحسين؟

– لا أعلـم، وعلـى أي حال فقد كان مفعمًا بالنـور. عندما رأيت أن أخي لم يذهب معه، قمت أنا ومشيت وراءه، شعرت بأنني تخفّفت كثيرًا وحلّقت وصولًا إلى السمـاء بسهولة ويسر ثم لم أستوعب شيئًا بعدها. اليـوم وبعد سنة من ذلك المنام، ما زلت أشعـر بهذه الخفّة والراحة. لقد منحني ذلك السيد يقينًا وهدوءًا ما زلت أعيشه حتى الآن.

بقيـت صامتًـا، كان ينطـق بكلمات لم أكـن أدركهـا ولا أستوعبها

1- هـذا الأخ الأكبـر لمحمـد جُرح في تلك السنـة (1984م) ولدى محمـد أخ جريح آخر أصيب في العام (1981م).

بعقلي، كنت أنظر إليه وأحدّق به مندهشًا.

قبل أن نغادر مخيم «كارون»، اغتسلت غسل الشهادة، وارتديت ملابس جديدة وتعطّرت بتلك العطور التي أحضرها «محمد قمصري»، ثم تبادلنا ساعَتَيْنا أنا و«محمد» كي نتذكّر بعضنا إن حدث لأحدنا شيء ما. كانت ساعته أفضل من ساعتي، فيها عقارب وأرقام أيضًا. أعطيته ساعتي القديمة التي أستخدمها منذ عشر سنوات وأخذت منه ساعته ذات الشريط الجلدي الجديد. ثم قبّلنا بعضنا البعض، وتعاهدنا أن يشفع كلّ منا لصاحبه، إن استشهد ودخل الجنة أوّلًا.

غادرنا معسكر كارون بعد ظهر يوم غائم. كانت الشمس مختفية وراء الغيوم، حين صعدنا إلى القسم الخلفي للشاحنة، حيث كان مغطّىً بإحكام، كي يقينا البرد والمطر، ويخفينا عن أعين الطابور الخامس وعملاء العدو من ناحية أخرى.

عندما ترجّلنا من الشاحنة، كان المطر يتساقط خفيفًا هادئًا. عبرنا من مدينة «بهمن شير» وتموضعنا في بيت قروي في تلك المنطقة. كان صوت مدافع قواتنا يطرق أسماعنا عن بعد. أمضينا تلك الليلة على أصوات القذائف والصواريخ، والتي رافقها بالطبع أنغام الدعاء لنصرة مقاتلينا على الجبهات. بدأت عمليات «والفجر8» ظهيرة اليوم الحادي والعشرين من «بهمن» (10 شباط). كان الغداء وجبة أرز ودجاج في كيس من النايلون! طالما كنت أشارك «حسين كلستاني» طعامه. هذه المرّة أيضًا أنهيت وجبتي وحللت ضيفًا على كيسه!

أهل الخبرة والتجربة كانوا يحملون معهم دومًا ملعقة تُطوى وتوضع في الجيبة. من لم يكن طوى ملعقته حتى ذلك الحين، طواها كي لا تقع من جيبه أثناء الحركة والزحف والقفز. كان بعض المقاتلين يحملون رفشًا صغيرًا كالذي يستعمله البستاني لحفر الخنادق، وهو من النوع

الــذي يمكن تعليق فانوس صغير به؛ هــذا الرفش خفيف وعملي وعلى العكس من الرفش العسكري الثقيل الوزن، والذي يحتاج إلى وضعه في حقيبة، ويأخذ مكانًا كبيرًا فيها.

بعـد ظهر اليوم الحادي والعشرين من بهمن، تركنا منطقة «بهمن شـير» وتوجّهنا بشاحنة إلى «أروند كنار»، حيث أمضينا الليلة في عنبر حديدي كبير.

صبيحــة اليوم الثــاني والعشرين من بهمن، طـرق أسماعنا صوت المارشــات العسكرية من مكـبر صوت إعلام الكتيبــة فتغيّرت أحوالنا وارتفعـت معنوياتنا. بعد الظهر ذهبنا إلى أرونـد ووصلنا إلى مرسى الفرقة خــلال نصف ساعة، ولكن بقينا حــوالي الساعة ننتظر ركوب الــزورق. كانت طائرات العدو تتحكم بالوضــع وتُغير على المنطقة بين فترة وأخرى. ولهذا فقد كانت عمليات النقل هناك تتم بحذر واحتياط شديد حفاظًا على أرواح الشباب.

على مشارف الغروب، جاء دورنا وصعدنا الزورق تحت وابل قصف العدو وبركة الصلوات على محمد وآله، حين وصلنا إلى الطرف الآخر مــن «أروند» وانتظمنا في قطار مرصوص علــى الساحل الغربي لمدينة «الفاو» على الطريق الساحلي باتجاه الشمال لنستقر بعد مئات الأمتار في مبنى مهجور.

كانــت الليلة ليلة أربعــاء، صلينا وتعشينا وقرأنــا دعاء التوسل. في منتصـف الليـل وصلت الشاحنــات إلى مدخـل المبنى، صعدنــا إليها وتقدمنــا للأمــام. كان خط الاشتبــاكات في الشمال الغربــي «للفاو»، وكانت المخازن النفطية للمدينة تشتعل وراءنا.

عندما ابتعدنا عدة كيلومترات عن مدينة «الفاو»، وقفت الشاحنات إلى جانب الجادة الإسفلتية، فترجلنا منها.

في تلـك الليلة، كانت قوات كتيبتي مالك و«أنصار الرسول» تخوض معـارك هجومية، وكانت كتيبتنا تشكل قـوات احتياط لها. بقينا حتى الصباح في الجهة الشمالية لجادة «الفاو أم القصر». كنت أنا وحسين كلستاني متموضعين في خندق - حفرة «جُحر الثعلب».

كان الـتراب مبلّلًا تحت أقدامنـا، والطقس بـاردًا والرياح رطبة. لم أكـن أرتدي لباسًـا يُدفئني، اكتفيت بكوفية أمـي التي ربطتُها على خصـري، بقيت أرتجـف بردًا حتـى الصباح. معطف فـرو كان أغلى أمنياتـي! أما «حسين»، فإمـا أنّ طاقة تحمّله كانت أكثر مني، وإما أنّه يستحـي أن يظهـر نفسه ضعيفًـا أمام البرد! كانت أطـرافي تهتز فلا أقوى على ضبطها، وأخيرًا وجدت علم إيران في ذلك الظلام فتدثّرت به لعلّي أحظى بقليل من الدفء.

كان طعام الغداء معلبات سمك السردين. أما الشرب فكان بأوعية «غالونات» عشرين ليترًا. كان القصف مستمرًا ولم يكن مسموحًا لأحد الخـروج من الخندق - الحفرة. تمّ إبلاغنا بأمر تعميق حفر الخنادق لعلّهـا تغطّي تمام أجسامنا. بدأت أنا وحسين نحفر بالرفش الصغير. حفرنا وحفرنا حتى غَمَرَنا الخندق ولم يعد يظهر منا إلّا الرؤوس! عند كل صوت صفير قذيفة كنّا ننخفض أكثر كي لا نصاب بالشظايا.

عند الغـروب، أحضر جماعة الدعم ذخائر وعتادًا إضافيًّا وقالوا: كل مـن يقـدر، فليحمل معه قذيفـة آر بي جـي، فكل قذيفـة إضافية تساوي إعطاب دبابة إضافية للعدو، استلمت أنا وحسين كلستاني كمية مـن الذخيرة؛ كانت مجموعتنا تحمل معها 17 أو 18 قذيفة آر بي جي. وحملت أنا مع القذائف بندقية وقاذفًا إضافيًّا، وكان معي ما يكفي من قنابـل يدوية. تفقدت عتادي وسلاحي للمـرة الأخيرة، وأحكمت ربط شالي وحزامي على خصري كي لا يعيقني شيء أثناء الحركة.

كان زجاج الساعة التي أخذتها من «قمصري» يعكس النور، فقمت بمسحها بالوحل حتى غطّاها؛ لكني عدت فقلقت وفكرت أن الوحل سيجف ويقع حتمًا. وجدت قطعة خيش فربطت بها الساعة كلها وارتاح بالي.

قبل صلاة المغرب والعشاء وصل الأمر بأنه فور الانتهاء من الصلاة يجب أن نتحرك. وعليه بدأنا بتقبيل ومعانقة بعضنا البعض. أول من قبّلت كان «حسين كلستاني» وطلبت منه المسامحة وقلت له:

«أخ حسين، أنت رئيس مجموعتي؛ إياك أن تنسى! أنا بحاجة ماسة إلى شفاعتك».

فقال لي بعطف وحنان: «أخ جواد، أنت مساعدي؛ فلا تتركني هناك لوحدي وتنساني عندما تصل للجنة ونعيمها!».

ثم قبّلت «رضي» و«قابل» و«قمصري» الذي كان العطر يفوح من ملابسه وبدنه. قلت له:

- محمد، ما أجمل رائحتك!

- بالأمس فرغت كل قوارير العطر.

- على كل حال، أريج عطرك جميل.

- أخ جواد، سامحني وادع لي...

تلك الليلة، كانت آخر مرة أرى فيها وجهه الجميل والضاحك، كانت عصابة «يا حسين شهيد» الحمراء تجعل وجهه آية في الحسن والجاذبية. كل الشباب عند الغروب كانوا يبدون بشكل مدهش؛ متخفّفين ومرتاحين. كلهم كانوا يعرفون، خطوات قليلة تفصلهم عن الموت والخوف والجراح والأسر؛ لكنهم كانوا يضحكون مستبشرين.

بعد الصلاة، انتظمنا في قطار مرصوص. توقّفنا عدّة مرّات على

الطريق، ولكن لمدة قصيرة. أغلب التوقف كان بسبب القنابل المضيئة. إحدى المرات توقفنا حوالي ساعتين. عرفنا فيما بعد أنّنا على مثلث مصنع الملح، وأن قادة الأركان كانوا مجتمعين، بعد انتهاء الجلسة، تمّ إعلان بدء الهجوم بشكل حاسم؛ وجاء أمر العمليات «بعد نقطة الانتشار، وعلى جادة «أم القصر»، هناك مجموعة من الدبابات، ويجب أن تتقدّموا حتى الجسر الكبير. الجسر ضخم لدرجة لا تحتاجون معها لما يدلّكم عليه، هنا وفي اليوم الرابع والعشرين سيتم تشكيل خط دفاعي للفرقة وستتقدم كل القوات إلى ما وراء الجسر وقناة الماء التي تغذّي مصنع الملح». حوالي الساعة العشرة ليلًا، عاد القطار المرصوص ليتحرك بريادة السرية الأولى، كان الفصيل الأول هو العمود الفقري للسرية.

في نقطة الانتشار، تم تشكيل قوة خاصة لكسر خط تماس العدو من خلال ضرب الدبابات الأمامية، كنت أنا وحسين كلستاني من أعضاء هذه الفرقة المؤلفة من سبعة أو ثمانية مقاتلين.

بعد ربع ساعة عبرت السرية نقطة «الانتشار»، زحفتُ وراء حسين حتى وصلنا إلى ميدان «الفاو». تم حل مشكلة الألغام خلال دقائق معدودة. لحظات وبدأ إطلاق النار. أطلق «حسين» أول قذيفة (آر بي جي) على الدشم العراقية. تقدم الشباب بوضعية القرفصاء نحو مواقع العدو.. بدأ الهجوم.

جهّز حسين القذيفة الثانية؛ لكنّ نيران العراقيين الغزيرة لم تسمح بالإطلاق. منذ اللحظة الأولى، بدا واضحًا أن العدو كان مستعدًّا وجاهزًا وكأنه على علم بالهجوم. بعد تقدّم خمسين أو ستين مترًا لم يعد الفصيل متشكّلًا على هيئته الأولى، انتشر الشباب، أما أنا فبقيت وراء حسين الذي كان مواجهًا للدشمة التي تطلق علينا رصاص

«كاليبر50» الواقعة على الجهة اليسرى والموحلة من الجادة. في هذه الأثناء ناداني مسؤول السرية. كان الشباب ورائي مشغولين بالاشتباك تحت إمرته. كان حسين مشغولاً بالتصويب فلم تسنح لي الفرصة لإخباره بالتحاقي تلبية لأمر مسؤول السرية. ذهبت نحو الجادة كما طلب مني «عمو حسن». كانت هذه غلطتي الأولى في تلك الليلة. قال لي «عمو حسن» أن أطلق عدة مماشط نحو الدشمة العراقية؛ فرميت على ناحية اليمين حيث المكان مسوّر بأسلاك معدنية.

أثناء الرمي لم أكن أفكر لا بحسين ولا بـ«عمو حسن»، كان همي الأول والأخير أن أنفّذ الأمر المكلّف به. كنت أطلق النار قائمًا وقاعدًا على الهدف الذي تفصلني عنه مسافة أربعين مترًا، في هذه الحال، سمعت أحدهم يسألني:

– يا أخ، هل معك ممشط رصاص إضافي؟

قلت في نفسي: ممشط؟ لم تكد تمضي خمس دقائق حتى نفدت ذخيرته؛ لكني قلت له:

– نعم.

بقي ينتظر أن أناوله المشط؛ لكنّ المشط كان معلّقًا بسلك في جعبتي ولم يسهل عليّ نزعه. في تلك اللحظات، جاء مقاتل آخر، وقف بالقرب منا، كان رامي آر بي جي؛ قد جهّز نفسه لإطلاق قذيفة. وقف وألقى نظره على الأسلاك المعدنية. أشرت إلى الشاب الذي طلب الرصاص مني:

– فلنذهب يسارًا وهناك أعطيك من الجعبة..

لم يكن ينبغي أن أقوم بهذا على الجادة. ركض وركضت، قلت في نفسي لا شك بأنّه منتبه لنا، وأنّه سيصوب لعدة ثوانٍ فنكون عبرنا

من ورائه؛ لكن فجأة ملأ وهجٌ منيرٌ عينيَّ وحرق هواءٌ ساخن جسمي، رماني الضغط للأعلى ثم سقطت على الأرض. كان ظهري يؤلمني بشدّة؛ رأسي وعيني كذلك. أحسست أن بؤبؤ عيني اليمين قد انقلب. كأن النجوم كانت تلمع ثم تنطفئ أمامي. خفت أن أفتح عيني. لم أعد أشعر بكل الجانب الأيمن من جسدي. بحثت بيدي اليسرى حولي، كان التراب تحتي مبلّلا بالمياه. وفوق هذا كله، شعرت بدوخة في رأسي من شدة الضربة. أدركت من الماء والوحل تحتي؛ بأنني قد وقعت على الجهة اليسرى من الجادة؛ حيث كنت متجهًا لأعطي المشط لذلك الشاب الذي لا أعرفه. هذه هي كل القصة؛ جُرحت هناك. كانت جراح شفتي وذقني سطحية، ولكنّ جراح عيني وأذني عميقة؛ لم أكن أشعر حينها بألم شديد، ربما لأنّ الجراح لا تزال ساخنة، كان حزام السلاح ملتفًا حول يدي، ولكن لم أستطع تحريكها. لم أكن أسمع أي صوت بإحدى أذني، استطعت تحريك قدميّ. فتحت عيني اليسرى بهدوء وبطء شديد. لم تكن تؤلمني، وكنت أرى فيها، سحبت نفسي ببطء حتى وصلت إلى الأرض الجافة قرب الجادة. فككت حزام السلاح من حول يدي. كانت كوفية أمي هي قطعة القماش النظيفة الوحيدة معي، وضعتها على عيني اليمنى فأحسست بشيء من الاطمئنان والسكينة.

لم يكن هناك أثر لذلك المقاتل الذي رمى قذيفة الآر بي جي، وكذلك الشاب الذي طلب مني المشط ركض ليتابع مهامه، وبقيت وحدي في تلك المعركة. كان هناك مقاتلون يركضون من هنا وهناك، ولكنّ أحدًا لم ينتبه لي.

كانت ملابسي مبلّلة والطقس باردًا والرياح تهب عليّ. كانت برودة الطقس ونزيف الدماء تكاد تقضي على كل طاقتي.

فقررتُ التحرك فورًا قبل أن تخور قواي. عدم الحركة بالنسبة لي

كان مساويًـا للموت المحتّم. خلّصت نفسي من ثقـل العتاد والذخائر، تركـت حقيبة القذائـف والقنابل اليدوية واحتفظـت ببندقيتي وقنبلة واحدة وقناع الحرب الكيميائية. نهضت قليلا كي أنطلق. كان رصاص العراقيّـين لا يـزال منهمرًا؛ علـى الرغم أن قواتنا قـد أجبرتهم على التراجـع نحو مئة متر للوراء. بللت الدماء المنهمرة من عيني الكوفية، وسالت نحو يدي. كنت أنظر بعين واحدة وأرى جثث القتلى على الأرض وأتقدم للأمام. كان واضحًا من لباس البعض بأنهم من قوات المغاوير العراقية.

كذلك شاهدت أجساد بعض شهدائنا التي أخفى الظلام ملامحها فـلا تميّز أحدها عـن الآخر. كنت أخطـو بصعوبة بالغـة وأشعر أني سأسقـط علـى الأرض مـع كل خطـوة. لم أكترث بعشـرات الطلقات والرصاص المنهمر حولي. فجأة لمحتُ من بعيد مسعفين معهما حمّالة، وهما يدعواني ويناديانى نحوهما في الجهة المقابلة من الجادة. زحفت بسرعـة وقطعت الجادة عرضيًا حتى وصلـت إليهما؛ كانت رصاصات العدو لا تزال تحفر الإسفلت حولنا.

ألقيـتُ بسلاحي على الأرض وارتميـت على الحمّالة وصرت أحدّق بعين واحدة في سماء الليل المتلاطمة. هدأ قلبي عند التأمل في النجوم المتألقـة رغـم ضوضاء الأصـوات والأنوار تلك. كنـت غارقًا في منظر التجلّيـات السماويـة حين توقـف المسعفان عند نقطـة انتشار السرية قـرب كـوخ الإسعافات الأوليـة، ووضعـا الحمالة علـى الأرض. قمت ودخلـت إلى الكوخ، كان «علي شهبازي» هناك، تعرّفت إليه يومًا ما في الفصيـل الثالث حيث خدمنا معًـا. كان يضع مصباحًا في فمه ويتفقد جراح الشباب ويقوم بتضميدها بما تيسّر.

بعـد أن عايـن بضعة جرحى وصـل إليّ. أمسكـتُ مصباحه بيدي

اليسرى ووجهت الضوء على وجهي. سلّم عليّ وسألني:

- هل أصبت برصاصة أو شظية؟

- لا أعلم أظن أنها نيران شهب الآر بي جي.

- الجراح فقط أصابت وجهك؟

- ضغط الانفجار أصاب يدي وكتفي وأذني؛ لكنّ وضعها الآن أحسن. لعلّ هناك إصابة في عنقي أو كتفي، انظر أنت لتعرف.

حين أنهى تضميد جرح عيني، خاطبني مثل الأطباء المحترفين:

- جواد، لا شيء مهمًّا. بعد أيام قليلة ستكون قادرًا على رؤية الطرف الآخر من الخندق.

هل كان صادقًا في كلامه أم أنه أراد رفع معنوياتي، لا أعلم، ولكن بعد قليل هاجمني هاجسُ الخوفِ من العمى فاضطرب قلبي، تكررت هذه الوسوسة مراتٍ ثم تركني وشأني!

خرجتُ من الكوخ وجلست جانبًا أنتظر سيارة الإسعاف. طال جلوسي وانتظاري. شدة البرد والضعف الناتج عن النزيف جعلاني أغفو وأنام. استيقظتُ فوجدت نفسي على تخت. في تلك اللحظات كان الطبيب يُعاين عيني السليمة. لم ألتفت للمكان ولا للزمان. لمّا ذهب الطبيب سألت الممرّض: لماذا تمزّق قميصي؟ أجاب:

- كان مبلّلًا بالدماء فاعتقدنا بوجود إصابات أخرى؛ لكن لا يوجد..

لم أجد كوفية أمي. لا أعلم بالضبط أين فقدتها.

أخرجوني من المستوعب المعدني. كانت رائحة «أروند» تصل إلى مشامي. ومع أنهم غطّوني ببطانية، إلّا أني كنت أرتجف من البرد. وضعوني داخل زورق، انطلقت في طريق العودة. صوت هدير محرّك

الزورق وقطـرات رذاذ الماء التي تلفح وجهي، ذكّـراني بأيام طفولتي ومستنقـع «أنـزلي» وصيد الطيـور. كنا نركض في الحقـول الخضراء ونلعب بوحول المستنقع الطينية.

لم تستغـرق هـذه «النقاهة» أكثر من نصف ساعـة. أخرجوني من الـزورق مباشـرة إلى سيارة إسعـاف قد تم تمويه زجاجهـا بالوحول وصـار داخلهـا مظلمًا. كانت خضّـة قويّة كفيلة بـأن أغيب عن الوعي وخضّـة أخرى توقظنـي مجدّدًا، حتـى وصلنـا إلى مستشفى «فاطمة الزهراء» الميداني وهو عنبر كبير ذو تجهيزات طبية جيدة.

هنـاك شكّلوا لي ملـف إصابة، أخذوا منـي أغراضي ليعيدوها لي فيمـا بعد، وألبسوني لباس المستشفى. وقـع نظري على ساعة «محمد قمصـري»، فتذكرتـه وناجيت في سرّي: يا إلهـي، ترى هل محمد الآن سـالم أو جريح؟ لعل نصيبه الشهادة! مـا كانت أجمل رائحته في تلك الليلـة! قلت وقلـت.. ودعوت في قلبي بأن يعـود كل الشباب سالمين وأن يكون البعثيون قد انهزموا وانتصرنا في هذه العمليات.

نقلـوني بعدها من المستشفى الميداني في «آبـادان» إلى الأهواز؛ في الرابـع والعشرين من بهمـن (13 شباط) كنـت في مستشفى الشهيد بقائـي في الأهـواز، في صالـة كبيرة مليئـة بالجرحى. هنـاك التقيت بمعـاون الفصيـل – الأخ حسين فياض- الذي كانـت عظام ساقه قد تكسّرت. سلّمت عليه وسألته عن أحواله من بعيد.

أفقـت مـن غيبوبتي على صـوت هدير محرك طائـرة «سي 130»، هناك في أعـالي السماء كانت أبواب الطائرة الخلفية مفتوحة وصوت المحـركات والمراوح يصـم الآذان. كان للسماء منظر مختلف وانطباع آخر؛ بعين واحدة مبصرة انجذبتُ لجمال السماء حتى تمكّنت الأدوية المسكّنة منّي مجددًا؛ فأطبقت أجفاني وغفوت. حتى ذلك الوقت كنت

أؤدي الصلاة فقط بقول «الله أكبر» في قلبي. قلت في نفسي: يا إلهي، اقبل مني هذا القليل ثم غفوت مجددًا.

استيقظت في مستشفى؛ إنّه مستشفى الإمام الرضا عليه السلام في مشهد. كان السكون مخيّمًا على الممرّ. كان الممرّضون مشغولين بمعالجة وتفحّص جراحات وجهي ورقبتي وعيني وأذني. أخرج أحدهم قطعة معدنية، ولعلها كانت شظية قنبلة كبيرة أو شظية «بلاتين» من تحت الجلد ورماها في وعاء معدني. ما زال صوت رنين ارتطامها بذلك الوعاء يتردّد في أذني حتى الآن! هذه الشظية جاءت لتؤكد بأن إصابتي لم تكن ناتجة من شهب نار الآر بي جي الخلفي فقط؛ ولكن لم نعرف نوع هذه الشظية.

بعد شروق شمس يوم الخامس والعشرين من «بهمن» (14 شباط)، تمّ نقلي إلى قسم العيون في المستشفى. كان الصمت المطبق في المستشفى يؤذيني، وكذلك صوت اصطكاك دواليب سريري مع الأرض.

حين استقررت، طلبت وعاءً للتبول. كان قد مضى عليّ حوالي ثلاثين ساعة لم أذهب خلالها لدورة المياه. حين صليت الصبح، قالت لي إحدى الممرضات:

- يا أخي، ألا تريد أن تخبر عائلتك بإصابتك؟ أعطني رقم هاتفكم لأطلبه لكم.

فكّرت قليلًا ثم قلت لها:

- كلا يا أختي، لا أريد أن أزعج أحدًا.

لكنّ الممرضة أصرت عليّ بأن أخبر أحدًا من معارفي.

حينها أعطيتها رقم صديق كنت قد تآخيت معه، كان الوقت

باكـرًا وغير مناسب للاتصال، غفوتُ مجددًا. كنت لا أزال نائمًا حين اتصلـت الممرضة بصديقي وأخبرته بإصابتـي. جاء الطبيب لمعاينتي عنـد الظهر، استيقظت من نومي، بعد الفحص قرر أنه يجب إدخالي إلى غرفـة العمليات لإجراء عملية عاجلة. في اليوم التالي تم تخديري بشكل كامل. بعد العملية جاء الطبيب وقال لي:

– مـاذا فعلـت بوجهـك ورقبتك؟ أرهقتنـي حتى سحبـت كل هذا الوحل والدم من جسمك.

رويـتُ له قصـة إصابتي وكيـف سقطت على الأرض الموحلة فكان يواسينـي بلهجته الخراسانية ويقـول لي إنّ بصري سيعـود إلى عيني المصابـة. تذكرت كلام «علي شهبازي» في كوخ الإسعافات وتطمينه لي أيضًا.

بعـد الظهر، رأيت أخي الأكـبر ووالدتي قد دخلا فجأة إلى غرفتي في المستشفى! أين طهران من مشهد؟ وبالأصل كيف عرفوا بأني جريح هنا؟ اختلطت عليّ مشاعر الصدمة والفرح.

ماذا أريد أكثر من هذا؟ لم أكن قد رأيتهم منذ ثلاثة أشهر والآن وقد جُرحت، لا يوجد دواء أفضل من رؤية الأهل. عندما عانقتني أمي قبّلتْ وجهي وضمّتني إلى حضنها شعرت بأني طفل صغير وهو بأمسّ الحاجة إلى حضن أمه. تركت نفسي في حضنها وغمرني الرضى والسرور.

تلك الليلة كانت ليلـة مفعمة بالهدوء فقد زرت حرم الإمام الثامن والتقيـت بأمـي وأخـي، نمت ليلتها براحـة لم أكن قد ذقتهـا منذ بدأ التحضـير للعمليات وشوق المشاركة فيها وحتى ذلك اليوم. بعد يومين مـن تلك الليلة كانت ليلة الجمعة، وقد أخـذوا الجرحى لزيارة الإمام الرضا عليه السلام. رجوتهم مجدّدًا بإصرار حتى أخذوني مرة أخرى، قالت

لي الممرضة: «يا أخي، اترك الجرحى الآخرين يزورون ليصل الدور للجميع».

- أنا لم يعد لدي كيس مصل ولا أريد الجلوس في الباص. أَذهبُ واقفًا.

ذهبتُ لزيارة الإمام مرة أخرى، شعرت بالراحة أكثر فأكثر.

وجدتُ الإمام يواسيني ويقوّيني، فعاهدته قائلًا: «إذا شفعتَ لي عند الله فوهبني الشفاء والقوة، سأرجع للجبهة مجددًا وألتحق بالخدمة».

كان الحرم مزدحمًا أكثر من المرة السابقة، وكان الزوار يطلقون الصلوات على محمد وآله بمجرد أن يرونا ويَدّعون لنا بالشفاء والنصر.

في أحد الأيام، التقيت في المستشفى صدفةً بـ«علي بي بي جان» الذي كان مساعد رامي وقد أصيبت عيناه، فسلّمنا على بعضنا البعض بحرارة، وجلسنا نسترجع ذكرياتنا بفرح وسرور. كان قد جُرح في تلك الليلة نفسها، حيث سبقني بمئات الأمتار وسقط جريحًا بين جحافل الدبابات العراقية، وقد روى لي قصصًا عجيبة لا تُصدّق حدثت معهم في تلك الليلة، ولكن حتى الآن لم ينقل لي أي خبر عن «محمد قمصري»، كان قد انفصل عنه في أول تلك الليلة وعند بدء الهجوم.

صباح اليوم التالي، غادرتُ المستشفى بعد توديع «بي بي جان» والجريح المجاور لي في غرفتي، الذي فقد بصره نهائيًا؛ وهو فتى تعبوي في السادسة عشرة من العمر، وقد جُرح خلال مشاركته في عمليات في جزيرة أم الرصاص.

صعدت إلى الطائرة وحدي؛ لم أكن أعلم بأن أمي وأخي هما أيضًا

على متن الطائرة نفسها. عندما وصلت إلى البيت كانا في استقبالي. أوصلتني سيارة الإسعاف التابعة للجنة إخلاء الجرحى من مطار «مهر آباد- طهران» إلى المنزل: شارع بيروزي (الانتصار)، شارع القوة الجوية الفرعي الخامس، ...

أمام الباب، انتابني شعور عجيب، خرجتُ من هذا المنزل في الخريف الماضي بكامل صحتي وها أنا أعود في أواخر «بهمن» (20شباط) جريحًا. كنت أستشعر الرجولة والنخوة في داخلي، لقد كبرتُ وخطوت للأمام في سبيل الدين والوطن وجُرحت في هذا الطريق.

كان الجميع بانتظاري داخل البيت، هبّوا لاستقبالي عندما قرعت جرس الباب، كان أبي أول من احتضنني وعانقني، خجلتُ كثيرًا لأنه قام لاستقبالي، وخيرًا فعل حين استمع لكلام أمي ولم يذهب إلى مشهد، وإلا لكنت ذبت من الخجل! ارتفعت معنوياتي كثيرًا عند رؤية الأهل والأحبّة، واستعدت روحيتي وحيويتي. كنت أنظر إلى الجدران والأبواب وإلى كل شيء بنظرة جديدة مختلفة. كذلك إخوتي وأخواتي، كانوا يظهرون محبتهم وحنانهم بشكل آخر.

تابعتُ معالجة عيني وأذني في طهران؛ أجريتُ فحوصات وتحاليل كثيرة ومتنوعة ولم تستقر آراء الأطباء على رأي واحد! بعضهم طلب عملية جراحية، ولكن متى وأين؟ لم يكن هناك جواب موحّد، أحدهم قال يجب إرساله إلى خارج البلاد. وقال أحدهم إنّ الوقت لا يهم ويمكن إجراء العملية هنا في إيران. أما أحدهم فكان يرى أنه لا فرق إن كانت العملية الآن أو في المستقبل، سواء في إيران أو في الخارج، لأن بصري لن يعود لتلك العين أبدًا!

لم تكن زاوية رؤيتي من عيني اليسرى كافية! كنت أضطر لأن أدير

رأسي كلّه إلى اليمين كي أرى الأشياء في تلك الجهة. كانت رقبتي تؤلمني وأتعب من الالتفات أحيانًا؛ أصطدم بالمارة على الرصيف فأعتذر منهم وأتابع المسير.

أخبار عمليات «فتح الفاو» كانت تتوالى باستمرار على الإذاعة والتلفاز، فكنت أتابعها بشوق ولهفة. وكانت تختلف عن كل العمليات السابقة بالنسبة لي، كنت أعتبر نفسي شريكًا في هذه العمليات. ما زلت أتابع العلاج، لم تصل جهودي ومحاولتي للسفر إلى الخارج للعلاج إلى أي نتيجة؛ وبشكل تدريجي بدأت أتعوّد على الحياة بعين واحدة.

في منتصف شهر آذار 1986م رأيت «حسين كلستاني» في صلاة الجمعة، كان قد جُرح أيضًا ويمشي مستعينًا بعصا. وقد خرج من المستشفى للمشاركة في الصلاة ومن ثم العودة للعلاج. تعانقنا وقبّلنا بعضنا البعض، قال حسين:

– جواد، أخي كنت مساعدي فكيف تركتني وحيدًا في ليلة الهجوم؟ حين ذهبتَ أنتَ أصبتُ في قدمي.

– أخ حسين، لم تصل قوة العدو إلى عظام قدمك، أنت كنت رئيسي ومسؤولي، فأين كنتَ حين أصبتُ أنا في عيني؟!

بعد المزاح والضحك، أخبرته بكل ما حدث لي في تلك الليلة.. فاقتنع بأني قمت بالواجب بتلبية طلب مسؤول السرية، وأن عملي صحيح فلم يعد عاتبًا عليّ.

التقيت بالشباب، ومعهم وصلني خبر شهادة «محمد قمصري»، ذهبت لزيارة ضريحه في «بهشت زهراء». كان شاهد قبره مثله تفوح منه رائحة الورد وأريج الأزهار. كذلك كان السيد «حسن رضي»

و«علـي قابل» قـد استشهدا. قال الشباب إنّ «علـي شهبازي» قد وصل إلى محمـد بعد إصابته وأرسله على حمالة إلى الخلف، كذلك رووا أنّ الرصاصـات والشظايا، مزّقت شرايينه، وقـد استشهد في تلك الليلة من شدة النزيف. قال بعضهم بأنه وصل إلى المستشفى الميداني وحتى إلى الأهـواز ثم استشهـد هناك، وحكى الذين كانـوا في مراسم دفنه وتشييعـه بأنهم قد عطّروه بعطر «كاشان» بعد تغسيله وقبل دفنه، كان العطر يفوح ويملأ الأجواء قرب ضريحه.

كان زمـان نقاهتي واستراحتي الذي حدّده الأطباء قد شارف على نهايتـه، ولم أقم بشيء للعلاج النهائي لعيني. كانت الضمادة البيضاء لا تفـارق وجهي. لا أعرف ماذا حدث؛ اتخذتُ قرارًا مفاجئًا بالذهاب إلى الجبهـة. حـين أفصحتُ عن نيتي هذه لأمي ومـن ثم لأبي، ترددا قليلًا، ثم اضطرا للقبول بعد إصراري الشديد.

حملتُ التقرير الطبي وركبت قطار «انديمشك» من محطة السكك الحديديـة متجهًا نحو «دوكوهه». إنها الأيـام الأخيرة لشهر فروردين 1365هـ ش (منتصف نيسان 1986م) لم تكن القوات موجودة في مبنى كتيبة «حمزة». كان الشباب في مهمة دفاعية. ذهبت مع شباب التجهيز والدعم إلى الخط الدفاعي على جادة «الفاو- أم القصر». قضينا ليلة في مخيّم «أروند كنار». في صباح اليوم التالي، التقيتُ بـ«هادي قيّومي» الذي كان مسؤول السرية الثانية، قلت له إنّي من أفراد الفصيل الأول، وإنّ استراحتي العلاجية قد انتهت وأتيت للالتحاق بالفصيل. قال لي:

- الفصيـل الأول موجـود حاليًـا في مـكان لا يمكن الوصـول إليه، الأفضل أن تلتحق بالفصيل الثالث.

لم أقبـل بهذا الاقتراح، كنت مصرًا على الالتحاق بالفصيل الأول، حين رأى عنادي وإصراري على موقفي، رضخ للأمر الواقع وقال:

- لا بأس.

بعد ساعة، كنتُ أسير على تلك الجادة الدامية المليئة بالأخطار والمغامرات؛ هناك وأنا أنظر إليها، تداعت في ذهني ألف ذكرى وذكرى. لم أكن لأصدق أنني هنا مجدّدًا؛ هذه الجادة التي لا شيء منها الآن يشبه ما كانت عليه منذ شهرين؛ لا يوجد أي أثر للإسفلت! وكأنّ أحدهم جاء وفلح تلك الجادة. تذكّرت الطبيب وكلامه. من أين له أن يعرف بأنني قد رجعت وبعين واحدة إلى المكان الذي جرحت فيه.

لم يكن قد بقي من الفصيل الأول سوى اسمه. لم يكن هناك أحد من شباب الفصيل الذين أعرفهم. لم يرجع سواي! كنت الوحيد ورجعت كي أرى إن كان بقي أحدٌ من جرحى الفصيل لنتابع معًا ونستعيد ذكرياتنا الماضية. لعلّ عنادي هو الذي دفعني للرجوع، كي أثبت أني ما زلت حيًا! ها أنا صامد أتابع القتال في هذا الطريق.

منتصف ليل التاسع عشر من نيسان، شنّ العراقيّون هجومًا مباغتًا، ضربوا خط الدشم المزدوجة. حين وقع الهجوم، كنت في قناة الخط الأمامية التي تمتد على مسافة مئتي متر، ومنها خمسون مترًا بلا عمق، كان الشباب يعبرونها زحفًا. بعد وقت قصير من الاشتباك نَفَدَتْ الذخيرة، تمّ تكليفي أنا وثلاثة شباب بتأمين الذخيرة من الجهة الأخرى للجادة.

عبرنا القناة ركضًا خافضي الرؤوس وزحفًا أحيانًا أخرى، حتى وصلنا إلى خندق الذخيرة في جادة «أم القصر»، حملت أنا جُعْبَتَيَ رصاص تزن كل منهما حوالي سبعة كيلوغرامات، وانطلقنا راجعين. دخل رفاقي القناة وركضت أنا خلفهم؛ لكني شعرت بالتعب بسرعة لم أعد أتمتع بالطاقة والصحة كما كنت قبل شهرين. كنت أرتطم

باستمـرار بجوانب الخنـدق أو أتعثّر بالأشياء علـى أرض القناة. كان نَفَسـي ينقطع بسرعـة، تقدّم رفاقي وبقيت في الخلـف. كنت أستطيع أن أناديهـم، ولكن لم أفعل. كنـت أعلم أن المقاتلين ينتظرون الذخيرة بفارغ الصبر والخطر!

وصلـتُ حامـلًا الجعبتـين إلى المنطقة غـير العميقـة في الخندق. كانـت طلقات الرصاص تنهمر وتصفر حول رأسـي وجسدي. تابعت زحفًـا للأمام. كنت أستريح أحيانًا في الحفـر التي أحدثتها القذائف ثم أتابـع، وأحيانًا أضطر إلى سحب الجعب على الأرض. كان قد بقي مـن الطريـق نصفها حين فقدت كل طاقتي. كنـت داخل حفرة كبيرة من آثار القصف، أحاول أن أفكّر بحلّ مشكلتي. وجدتُ شريطًا أبيض مـن أشرطة المعبر، أخذته فربطت طرفه بالجعبتـين والطرف الآخر بخصري. صـرت أزحف على الأرض ساحبًـا الذخائر ورائي. وصلت إلى القسـم العميـق ومن ثم إلى مكان الشبـاب. في تلك الليلة، كررت هـذا المسير مرات عديدة لإيصـال العتاد إلى الشبـاب؛ كانت تجربة مختلفـة ومخاطر جديدة كل مرة. في وقـت السحر، تمكّن شبابنا من أسر بضعة جنود عراقيين.

وكانـت الحرب المفروضة حربًا ضخمـة وطويلة. استمرت لسنوات وسنـوات. ذهبـت خلالها إلى الجبهة مرات عديـدة وشاركت في عدد من العمليات. ما بقي لي من الحرب هو كتابات الشهداء الذين سجّلوا لي كلمـات للذكـرى على دفتري. أعتبرهـا قيّمة جـدًّا. وكذلك ساعة يـد الشهيد قمصري، كانت تذكرني بـه وبجميع الأصدقاء المحبوبين. حين ذكرت لحسين كلستـاني قصّة الساعة قال لي بأنه هو أيضًا أخذ قميصًـا مـن «مهدي كبـير زاده» للذكرى. كنّا نُسرّ ونفـرح برؤية هذه الأشيـاء ونستعيد ذكرياتنا التـي نُحدّث بها الأصدقـاء والأقارب من

وقـت لآخـر؛ البعض منهم لا يُظهـر أي رغبة في الاستمـاع لها! ولكني أتحدث وأعيد أخبارها. حين كنت لا أزال فتى صغيرًا، كان أبي يحدثنا عن ذكريات حرب الغابات، وعن قيمة الحياة بعزّة وشرف. وماذا فعل هو في رحلة الفتوة والشباب لتحقيق هذا الهدف و...

والآن، هـا أنـا أحمل ذكريـات من هذه الحرب التـي سجّلت نقطة تحـوّل في التاريـخ المعاصـر، ولديّ مـن الدروس مـا أقولـه للأجيال القادمة.

الآن أفهم جيدًا لماذا كان أبي يصرّ علينا ويرغب بشدة في أن نجلس حوله ونستمع إليه متحدثًا عن ذكريات الحرب.

والآن أرغب ومن صميم قلبي في أن يجلس الجميع حولنا ليستمعوا بكل اهتمام وشغف إلى ذكريات حربنا لتبقى إيران ويبقى الإيمان.

وثائق الفصل السابع

الرقم	الاسم والشهرة	الوثائق المكتوبة	الصور	الوثائق غير المكتوبة
1	محمّد جواد نصيري بور	113	11	235 دقيقة حوار
2	الشهيد محمّد قمصري	28	11	55 دقيقة بصوت الشهيد و95 دقيقة حوار مع العائلة

من مجموع وثائق ومستندات الفصل، أُدرجت في هذا القسم 18 ورقة كوثيقة مكتوبة، و7 صور:

1- محمّد جواد نصيري بور

1-1 المعلومات الشخصية

- بكالوريا فنّيّة، متأهّل وله ولدان، موظّف في شركة دانا للتأمين.
- تاريخ ومحلّ الولادة: طهران 1344 (1965).
- مدّة الحضور في الجبهة ونوعيّة المشاركة [الصفة]: 32 شهرًا

كمتطوّع في التعبئة.

- العمليّات التي شارك فيها والرتبة العسكريّة: خوزستان 1984 (الاتّصالات)، مهمّة دفاعيّة في مهران، 1985 (مساعد رامي آر بي جي)، عمليّات والفجر 8 (مساعد رامي آر بي جي)، مهمّة دفاعيّة في الفاو (مساعد رامي آر بي جي)، عمليّات كربلاء 1 (مساعد رامي آر بي جي)، عمليّات كربلاء 5 (مساعد را ... ر 7 (مساعد رامي آر بي جي)، عمليّات بيت ...).

اليه ... ض

لع ... قبته ... ابة

في ... لتا

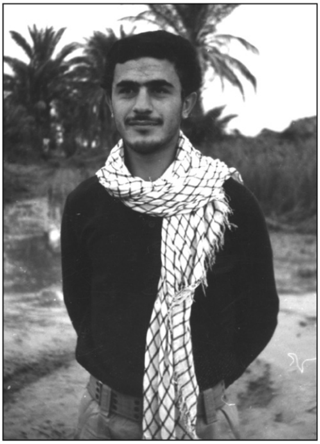

الـ

5

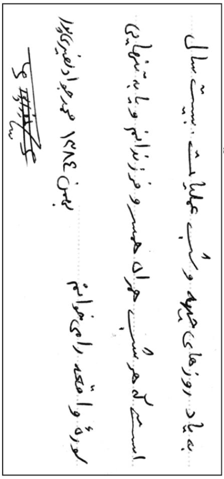

3-1 الكلام الأخير

4- الرسائل

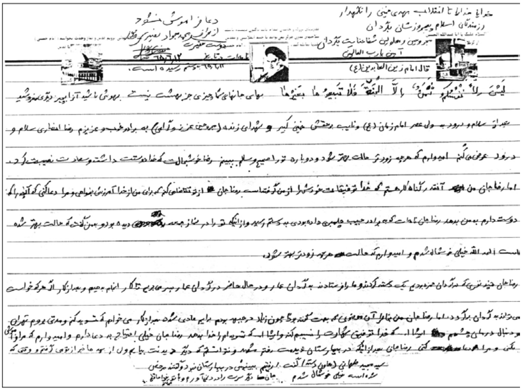

خدایا خدایا تا انقلاب مهدی خمینی را نگهدار
رزمندگان اسلام پیروزشان بگردان
مجروحین و معلولین شفا عنایت بگردان
آمین یا رب العالمین
قال امام زین العابدین (ع)
دعا فراموش نشود
از طرف محمد جواد نصیری پور
مسئول دوست عزیز
۶۵/۶/۱۲

لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةُ فَلَا تَبِيعُوهَا بِغَيْرِهَا بهای جانهای شما چیزی جز بهشت نیست بهوش باشید آن را بغیر دیگری نفروشید

بعد از سلام و درود به ولی عصر امام زمان (ع) و نایب برحقش خمینی کبیر و شهدای زنده (مجروحین عزیز و آنان) به برادر خوب و عزیزم رضا انصاری سلام و درود عرض می‌کنم امیدوارم که هر چه زودتر حالت بهتر شود و دوباره تو را صحیح و سالم ببینم رضا خوشبحالت که خدا دوستت داشت و سعادت نصیبت کرد

اما رضا جان من آنقدر گناهکار هستم که خدا توفیقات خودش را از من گرفته است رضا جان از تو تقاضا می‌کنم که برای من از خدا آمرزش بخواهی و مرا دعا کنی که آنچه را که دوست دارم به من بدهد رضا جان ...

الحمد الله خیلی خوشحال شدم و امیدوارم که حالت هر چه زودتر بهتر شود.

الوثيقة رقم 78

(رسالة نصيري بور إلى أنصاري)

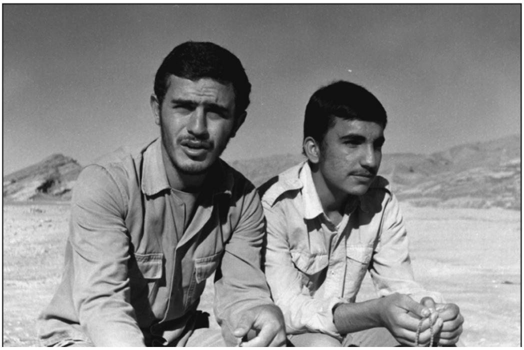

الصورة رقم 55 من اليسار: محمّد جواد نصيري بور، رضا أنصاري

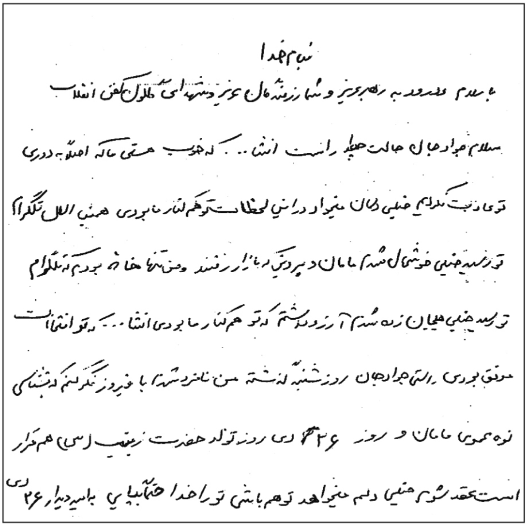

بنام خدا

با سلام و درود به رهبر عزیز و شما رزمندگان عزیز و شهدای گلگون کفن انقلاب

سلام جواد جان حالت چطور است انشاء... که خوب هستی ما که الحمدلله در دوری

تو را نمی‌توانیم خیلی دلمان می‌خواد در این لحظات تو هم کنار ما بودی همین الان نگرانت

تو رسید خیلی خوشحال شدم مامان دیروز با بابا رفتند و من تنها خانه بودم که تلگرام

تو رسید خیلی هیجان زده شدم آرزو داشتم که تو هم کنار ما بودی انشاء... که تو امتحانات

موفق بودی راستی جواد جان روز شنبه گذشته من ناخن شدم با فیروز نگرانم که شناسی

نوه عموی مامان و روز ۲۶ دی روز تولد حضرت زینب (س) هم قرار

است عقد شود خیلی دلم میخواهد تو هم باشی تو را خدا حتماً بیایی با سپید دیدار ۲۶ دی

الوثيقة رقم 79:

(رسالة إلى

جواد نصير بور من أخته)

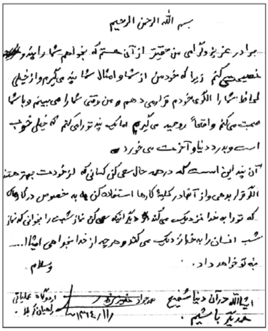

بسم الله الرحمن الرحيم

برادر عزیز و گرامی من حقیر از آن هستم که بخواهم شما را پند و نصیحت کنم زیرا که خودمن از شما و امثال شما پند می‌گیرم و از خیلی لحاظ شما را الگوی خودم قرار می‌دهم و من وقتی شما را می‌بینم و با شما صحبت می‌کنم واقعاً روحیه می‌گیرم اما یک پند تو را می‌گم که خیلی خوب است و به درد دنیا و آخرت می‌خورد

آن پند این است که در همه حال سعی کن کسانی که از خودت بهتر هستند الگو قرار بدهی و از آنها در کلیه کارها استفاده کنی به خصوص در کارهایی که تو را به خدا نزدیک می‌کند دیگر اینکه سعی کن نماز شب را بخوانی که نماز شب انسان را به خدا نزدیک می‌کند و هرچه از خدا بخواهی ان‌شاءالله به تو خواهد داد.

والسلام

ان‌شاءالله در آن دنیا شفیع همدیگر باشیم.

۱۳۶۴/۱۱/

اردوگاه عملیاتی راهیان کربلا

5-1 مذكّرات مكتوبة

1-5-1 دفتر حسن أعلايي نيا

الوثيقة رقم 80

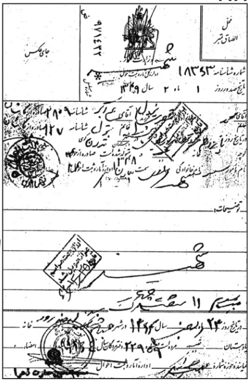

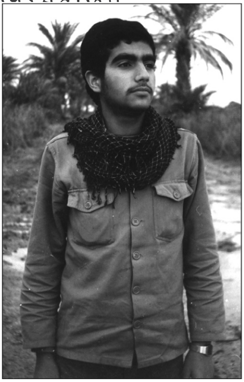

2- الش

2-1 ال

ن)

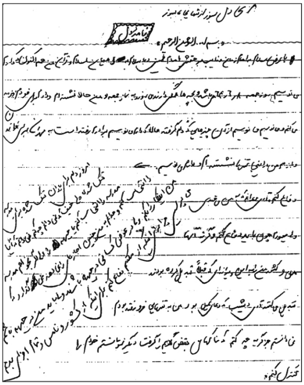

2-2 ملاحظات

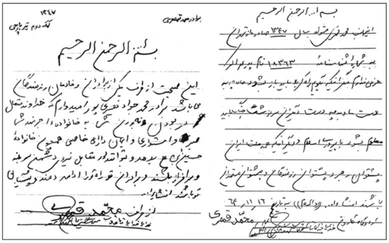

الوثيقة رقم 82

بري بور

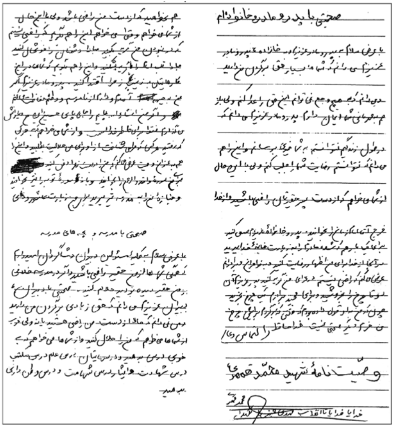

5-2 **الوصيّة**

الوثيقة

(أربع ص

الصورة رقم 57

من اليسار
الأوّل والثالث:
محمّد قمصري،
علي بي بي جاني

6-2 مقابلة مع أخي الشهيد

كان أخي «محمد» في طفولته نشيطًا حيويًا مفعمًا بالحركة. لم يظهر رغبته بالدرس والمدرسة، لكنه كان ماهرًا جدًّا في لعبة «كرة الطاولة»، وقيادة الدراجات الهوائية وكرة القدم. وعلى الرغم من أنه كان أعسر اليد، إلاّ أنه كان يفوز غالبًا في مباريات «كرة الطاولة». وكذلك في «كرة القدم» كان يركل الطابة بقدمه اليسرى بشكل احترافي. سرق لص دراجته الهوائية، ولكنّ أبي عاد فاشترى له دراجة غيرها.

التحقتُ أنا في العام 1981م بالجبهة. كان «محمد» يطلب مني باستمرار أن أحدثه عن ذكريات الجبهة ومغامراتها، وقد حدثته مطولًا عن مشاركتي في المعارك وكيفية إصابتي. نحن لدينا أيضًا أخ جريح آخر أصيب في العام 1984م.

كان محمد غالبًا ما يعطّر نفسه بعطور «قمصر كاشتان» التي كانت متوافرة في المنزل باستمرار. في العام 1985 ورغم مشاركته على الجبهات، إلاّ أنه عاد فتعلّقَ بالدرس وطَلَبِ العلم، وهذا ما أثار تعجبي.

كنت في تلك الأيام أخدم في وحدة الهندسة في «الفرقة 27 محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حين زرته في موقعنا إحدى المرات، فهمتُ سر هذه العلاقة الجديدة والقويّة بالدرس! أكثر الشباب في فصيلهم كانوا من الطلاب والمتابعين في المجمع التعليمي للمقاتلين.

حتى إنّ فصيلهم كان يضمّ معلّمين أيضًا.

آخر مرّة جاء فيها «محمد» إلى المنزل، كان في مراسم زواج أخينا «حميد». فرح الجميع بحضوره. شارك في التهاني، ولكنه لم يحضر عند إجراء العقد، سألته: «لماذا لم تأتِ؟»، قال: لأن المائدة كان عليها بصل فلم أحضر!

تهرب من الإجابة عن سؤالي يومها بالمزاح والضحك؛ لكن بعد شهادته وجدنا شريط كاسيت كان قد سجلّه في نفس وقت المراسم، سجّل عليه وصيته وزيارة عاشوراء أيضًا.

في ليلة العمليات، التي أصيب فيها، نقلوه إلى مستشفى «الأهواز»، لكنه لم يرغب بإخبار العائلة بإصابته، وكأنه كان ينوي الرجوع من المستشفى للجبهة فورًا؛ الأمر الذي طالما فعله التعبويون. ولكنه بسبب شدة جراحه ونزيف دمائه، نال مقام الشهادة.

عند استشهاده كان يضع خاتمي وساعة ليست له، تمّ غسل جثمانه وتكفينه وتشييعه يوم 1364/11/29 هـ. ش (شباط 1986م).

كان يبلغ من العمر السادسة عشرة عند استشهاده، وُلد في شهر «مهر» [تشرين الأول 1969]، ولبّى نداء الـ

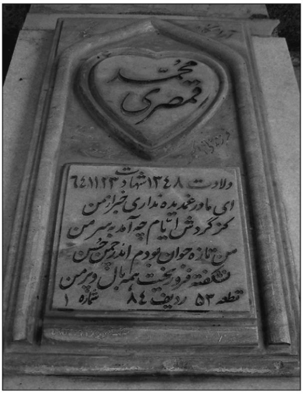

الراوي: علي بي بي جاني

التشكيل: مساعد أول لرامي رشاش، المجموعة الثانية

تاريخ ومكان أول مقابلة: 1371هـ ش (1992)، طهران

الفصل الثامن

الظلال

نحن أربعة إخوة، وأنا الصبي الأصغر بينهم. في الثانية عشرة من عمري بدأت الحرب. كنا نعيش في طهران. قبل الحرب، أحببتُ أن أصبح عسكريًا حين أكبر. فكّرت أن أعمل كوالدي في نسج الجوارب، وكذلك كلما رأيت جنديًا في الشارع كنت أشعر باحترام كبير له في قلبي. رسمت في خيالي مستقبلاً أكونُ فيه جنديًا قبل الظهر، وأعمل في مصنع نسج الجوارب بعد الظهر!

أحببت الدرس والمدرسة، وكذلك كنت ماهرًا في الأشغال اليدوية. صنعت مرة من دينامو الدراجة الهوائية المحترق شيئًا يشبه آلة «السنتور الموسيقية». ولا يزال صدى أنغامها العذبة يتردد في أذني حتى الآن.

كنت أحبّ بعض الأساتذة؛ المهن والفنون، العلوم والآداب، والتاريخ ولكني لم أحب بعض الأساتذة أو موادهم.. كالرياضيات مثلاً.

ما بقي في مخيّلتي من السنوات الأولى للحرب (1980–1981) مجرّد ظلال باهتة ألوانها. كنت لا أزال في أجواء ما بين الطفولة والفتوة الأولى. لكن صيف 1982 كان له وقع آخر. فقد أخذني أخي، الذي كان يتولى مسؤولية كبيرة في الجيش، معه إلى «خوزستان» وجبهة «عين خوش» حيث تحققت هناك أمنيتي التي حلمتُ بها منذ سنوات. كنت حينها في الرابعة عشرة من عمري، وتعرفت إلى خط التماس والخندق، وأنواع الأسلحة والقنابل، وكنت أحيانًا أدخل إلى دشمة القيادة وأستمتع بصوت جهاز اللاسلكي.

رجعت في آخر الصيف إلى طهران، لكي أقدّم امتحانات الإكمال. بعد أيام معدودة في أيلول 1982م استشهد أخي في جبهة «عين خوش» نفسها وعم الحزن والحداد منزلنا. ضعفتْ رغبتي بالدرس والمدرسة. أمضيتُ العام الدراسي (82–83م) بصعوبة بالغة ونجاح بسيط.

في العام 1984م اتخذت قراري الحاسم بالالتحاق بالجبهة في تلك الأيام، كان أحد إخوتي يخدم في الجبهة أيضًا. أخذتُ ورقة الموافقة من أبي وذهبت وسجّلت اسمي في مقرّ التعبئة، وبعد فترة وصلتني رسالة من المقر بأن أستعد للالتحاق في دورة تدريبية في التاريخ الفلاني.

أمام مدخل ثكنة التدريب، كان يقف عسكري طويل القامة منعني من الدخول قائلًا: «لا تزال صغير السن، لا يمكنك الالتحاق!»

تصبّب العرق باردًا على جبيني. قرأت له مجالس العزاء. لكن لم تنزل له أي دمعة من عينه! .. خطر في بالي أن أقفز عن الحائط متجاوزًا الأسلاك الشائكة، ولكن هيهات.. العملية شبه مستحيلة! انتظرت بعيدًا، بعد لحظات ابتعد الجندي من أمام المدخل، قررت أن أقذف قلبي بالبحر وأجرّب حظي وليحصل ما يحصل! عبرْتُ الخانة الأولى بنجاح. ما فهمته بأن ذلك الحارس قد تعمّد الذهاب قليلًا كي

أتمكـن من الدخول، فقلت لــه «تحياتي المخلصة لك يـا أخي، أجرك على الإمام الحسين» ودعوت له من قلبي أن يستشهد.

وقفـتُ مع حشود الشباب القادمين للدورة التدريبية. قيل إنّ ممثل الإمـام يخطب الآن في الشبـاب، ذلك الخطيب نفســه تقدّم من أحد الفتيـان الذي يبدو صغـير السن وأخذه جانبًا! عـاد قلبي يخفق رعبًا مرة أخرى. إنها الخانة الثانية! سألتُ شابًّا بجانبي: - هل هذا الشيخ هو ممثل الإمام حقًّا؟!

هزّ برأسه وقال:

- لا أعلم، عندنا يقولون عن كل شيخ معمّم بأنه ممثل للإمام، لعلّه هكذا..

خطـر ببـالي أن أخفي نفسي بين الجموع. يجـب أن أذهب للجبهة مهمـا حصـل، ولعـل الانتقـام لأخـي -بالحـد الأدنـى- كان يدفعني ويحركني للأمام.

وعلـى الرغم أن قامتي طويلة وجسمي ضخم، إلا أنّ وجهي الناعم والأجرد من اللحية كان يوحي بالطفولة.

كان «صاحبنـا» يتقـدم بـين الصف ويأخـذ بعض الفتيـان جانبًا. هَجَمَـتْ آلاف الأفكار علـى ذهني؛ لا شأن لي الآن بفنون إلقاء القنابل والرمـي بالكلاشنكـوف؛ .. لكن كيف يتجـرأون على هـؤلاء الفتيان؛ فنحن تركنا درسنا وحياتنا وتوجهنا لساحات الخطر دفاعًا عن الدين والوطن.

وَيْحَهم ماذا يفعلون بنا!

وقفـتُ مـرارًا على أطـراف أصابع قدمـي واسترقـت النظر لأرى أيـن أصبح ذلك «المختـار» الذي يجول ويدور للفصـل والطرد؟! كنت

أعـود فأخبّئ رأسي بسرعة كي لا يراني. بقيت أهرب وأغيّر مكاني في الصفوف حتى تجاوزت الخانة الثانية بصعوبة بالغة.

بدأت الدورة التدريبيّة الثالثة والأربعين في ثكنة الإمام الحسين عليه السلام في طهران، واكتسبنا فيها، خلال 45 يومًا، مقدارًا كبيرًا من التجارب الجديدة.

في عصـر يوم خميس خريفي، أعطونا مأذونية لمدة أربعة وعشرين ساعـة كي نطلّ علـى أهلنا ونودّعهـم قبيل الالتحـاق بالجبهة. وعلى الرغم من أن أخي قد استشهد، وأخي الآخر في الجبهة، إلا أنّ تصرّف أبي كان منطقيًّا جدًّا، فقال:

- يجب علينا أن ندافع عن ديننا ووطننا..

لكـنّ أمي كانت قلقـة مضطربة. حين نظـرتُ إلى وجهها الحنون، قلت في نفسي: أمي، هنيئًا لكِ على صبرك الكبير!

بعـد إقامـة مراسم خاصـة، تحركنـا بالباص من وكـر التجسس «السفـارة الأميركيـة» إلى «كردستان»، ثم فُرِزنـا إلى ثكنة في «سقز» في ذلـك الشتاء القارس، كان أنفي يتـورّم من شدة الصقيع فلا أعود أشعـر بوجوده أصلًا! كنا نضع يدنا على الحديـد فتلتصق. كان رذاذ الجليـد يلفح الوجوه فيجرحَهـا بقسوته. كان الشتـاء بكل تجلياته هو الحاكم المطلق في تلك المنطقة.

انتهـت مهمتي هناك في شهر شباط 1985م، غادرنا «سقز» وهي لا تزال في أوج صقيعها الشتوي.

بعد الرجوع إلى طهران، كان الالتحاق بالجبهة يشغل ذهني وبالي. لم أعد متحمّسًا للدرس ولا راغبًا بالدراسة. كنت أساعد أبي في بعض الأيام فأشتغل معه على آلات نسج الجوارب.

في شهر تموز 1985م، اشتدّ شوقي وحماستي للجبهة والحرب. هذه المرة لم يكن مطلوبًا ورقة موافقة الأب. انطلقت في تلك الأيام، وكانت مرابطتي هذه المرة في «خوزستان»، حيث التحقت بفرقة «27 محمد رسول الله» (صلى الله عليه وآله) في ثكنة «دوكوهه»، كان أخي الأكبر هناك أيضًا، ظننتُ أن كتيبة المشاة كانت أفضل للخدمة. قال لي أخي:

– هناك مشاق ومصاعب كثيرة في كتيبة المشاة... يوميًّا يوجد تمرين عسكري وصفوف تعليمية ومناورة كل عدة أيام؛ ولكن في ليلة الهجوم والعمليات يمكنك الالتحاق والاشتباك مع البعثيّين، وتصفية الحساب معهم..

وهذا ما اخترته، فالتحقت بكتيبة حمزة، السرية الأولى، الفصيل الأول الذي كان يطلق عليه في تلك الأيام اسم «فصيل الإخلاص»، وجرى تشكيلي مسعفًا لحمل الجرحى. كان «أسد اللهي» مسؤول الفصيل، يعاونه «محسن كلستاني».

في ذلك الوقت، كانت السرية تستعدّ للانتقال إلى خط «مهران» للقيام بمهمّة دفاعية. قضينا كل تلك الدورة في حرارة «مهران» اللاهبة التي تُنضج الرطب. كنت أحيانًا أتذكّر صقيع «كردستان» في ظل تلك الحرارة المرتفعة وأتحسّر طويلًا؛ ليت نسيمًا لطيفًا يهب من كردستان نحونا، وليت قليلًا من الريح الصحراوية الساخنة هنا يصل إلى تلك الجبال الجليدية!

جعلتني أجواء الحرب والبرد والحرّ في هذه المدّة القصيرة، كالثوب البالي! أربعة أشهر من الخريف والشتاء القارس واللباس المتراكم فوق بعضه البعض والارتجاف بردًا تحت اللحاف والبطانية، وها أنا الآن وسط الصحراء اللاهبة والجفاف المحرق، الذي يشوي الجسم كالكباب!

كانت الشمس تُحرق رقابنا بأشعتها الشائكة. فتصبغ بشرة الشباب البيضاء فيستحيلون سُمرًا ثم سُودًا كالفحم!

بعد ظهر أحد الأيام الحـارة، شعرتُ بهبوب نسيم لطيف من جهة العراق، انتبهت كثيرًا وفتحت أنفـي ورئتيّ وتنشقت هذا الهواء العليل بـكل ما استطعت من قوة. بعد عـدّة دقائق ساءت حالي فجأة. شعرت بدوخـة في رأسـي وبدأ نظري يُظلـم. كان جسدي ساخنًـا جدًّا؛ لكني أرتجف من داخلي، كان نَفَسِي يضيق حتى غبت عن الوعي.

عندما وقعـت على الأرض، جاء الشباب وتجمّعوا حولي فورًا. كنت لا أبصر إلا ظلالًا تتحرك حولي. لم أحدّد من هم؛ حملوني ووضعوني داخل سيارة إسعاف. تحركت الإسعاف ببطء في ذلك الطقس الرملي العاصف.

بعدما فحصني الطبيب في هنكار المستوصف، وضعوا لي مصلًا في يدي. كان ضغط دمي قد انخفض فجأة إلى مستوى متدنٍّ؛ كان الطبيب يكرر سؤاله للمسعف الممرض: كيف بقي هذا على قيد الحياة؟!

كنـت أنظـر إلى نقـاط المصل تنـزل واحدة واحـدة، حتى غفوت. عندمـا استيقظت من نومـي، كانت الأجواء خـارج المستوعب لا تزال منـيرة والنهار لم ينتهِ بعـد. النهارات الصيفية طويلـة لا تكاد تعرف الغـروب. قبل مغيـب الشمس كانت حـالي قد تحسّنـت، وخاصة بعد تناول عصير الفاكهة.

قبل أن أغادر المستوصف فهمت بأن ذلك الهواء هو رياح السموم القاتلة؛ وهي رياح استوائية تهب من صحراء السعودية المحرقة، فتقوم بتجفيف جسم الإنسان خلال دقائق وتوقف حركة القلب! في ظروف كهذه يجب على الإنسان أن يستلقي أرضًا ويكتم أنفاسه؛

ولكنني فعلت العكس تمامًا، واستنشقت هذا الهواء بعمق لعلّي أبرّد نفسي قليلًا. كنت قبل تلك الحادثة قد فقدت عدة كيلوغرامات من وزني بسبب قلة الطعام.

حتى الثلج كان يذوب فور توزيعه لنا. لعلّي لو كنت أقوى بقليل لكنت استطعت مقاومة رياح السموم أكثر.

بعد ظهر أحد الأيام، كنت لوحدي في الخندق الأمامي على خط التماس؛ في دشمة واحدة متقدمة جدًّا وقريبة من المواقع العراقية. كانت نوبة حراستي حتى غروب الشمس. قبل دقائق من انتهاء حراستي، سمعت صوت رصاص قريبًا. في البداية احتملت أن يكون تمشيطًا عاديًّا قبل الغروب؛ ولكن بعد لحظات، فُتحت أبواب جهنم! سقطت ثلاث قذائف هاون 120 ملمترًا بالقرب من دشمتي المكشوفة. انبطحت على أرض الدشمة، عندما توقف القصف، رفعت رأسي ونظرت على مستوى الأرض. كان التراب والغبار يملآن الأجواء، ورائحة البارود تخنق الأنفاس. فجأة وصل صوت خافت إلى مسمعي: علي! هل أنت سالم؟ أين أنت.. عزيزي علي..

كان الغبار قد غطّى وجهي وما زال الهواء ترابيًّا حين وصل شباب الفصيل. تفحصوني جيدًا بحثًا عن جرح ما، ولكن لم يعثروا على شيء. كان «غلام رضا نعمتي» أكثرهم قلقًا عليّ؛ رامي الرشاش ذو الوجه البشر المبتسم، والذي كان أسرع من الجميع في التعرف إلى الشباب ومصادقتهم بكل حب وعفوية.

كان «غلام رضا» من مواليد 1968م، في نفس عمري. وجهه طويل وكذلك أنفه، كان شعره ناعمًا ويتدلّى من جانب أذنيه وحتى كتفيه تقريبًا، وشاربه خفيفًا في أول نموّه. كنت أعلم بأنه شارك سابقًا ولعدة

أشهـر من عام 1983م على الجبهـات؛ ولكنه لم يترك الدراسة وطالما شاهدتـه على خط الدفـاع حاملًا الكتب والدفاتـر. بعض الشباب في الصف الثانوي الرابع، كانوا يدرسون للامتحان الرسمي (البكالوريا) على الجبهة أيضًا.

تعيش في صحارى «مهـران» العقـارب والرتيلاء بشـكل كبير. في منتصـف الليل وبعـد رجوعي من دشمة الحراسـة، رأيت رتيلاء برية كبيرة، وقد حلّت ضيفة على دشمتنا!

قتلتهـا فورًا. استيقظ الشبـاب على صوتي وضجّتـي وألقوا «جثة» الرتيـلاء في الخارج؛ ولكن مغامرات تلك الليلة لم تنته عند هذا، فقد خطر على بالي فجأةً خطّة شيطانية.

أخذت عدة بحصات من أرض الدشمة وانتظرت حتى غفت العيون مجددًا. صرت أرمي البحص على الشباب في أنحاء الدشمة. ارتفعت الأصوات: رتيلاء... رتيلاء!

ثم فعلتها بهم ثانية حتى افتضحت خطتي، فأقام لي الشباب حينها «حفلـة البطانية!» ويبدو أني كنت بحاجة لكل هذه الضربات والكفوف والركلات لكي أتمكن من النوم المريح!

بعدها بعدة ليال، وفيما كنت أغطّ في نوم عميق في الدشمة نفسها، ناداني أحدهم صارخًا:

- انهض يا علي.. هيا قم.. خطر!

فتحت عينـيّ.. استطعـت بواسطة نـور المصباح الخافـت والمعلق بالسقـف أن ألمح ظل شبح أسود فـوق صدري، كان عقربًا يتمشّى على صدري ويحرّك ذيله باحثًا عن مكانًا يلسع فيه! ارتفعت حرارتي فجأة، ثم تداركت الأمـر وتجاوزت حال الرعب والاضطراب، قذفت العقرب

جانبًا فقضى عليه الشباب فورًا.

كان الشباب أحيانًا، خلال النهار يطلّون على خرابات مدينة «مهران» القريبة من خط الدفاع. كان شباب فصيلنا أكثر فضولاً وحيوية من باقي الفصائل، بسبب صغر سنهم.

تركنا خط دفاع «مهران» في نهاية شهر مرداد (آب)، وأخذنا مأذونية أسبوع من «دوكوهه» فرجعنا إلى طهران. بعد عودتنا للمرابطة لم نستقر في الثكنة، بل انتقلنا إلى معسكر الفرقة الصيفي في «كوزران» حيث كان الجوّ معتدلاً مائلًا للبرد، فكنّا نتغطّى بالبطانيات عند النوم. نسينا رياح «مهران» الحارة. لم يمض أسبوع هناك حتى طلبتُ مأذونية ليومين، كي أشارك في مراسم الذكرى السنوية لأخي الشهيد؛ أخذت الموافقة من الكتيبة وذهبت إلى طهران ورجعت.

في التشكيل الجديد، كنت هذه المرة مساعد «سعيد بوركريم» رامي الآر بي جي. كنت قد تدرّبت على قاذف الآر بي جي عندما كنا في «كردستان»، والتقطتُ عدة صور «استعراضية» وأنا أصوّب نحو الهدف. والحال أنّ سعيد كان قلّما يسمح لأحد بالاقتراب من القاذف ويقول:

- إن تعطّل زناد قبضة القاذف، فلن ينفع بعدها في شيء.

ولعلّي لو كنت أنا مكانه لقمت بهذا الأمر نفسه!

جاء «شهريور» (آب/أيلول)؛ إنه شهر الامتحانات الدراسية. كانت الكتيبة في حال استراحة، والمسؤولون لا يطلبون مهامّ صعبة من الشباب.

كان «نعمتي» يقضي أغلب أوقاته في الدرس داخل الخيمة أو تحت شجرة البلوط. وقد تَصادَف «شهريور» مع شهر محرم؛ فكان الشباب

بحــال معنوية مميزة. كان «نعمتي» يحفــظ مقطعًا من الشعر، ويكرره أمامنا أحيانًا:

«يــا إلهــي لا تمتنــي في فراشــي

بل وفقنــي لأموت في الخندق في سبيلك

كم أودّ أن أقضي نحبي بين النار والرصاص

بعيــدًا عــن المنــزل وعــن أمــي وأختي

أريــد أن أطهّر أرض إيــران من الأعداء

وأستشهــد في درب الإســلام والحريــة

بعــد أيام من بداية شهر «مهر» (أواخر أيلول) انطلقنا من معسكر «كوزران» نحو ثكنة «دوكوهه». وصلنا إلى هناك في منتصف الليل. كان الجو لا يزال ساخنًا في تلك الساعة، كم يحلو الماء البارد للإنسان!

شهـدَت الأيــام التالية تحــوّلات عديدة في كتيبة «حمــزة»؛ حتى إنّ قائــد الكتيبة قد تبدّل، فصار «محسن كلستــاني» مسؤولنا بدل «أسد اللهي». أعلن القائــد الجديد بأنه على كل من يريد البقاء في الكتيبة، أن يمــدد مرابطته ثلاثة أشهر جديدة. بعضـ التعبويين قاموا بتسوية حسابهم وعادوا إلى طهران، وبعضهم انتقل إلى كتائب أخرى.

حلّت أجواء جديدة في الفصيل الأول تحت قيادة محسن كلستاني. امتــلأ الفصيل بالفتيــان التلاميذ. وبما أننا كنــا في خط «مهران» في الفصيل، صرنــا نُعتبر من «قدامى المحاربــين» وصارت علاقتنا نحن القدامــى أكــثر قــوة وعاطفــة. في أحد الأيــام أخذ «سعيــد بوركريم» مأذونية وذهب إلى مدينة «دزفول»، طلبتُ منه أن يشتري لي مصباحًا يدويًّا، فاشترى لي واحدًا بسعر ثلاثين تومانًا. لم يقبل أن يأخذ المال،

وقال لي إنّه هدية منه، ولكني رفضت.

كنا في الليل ننام بقرب بعضنا البعض. كان أحيانًا يهزّ قدمي بإبهام قدمه ويقول: علي، هل أنت نائم؟ غفوت؟ قم لا تنم!

كان يتمتع بحسّ الدعابة والمزاح اللطيف. أصبحنا صديقين مقرّبين لدرجة أننا أجرينا «مؤاخاة» فيما بيننا.

كان في الثكنة ضفادع كثيرة! كانت أصواتها تسمع من كل حدب وصوب في الليالي الهادئة. كنا نشاكسها فندخل في مسابقة للوثب الطويل معها أو ننافسها بالنقيق حتى يغطّي صوتنا صوتها؛ لنعرف من صوته أجمل وأطول!

تركنا الثكنة في شهر «آبان» (بداية تشرين الأول)، نحو معسكر تدريب العمليات البرمائية «سفينة النجاة» حيث بقينا هناك لفترة، تعلمنا فيها السباحة والغوص وقيادة الزوارق والاستتار و...

كنا جالسين في الخيمة في أحد الأيام، وإذ بـ«علي قابل» يدخل ويعطيني دفترًا كي أكتب له كلامًا للذكرى. تعجّبت من الأمر في البداية؛ لكني عندما رأيت وجهه البريء وضحكته الجميلة، لم أستطع رفض طلبه. أخذت الدفتر الصغير؛ ضغطت كثيرًا على «مخّي» لأتمكن من إبداع عبارات أكتبها له، لكن من دون جدوى! لم يخطر شيء على بالي. لهذا فقد كتبت له:

«بسم الله. أنا «علي بي بي جان» لأني لا أملك أي كلام للذكرى، فقد كتبت هذه الكلمات بخطّي لتبقى للذكرى! الأخ «قابل» هو فتى طيب ومخلص وإسلامي، ويصلّي صلاة الليل، وهو كالورد لطفًا وكماء الورد صفاءً. الساعة الخامسة إلا ربعًا 64/8/17 هـ (8/11/ 1985م).

بعد عدة أيام - كان قلمي قد تحرّر من عقاله واستأنس بالكتابة -

كتبت رسالة إلى الله!

«لا أعلم ماذا أفعل. يا الله، اهدني وعلّمني. إذا أحب الصديق صديقه، فعليه أن يحبه ويبادله الحب من كل قلبه وروحه. أنا أريد الوصول إلى من لا أعرف إن كان يحب أم لا! لا أعلم ماذا أفعل. مهجّر من مكان لآخر. أرجو أن يعين الله من كان مثلي، ويعينني أنا أيضًا.

أحب أن يكون الصديق كالمرآة

يريني عيوبي أمام وجهي

ولا يكون كالمشط يتكلم ورائي

بألف لسان عن كل شعرة وشعرة!

انتهت دورة التدريب البرمائي. أعطونا مأذونية لمدة أسبوع. كنت أقضي نهاراتي في محل أبي. إحدى المرات دخلت صبيّة إلى المحل وأرادت شراء جوارب شفافة، ولأني احتملت أنها تريدها لنفسها وستلبسها أمام الناس من غير المحارم، طلبت منها سعرًا باهظًا حتى خرجت من المحل متعجّبة مستنكرة! لم أرد أن أصبح شريكًا لها في ذنبها المحتمل.

أيام المأذونيّة، كانت أمي تحضر لي كل يوم على الفطور صحن عسل. من شدّة حبي للعسل، أطلقوا عليّ لقب «بانزي»، وهو دب في الصور المتحركة كان يعشق العسل ويتمتع بجسم قوي. في أحد أيام العطلة أيضًا. ذهبت مع أخي وأخواتي البنات إلى السينما. شاهدنا فيلم «الذئب التائه»، وهو قصة مقاتل «ساموراي» يريد الانتقام لزوجته التي قتلتها عصابة من الأشرار.

كذلك ذهبنا مرّة إلى «بهشت زهراء» وزرنا ضريح أخي الشهيد. كنت أفكر بيني وبين نفسي؛ قد تكون هذه المرة الأخيرة التي أرى أهلي

فيهــا؛ قد أستشهد أو أقع في الأسر، فهذه الاحتمالات ليست بعيدة عن مسافر مثلي.

مضــت أيــام المأذونية بسرعة. عدت مجــددًا إلى «دوكوهه»، كانت الثكنــة مزدحمــة جــدًّا هذه المــرة. ذهبت في صبــاح أحــد الأيام إلى الحمــام؛ فوقعت ساعتي في مــكان تغيير الملابــس، انكسرت وتناثرت قطعها وعقاربها في كل حدب وصوب، قمت فقط بتكنيس زجاجها كي لا يجرح قدم أحد.

أقيــم معرضــ أسبــوع التعبئة «بسيــج» في الثكنة، وقــد عُرض فيه مجســم لعمليــات «خيــبر وبــدر». أوضح لنــا هــذا المجسّــم تفاصيل العمليــات، ومقدار المسافــة التي قطعها المقاتلــون للوصول إلى الخط الأول للعدو. تقع «هور العظم» بين «البصرة» و«بغداد» وكانت السيطرة عليها تمثل خطرًا كبيرًا على التواصل بين هاتين المدينتين المهمتين.

وكذلــك كان في المعرض مجسّم لجثمان شهيد مسجًّى على الأرض ملفوفًــا بالعلــم الإيــراني. عندما رجعنــا إلى مبنى الكتيبــة، استلقى «نعمتــي» على الأرض مثل ذلــك الشهيد وغطيناه بعلــم أخضر. وقف بعض الشباب لقراءة الفاتحة عن روحه. وقام أحدهم بالتقاط الصور الفوتوغرافية لهذه الواقعة!

كان لــدى كتيبة حمــزة ملعب كرة قــدم جيّد؛ قطعــة أرض معبدة بالإسفلــت خلف الجدار الغربــي للمبنى. معنا في الفصيل، كان هناك العديد من اللاعبين الأقوياء، «شــيرازي وكلستاني ونعمتي وقمصري وقابــل أعلا وبوركريم وعليان نجادي وقابــل»، جميعهم كانوا يتمتعون بمهارات عالية في هذه اللعبة.

ولأني لم أكــن خبيرًا بفنون إمرار الكرة والمناورة بها، كنت أعطيها للآخريــن فــور وصولها إلى قدمــي. كان شيرازي يتقن هــذه الفنون؛

سواء في الدفاع أو الهجوم.

وكان من مشجّعي فريق «ملوان بندرانزلي» (قبطان مرفأ أنزلي) كانت المباريات تنتهي أحيانًا على ود وصفاء وأحيانًا بمشاجرات وزعل! حين يحتفظ أحد الشباب بالطابة لنفسه فلا يُمرّها لأحد أو... حدث هذا مرة معنا، خرجت غاضبًا من اللعبة وضربت بقدمي كومة بحص من بقايا الدشم، فطار حجر منها وأصاب الهرة التي كانت تطوف دومًا حول المبنى، سالبًا منها لذّة نوم قيلولة بعد الظهر!

في النصف الثاني من شهر «آذر» (كانون الأوّل) جاءت إلى الثكنة قوافل «راهيان كربلا» (السائرون إلى كربلاء)، وجرت تغييرات ومناقلات في كل الكتائب والسرايا والفصائل.

فصرت أنا المساعد الأول لرامي الرشاش في الفصيل «غلام رضا نعمتي» وحلّ «قمصري» مساعدًا ثانيًا. سألني «محسن كلستاني» عن خبراتي السابقة في الرماية بالرشاش المتوسط، فقلت له إنّني قد تدربت عليه بشكل جيد في دورة تدريبية في «كردستان».

كنت أنا ونعمتي وقمصري من المحاربين القدامى، وقد خدم كل منا في كتيبة حمزة ستة أشهر على أقل تقدير. وهكذا تشكّل فريق جيد لرماية الرشاش المتوسط.

كان رامي الرشاش في فصيلنا مشغولاً في شهر «آذر» بمراجعة دروسه. فكان يجلس في زاوية الغرفة، يقرأ في الكتب ويحل التمرينات. كنت في المرحلة المتوسطة وهو في المرحلة الثانوية ولهذا كنت أتجنّب إزعاجه وتشتيت تركيزه على الدرس.

كنت جالسًا إلى جانبه إحدى المرات، لاحظت أنه يرغب في الحديث، قلبتُ أوراق الكتاب الذي كان بين يديه وسألته:

- «غلام رضا» ماذا تحب أن تصبح في المستقبل؟

أجاب فورًا: تعبوي!

- غير التعبوي، إن لم يكن هناك حرب، فماذا ستفعل؟

- مهندس.. مهندس مدني... متخصّص في شق الطرق.. أحبّ أن أعبّد الجادات في المدن الصغيرة والقرى النائية فتزدهر تلك المناطق.

- لا شك أنك ستذهب إلى صومعة سرا وقرى محافظة «كيلان» وتبني هناك البيوت والطرق؟

- لمَ لا؟ أي مكان أفضل من «كيلان»؟ هناك آكل السمك وأبني الجادات والمباني..

كُتب على آخر صفحة من ذلك الكتاب اسم «جعفر نعمتي» وعلى الصفحة الأولى اسم «غلام رضا نعمتي». سألته متعجبًا: «هل هذا الكتاب لك أم لجعفر؟ هل هو أخوك؟»

قال ضاحكًا: «هذا الكتاب لجعفر ولغلام رضا أيضًا، لقد تشاركنا في شرائه».

لم أستوعب جوابه. تابع قائلًا: «إذا استشهد جعفر فماذا تقول؟».

قلت فورًا: «أنت مثلي إذًا، أخو شهيد؟».

أجاب: «كلا يا أخي، جعفر هو نفسه غلام رضا. أمي تناديني باسم جعفر».

كان أخوه -واسمه «محرم»- تعبويًا أيضًا ويأتي أحيانًا لزيارته.

سألته: «هل واجهت مشكلة في المرابطة الأولى؟».

- لم يكن أبي موافقًا على التحاقي بالجبهة، وكان يريد أن أتابع دراستي. أخذت موافقةً من أمي، لكنّهم لم يقبلوا بها في مقرّ التعبئة.

فقمت بتزوير تاريخ الولادة في صورة تذكرة الهوية والتحقت بالتعبئة، وأتيت للجبهة!

في بداية النصف الثاني من شهر (ك1)، كانت الكتيبة قد استعدّت للانتقال إلى المعسكر الجديد. استلم كل عناصر الكتيبة أسلحتهم. عندما استلم «غلام رضا» رشاشه، كان مسرورًا جدًّا، تفحّص الرشاش ثم قال «هو نفسه»، سألته ماذا تعني؟

أشار إلى قبضة الرشاش وقال هذا هو نفس الرشاش الذي كان معي في «مهران»، وهو ممتاز في التصويب والرمي.

وهذه العلامة على قبضته التي أعرفه بها. استعملته لمدة شهر في «مهران».

كان معسكرنا الجديد بالقرب من نهر «كرخة». بعد مجيئنا بأيام وصل التلاميذ. كانوا قد بقوا في «دوكوهه» ليقدّموا امتحاناتهم. عندما التقيت «نعمتي» سألته فورًا:

- كيف كانت الامتحانات؟

- جيدة وإن شاء الله سأنجح. أجّلت إحدى المواد فلم أشارك في تقديم امتحانها.

- أحسنت عملًا. من الأفضل أن تأخذ علامة جيدة أو ممتازة.

- نعم. إذا أخذت علامة متدنية ونجحت بصعوبة فأكون كالذي قدمه في الهواء، كالشاب السليم القوي الذي جاء إلى الجبهة، ولكنه في الخط الثاني أو الثالث، فلو بقي في المنزل لكان أفضل له.

أيّدت فكرته وأخبرته عن قصة أولئك الذين ركبوا على ظهر الثور ليأتوا إلى كربلاء لنصرة الإمام الحسين عليه السلام!

سألني: «ركبوا على الثور؟».

قلت له: «نعم، من لم يستوعب الدرس جيدًا، فمن الأفضل له أن لا يشارك في الامتحان».

تمّ وضع عدّة علامات أهدافًا للرماية في ساحة المراسم الصباحية لكتيبة «حمزة»، اهتم البعض بتجهيز الحسينية. بدأ التدريب العسكري في وقت مبكر جدًّا.

كان يدير الصفوف مدرّبون ماهرون. شرح لنا أحدهم مجموعة معلومات هامة وتجارب مفيدة حول معرفة أنواع قذائف الآر بي جي. استطاع أحدهم إصابة طلقة كلاشنكوف فارغة عن بعد عشرة أمتار. في هذه الدورة، حضر من طهران عدّة مدّاحين. لكنّ أسلوبهم في العزاء واللطميات والموالد كان مختلفًا عما تعوّدنا عليه، فقد كانوا يسرعون في إلقائهم بشكل غريب ومختلف عن مجالس ولطميات «محسن كلستاني». الإلقاء الهادئ كان يدخل إلى عقولنا وقلوبنا ويجعلنا نسير مع المجلس واللطمية. انتقد بعض الشباب أسلوب هؤلاء المدّاحين. وحاصل الأمر أن حضورهم في الكتيبة لم يكن موفقًا ومؤثّرًا كما يجب، فتركوا المعسكر ورحلوا.

في تلك الأيام، التحق «مجيد مجيديان» أيضًا بفصيلنا، وأصبح المساعد الثالث لرامي الرشاش. صار لدى «نعمتي» الآن ثلاثة مساعدين. كان مجيد من مواليد 1969م ولكي يتمكن من المجيء للجبهة، لم يفعل كبعض الشباب الذين زوّروا صورة فوتوكوبي عن تذكرة الهوية، بل قام وبفعل احترافي بتزوير أصل تذكرة الهوية وبدّل تاريخ ولادته من 1969 إلى 1967م. كان من شباب منطقة «منيرية» في طهران، ومحط كلامه المتكرر «اللّه وكيلك» لم يكن يظهر أي ود ورغبة بالكتب والدرس والدفاتر وفي المقابل كان من عشاق لعب كرة القدم.

في إحدى الليالي، كنت بالقرب من خزّان المياه، فإذا بي ألمح قائد

الكتيبة ومساعده يقتربان وهما مشغولان بالحديث بحرارة، اختبأت وراء الخزان وجمعت بعض الحصى وصرت أرشقهما بها! عندما سمعا صوت سقوط الحصى سكتا قليلاً، ثم تابعا حوارهما. فعدت وكررت هذه الألاعيب الشيطانية، في الليلة التالية ازدادت جرأتي فقمت بهذا الأمر نفسه مع «عمو حسن» قائد سريتنا، ولكن يبدو أنه رآني واكتشف أمري، حيث قام في الصباح التالي، بفصلي عن الصف المرصوص وقال لي:

– عليك أن تصعد من هنا إلى رأس الجبل ثم تعود بسرعة! نفذت الأمر واستغرق ذهابي وإيابي حوالي نصف الساعة، كنت نشيطًا ومتحمّسًا ولا أخاف من العقوبات.

كان مسؤول فصيلنا «محسن كلستاني»، ولأجل التعرف أكثر إلى تجارب وخبرة الشباب العسكرية السابقة والاطلاع على شخصياتهم ومعنوياتهم، يتقرّب من الشباب فيصادقهم ويتحدّث إليهم ويستمع إلى كلامهم بكل محبة وحنان. إضافة إلى الجلسات العامة، كان يلتقي بكل واحد من الشباب على انفراد. استفرد بي إحدى المرات وتحادثنا طويلاً كالأصدقاء المقربين. كان يهدف إلى التعرف إلى مميزات الشباب ومعنوياتهم، فيحدد بالتالي مهماتهم وفعاليتهم. بعض الشباب كان شجاعًا وبعضهم ليس كذلك. ومن خلال الحوار معهم، كان يريد التخطيط ليحدد ماذا يوكل من مهام ومسؤوليات لكل منهم خلال العمليات.

كان لديه برنامج آخر؛ طلب من الشباب أن يحضّر كل واحد منهم لخطبة أو محاضرة يلقيها علينا بعد المطالعة والإعداد الجيد. حين جاء دوري تحدّثت عن رشاش «BKC» ومميزاته وكيفية استخدامه وكل ما أعرف عنه. أغلب الشباب كانوا يتناولون في خطاباتهم

المواضيع الدينية والمعنوية ولهذا كان موضوعي جديدًا ولافتًا للنظر.

كان في فصيلنا فلاحون ومنشدون وقراء عزاء ودعاء، كانت تُقام مراسم دعاء التوسل ودعاء كميل، كل ليلة أربعاء وجمعة. جاء دور امتحاننا في هذا المجال؛ طلب «محسن» من الشباب أن يقرأ كل واحد منهم قسمًا من الدعاء، وهكذا اتسمت المراسم بحيوية ونضارة جديدة مميزة.

أظهر نعمتي بأنه يتمتع بلياقة وكفاءة في هذا العمل أكثر من باقي الشباب، أحدهم وهو «أمير عباس رحيمي» صوته لم يكن رخيمًا جدًّا، ولكنه كان يرفع الأذان وينشد المدائح واللطميات أحيانًا؛ حنجرته لم تكن ذات صوت جذاب؛ كان يقلّد وبصوت جيد أصوات إطلاق رصاص الدوشكا والرشاشات وانفجار قذيفة الهاون (60) و(120) ملم! وأنا الذي كنت خبيرًا بصوت الـ«BKC» أعترف بأنه كان يؤدّي صوته من دون أي نقص ولا اختلاف أبدًا!

كان لدى نعمتي دفتر أشعار ضخم. كنت أجلس معه أحيانًا ونقرأ الأشعار معًا، وعلى الرغم من أنه مدح صوتي وطريقة إنشادي، ولكني وبعد عدة تجارب أدركت أني لست مناسبًا لهذه الأمور. جلسات الخطابة ودروس المديح والدعاء بعد العزاء، كانت تُظهر الطاقات والقابليات الكامنة لدى الشباب، وكذلك تزيد ثقتهم بأنفسهم. بالنهاية، كل إنسان يعرف جيدًا ماذا لديه، وماذا يوجد في جعبته، وما يليق بالعرض أمام الآخرين.

من التدريبات العسكرية التي كنّا نجريها في معسكر «كرخه» كان تمرين للكتيبة على تحمّل الجوع. حيث كان يتم تخفيف الوجبات الغذائية لمدة 48 ساعة. فيكون نصيبنا رغيفَ خبز وكوبَ ماء في كل وجبة. ويتم توزيع الطعام العادي فقط على الذين يعانون من القرحة، فكانوا يتناولون

طعامهم وحدهم داخل الخيام. يقول قدامى المحاربين إنّ الشباب في عمليات (والفجر1)، صمدوا من دون طعام لمدة أربعة أو خمسة أيام في قناة «فكّه»، كان أحدهم يرطّب قشر الفستق بلعابه ثم يأكله.

تلقّينا في المعسكر دروسًا عن الفلك والنجوم (طبغرافيا). في إحدى الليالي ذات السماء الصافية الخالية من الغيوم، قمنا بمسير ليلي، وهناك على تلّة مرتفعة، عرّفنا مسؤول الفصيل الأول إلى الصور الفلكية المختلفة، وأساليب معرفة جهة الشمال عبر النجوم. كانت تلك الليلة الصيفية هي آخر ذكرى جميلة حول السماء في الليل!

في منتصف ليلة أخرى، أيقظني «قمصري» من النوم وخرجنا من الخيمة. وجدتُ هناك مجموعة شباب، بينهم «محمود أستاد نظري» من شباب -السرية الثانية- أيضًا. كانت عيناه كبيرتين وذات لون جميل، وكان رفيقًا حميمًا لـ«محسن كلستاني»، قاما معًا بحفر ما يشبه القبر.

ساعدتهم قليلًا بإخراج التراب من الحفرة بالرفش، ثم نمت داخل القبر. كان الشباب يترنّمون بمناجاة الأمير، فيصل صوتهم الهادئ إلى مسامعي في تلك الحفرة.

في إحدى الليالي، كان الشباب قد ذهبوا إلى تمارين ليلية وبقيت في الخيمة وحدي بعدما أخذت إذنًا بالاستراحة من إرهاق ألمّ بي، عندما ذهبوا انتابني شعور سيئ. كنت قد تعودت على جَمْعَة الشباب، فلم نكن نفترق عن بعضنا البعض حتى للحظات. كان الصمت السائد في الخيمة يبعث على التخيلات والأوهام. قلت في نفسي: ليتني ارتديت ملابس أكثر لأشعر بالدفء وذهبت مع الشباب. لم أستطع النوم. صرت أتذكر البيت والأهل. طالت رحلة الذكريات حتى سمعت

أصـوات أقدام الشباب أمام الخيمة؛ عادوا بعد أربع أو خمس ساعات من التدريب، وبسبب حالـة مرضي، زادت ملابسي المتسخة وكنت قد وضعتها على حقيبتي كي أغسلها في أقرب فرصة، نظرت فإذا هي قد اختفـت! كان «قمصري» أو «نعمتي» قد أخذها وغسلها؛ فهمت القصة عندما شاهدت الثياب منشورة على حبل الغسيل والمياه تقطر منها.

خـلال إحـدى المنـاورات الليليـة للكتيبـة، استشهد أحـد الشباب المتخصّصـين بالمواد المتفجرة. كانت حادثـة مفجعة ومفاجئة أحزنت الجميـع. أقيمت للشهيـد مراسم عزاء في حسينيـة الكتيبة. بعد تلك الحادثـة، أصبح التصرف بالعتاد والذخائـر منحصر بالقادة. هكذا أخبرنـا مسؤول فصيلنـا بعدها بيوم، وجـدت بالصدفة طلقة رشاش غير منفجرة في التراب، فنظّفتها وسلّمتها إلى مسؤول الفصيل.

أثنـاء المسيرات الطويلة، كنا في مجموعة الرمي، نتناوب على حمل الرشّاش بسبب ثقل وزنه، وبهذا الأسلوب تعوّد كل أفراد المجموعة على حملـه كي لا يتعبوا خلال العمليـات. كان كلّ منا يحمله على كتفه لمدة نصف ساعة، ثمّ يسلّمه للمقاتل الآخر.

في إحـدى المرات كنا متراصفين في الطابـور، حين أعطانا مسؤول الفصيـل أمر «استرحْ». ناولنـي نعمتي الرشاش وقـال: «انظر كم هو خفيف!».

أخذتـه بصعوبـة في يديّ وقلت لـه: «ريش النعام هـذا! وزنه أربعة عشر كيلوغرامًا!».

رجعنـا للمأذونية وعـاد لي عسل الفطور وطعـام أمي ومحلّ نسيج أبـي. آخر صـورة أحملها في ذاكرتي عن وجه أمي وأبي ترجع إلى تلك الأيام؛ أمي وقد حضرت وجبة «أشكنة» وتضعها على المائدة، وأبي وهو

يعمل في نسج الجوارب، أهداني حينها جوارب شتوية بيضاء.

آخر يوم من تلك العطلة، ركب نعمتي القطار من محطة «قم»، كان قد وصل مسبقًا لزيارة السيدة المعصومة (سلام الله عليها).

حين وصلنا إلى «كرخه» ذهبنا إلى ميدان الرماية، ورميتُ ببندقية كلاشنكوف. عُدنا إلى الخيام بعد أمر الاستراحة. كان الشباب مسرورين ويتبادلون المزاح والنّكات.

كتبنا رسائلنا الأخيرة إلى أهالينا في الأسبوع الأول من شهر «بهمن» (أواخر ك2)، بعدها لم يعد مسموحًا إرسال الرسائل. كان قلمي قد انتهى حبره. أعارني «مهدي كبيرزاده» قلمه الرصاص الأوتوماتيكي كي أكتب رسالتي؛ رفض أن يسترجعه، قائلًا:

- علي، إنه هدية مني لك.. لا قيمة له مقابل صداقتك..

أخذتُ من قسم الإعلام في الكتيبة، ورقة لأكتب وصيتي. أعطيتها أولًا «لحسين كلستاني» ليكتب لي بخطّه الجميل في أولها آية «ولا تحسبن الذين قتلوا...»، أتبعتها بجملة الشهيد بهشتي «سنبقى قامات التاريخ الشامخة الخالدة». ثم بقيتُ لساعات حتى أنهيت كتابتها. بعض الشباب بقي مشغولًا يومًا كاملًا لينهي كتابة وصيته في عدّة صفحات.

في ذلك اليوم، سلّمنا كل أغراضنا لقسم الأمانات في الفرقة. سلّم الكثير من التلاميذ كتبهم ودفاترهم أيضًا، فلم يعد بعد ذلك اليوم فرصة للدرس ولا أثر للدراسة.

كان شهر (ك2) قد انتهى، حين تركنا معسكر «كرخه» إلى محطتنا التالية.

كان الطقس في معسكر «كارون» باردًا وممطرًا مثل «كرخه»؛ لكنّ أرض «كارون» كانت رملية لا صخر فيها ولا أحجار. إن وضعت قدمك،

من دون مراعــاة الاحتياط ستنزلق وتقع أيضًا. كان لدينا فراغ هناك أكثر مــن «كرخة». لا مسافات طويلة تفصل بين الخيام. كانت أشجار النخل هنــاك تشكل الاستتار الطبيعي لنا، وقلّمــا كنا نذهب للمناطق المكشوفة، كي لا يرانا العدو ويكشف أمرنا.

في هــذا المعسكر ذهبنا مرة أخرى إلى ميدان الرماية وتدرّبنا على الرماية بأسلحتنا. كذلك أجرينا مناورة عبور الزوارق من نهر «كارون» ومناورة أخرى لمواجهة الهجوم الكيميائي. كانت الأوامر العامة تقضي بحمل القناع وإبقائه معنا حتى في الحمام أو في أوقات الدعاء والنوم! وللتمرين أكثر. نمنا إحدى الليالي ونحن نضع القناع على وجوهنا. كل هــذا التشدد والاحتياط، بسبب الخسائر الكبيرة التي تكبدناها خلال هجمات العدو المتوحش بالأسلحة الكيمائية المحرمة دوليًّا.

في أحــد الأيام، جاء «محمد جــواد نصيري بور» الذي كان رامي آر بي جي، وأعطاني دفتره كي أكتب له كلمات للذكرى؛ لعله كان قد سمع بأننــي كتبت لـ«قابل» سابقًا في دورة العمليات البرمائية. كتبت «لمحمد جواد» هذه الأسطر:

«ســلام علــى الشعــب الإيــراني المربّــي للشهــداء وتحيــة للإمام الخمينــي. لــديّ نصيحة عامــة؛ أن يقوم الإنسان بكل مــا يفعله فقط لأجـل اللّه وكلما خطر على باله أن يرتكب معصية، أن يفكر بالشهداء والجرحى والمعوّقين؛ فإنه لن يذنب بعدها أبدًا. خلاصة الكلام: يجب علينــا أن لا ننسى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي الحديث عن الإمــام الصادق عليه السلام بأن جبرائيل قال للرســول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هنيئًا لمن كان ذكره دومًا قول لا إله إلا اللّه وحده وحده وحده. 1985/2/5م.».

مع حبّي علي

جاء وقـت حمل الـزوّادة! أي العتاد والذخائـر والوجبات الخاصة للمعـارك. أخذتُ طلقات الرشاش ورتبتهـا في أسطوانتين، ثم جهّزت «شرشـور» مئـة طلقة حـول أكتـافي وخصـري. وهكذا فعـل مساعدا الرامـي الآخران. كذلك مـلأتُ جعبتي بمماشـط كلاشنكوف وقنابل يدوية ورصاص رشاش متوسط.

تمّ توزيـع ثلاثـة أكياس خيشـ ورفش صغير للحفر وبنـاء الدشم؛ وكانت الوجبات العسكرية الخاصة: بسكويت جاف، شوكولا عسكرية، عصـير فاكهـة، تمر وخبز محمّصـ. يجب المحافظة عليهـا للأوقات الصعبـة أو المحاصرة. كان حملنا ضخمًا وثقيلًا، بحيث صار منظرنا عجيبًا غريبًا عندما تجهّزنا ووَقَفْنا! لم يبقَ أي مكان خالٍ على صدورنا وخصورنا.

حـين أنهيـت التجهيز، رأيـت «نعمتي» لوحده في الخيمـة فانشغلنا بالكلام، سألني أولًا:

- ماذا يعمل والدك ؟

أشـرتُ إلى جواربي الجديدة وقلت له: «هل ترى هذا؟ إنه من عمل والدي، هل هو جيد؟». ثمّ سألته:

- أين يعمل والدك؟

- في مصنع «سايبا».

- سايبا؟

- مصنع سيارات الـ«رينو»، في جادة «كرج» القديمة.

- هل لديك أخوة غير «محرم»؟

- نعم، لديّ أخ وأخت أكبر مني.

انتعشتْ حالُ الحشرية لديّ، فسألته: «هل هي في المنزل أو متزوجة!».

- أختي تزوجت السنة الماضية. صهري كان معلّمي في الثانوية.

في التاسع عشر أو العشرين من «بهمن» (9 شباط) عاد الكلام عن الانتقال إلى مكان آخر، بعد عشرة أيام من الاستقرار هناك. هذه المرة، وَضَعْنا كل أغراضنا الشخصية في أكياس خاصة، كتبتُ على كيسي: علي بي بي جاني، كتيبة حمزة، السرية الأولى، الفصيل الأول، مساعد رامي رشاش.. ثم كتبتُ تحتها رقمي المتسلسل. أمام الخيام، كان قسم الإعلام في الفرقة، يجري مقابلات مع المقاتلين، وكان صوت لطميات «آهنكران» يصدحُ من مكبّر صوت إعلام الكتيبة. بعد الظهر، وصلت الشاحنات. كان الجو غائمًا ولا أثر للشمس التي أخفت نفسها وراء الغيوم طوال ذلك النهار.

صَعَدَ عناصر كل فصيل إلى شاحنة. فرشنا بطانيات على أرض خلفيَّة الشاحنة. جاءت الأوامر صارمة بعدم فتح غطاء الخلفية أبدًا كي لا يتم كشف العمليات. تم توزيع برتقال على الشباب أثناء الانتقال، قضينا على صندوق برتقال، ووضعنا القشور في الصندوق الفارغ.

لم نكن نعلم إلى أين نتّجه؛ لكنّ أحد الشباب، وهو من منطقة «خوزستان» استرق النظر من ثقب غطاء الشاحنة وقال إنّنا بالقرب من «آبادان».

حين ترجّلنا من الشاحنة ليلًا. كان المطر يتساقط خفيفًا كالرذاذ. كانت أشجار النخل الجميلة تحيط بنا من كل الجهات. مشينا في صف مرصوص لعدة مئات من الأمتار حتى وصلنا إلى بيوت قروية. قيل لنا إننا في إحدى القرى المحاذية لضفّة نهر «بهمن شير».

في تلك الليلة، كانت أصوات انفجارات القذائف تُسمع من مكان بعيد. استلقى الشباب واستراحوا على بطانياتهم لعدة ساعات حتى الصباح. بعضهم بقي مستيقظًا ولم ينم. كانت حماسة العمليات تبقيهم أَرِقين شوقًا ولهفةً.

صباح ذلك اليوم، شاهدنا نهر «بهمن شير» بأعيننا. لم تكن هناك مسافة طويلة بيننا وبين النهر. كانت الأوامر حازمة في عدم التجوال في مناطق مكشوفة قرب النهر، كي لا يحدّد العدو مكان تموضع قواتنا بواسطة تصويره الجوي.

يومها، وصلتنا بعض المعلومات القليلة عن عمليات «والفجر8»، عرفنا فقط بأن مقاتلينا قد سيطروا على مدينة «الفاو» العراقية، وأن فرقة «27 محمد رسول الله ﷺ» ستتحرك داخل خطوط العدو وفي عمق الجبهة في المرحلة الثانية من العمليات.

كان طعام الغداء الدجاج والأرز، وهذا يدلّ أن العمليات قد بدأت بالأمس. بعد الظهر علمنا أن كتيبة عمار -الكتيبة الأولى في الفرقة- قد بدأت منذ مساء الأمس في الهجوم. جُلت أنا ونعمتي في محيط البيوت. لاحظنا أن التمر ما زال على أشجار النخيل، وإن كان يابسًا وجافًّا؛ كان قد مضى على موسم قطافه أكثر من ستة أشهر ولا يزال على الشجر.

قال «نعمتي»:

- اِنْزَع القِشر وكُل اللب.

- هذا ليس سمكة كي ننزع القشر! نغسلها ثم نأكلها.

- اقفز إلى النهر بسرعة، اغسلها وتعال.

- انزل إلى النهر، ثم لا يُسمح لي بالمشاركة في العمليات؟ مستعد

لأن آكل التمر بوسخه ولا أتخلّف عن العمليّة.

فعلتُ كما كان نعمتي يفعل؛ نزعت القشر عن التمرات وصرت آكلها.

كان اللب لا يزال يحتفظ بنضارته وطعمه اللذيذ.

بعد ظهر ذلك اليوم، جاء «أستاذ نظري» إلينا. لم يكن مكانهم يبعد عنا أكثر من 30 أو 40 مترًا. عندما رآني سلّم علي. سألني:

- ما هي أخبار العمليات؟ هل قال لكم «محسن» شيئًا؟

أجبته على الفور:

- يا أخي، «قالوا لا تقل».

ضحك واتّجه حيث أشرتُ له بيدي؛ نحو «محسن كلستاني».

بعدها، عادت الشاحنات مجددًا؛ ولكن من دون غطاء هذه المرّة. تجمّع كل فصيلين في شاحنة، وانطلقتْ على الجادات والشوارع الترابية والإسفلتية بين النخيل، بعد عدة ساعات وصلنا إلى باحة محاطة بالنخل أيضًا.

كانت ليلة (11 شباط) وذكرى انتصار الثورة. نمنا في تلك الليلة داخل هنكار، وبشكل مضغوط جدًا؛ بين جالس ومستلقٍ في ازدحام شديد.

في الصباح، شهِدْنا هجوم أعداد كبيرة من الطائرات العراقية. وكأنهم قد انتبهوا للتو بأنهم قد خسروا «الفاو». ذهبنا بعد الظهر إلى منصّة، قال أحد الشباب إنّ اسمها «منصة أمير المؤمنين»؛ عبارة عن منزل طيني مهجور قرب النهر. هناك ارتدى الشباب ستر النجاة وركبوا زورقًا. كانت السماء صافية جدًّا ذلك الوقت؛ لكنّ الشمس كانت تغرب في طيّات الأفق. لم يكن قد بقي لوقت الغروب أكثر من نصف ساعة. لم ينقطع قصف العدو حتى لدقيقة واحدة! كانت

دفاعاتنا الجوية مستمرة في الرمي عاليًا. نزل الزورق أكثر فأكثر في ماء نهر «أروند»؛ مثل عصفور صغير وقع بين مخالب طير جارح. تمتمت شفتاي عفويًّا بذكر الله.

كان العبور من ذلك النهر، اجتيازًا لخطر عظيم تم بلطف الله، ليستقر الزورق على الشاطئ الغربي للنهر، ولتطأ أقدامنا الأرض العراقية.

لففتُ رأسي بكوفيتي السوداء ليبقى دافئًا. كان البرد لاذعًا وقت الغروب. تحركت صفوف الشباب بموازاة النهر وعلى امتداد الجهة الشمالية على الجادة الساحلية. مشينا حتى وصلنا إلى مبانٍ وفيلات من طابق واحد. تَشابه تلك الوحدات السكنية يدل على أنها تابعة للحكومة. كانت خالية من قاطنيها. فور وصولنا إلى المجمع، قسّم مسؤول الفصيل مهام الحراسة والنوبات على الشباب. لم تكن المدينة قد ظهرت بشكل كامل، واحتمالات الخطر لا تزال موجودة. تيمّمنا ونحن ننتعل الأحذية العسكرية؛ صلّينا المغرب والعشاء، أراد أحد الشباب خلع حذائه فقال له آخر:

- يا أخ، لا ترتكب ذنبًا! إن لم تطع أوامر المسؤول فإن صلاتك هذه غير مقبولة.

تمّ ترتيب كل شيء بسرعة وتجهّز الفصيل بانتظار الأوامر.

جاء التبليغ بأن استريحوا عدّة ساعات.

انشغل الشباب بقراءة دعاء التوسل؛ أجواء معنوية وأحوال روحية لا يمكن وصفها. كان دعاء التوسل هذا، مختلفًا ومميّزًا عن كل دعاء توسل قرأناه أو سمعناه طوال الأشهر الثمانية السابقة. داخل مدينة مظلمة وسط الدخان والقذائف؛ في قلب العدو، كان الحصن الوحيد

لهـؤلاء الفتيان، هو الدعـاء لله، والتوسل والاستمـداد من الله القادر الحنون.. وكفى!

في تلـك الأجـواء لم نكـن نشعر بأي خـوف في قلوبنا مـن كل تلك المخاطـر المهولـة، ولا نرى في كل هذا الدخـان والقصف والانفجارات سوى نُمُورٍ من ورق!

في منتصـف الليل، هَدَرَ مجددًا صوت الشاحنـات. لكن هذه المرة كانت الشاحنـات غنائم من العدو. كلمـا كان الشباب يسمعون صوت شاحنات تقـترب، يسارعون إلى تقبيل وتوديـع بعضهم البعض وطلب المسامحـة والشفاعـة. لم نكن نعلم حين نَنْزِل مـن الشاحنات ونفترق عـن بعضنا البعض، ماذا سيحلّ بنا وأي أحداث ستقع بعدها، لم يكن لدينا سوى هذا الشوق والحماسة. سرنا في الشاحنات حوالي الساعة، كاد دخـان الشاحنات يقتلنا حيث أحرق عيوننا وخنق أنفاسنا! عوادم دخان الشاحنات العراقية كانت فوق حجرة السائق ودخانها يتجه نحو الركّاب في الخلف.

ترجلنا، وقتَ سحر ليلة (12 شباط)، بالقرب من جادة صحراوية معبّـدة؛ جادة «الفاو- أم القصر» التي سمعنا باسمها قبل يومين حين كنّا في المنزل القروي في «بهمن شير».

كان تموضعنـا في دشمة أماميـة؛ إلى يمين الجادة. في ظلمة الليل، استقررنا في خنادق صغيرة؛ كل اثنين في خندق. لا سقف فوق رؤوسنا ولـو بمقدار غطاء خلفيـة الشاحنة! بقينا محافظين علـى اصطفافنا التنظيمي في الخنادق. كنت أنا و«نعمتي» في خندق واحد، و«قمصري» وجواديان في خندق قريب منا. بعد ساعات حلّ وقت أذان الصبح.

صلّينـا الصبح بتيمّم ومن قعود. عند بدء تساقط قذائف العدو مع أول شـروق الشمـس، صدر الأمر بالتراجع نحـو الجادة فرجعنا. كان

هناك على الجانب الأيسر للجادة، خنادق أيضًا.

حفرنا برفوشنا الصغيرة أرض الخنادق كي نزيد عمقها. فجأة تذكّرت حديقة بيتنا الصغيرة، التي كنتُ ألعب بترابها؛ أعمّر ثم أهدم. مع أن الجوّ كان باردًا، إلا أن الشمس كانت تسطع وتتوهج في السماء، التي كانت صافية خالية من أي أثر للغيوم. بدا السهل مجردًا من أي حركة. كان خط التماس واشتباكاته تشمل كل مكان. كان بعض الشباب يشاهدون تفاصيل أكثر بواسطة مناظيرهم. حيث الجنود العراقيّون ينتشرون في كل حدب وصوب، كذلك بعض أجساد شهداء الفرقة تم وضعها إلى جنب الجادة كي تُنقل بالسيارات إلى الخطوط الخلفية. قبّل محسن و«حسين كلستاني» وجه أحد الشهداء، كان شابًّا في أوائل عشرينيّاته. ولحيته خفيفة، كانت رصاصة قد أصابت قلبه.

لمحتُ حقيبةً بالقرب من خندقنا. ظننتُ أولًا بأنها فارغة؛ لكن عندما نظرت داخلها وجدت بطاريات لاسلكي وَوَجَبات عسكرية وكوفية، وأغراضًا صغيرة أخرى. سلّمتُ الحقيبة إلى مسؤول الفصيل.

كان غذاؤنا ذلك اليوم، معلبات باذنجان، وهو يناسب ذلك البرد. تقاسمت أنا و«نعمتي» علبة واحدة؛ بالطبع مع الغبار الذي حطّ على الطعام. كذلك حصلنا على علبة لحم من معلّبات غنائم من العدو؛ لكننا لم نرغب بتناولها ولا شعرنا حتى باشتهاءٍ لتذوقها.

تم توزيع تفاحة لكل مقاتل أيضًا. غسلت تفاحتي بمسير الماء الذي كان يجري بانسياب قرب الجادة من جهة مصنع الملح، وبدأت بقضمها. لم تكن تفاحة، بل كتلة ملح! أعدت تنظيفها بكوفيتي المتَّسِخَة، وأكلتها ببطء شديد.

حتى اليوم، ما زالت رائحة التفاح وظلاله تذكرني بتلك التفاحة.

في ذلك اليوم، التقيت بأخي، الذي كان يقاتل ضمن وحدة مدفعية

الفرقة. كان قد جاء هو ورفاقه لنقل القذائف والمواقع والذخائر العراقية قبل أن تنفجر بالقصف العراقي. قال لي:

– الليلة ستقومون بهجوم. عليكم أن تستخدموا كل ما تعلمتموه وتدربتم عليه لضرب العدو وإجباره على التراجع.

– هل يقصف شباب الإسناد الناري القوات العراقية؟

– جادة أم القصر في عمق جبهة العدو وقرب الحدود العراقية ولا يصل إليها مدى مدفعيتنا. ولم يتم إحضار المدفعية الثقيلة من أروند إلى هنا حتى الآن. حاليًا، نقصف المنطقة هناك براجمات الكاتيوشا الصغيرة.

– حسنًا، ومتى سيحضرون المدفعية إلى هذه الجهة؟

– حتى اليوم لم نتمكّن من هذا، فهي تحتاج إلى زوارق خاصة كبيرة. أظن أنَّ نَقلها يحتاج إلى بضعة أيام.

– لماذا لا تستخدمون مدافع العراقيّين هذه؟

– لا يمكن استخدامها لعمليات كتيبة حمزة، ولكن غدًا وبعده، سنُنزل جهنّم على رؤوس الأعداء، ما لا عينٌ رأت ولا خطرَ على بال!

لم يبق سوى دقائق معدودة للغروب. كانت السماء لوحة جميلة. والشمس في أفق السهل تلقي برأسها على وسادة حمراء. كلما كانت تقترب أكثر من الأفق، تغرق أكثر في هالة من الخيال الساحر. كنت أنا ونعمتي في الخندق، نحدّق بانجذابٍ في تلك اللوحة. بين خط نظرنا والشمس، كان «محسن كلستاني» مستلقيًا على الأرض، يستريح استعدادًا لليلةٍ عاصفة.

عند الغروب، تم توزيع عتادٍ وذخائر إضافية. كانت التعليمات بأن نحمل منها ما استطعنا، أخذتُ طلقاتٍ لبندقية الكلاشنكوف

وللرشاش أيضًا، كذلك بطارية لاسلكي احتياطية لعامل الإشارة. كادت جعبتي تنفجر. إنها الليلة المنتظرة، وعلينا أن نقوم بكل ما نستطيع من قوة.

كنت مشغولًا بترتيب عتادي، فجأة اختفت الشمس الجميلة من السماء نهائيًا. وكأنها قد ذهبت لتنام. لكنّ الأفق ما زال يتوهج بألوان حمراء وبرتقالية وبنفسجية تميل للأصفر. صلّينا المغرب والعشاء، وكانت هذه اللوحة الخلابة الخيالية تتألق في زاوية من أبصارنا.

تحركنا فور إتمام الصلاة. انطلقنا في صف مرصوص، يعرف كل منا مكانه فيه. حلّ الظلام وكانت القنابل المضيئة تنير السماء من فترة لأخرى، كلما اشتدّ الظلام ازدادت القنابل المضيئة.

كلّما صفرت قذيفة مدفعية، كان الصف يجلس احتماءً من شر الشظايا. كان هطول أمطار القذائف يشتد مع مضي الوقت. مشينا أكثر من ساعة، جلسنا فيها ونهضنا مرات عدة إلى أن وصلنا إلى مكان طال توقفنا فيه كثيرًا. وَصَلَنا خبرٌ من إذاعة التعبئة بأن القادة يعقدون جلسة، وأن مكان توقفنا الآن هو «مصنع الملح».

أُعلن الخبر المنتظر؛ هجوم كتيبة «حمزة» على خط التماس... عمّ الفرح بين الشباب. ثم صدرت التعليمات وفقًا للقادة وتقارير الاستطلاع بتدمير ست أو سبع دبابات عراقية على الجادة بعضها معطل وبعضها سليم. هدف الهجوم السيطرة على الجسر البعيد في الجهة الأمامية. حين انتهى المسؤول من شرح المهمّة المطلوبة. سأله أحدهم:

– الجسر؟ أي جسر؟ كيف هُوَ وكيف سنعرفه؟

قال نعمتي: إنه جسر؛ مجرد جسرٍ ليس له مواصفات، هناك جادة وعليها جسر. نقاتل ونتقدّم حتى نصل إلى جسر!

قال «قمصري»: عندما نرى المياه من طرفي الجادة، سندرك بأننا واقفون على جسر. حينها نكمل في معرفة مواصفات الجسر المطلوب: حديدي أو ترابي أو إسمنتي!

ازدحم سوق التوديع والتقبيل وطلب الشفاعة. في تلك الأجواء قال لي «نعمتي»:

- علي، عندما يقلّ عدد الدبابات العراقية فهذا يعني أن عدد قواتهم كبير! لعلهم يريدون مواجهتنا بأفراد المشاة.

- وهذا يعني أن مجموعة رامي الرشاش سيكون لها الدور الحاسم القاصم!

- يجب علينا توخي الدقة الشديدة. انتبه وافتح عينيك جيدًا. إنْ لمحتهم قبلي فأخبرني بسرعة كي أعاجلهم بالرمي.

- لن نترك منهم أي مبشّر!

حينها توجه «نعمتي» إلى كل عناصر المجموعة:

- إذا سقطتُ أنا أرضًا، يستلم «علي» الرشاش، وإذا سقط علي يأخذه «محمد»، وإذا وقع «محمد» يتابع «مجيد». يجب أن يصدح هذا الرشاش ويغنّي للعراقيين حتى الصباح. الأمر المهم أن يتولى أحدكم إسعاف رفيقه حتى وصول المسعفين الحربيين. فليكن تركيزنا بدقة على العدو وعلى عملنا الحساس أولًا. إذا سنحت الفرصة نساعد المجموعات الأخرى..

حين أنهى مسؤول مجموعتنا كلامه، احتضنّا بعضنا بعضًا مجددًا. لم يكن معلومًا ماذا سيحلّ بِجَمْعِنا بعد ساعة من الآن.

انطلق صفّ الكتيبة نحو نقطة الانتشار. كان مسؤول الفصيل يدور مثل الفراشة حول الشباب. قادة الفرقة يتحركون، كلٌّ مع عامل

إشارتـه الحامل للّاسلكي، مع مسؤول كتيبـة حمزة. هذه الكتيبة التي تحولـت إلى قلب الفرقة النابض وعينها ومصباحها المنير. وصلنا بعد نصـف ساعة إلى خندق قليل الارتفاع، هو نقطة انتشار ومركز الدعم الحربي لخط تماس إيران مع جادة «الفاو-أم القصر».

حـان وقت الانتشار. قيـل إن خط العدو لا يبعد عنّـا أكثر من 200 متر. السرية الأولى هـي الأكثر عددًا؛ الفصيل الأول في المقدمة. كلما اقتربنـا من خـط المواجهة كان الصف يتبدل مـن شكله العمودي إلى شـكل أفقي. بدأنـا نتقدم زحفًا. حتى صرنا نسمـع أصوات العراقيين وهـم يتحدثون مع بعضهم البعض. لم يكن كلامًا عاديًّا؛ بل صرخات وقهقهة؛ لعلّه صوت فرح أو سُكر أو شكلٍ من الحرب النفسية.

أخـذتُ ألـفّ كوفيتي على رقبتي جيـدًا. كنـت لا أزال أشدّها حين بـدأ إطلاق النـار. كان هذا إيذانًا للقوات؛ نهضـ الشباب، وأنا سرت منحنيًا وراء نعمتي. صرنا على الجادة. من أول الاشتباك كانت نيران العـدو غزيرة جدًّا. كان «عمو حسن» يوجّـه الشباب وهو يقف منحنيًا وسط الطريق:

– تقدموا.. تقدموا.. انتبهوا إلى ذلك الخندق وتلك الدشمة.. أيها المسعف اذهب إلى هناك..

تقدم رتل الفصيل الأول بجانبه، وانطلق للأمام، كلما مرّ شابّ قرب «عمّـو حسـن» كان «العم» يُربّت على كتفه وكأنه يقـول له: «بالتوفيق.. أسرع.. لا تقف هنا أبدًا!!».

عندما ابتعدنا عن «عمو حسـن»، بدأ رشاش «نعمتي» يشتغل راميًا الدشـم على الجهـة اليمنى. كنت أنا أدخل «شرشـور» الرشاش بيدي اليسرى داخل الأسطوانة.

تقـدم نعمتـي قليلًا فتحركت معـه. هذه المرة كان يـوزع الرمي بين

اليمين واليسار، دُشم الجهة اليمنى كانت أكثر وأشد غزارة نيران. تقدمنا معًا ونحن في حال الرمي المتواصل. كانت الطلقات تضرب جوانب الدشم فنسمع صدى ارتطامها. أحيانًا كانت تنطلق رصاصات خطاط من الرشاش فترسم سهمًا ناريًّا في ظلام الليل. كان العدو يقاوم وكنا مستشرسين في القتال. لعل تقدُّمنا في المئة متر الأولى، شهد مئات الانفجارات وآلاف الطلقات؛ لكن لم يكن شيء ليمنعنا عن التقدم.

قمنا مرات عدة بالتحرك إلى جانب الجادة ثم العودة إلى وسطها، كنتُ أتعثّر أحيانًا على التراب فأقع ثم أقوم مسرعًا لأتابع، فيما كان كل تركيز نعمتي على مواقع العدو، كنت أستمر في تذخير الرشاش كي لا ينقطع صوت غنائه!

أخذ «نعمتي» الشريط كلّه مني مرات عدّة كي يتحرّك براحة وسرعة، ألقى شريط «الشرشور» ذا المئة طلقة على كتفه وهجم لوحده على دشم العراقيين.

وصلنا إلى مكان فيه ملالات عراقية محترقة وتقدمنا من أمامها. كانت الخسائر كبيرة من الجهتين. رجعتُ لحظة إلى الوراء، فلم أجد «قمصري» و«جواديان» ورائي. وهذا يعني أننا سنواجه نقصًا في الذخيرة. فإما أن أرجع إليهما، وإما أن يقتصد «نعمتي» أكثر في إطلاق النار حتى نكون قد وجدناهما.

وصلنا إلى صفّ مجنزرات العدو. دبابات وملالات لا تُعدّ ولا تُحصى. كان «نعمتي» يبحث بين كل هذه الآليات عن مقاتل من جنود العدو كي يصطاده. فجأة لمحتُ الشيخ رحيمي أمام جماعة فصيلنا وهو يقاتل بشجاعة وعزم لافت. وقع جريح عراقي على الشريط الشائك. كان جسمه متلاشيًا مهشّمًا من خصره حتى قدميه. كان يرفع يده ويصرخ بكلام لم نفهمه. كان يتألم كثيرًا. أطلق «نعمتي»

عليه قنبلة بدل رصاصة الرحمة. قلت له:

– ليتك رميته برصاصة وتركت القنبلة اليدوية للدبابات..

فجأة انفجر برميل «كاز» فارتفعت ألسنة اللهب عاليًا. كأننا صرنا مختلطين بالقوات المعادية. فالعراقيون كانوا حولنا من كل جانب. كنّا قد وصلنا كمجموعة صغيرة إلى رتل مؤلّل ومعزّز للبعثيّين، والمنطقة لم تُطهّر بعد. لم يكن صف الدبابات لينتهي. ولعلّه امتدّ حتى الجسر. كانوا أخبرونا بوجود ست – سبع دبابات؛ فوجدناها ستين دبابة وربَّما أكثر. نظرتُ إلى عمق جبهة العدو، يمكن تحديد قاعدة الكاتيوشا من خلال حركة شهب النار، كان هدفهم امتداد مثلث طرق مصنع الملح. كنت أعلم أننا وفي مواجهة أسلحتهم البعيدة المدى، لم نكن نملك سوى الكاتيوشا الصغيرة.

كانت رائحة الدخان والنار والبارود والدم والكاز والزيت والتراب، تختلط معًا لتملأ المشام؛ لكن عقلنا مازال يعمل ونعرف ماذا يجب أن نفعل. لم تنفذ ذخيرتنا بعد. كنت قد وصلتُ شريطَيّ (150 طلقة) ببعضهما؛ ومع أني كنت أعلم بأن هكذا شريط طويل غير ملائم للهجوم وينفع أكثر لخط الدفاع. لكنه كان آخر ما تبقى لدينا ويجب أن نقتصد في الرمي.

كان «نعمتي» يتابع صيده بين الدبابات وعلى الجادة. يهدأ حينًا ويرمي رشقًا أحيانًا. كانت ظلال العراقيين لا تزال تتحرك بسرعة. عبرنا عن عدة ملالات ودبابات لا تزال سليمة. أصواتُ عراقيين تُسمع من داخلها وخارجها. شارفت طلقات الرشاش على نهايتها. جلس «نعمتي» متعبًا في زاوية. قلت له «لم يبق لدينا سوى 30 أو 40 طلقة».

سأل: هذا آخر شريط؟

- نعم، هذا آخر شريط.. يجب أن نتحلّى بالقناعة!

فجـأة لمحـت «غـولًا» عراقيًّا بـين الدبابـات. كان أعلـى مني ومن «نعمتـي» بحـوالي مـتر! صُدِمنا في نهايـة الأمر. رفـع بندقيته، ولكن نعمتـي كان أذكى منه، فسارعه بعشر - خمس عشرة طلقة في صدره. ارتجف جسمه بشدة وسقط على الأرض.

وكان هنـاك غيره الكثير مـن أمامنا وورائنا. فلا طريق للتقدم ولا طريق للرجوع. لم نجـد حلًا إلّا الاستلقاء على الأرض، تصنّعنا الموت وألقينـا بأنفسنـا على إسفلت الجـادة كالقتلى لكـي لا تظهر ظلالنا. همس «نعمتي» في أذني:

- لا تقلق.. سيأتي الشباب الآن ويخلصوننا..

كانـت ظـلال الرعب تركض هنا وهنـاك، تقترب أحيانًـا وتبتعد أحيانًا أخرى. كنتُ أشعر بقوّة نبضات قلبي في كل وجودي.

خفـتُ كثيرًا وسال عرق بارد على جبيني. لم أكن أجرؤ على القيام بـأي حركة، حتى تحريك إصبـع يدي! فكيف بـأن أمسح عرق جبيني بيدي.

كان أحـد العسكريين البعثيين يصرخ علـى الجنود، وآخر -أقصر قامـة منـه- يتحرك في كل حدب وصـوب، فجأة أطلـق كل رصاصات ممشـط بندقيتـه؛ لعله أراد رفـع معنويـات الجنـود أو تخويفهم من التراجـع. غـيّر ممشطه وعاد فأخـذ الأقسام مجـددًا. حركت وجهي قليلًا على الإسفلت كي أتمكن من الرؤية بشكل أوضح. فجأة، وسط كل هـذه المعمعة والخطر، تذكرت بيتنا وفنـاء حديقته الصغيرة؛ تذكرت اللعـب والفطـور والقفز و... ليقطع فجأةً صـوت صفير قذيفة (آر بي جـي) عليّ حبل ذكرياتي، وأعود إلى «الفـاو». صار واضحًا أن شبابنا

قد وصلوا وأصبحوا قريبين منا. كذلك كنا نسمع أصوات جنود العدو من مكان قريب؛ أصوات وقْعِ أقدامهم وصراخهم أيضًا.

قال نعمتي:

- فلنزحف إلى جانب الطريق. هنا في الوسط سيُقضى علينا..

- أين نذهب؟ نحن أموات! إذا تحركنا، سيقضون علينا فورًا..

- يجب ألّا نبقى هنا، هكذا سنقتل برصاص العدو أو رصاص شبابنا!

قالها وتحرك بسرعة. سحب نفسه نحو ملالتين بالقرب منا. إذا صرنا بينهما سيكون وضعنا أفضل. زحفت أنا أيضًا، لم أكن قد تحركت إلا قليلًا، حتى لمحت ظلًّا من ظلال الشؤم- يتجه نحونا. أحدهم اقترب منّا.. فجأة لَمَعَ نور قوي في عيني وصمّ أذنَيَّ صوتُ انفجار. شعرت بأن أحدًا يسحب شريط الرشاش من يدي. كنت مصدومًا لا أستوعب ماذا حدث ولكن لساني لم يقدر على الكلام. لم أكن أعلم هل أتابع تمثيل دور الميت أو أسعى لأفهم من «نعمتي» حقيقة ما حدث. ملأ الألم والخيال ذهني. كنتُ أظن أن ظلال الشؤم لا تزال فوق رأسي فلم أتمكن حتى من تحريك أجفان عينَيّ، خوفًا أن يلاحظوا حركتها أو يسمعوا صوتها! لم أكن أرى شيئًا. قلت لنفسي: هذا طبيعي، فالظلام يلف كل شيء. نحن في ليلة الهجوم. أخذني خيالي إلى سجن بغداد ومعتقل الإمام السابع! في هذه الأثناء سمعت صوتًا أعرفه:

- تقدّم للأمام، العراقيون يهربون.. يا حسين.. هيا يا أخي.

صاح مقاتل آخر: يوجد جريح هنا أيضًا..

شعرتُ بهدوء عظيم؛ مع أن وجعي كان شديدًا جدًّا. لم أستوعب بعدها كم ساعة مضى حتى نقلوني من هناك إلى الخطوط الخلفية.

كنت في حال بين اليقظة والنوم. أسمع أصواتًا حينًا، وأغرق أحيانًا بالحوار مع نفسي؛ ولكني لم أكن أرى شيئًا.

كنت أستجمع وعيي، شعرت أن مسعفًا يتفقد جراح وجهي وعينيّ ويضع مرهمًا عليها. لم أكن أعرف صوته، وكذلك هو لم يكن يعرفني. سألني:

- أنت من أي سرية؟

- السرية الأولى، الفصيل الأول..

قدرتي على الكلام مدَّتني بالمعنويات؛ تمامًا كالطفل الصغير الذي ينطق بجملة لأول مرة. حين أنهى عمله قال:

- سيأتي الشباب الآن لنقلك إلى الخلف.

انتظرت حتى وصل شباب الإسعاف. قال أحدهم:

- ارفعوه من ناحية كتفيه، انتبهوا على وجهه ورأسه..

قال آخر: «إنه ثقيل جدًا.. كيف ننقله؟»

أجابه الأول بصوت هادئ وحنون «أنا أعرف أنك متعب؛ ولكن إن جاء هذا الشاب الذي لا يراك الآن في يوم القيامة، فهل ستقدر على النظر في عينيه؟!».

كانوا ثلاثة مسعفين، أمسك أحدهم الحمالة من الوراء وأخذ الاثنان الآخران بها من الأمام. ضحكت في سرّي وقلت لنفسي: إذا لم يأخذوني هم، فأنا أذهب لوحدي، لدي قدمان. لم ينزف سوى القليل من دمي. أمشي حتى نهر «أروند» ثم أسبح نحو الضفة الأخرى.. لم تكن التخيلات تتركني.

كانت الحمّالة تتحرك والفوضى الذهنية تملأ بصري وسمعي حتى قال أحدهم:

- أخـي، ضعـه هنا.. إنـه آخر الطريـق.. الآن، تأتـي السيارة و..
جاءت سيارة الإسعاف، وضعوني فيها. غطّوني أيضًا بشرشف. لم يكن الطريق طويلًا. أنزلوني مجددًا، كانت روائح الأدوية والكحول المعقمة تملأ المكان. حقنـوني هناك بعدة إبر. ثم عادوا فأخذوني بسيارة إلى نهـر «أروند» وهناك عبرنـا المياه بقارب. كانت رائحـة النهر الجميلة تدغدغ مشامـي وقطرات رذاذ الماء تلاعب وجهـي. كنت أشعر بعجز عـن تحريـك إحدى يديّ، لعـل الإرهاق هو السبب؛ ولكـن ليس مهمًّا، المشكلة كانت في عينيّ وحال الاحتراق الشديد فيهما.

علـى الضفة الأخـرى للنهر، وضعـوني مجددًا في سيـارة إسعاف وانطلقنا نحـو المستشفى. كان مزدحمًا جدًّا. أصوات الصراخ والأنين تملأ مسامعي. كان الأطبـاء يأتون ويذهبون؛ لكنّ وقتًا طويلًا مرّ عليّ ولم يتفقدني أحد. بدأت أفقد طاقتي وصبري، صرخت:

- لماذا لا يأتي أحد إليّ؟!

جاء أحدهم وقال لي:

- يـا أخي، أنت وصلـتَ للتوّ.. اصـبر قليلًا.. لا تقلـق.. سيتحسّن وضعك وتعود سالمًا معافى!

تساءلـت في نفسي: ترى هل أعود حقًّا كما كنت من قبل؟ هل أعود إلى الفصيل وأشارك في العمليات مع الشباب؟ فكّرت وتخيّلت وتكلّمت مع نفسي حتى غبتُ عن الوعي... وعدت فاستعدت وعيي مجددًا.

أخرجـوني مجـددًا من هنـاك وأخـذوني في سيارة أخـرى. فجأة سمعـت صوتًا قويًا يمزق الأسماع. صـوت شفرات مروحية. أصعدوني إلى الطائرة وانطلقنا في السماء. حطّت المروحية بعد مدة. نقلوني إلى طائـرة نفاثة هذه المرة. حتى استقررنا على الأرض بعد طيران طويل.

سألت من كان معي ولا أراه:

- أين نحن الآن يا أخي؟

- في مشهد.. نحن في مطار مشهد.

حين استعدت وعيي، وجدت نفسي نائمًا على سرير مستشفى. شعرت أن هناك من يحاول إيقاظي. حين استوعبت الوضع، سمعت أحدًا يسألني:

- يا أخ، أعطني رقم هاتفكم كي أخبر أهلك بإصابتك..

لم يعلم بأنه أيقظني من النوم لأن وجهي وعينيّ مغطّاة بالضمّادات. سألني مجددًا:

- لا شك أن أمك وأباك ينتظرانك.. أعطني رقمكم كي أطلبه لك.

سألتُ: أين نحن؟

- مستشفى الإمام الرضا.

- هل الآن ليل أم نهار؟

- في الليل.

- رقم الهاتف.. رقم الهاتف..

تذكرت رقم أحد الأصدقاء، قلته ثم غفوت مجددًا.

كان الطبيب أو الممرض يأتي كل فترة للمعاينة والفحص ويقول لمن يرافقه شيئًا ما ثم يذهبان. كان الجميع يواسيني بأنه ليس أمرًا خطيرًا ويجب أن أتحمّل هذه المدة؛ أيامًا أو أسبوعًا أو عشرة أيام.

في أحد الأيام، شممتُ رائحة أخرى في الغرفة سألت:

- من هنا؟ أنت أيتها السيدة الممرضة؟

ارتفع صوت بكاء أعرفه. نعم، إنها أمي. عانقتني وضمتني إلى

حضنها مثل طفل صغير. هدأت نفسي واستكانت للقائها. لم تنطق بأي كلمة. لعلها كانت تنظر إلي وتحدق فقط.

كان أبي معها أيضًا عانقني وقال:

– كيف حالك يا ولدي؟ منذ متى وأنت هنا؟ ليتك أخبرتنا قبل الآن!

كان صوت أمي يرتجف. أحضرت لي عسلًا من منطقة «خوانسار».

قال أبي بحنان:

– فطورك غدًا سيكون عسلًا فاخرًا!

عندما قام الطبيب بنزع الضماد عن عينيّ لأول مرة، تألمت بشدة. بعدها، حرك لي أجفاني كي يفحصني، ثم غسل لي عينيّ وأعاد تضميدهما بعد وضع الأدوية المعقمة والمرهم عليهما.

عاد الوجع ليشتدّ كثيرًا ولم يخفّ إلا بإبرة مسكّن.

كان قد مضى أسبوع على إصابتي وانتقالي آلاف الكيلومترات من مكان إلى مكان، قالوا لي إنهم يريدون غسل شعر رأسي. كنت قد غسلته آخر مرة في «كارون»؛ في حمام المعسكر حيث استحممت بعد انتظار دوري لمدة ساعة أمام الحمام!

سألني الممرض الذي يغسل شعري:

– ماذا تفعل هذه الشظايا والتراب والقطران في رأسك؟

أجبته:

– لقد أصبت وسقطت على إسفلت الجادة في العراق قرب الحدود الكويتية.

– وإلى أين لم تذهب! بهذا العمر الصغير جُلت في كل العالم!

انتابنـي شعـور جيـد وأحسست براحـة عندما غسـل شعري. كان وجهـي مغطًّى بالضمـادات، والماء النازل على رأسـي يمنحني نشاطًا وحيوية. كان طعام الغداء يومها «كفتة». ما إن فاحت رائحته، اشتهيت الأكل. قبلها كنت أتناول السوائل فقط؛ لكنّ أمي قامت يومها بتصغير قطـع الطعام وتلقيمي إياها بهـدوء، وهكذا خرجتُ من حال الصدمة واضطراب الإصابة.

كنـت إلى ما قبـل وصولي لمستشفـى الرضا، كلمـا استعدتُ وعيي وتذكـرت الصـلاة، أقول «اللّه أكبر» وعدة مـرات «سبحان اللّه»، لكن عندما استقر وضعـي نسبيًّا في مشهد، صرت أصلي أولًا بدون وضوء، وكانـت صلاتـي عبارة عـن بعض أجـزاء أذكار الصـلاة. ثم تمكنت من الوضـوء وصليت قاعدًا وقائمًا. ساعدني لقـاء أمي وأبي لأتحسن بسرعـة. ارتفعت معنوياتي وصرتُ أقـف وأمشي. سألت أحد الأطفال في ممر المستشفى:

– كيف يبدو شكل رأسي؟

– مثل قجة بيضاء وتصدر أصواتًا من فمها..!

ضحكـت كثـيرًا من تعبـيره البريء. بـدأت أتعـوّد علـى التحرك والتعـرف إلى الأشياء من دون حاسة النظـر، يجب أن أحل مشكلاتي وأدبّـر شؤوني مـن دون عينـين، أن أمشي من دون عينـين، أن أعرف الوقـت إن كان صباحًـا أو مسـاءً، .. كان عملًا شاقًـا ولكن لا بد منه! ولم يكن هذا هو كل المشكلة، كنت لا أزال، عندما أقف أو أحرك عينيّ في الحدقـة أو عندما أحرك رأسي، أشعـر بألم شديد في عينيّ وتسوء حـالي كلها. الظـلال أيضًا، لا تفارقنـي ولا تتركني وشـأني. في الليل شاهـدت ظلًا من ظلال الشؤم تلـك، هاجمني وألقى قنبلة يدوية نحو

وجهـي فانفجرت وقلعت عيني. استيقظت من نومي مرعوبًا صارخًا.. أنادي للمرضات، فكانت إحداهنّ تواسيني قائلةً:

– بعمـرك الفتيِّ هذا، مكانـك الطبيعي في المدرسـة وعلى مقاعد الدراسة، وليس في جبهات الحرب!

لم يطـل انقطاعي عـن أخبار الحـرب والعمليات. في أحـد الأيام سمعت صوتًا معروفًا يقول لي:

– ماذا تفعل هنا يا بطل؟!

كان جـواد نصـيري بـور، مساعد رامـي الآر بي جـي في فصيلنا. فرحتُ لسماع صوته، وأمسكتُ يده ضاغطًا عليها بشوق.

سألته:

– جواد، متى وكيف جُرحت؟

– لقـد أصبـت في الدقائـق الأولى للهجوم، ولأني كنـت قادرًا على المشي، رجعت للخطوط الخلفية ولم أنتظر شباب الإسعاف الحربي.

– وما أخبار «جلّ الخالق»؟

كنـت أقصد مسؤول الفصيل الذي كان يـردّد دائمًا «جلّ الخالق»! أجاب:

– أخبرونا أولًا أنه خرج، ثم قيل بعد ذلك إنّه استشهد!

في الليلـة الأخيرة لي في مستشفى الإمام الرضا عليه السلام، شاهدت في نومـي أني أطرقُ بابًا لحديقـة كبيرة ذات ألوان وأزهـار جميلة جدًّا. وكان النـور يشـعّ بين الأوراق ويلمـع فوق الأرض. كان ضياء الشمس يؤذي عينـي بقوته. التجأت إلى ظلال الأشجـار بالقرب من نبع ماء، ثـم التقيت في هذه الحديقة الكبيرة التي لا انتهاء لها، بأخي الشهيد، عانقنـي وهو يبكي. كنت أتكلـم معه ولكنه كان يحدّق بعينيّ ولا يتكلم،

فقط كان ينظر إلي. في تلك اللحظة، شعرت بأني لن أبصر بعدها أبدًا، على الرغم من كلام الأطباء والأصدقاء بأني سأشفى وأعود سالمًا معافى. شعرت بأنّي قدمتُ عينيّ هدية للّه. قلت لأخي الشهيد:

«لقد نفد صبري. أنا مستعد للموت، ولكن بشرط أن أرى. لا أستطيع أن أبقى كل عمري هكذا، لا يمكنني تحمل شفقة الآخرين. يجب أن أبصر». في لحظة الوداع، طلبت منه أن أبقى معه في تلك الحديقة الغنّاء؛ لكنه لم يرد عليّ، رجعت إلى مدينة الظلال.

رجعت بالطائرة من «مشهد» إلى «طهران». في «طهران» أدركت أنهم في المستشفى في «مشهد» لم يقوموا سوى بغسل عينيّ وتعقيمهما وإعطائي مضادات للالتهابات فقط. أُجْرِيَت لي عملية جراحية في مستشفى «الفارابي» في طهران؛ لكن لم تتحسّن الرؤية في عينيّ. ثم قرّر الفريق الطبي بأنّ عينيّ تحتاجان إلى علاج بأشعة الليزر؛ وبما أنّ هناك ضغطًا وعددًا كبيرًا من الإصابات السابقة التي تنتظر دورها في هذا النوع من العلاج، تم إرسالي إلى بريطانيا. في يوم27 اسفند 1364هـ (1986/3/18)، وهكذا، أجريت لي عملية بواسطة أشعة الليزر في مستشفى في بريطانيا، وهناك فقدت بصري بشكل نهائي ودائم. ولعلي لو بقيت في إيران منتظرًا دوري في العلاج لكان الوضع مختلفًا، ربّما!

في طهران بدأت أسمع أخبار الأصدقاء في فصيلنا خبرًا تلو خبر. فقد استشهد «شيرازي» و«حسين رضي»، وكنت قد رأيتهما أثناء التقدم إلى جانب «أعلا». «حسن قابل أعلا» أصيب بجراح خطيرة وهو يُعالج في المستشفى.

كذلك أصيب «مجيد جواديان» بشظية في رأسه ولكن وضعه تحسّن. سمعت في بريطانيا خبر شهادة «محمد قمصري» من الجريح

الـذي كان معي في غرفـة المستشفى. قبل العمليـة الجراحية وفي تلك الغربة، كنت أتذكره دائمًا حتى صار أنيسي في تلك المدة.

في إحدى الليالي رأيت «حسين رضي» في المنام. قلت له:

– حسـين، أنت استشهدت، ولكنـي لا أستطيع زيارة ضريحك أريد زيارة قبرك، ولا أريد أن أطلب مساعدة من أحد.. سامحني..

في المنزل، كنت أمرّ أحيانًا من أمام المرآة، فيخطر في بالي ذكريات الماضي حين كنت أمشط شعـري وأرتب قميصي أمامها، ولكن الآن لا شأن لي بالمرآة. إن خرجت أحيانًا من المنزل –وغالبًا لزيارة الطبيب– كان الآخرون يهتمون بترتيب شكلي ولباسي.

رأيـت «محمد قمصـري» في منامي مرة –كان حلمًـا جميلًا وكأنه جاء لمحاربة تلك الكوابيس والظلال– كان في غرفة فخمة تشبه غرف القصـور الأسطوريـة. إلى جانبـه امـرأة تشبه النسـاء الأسطوريات أيضًـا. نظرت إليها؛ كان شعرها أسـود وعيناها كبيرتين وسوداوين.. وانتهى الحلم.

كنـتُ أستعـين بيديّ للمشـي في البيت؛ ببـطء أولًا ثم أُسـرع شيئًا فشيئًـا. في أحد الأيام، ذهبتُ مع أخي –الذي كان في وحدة المدفعية– إلى ضرائـح الشهداء. قـرأتُ الفاتحة على قبور اثني عشر شهيدًا من شهـداء الفصيـل الأول. أمّا الشهيـد الثالث عشـر، وكان ضريحه في منطقة «جهار دانكه» هو «محسن كلستاني» مسؤول الفصيل.

آخـر خبر كان لدي عـن «نعمتي» يعود إلى تلـك اللحظات الأخيرة علـى إسفلت جادة «الفـاو – أم القصر» حين تصنّعنا أننا ميّتين، ومن ثم زحفنا نحو الملالات.

بعد فـترة، التقيت «محـرم» شقيق ««نعمتي»، الـذي كان بدوره في

السرية الأولى تلك الليلة. أخبرني عن نعمتي فقال:

– في تلك الليلة، تقدّم الشباب وتجاوزوا صف الدبابات والملالات العراقية واقتربوا من الجسر، نفدت منهم الذخائر، فرجعت أنا لتأمين الذخيرة. رأيتُ «غلام رضا» بين الملالات. كان قد لفّ قدمه بضمادات ويحاول الانسحاب. سألته: «هل تريد مساعدة؟ هل أحملك للخطوط الخلفية؟».

ومع أنه كان منهكًا، إلا أنه لم يسمح لي بمساعدته وقال: «أنت تابع تأمين الذخيرة». فجأة أُطلق رصاص باتجاهنا، أدركت أن أحدًا ما يكمن لنا تحت الملالة. أجلستُ «غلام رضا» جانبًا، وسارعت لملاحقة ذلك الجندي البعثي، رميتُه فوقع في أرضه. عندما رجعت انفجرت إحدى الملالات بالذخائر التي كانت فيها، فغبت عن الوعي وسقطت أرضًا. استعدت وعيي عندما كانوا ينقلونني بالزورق إلى ضفة «أروند» الأخرى. فلم أعرف ماذا حدث لأخي. بعد أسابيع، بحثت عنه في كل المستشفيات ومراكز «معراج الشهداء»، ولكني لم أجده ولم أعرف ماذا حلّ به.

سألته: «وكيف علمتم بشهادته بعدها؟ من الذي أخبركم؟». قال: «كان اسم «غلام رضا» بين لوائح المفقودين في ثكنة «المقداد». رجعت إلى السرية وسألت الجميع عنه لكن من دون جدوى. لم يره أحد منهم».

– هل أقمتم له مراسم؟

– نعم، ذكرى الثالث وذكرى الأسبوع والأربعين.

في العام 1986م عزمت مجددًا على الالتحاق، وكان عليّ أن أُرضي الجميع بذلك. عادت أمي للقلق مرّة أخرى. وعدتُها أن أخدم في الخطوط الخلفية وفي مجال الدعم.

في تلك السنة التي جرت فيها عمليات كربلاء 4 وكربلاء 5 وكربلاء 8، كنتُ عامل الإشارة في قسم المدفعية في الفرقة، وأحفظ كل الشيفرات والرموز وأجلس مرابطًا أمام جهاز اللاسلكي.

في العام 1987م ذهبت أيضًا إلى الجبهة. وفي السنة التالية انتهت الحرب. انتهت، لكن آثارها ونتائجها بقيت ولا تزال؛ لكل إيران، لهذا الجيل وللأجيال القادمة، لعوائل المضحين والشهداء والأسرى و..

بعد الحرب، علمت بأن «مجيد جواديان» -المساعد الثالث لرامي الرشاش- قد تعرّض لكمين من العصابات المعادية للثورة في «سقز كردستان» واستشهد، وقد دُفن في «القطعة 53» إلى جانب رفاقه شهداء الفصيل. لم يبق حيًّا من مجموعة الأربعة تلك سواي وأنا بهذا الوضع.

ما زلت أحيا مع آثار الحرب التي انتهت بحسب الظاهر. أودّ أن أنساها ولكنّي لا أستطيع. وكأنني حتى الآن لم أستطع تقبل وضعي، فلم أرغب بتعلم خط «بريل» ولم أكمل دراستي. الآن وبعد مرور أكثر من عشرين سنة على تلك الحادثة؛ أودّ أن أكمل دراستي أو أن أشغّل معمل نسيج الجوارب الذي كنت أحلم به وأنا صغير. لعله الآن، وقد أصبح عندي ثلاثة أبناء وكل حياتهم مرتبطة بالدرس والكتب والدفاتر، دفعني التفكير بتأمين حياة أفضل لهم، لأن أعود للعلم ومتابعة الدراسة. ربما سأستخدم العصا أيضًا، التي رفضتُ استخدامها حتى في الجبهة سنة 86 و87م. لعلكم تعتبرون هذه السنوات العشرين، برزخًا طويلًا قد صنعته لنفسي، ولعلّه لم يطل عند البعض سوى ليوم أو أسبوع أو شهر. ربما كان يجب عليّ أن أتكيّف منذ وقت طويل مع كثير من الأشياء.. وربما ولعله.. ولكن ماذا يمكن أن أفعل؟

لقد عشت مع الظلال بدءًا من ليلة 1986/2/12؛ ليس مع ظلال الشؤم التي كانت تركض في تلك الليلة بكل اتجاه على تلك الجادة؛

بل إنّني أرسم في ذهني ظلالًا لكل من أتواصل معه وأسمعه. كلما تكلمت مع أحد أخلق له دورًا عبر ظل في ذهني وكأنني أتحدث مع شخص يشبهه.

واليـوم ها أنا أسـأل نفسي؛ هل ذلك الشخص الذي يرى بعينيه، ولكنه لم يرَ حادثة كبرى لهذه الحرب، كان وما زال يبصر أكثر مني؟ وهل ما يراه هو اليوم الأرض والسماء والبيت والشوارع والسيارات و.. ظلال، أم أنها الحقائق الموجودة في ذهني؟

إنّني حيّ وأحب من الآن فصاعدًا أن أعيش، ليس مع ظواهر الدنيا الملوّنـة، وإنما مع باطـن الخلق النوراني، وأنا أعلم جيـدًا أنّ هذه هي الحياة الحقيقية.

وثائق الفصل الثامن

الرقم	الاسم والشهرة	الوثائق المكتوبة	الصور	الوثائق غير المكتوبة
1	علي بي بي جاني	57	19	345 دقيقة حوار
2	الشهيد غلامرضا نعمتي	123	19	175 دقيقة حوار مع العائلة
3	الشهيد مجيد جواديان	26	11	215 دقيقة حوار مع العائلة

من مجموع مستندات الفصل، أُدرج في هذا القسم 21 ورقة من الوثائق المكتوبة، و10 صور

1- علي بي بي جاني

1-1 المعلومات الشخصيّة

- حائز على الشهادة المتوسّطة، متأهّل وله ثلاثة أولاد، يعمل في مؤسّسة الجرحى.

- تاريخ ومحلّ الولادة: طهران 1968.

- مدّة الحضور في الجبهة ونوعيّة المشاركة (الصفة): 36 شهرًا متطوّعًا في التعبئة.

- العمليّات التي شارك فيها والرتب العسكريّة: مهمّة دفاعيّة في فكّة، 1982 (وحدة الاتّصالات والإشارة)، سقّز، 1984 (مساعد رامي

آر بي جي)، مهمّة دفاعيّة في مهران، 1985 (مساعد رامي آر بي جي)، عمليّـات والفجر 8 (مساعـد رامي رشّاش ثقيـل)، عمليّات كربلاء 5 (وحدة الاتّصالات)، عملّيات كربلاء 8 (وحدة الاتّصالات)، عمليّات نصر (وحدة الاتّصالات)، عمليّات بيت المقدس 4 (وحدة الاتّصالات)

عدد الإصابات: الإصابة في كلتا عينيه وتفريغهما، وإصابة في وجهه.

- درجة الإصابة: 70%.

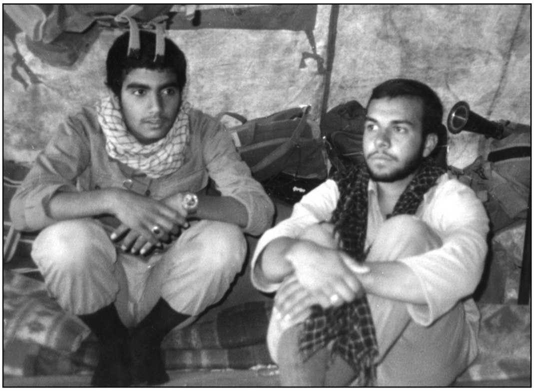

الصورة رقم 60 من اليمين: علي بي بي جاني، محمّد قمصري

1-2 ملاحظات

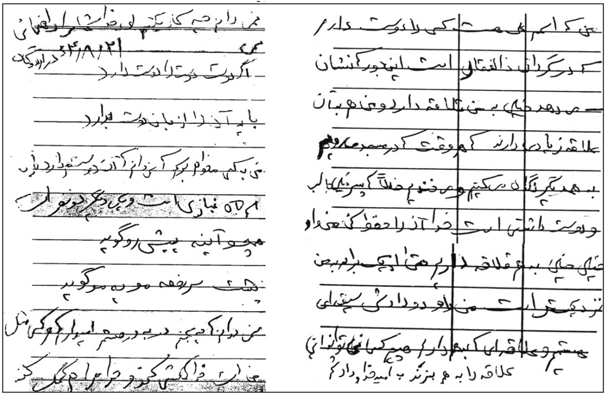

الوثيقة رقم 86 (ورقتان)

3-1 المذكّرات المكتوبة

1-3-1 دفتر محمّد جواد نصيري بور (الوثيقة رقم 87)

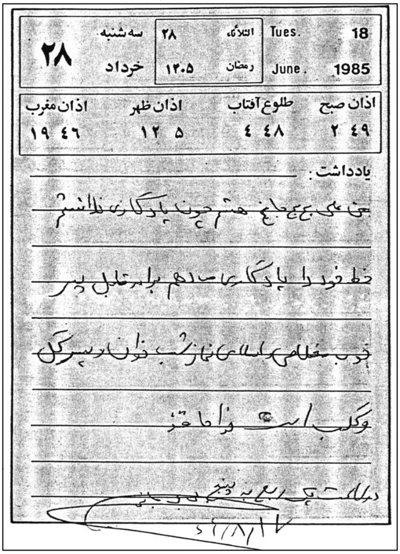

۲۸	سه شنبه / خرداد	الثلاثاء ۲۸ / رمضان ۱۴۰۵	Tues. 18 / June 1985
اذان مغرب ۱۹ ۴۶	اذان ظهر ۱۲ ۵	طلوع آفتاب ۴ ۴۸	اذان صبح ۲ ۴۹

یادداشت:

من علی بخ بخ علیهم هستم چون یادگاری نداشتم
خط خود را یادگاری میدهم برادر قابل پیر
خوب معلم اسلامی نماز شب خوان و سرگل
و کلب است ...

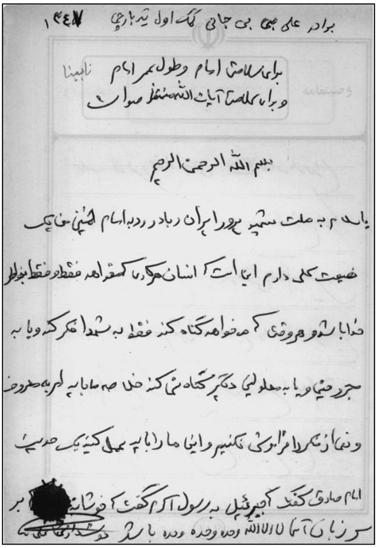

برادر علی ... اول ... ۱۴۴۷

برای سلامتی امام و طول عمر امام ... و برای سلامتی آیات الله ... صلوات

بسم الله الرحمن الرحیم

با سلام به ملت شهید پرور ایران رهبر و در رهبر امام خمینی من یک
نصیحت کلی دارم این است که انسان هر کار میکند فقط به خاطر
خدا باشد و هر وقتی که میخواهد گناه کند فقط به شهدا فکر کند و یا به
مجروحین و یا به معلولین دیگر گناه نمیکند ...
... یک حدیث
امام صادق ...
... لا اله الا الله وحده وحده ...

2-3-1 دفتر عرب علي قبل (الوثيقة رقم 88)

4-1 رسالة

الوثيقة رقم 89

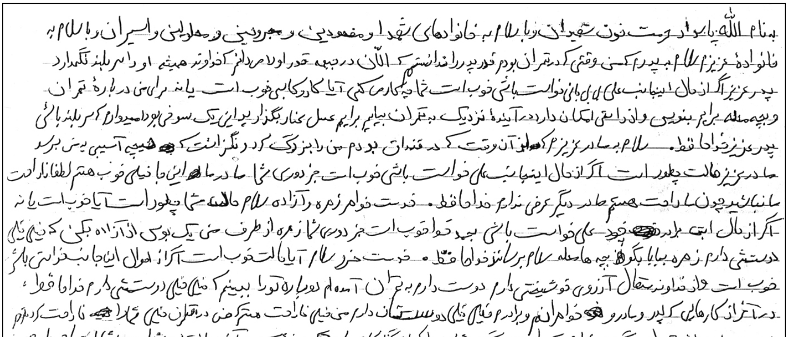

بنام الله ... با سلام به خانواده‌های شهدا و مفقودین و مجروحین و معلولین و اسیران و با سلام به
خانواده عزیزم ... الان در جبهه ... خداوند همیشه او را سربلند نگهدارد
پدر عزیز اگر از حال اینجانب ... خوب است ... درباره تهران
... برایم بنویسید ...
پدر عزیز خداحافظ. سلام به مادر عزیزم ...
مادر عزیز حالت چطور است اگر از حال اینجانب ... خوب است ...
... خداحافظ ...
... خداحافظ ...
... دوست دارم ...
... خداحافظ
... احتیاج دارم

5-1 الكلام الأخير

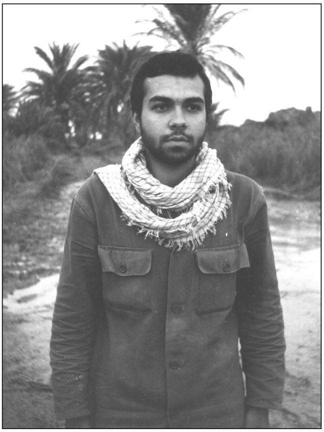

الصورة رقم 61

الوثيقة رقم 90

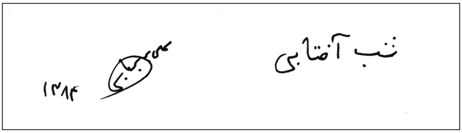
۱۳۸۴

2- الشهيد غلامرضا نعمتي سياه بيراني

2-1 بطاقة الهويّة

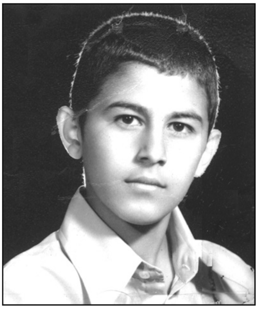

الصورة رقم 62

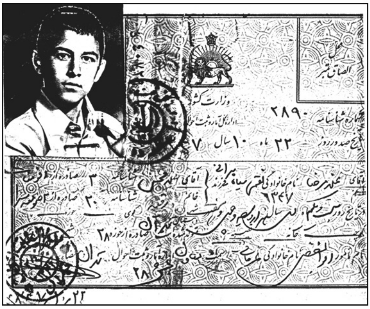

الوثيقة رقم 91

2-2 مدوّنات

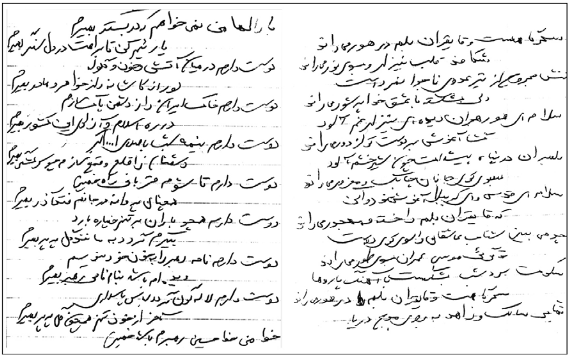

الوثيقة رقم 92 (6 أوراق)

2–3 الرسائل

الوثيقة رقم 93

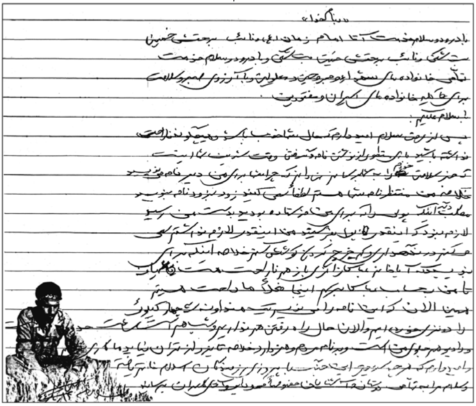

الوثيقة رقم 94

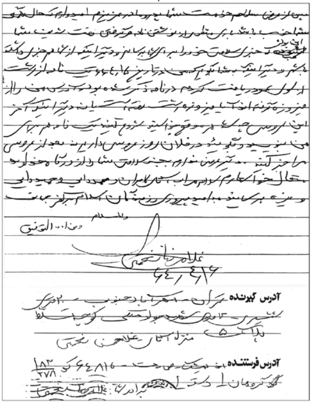

آدرس گیرنده

آدرس فرستنده

الصورة رقم 63

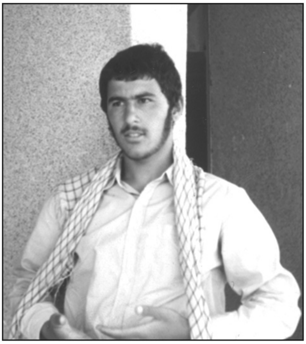

الصورة رقم 64

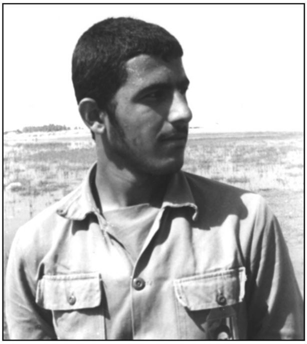

2–4 الوصيّة

الوثيقة رقم 95

(ورقتان)

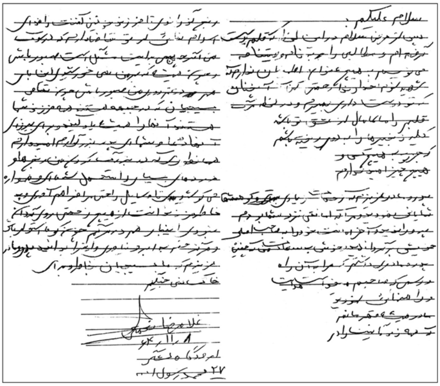

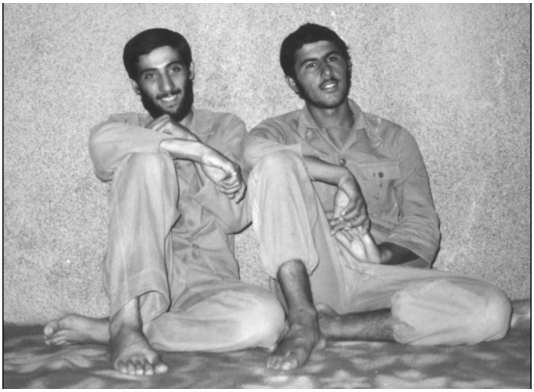

الصورة رقم 65 من اليمين: نعمتي، أحمد أحمدي زاده
(كلاهما لم يُعثر على جسديهما)

5-2 مقابلة مع أمّ الشهيد

ولـد غلامرضا الولد الثالث مـن أولادي في أواخر فصل الشتاء في مستشفى فرح[1] في طهران. وبعده بسنة وُلد محرّم. كان هذان الأخوان يشبهان بعضهما البعض كثيرًا. إنّنا من أهل «صومعه سرا» من توابع «كيـلان». عندمـا كان غلامرضـا في الثالثة من عمـره، لم يكن يحبّ كثـيرًا الذهاب معنـا إلى السهل لزراعـة الأرزّ، وكان يخاف من البقر والغنم، لذا، غالبًا ما كان يبقى في منزل جدّه وإلى جانبه.

صبـاح ذات يوم، أفاق من النـوم، وبمجرّد أن تناول اللقمة الأولى، حتّـى بدأ يسعل سعـالًا حادًّا، بحيث احمرّ وجهـه وازرقّت شفتاه. قال لي الجـيران إنّه مصاب بالسعـال الديكي. وقد وصف لـه كبار السنّ عشبـة، لكـنّ ذلك لم يجدِ نفعًا. توصّلنا بعد عـدّة أيّام إلى أنّه يصاب بهذه الحالة جرّاء تناوله للجبن. فأخذناه إلى طبيب في «صومعه سرا» وتحسّنت حاله.

1 - يُعرف اليوم بمستشفى الشهيد «أكبر آبادي».

كان غلامرضا طفلًا هادئًا ولطيفًا، لم أذكر أنّني اشتريت له يومًا لعبةً ليلعب بها. كان يتسلّى ويمضي وقته باللعب في تراب الحديقة وصناعة الآنية والصحون الطينيّة منه. بقينا في «صومعه سرا» إلى أن صار في الصفّ الثاني الابتدائي، فانتقلنا بعدها إلى العيش في طهران، حيث عمل والده في معمل «ملّي» لصناعة الأحذية. كان غلامرضا يتابع دراسته في المرحلة المتوسّطة حين بدأت أحداث الثورة، فكان يحمل هو ومحرّم العصيّ والدواليب وينزلان إلى الشارع. بعد المرحلة التكميليّة، التحق بأحد المعاهد الفنيّة، فكان يتابع دروسه جيّدًا، ويحبّ رسم الخرائط. وما زالت المسطرة والطاولة التي كان يرسم عليها موجودتين إلى الآن كذكرى منه.

لم يكن من أهل الأزقّة والشوارع. بل كان يقضي أوقات فراغه في المسجد. وفي شهر رمضان كان يبقى في المسجد إلى وقت السحر، وحين العودة، كان يسلّط ضوء مصباحه اليدويّ على نوافذ بيوت أصدقائه ليوقظهم إلى السحور وصلاة الصبح. لم يكن قد أتمّ الخامسة عشرة من عمره، حين قرّر الالتحاق بالجبهة. قال له والده: ما زلت طفلًا، عليك الاهتمام بدراستك؛ لكنّ غلامرضا لم يكن ليتخلّى عن هذا الأمر. فكان دائمًا يحوم حولي ويلحّ عليّ ويرجوني لأقنع والده بذلك. لم أره يومًا مصرًّا على أمر ومتحمّسًا له كما كان مصرًّا ومتشوّقًا للذهاب إلى الجبهة. لم أرد أن أكسر قلبه وأزعجه. وقّعت على ورقة موافقة الأهل، وذهب. لا أعلم كم يومًا وشهرًا خدم في كردستان، ذلك أنّ كلّ يوم كان يمضي وكأنّه شهر. في تلك السنة نفسها، التحق محرّم أيضًا بالجبهة بعد أن تلاعب ببطاقة هويّته. كان غلامرضا يرسل لي في الأسبوع رسالة أو رسالتين. أحيانًا كان يكتب لي رسالة خاصّة ويقول: مزّقيها ما إن تقرأيها وارمها بعيدًا.

ذات يوم، استفقت من النوم باكرًا. وضعتُ دجاجة كبيرة في القدر لأطبخ «الفسنجـون». وكان غلامرضا يحبّ هذه الطبخة كثيرًا. قرابة الظهر، جاءت إليّ إحدى الجارات تركض مضطربة وهي تقول: «أعطني البشارة، فقد عاد ابنك محرّم». لقد خطر ببالي أن أطبخ الفسنجون منذ الصباح الباكر. وضعت «تشادوري» على رأسي وخرجت. وحين وصلتُ إلى منتصف الزقاق وجدت أنّ العائد غلامرضا لا محرّم. كان يحمل حقيبته على ظهره. شكرت الله تعالى على أنّه سالم. كان هذان الاثنان شبيهـين ببعضهما البعض، بحيث كان الجيران يشتبهون فيما بينهما. عندما جـاء في المأذونيّة، لاحظت أنّه يطأطئ رأسه أكثر من ذي قبل. في المنزل كان يرتـدي السروال العسكري والقميص الداخلي اللذين أعطوهمـا لـه في الجبهة. وكما هـي عادته، كان يُساعـدني في أعمال البيـت. يغسل ملابسه بنفسه وينشرهـا على حبل الغسيل لتجفّ. كان هو ومحرّم ينامان في الليل إلى جانبي؛ هو من جهة ومحرّم من الجهة الأخـرى. أحيانًا كنت أمسح بيدي علـى رأسيهما وأقول في نفسي: بما أنّكما تحبّان الجبهة إلى هذا الحدّ، فسأتحمّل عناء البعد عنكما.

مضت أيّام مأذونيّة غلامرضا بسرعة كبيرة. قال لي حين المغادرة:

- إذا مـا أراد الله وعدت سالمًا، فلن أعـود إلى الجبهة مجدّدًا، بل سأنصرف إلى متابعة دراستي وشؤون حياتي. أغلقت حقيبته، ومشينا معًا صوب الباب. قال:

- أمّي، لا داعي لخروجك، سأذهب بنفسي.

بعدهـا خرج مسرعًا وأغلق البـاب وراءه. كان ظرف الماء في يدي. أردت أن أريـق الماء خلفه. لففت «تشادوري» تحت إبطي، فتحت الباب وخرجت إلى الزقاق. كان قد ابتعد كثيرًا.

أرقت الماء خلفه، وقرأت «قل هو الله أحد». استدار ونظر إليّ. ما إن استدار حتّى سقط ظرف الماء من يدي، وشعرت وكأنّ أطرافي قد شُلّت. لا أعلم لِمَ لم أندم حينذاك على موافقتي على ذهابه.

بعد ساعة، انطلق محرّم أيضًا نحو الجبهة.

أرقت الماء خلفه. لكنّني كنت أشعر بالسكينة تجاهه.

في أوائل شهر شباط، كنّا ذات ليلة نشاهد التلفاز، فإذا بابني الأكبر يقول لي: «أمّي، هذا الفيلم هو عن عمليّات الفاو. وغلامرضا ومحّرم يشاركان فيها».

أحسست باضطراب في قلبي ومن دون إرادة منّي استسلمت للبكاء. ومنذ حينها رحت أنتحب وأدعو وأنتظر طوال يومي رسالة أو برقيّة أو خبرًا عنهما.

بعد 45 يومًا من ذهابهما، عاد محرّم إلى البيت جريحًا، وقال: «لقد جُرح غلامرضا في انفجار للذخيرة، لكنّ رفاقه لم يستطيعوا نقله معهم». ومن اليوم التالي، أصبح دأبنا اليومي تفقّد المستشفيات وبرّادات حفظ الموتى لنحصل على خبر عن غلامرضا. وكنّا نذهب كلّ يوم إلى مؤسّسة الشهيد ونتفحّص الأجساد المحترقة والمقطوعة الرؤوس والمتلاشية. وننظر بدقّة في الطول، البنية، شكل الوجه، الشعر، العينين، الحاجبين، وكلّ ما يقع عليه النظر، لنعثر على علامة له؛ لكنّ أيًّا من هذه الأجساد لم يكن لغلامرضا.. لقد ضاع غلامرضا! كان الأمل واليأس يتجاذباننا إذ وصلنا خبر بأنّه تمّ إحضار أجساد ثلاثة شهداء من دون مشخّصات ولا بلاكّات. أحد هذه الأجساد كان محترقًا وغير واضح المعالم. نظرت إليه مرّة أو مرّتين بشكل سريع وكشحت بوجهي عنه. كان بطول غلامرضا، ووجهه وعنقه شبيهان

بوجهه. كان عليّ أن أضع هويّة بطاقته إلى جانبه أو أن أعقد إيشاربي على عضده، ما يعني أنّ الجسد يعود لنا. كنت متردّدة. لم أعرف ماذا أفعل؛ لكنّني في النهاية استسلمت لمتابعة الانتظار وعدت إلى البيت وأنا أنتحب؛ لكنّني ندمت حين عودتي. كأنّه كان هو. بعد الظهر، عدت إلى مؤسّسة الشهيد، طالبة من المسؤولين هناك السماح لي برؤية الجثّة مجدّدًا؛ لكن كان الوقت قد فات. فقد جاءت عائلة أخرى واستلمته. أقمنا لغلامرضا مراسم اليوم الثالث والأسبوع. كما اتّخذنا له قبرًا خاليًا في «بهشت زهراء». منذ سنوات تشكّل قطعة البلاط هذه السلوى لنا. إنّني اليوم، في كلّ مرّة أذهب إلى «بهشت زهراء» أشعر أنّ كلّ شهيد يرقد تحت التراب، وخاصّة الشهيد المجهول الهويّة، هو ابني. أقبّل قبورهم وأشتمّها، وأحدّثهم عن غلامرضا.

الصورة رقم 66 من اليمين: غلامرضا نعمتي، محرّم نعمتي

3- الشهيد مجيد جواديان

3-1 بطاقة الهويّة

الوثيقة رقم 96 (ورقتان)

الصورة رقم 67

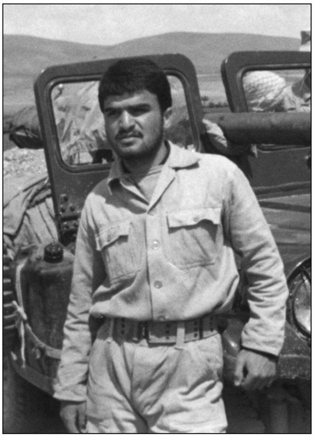

3-2 الأمر بدفع المساعدة

(الوثيقة رقم 97)

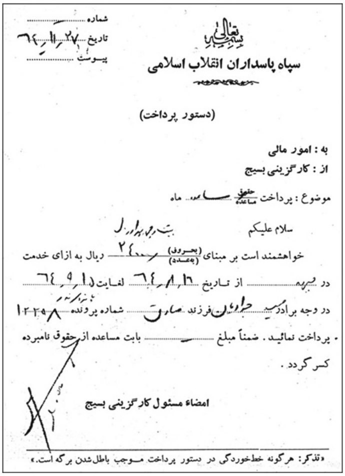

شماره
تاریخ
پیوست

بسمه تعالی

سپاه پاسداران انقلاب اسلامی

(دستور پرداخت)

به : امور مالی
از : کارگزینی بسیج

موضوع : پرداخت حقوق مساعده ماه

سلام علیکم

خواهشمند است بر مبنای (بحروف) (بعدد) ریال به ازای خدمت
در از تاریخ لغایت
در وجه برادر فرزند شماره پرونده
پرداخت نمائید . ضمناً مبلغ بابت مساعده از حقوق نامبرده
کسر گردد .

امضاء مسئول کارگزینی بسیج

«تذکر: هرگونه خطخوردگی در دستور پرداخت موجب باطل شدن برگه است.»

3-3 بطاقة خاصّة بمناطق الجبهة

(الوثيقة رقم 98)

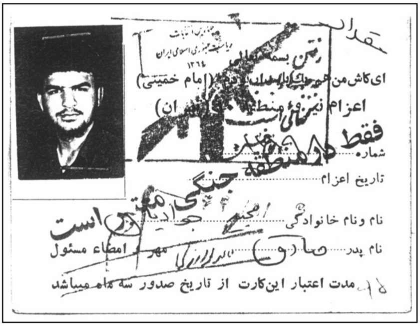

ای کاش من هم پاسداری بودم (امام خمینی)
اعزام نیرو به مناطق
شماره
تاریخ اعزام
نام ونام خانوادگی
نام پدر
مهر و امضاء مسئول
مدت اعتبار این کارت از تاریخ صدور سه ماه میباشد
فقط در منطقه جنگی معتبر است

3-4 مقابلة مع أمّ الشهيد

وُلـد مجيد في شهر تير (حزيران/تموز) من العام 1348 (1969). وهـو الابن الخامس مـن أبنائي. لم يكن لديه رغبـة بمواصلة تعليمه. عندمـا بلغ الثانية عشرة، اشتريـت له أرنبًا أبيض اللون من أصفهان، فـكان يطعمه الجزر والخضار ويلاعبه. ذات يوم مات الأرنب المسكين فجـأةً فحزِن عليه كثيرًا وبقي لأيّام يبكي عليه. كان لوالد مجيد كشك صغـير في ميـدان منيريّة يبيـع فيه المجـلّات والعصائـر والمشروبات الغازيّة والنقولات، فكان مجيد غالبًا ما يذهب ويساعد والده في عمله. التحق للمرّة الأولى بالجبهة في العام 1984 حيث تلاعب ببطاقة هويّته وذهب، ما خلق له فيما بعد مشاكل في دائرة الأحوال الشخصيّة.

كان والـده يحبّه حبًّا جمًّا، لذا أعطاه خاتمه العقيق وسبحة الشيخ مقصـود خاصّتـه. عندمـا كان مجيـد ينزعج من شيء مـا كان ذلك يظهر عليه بطريقة خاصّة؛ فيطوي لسانه داخل حلقه ويلصقه بسقفه ولا ينبس ببنت شفة. وهكذا كان يفعل حين كان يُصيبه ألمٌ ما.

ذهب مجيد أربع مـرّات إلى الجبهة. المـرّة الأولى له كانت في كردستان، الثانية التحق بكتيبة حمزة التابعة لفرقة محمّد رسول الله ﷺ، وفيها أصيب بإصابة طفيفة في رأسـه وتعرّض لعصف انفجار. كما خدم في العامين 86 و87 في كردستان. المرّة الأخيرة التي ذهب فيها إلى الجبهة كانت في شهر أيّار من العام 1987. كان يخدم في مدينة سقّز حين وصلنا خبر شهادته في أواخر شهر تموز من العام نفسه. وقع هو وبعض رفاقه في كمين نصبه لهم أعداء الثورة وهم يركبون سيّارة للحرس. حيث أصاب السيّارة صاروخ مباشر فأصيبوا جميعًا. لربّما كانت وصيّته بحوزته، لذا لم نعثر عليها. عندما نظرت إلى وجهه المحترق، التفتّ إلى لسانه وقد طواه

في حلقه وألصقه بسقفه؛ حتمًا كان يتألّم.

بعد خمسة عشر شهرًا من الخدمة التطوّعيّة في الجبهة، نال مجيد مقام الشهادة الرفيع، التي نالها قبله أخوه حسين. فسمّي شارع «قلمستان» باسمي هذين الشهيدين؛ لوحة معدنيّة تجسّد ذكرى هذين الشهيدين على جدار بارد.

الصورة رقم 68

5-3 **عنوان القبر**

طهران، بهشت زهراء، القطعة 53، الصفّ 25، الرقم 4

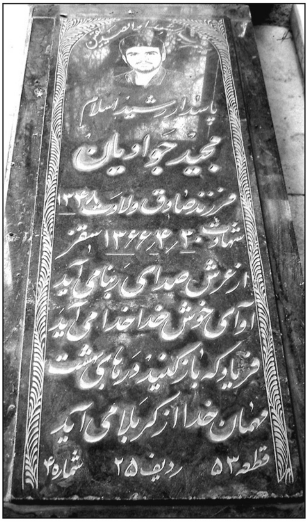

الصورة رقم 69

.. كانت مشاهد مؤثرة؛ مشاهد تحضير الحقائب وكتابة الوصايا وتسليمها لأمانات الكتيبة.. كنت ترى شابًا يافعًا مقبلًا على الموت بشهامة، وقد أمسك بيده قلمًا وورقة كأنه عالم حكيم يكتب أطروحته بعد عمر من البحث والتحقيق.. في ذلك اليوم أذيع نداء الإمام الخميني في نشرة الأخبار. أصغى الجميع إليه وبعضهم أجهش بالبكاء.. أخمدت كلماته تلاطم القلوب المضطربة ومنحت الأرواح حلاوةً وسكينة: «.. يا إلهي، هذا البلد هو بلد الرسول الأكرم وأهل بيته الكرام عليهم السلام. بلد حضرة بقية الله أرواحنا لمقدمه الفداء. أسألك بمقامهم في حرم قدسك أن تجعل النصر حليفاً لمقاتلينا الأعزاء..».

مركز المعارف للترجمة: مركز متخصص بنقل المعارف والمتون الإسلامية؛ الثقافية والتعليمية؛ باللغة العربية ومنها باللغات الأخرى؛ وفق معايير وحاجات منسجمة مع الرؤية الإسلامية الأصيلة.

ISBN 978-614-467-108-5
9 786144 671085

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
لبنان - بيروت - المعمورة - الشارع العام
تلفون: 471070 1 961+ فاكس: 476142 1 961+
www.almaaref.org.lb
Email:info@almaaref.org.lb